دعوة الحق

عرش المتجدد

■ العرش المغربي من معركة التحرير الى معركة البناء

■ مغرب جديد أساسه الإسلام والعروبة ودعامته العرش والشعب

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثاني
السنة الثامنة عشرة

ربيع الأول 1397
مارس 1977

ثمن العدد : 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 85،235 — 30،338

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرق 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

في هذا العدد :

● كلمة لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بمناسبة عيد العرش المجيد .

* * *

● احتفلنا بعيد العرش لتأكيد وجودنا الديني .. ونحتفل به لتأكيد وجودنا الإسلامي
للأستاذ عبد الله كنون

● عيد الحسن الثاني مكسب هام للأمة والوطن
للأستاذ الشيخ المكي الناصري

● نصر من الله وفتح مبين وشكر لله القوي المتين
للأستاذ الرحالي الفاروقي

● خواطر عن الدعوة الإسلامية ومناهجها
للأستاذ محمد العربي الخطابي

● التاج المغربي حاضر في عهود المجد العربية والإسلامية
للأستاذ محمد العربي الزنكاري

العرش يحفظ كرامة الإنسان

«هناك الطاف من الله وعون منه وشيء مخفي من الله أراده لهذا الشعب بينه وبين ملوكه لانه لم تنقطع الصلة بين الملك وشعبه منذ 1300 سنة ، فمنذ 1300 سنة والمغرب يعيش في ظل الملكية في ظل أئمة يرعون امانته ويحيطون بجميع الوسائل امانته وكرامته .. بائمة بيايعهم الشعب بكيفية أوتوماتيكية . لا لانهم ابناء آبائهم بل لانه تغرس فيهم الغيرة وتغرس فيهم الثقة وتغرس فيهم حفظ الامانة ، هذا تراث مهم جدا اتكا عليه المغرب وكلما رأى المغاربة انفسهم أن اسرة من الاسر المالكة حادت عن الطريق أو خرجت عن الجادة سارعوا في طلب النجدة من اسرة أخرى » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

« المغرب الذي كان كما هو معلوم مهد حظارة ومصدر اشعاع ، وشهد التاريخ ، القديم والحديث بمساهمته في اقامة صرح الحنية شامخ لم يبن مجده على وسائل القوة والعنف ، ولا على الكراهية واثارة البغضاء بل وطد ذلك الاشعاع وتلك الحضارة على دعائم السلام واشاعة الاخوة بين الانام فاستطاع بذلك أن يسهم بحظ وافر في الانشاء والابتكار ونقل الفلسفات والمذاهب وطبعها بطابعه الخاص » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

تحية

بمناسبة ذكرى ميلاد سيد الخلق أجمعين سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تصادف الذكرى السادسة عشرة لجلوس سبط أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده على عرش أجداده المنعمين، تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة مجلة "دعوة الحق" بأزكى التهاني وأخلص التمنيات إلى سيدنا المنصور بالله صاحب الجلالة المؤمن المجاهد محرر الصحراء وموحد البلاد مولانا الحسن الثاني زاده الله توفيقا وسؤددا، وإلى ولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد وصنو السعيد مولاي رشيد وإلى كافة أفراد الأسرة المالكة الشريفة سائلة الله جلت قدرته أن يحفظ مولانا الإمام ويسدد خطاه على طريق الخير والتقدم والرفاهية لشعبه المؤمن.

« ان الملوك الذين تعاقبوا على عرش هذه البلاد كانوا يمارسون طيلة قرون طائفة من المهام هي عادة من اختصاص الملكية المطلقة ، اما نحن فقد ابينا الا ان نتنازل بمحض اختيارنا وطوع ارادتنا للامة عن جملة من هذه الاختصاصات مقتصرين على المهام التي يزاولها رؤساء الدول في البلاد الديمقراطية ، ولم نقف عند هذا الحد ، بل ابينا الا ان نلقي على كاهلنا التكاليف التي تعلمونها والتي ينص عليها دستور مملكتنا ، من ذلك ضمان دوام الدولة واستمرارها واستقلال البلاد وصيانة ترابها ، وحماية حمى الدين ، والسهر على احترام الدستور ، وصيانة حريات المواطنين والجماعات والهيئات ورعاية حقوقهم » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

تحيّة وإكبار

لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
السيد الداي ولد سيدي بابا

أن من نعم الله تعالى على هذه الارض ان خصها بعرش مجيد يجسم امارة المؤمنين والسيادة الوطنية ويعبر بصدق عن ارادة الامة وينطق بلسانها ويرمز الى عزتها ووجودها المعنوي والحضاري، ولم يكن العرش في المغرب نظاما سياسيا تقليديا جامدا يتخلف عن ركب التطور ويقصر عن ارتياد آفاق المستقبل بل كان على العكس من ذلك يتفاعل ويتجاوب مع التاريخ ويؤثر في احداثه وتطوراته ويوجه الامة نحو السمو والرفعة والنصر، ويقودها الى البناء والتشييد وانشاء الحضارة الانسانية، وبذلك ارتبط تاريخ العرش المغربي منذ الفاتح الاكبر المولى

ادريس الاول رضوان الله عليه بملاحم الجهاد ومواقف الشجاعة والإبـــاء ومعارك الشرف والكرامة وهو بهذا الاعتبار عرش مجاهد سواء اتخذ هذا الجهاد شكله الطبيعي المتمثل في حماية الوطن من الغزاة والطامعيـــن ورد غارات المغيرين عليه ، او اصطبغ بصبغة المقاومة العنوية والذود عن القيم والمقومات والانتصار للحق الخالد والاسهام في البناء الحضاري.وسيبقى العرش مستمرا الى ان يرث الله الارض ومن عليها لا يفتر ولا ينقطع يتوارثه الخلف عن السلف جيلا بعد جيل لا يزيده مر العصور وكر الدهـــور الا فتـــوة وشبابـــــا .

واذا كان العرش المغربي ينهض بالمسؤولية التاريخية على هذا النحو ويخلص لقضايا الشعب بهذا القدر الرفيع من الامانة والتفاني فان الاسرة العلوية الشريفة التي قيضها الله تعالى لهذا الامر واصلت العمل على هذا النهج مجددة شباب الامة ومضيفة الى تراث العرش امجادا عظيمة مـــع المحافظة على الشعلة المقدسة في قلوب الشعب تنفخ فيها روح الايمان والعزم وتحفز الانسان المغربي المسلم للبذل والعطاء تحت راية الاسلام والعروبـــــة .

لقد تقلدت الاسرة العلوية مسؤولية الحكم في ظروف تاريخيـــة دقيقة تعرض فيها المغرب لاطماع الطامعين الغزاة الصليبيين فانصرف اهتمامها منذ اول عهدها بالملك الى توحيد البلاد ولم شتات الامة والسير بها الى الاجتماع على كلمة سواء وقد مكن الله لهـــا في الارض فاعـــاد ـ سبحانه ـ على يدها القوة والمناعة وذيوع الصيت لهذه البلاد ورفـــع مكانتها واعلاء شانها بين الامم والشعوب بفضل اخلاص ملوكها ويقظتهـــم وشعبيتهم واخذهم الامور بالحزم والتبصر وسهرهم الدائب على تحقيق الازدهار العام ، والرخاء الشامل .

وبفضل ذلك الالتحام ظل العرش العلوي المجيد رمزا لوحدة البلاد وحصنا منيعا من حصون الحرية ودعامة من دعائم الاصالة والذود عـــن الحمى والحفاظ على المقدسات وردع البدع والضلالات ، وهو الى جانب ذلك محور الشخصية المغربية وركيزة الكيان الوطني والضمانة المؤكدة ضد الانحراف والزيغ ، فلا غرو ان يتمسك المغاربة منذ ثلاثة عشر قرنا بعروة العرش الوثقى ويتشبثوا باهدابه ويدافعوا عنه ويفتدوه بالمهـــج والارواح ، فهيا الله جل شانه من هذا التجاوب والالتحام أسباب القـــوة وعوامل النصر والفوز في تسلسل تاريخي متواصل تعتبـــر المسيـــرة الخضراء المظفرة اقرب حلقاته الينا .

هذا الارث الحضاري الضخم،الذي تسلمه مولانا أميـــر المؤمنيـــن جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله كان بالتاكيد اقوى حافز للاستمرار والانتصار ، واوفى مصدر للاعتزاز والافتخار واصفى منبـــع للاقتبـــاس والامتـــداد .

ولقد اثبتت لنا تجربة الكفاح الوطني انه بقدر ما يتعلـــق الشعـــب بالعرش ويلتف حوله تتحقق المعجزات وتفشل كل مخططات العدو التي

تستهدف المس بالوطن والمواطنين ، حدث هذا في ايام الكفاح من اجل الحرية والاستقلال في عهد جلالة المغفـــور له محمد الخامس وعشتـــاه بالامس القريب مع جلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بالله ايام مســـيرة التحرير والوحدة المظفرة .

وان احتفالنا اليوم بالذكرى السادسة عشرة لجلوس صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على عرش اجداده المنعمين الذي صادفت في هذه السنة ذكرى مولد جده المصطفى عليه افضل الصلوات وازكى التسليم . ليعبر في الواقع عن متانة الوحدة الوطنية وسلامة الراي العام المغربـــي واستقامة الخط السياسي الذي يسلكه المغرب في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العالم ، وبهذا الاعتبار فان الاحتفال بهذه الذكرى العظيمة يتعدى مجال المراسيم والشكليات الى اعمق المعاني والدلالات من حيث انها تاكيد وتجديد للعهد على مواصلة السير نحو تحقيق اهداف الوطن العليا .

لقد استطاع المغرب ان يخرج من معركة الصحراء منتصرا ظافـــرا مرفوع الراس عزيز الجانب بفضل التحام الشعب بالعرش . ولو كـــان عرشنا العلوي من نوع الانظمة التي تؤثر السلامة وتنشد النجاة وتنأى عن تحمل اعباء المعارك وتكاليفها الباهظة لما كان ليعلنها مسيرة خضراء نحو الصحراء في ظروف جد حرجة ودقيقة ولما كان ليدعو الى تلك التعبئـــة الشعبية من اجل التحرير واستكمال الوحدة الترابية للمملكة ولكن جلالة الحسن الثاني المنصور بالله ــ وهو المؤمن الواثق بشعبه ــ ابـى الا ان يوحد البلاد ويدرأ عنها الخطر ويؤدي الامانة كاشرف ما تؤدى الامانات .

لقد سار عاهلنا المفدى على نهج آبائه واجداده واخذ بناصية الحق وآثر شعبه على نفسه في صوفية عاقلة مدركة ، وما عرف عنه الا السعي المتواصل والدائب المستمر وما عهد فيه الا التفكير والابتكار والتجديـــد والانفتاح على ما ينفع وطنه وشعبه بالدرجة الاولى ، حتى اجتمعت بقيادته الامة والتفت حوله القلوب وتوج الله سبحانه وتعالى جهـــاده وجهـــوده باسترجاع الصحراء على يده واستكمال الوحدة التي تركها ملوكنا الاماجد امانـــة في اعناقنـــا .

واذا كانت ست عشرة سنة من عمر الزمن لا تكاد تذكر في تاريـــخ الشعوب فان الاعمال والمنجزات والانتصارات الاقتصادية والاجتماعيـــة التي حققها جلالة الحسن الثاني المؤيد بالله خلال هذه الفترة القصيـــرة تفوق بدرجات عالية ما انجزه غيره في اضعاف هذه المدة ، وليس مـــرد ذلك الى شيء بقدر ما يرجع الى شخصية جلالته وتكوينه وما يتحلى به من عبقرية سياسية وخلقية ومزايا عقلية وثقافية وقدرة على العمل في مختلف الظروف ، وهي جميعها مميزات تقوي ارادة التحدي وتركيها وتنفخ فيها روح الحزم والعزم والمثابرة وهذا هو السر ــ بعد توفيق الله ولطفه في النجاح المطرد الذي تتوج به اعمال جلالة الحسن الثاني .

لقد اعد جلالته نصره الله لقيادة امة عظيمة الشان ، وكان اعداده في مستوى عظمتها حتى اذا ما تسلم زمام الامر انبسطت امامـــه السبـــل وانفتحـــت الافـــاق ...

وتقمصت شخصية جلالته الفذة روح الاستمرار والمثابرة:يقطف ثمار كده وعمله وينشر الوية الخير والمحبة والسلام .

ان الشعب المغربي وهو يحتفل اليوم بهذه الذكرى الجليلة يستحضر امام ناظريه بطولات جلالة الحسن الثاني وفتوحاته العمرانية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية وانتصاراته السياسية العظيمة فلا يزيده ذلك الا تعلقا بالعرش وولاء لصاحبه وحبا للاسرة المالكة الشريفة .

الداى ولد سيدي بابا
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

عرش التحدّي

● يتميز تاريخ الدولة العلوية بالصراع المحتـــدم بين عوامـــل الاحباط والانتكاس ، واسباب الغزو والاحتلال ، وتوازع السيطرة والتحكم، وبين ارادة الخير والبناء ، والنزوع الى الاستقرار والاطمئنان ، والميـــل الى السلم والامان ، وايثار مصلحة الشعب في المقام الاول ، والتطلع الى الرفعة والعزة والكرامة .

وقد تقلد العرش العلوي مسؤولية الحكم في ظروف بالغة التعقيد ، ومناخ سياسي مضطرب ، وكلمة الامة مشتتة ، والاطماع محدقـــة بها ، والوحدة الوطنية مهددة ، والعزم كليل ، والعزيمة خائـــرة ، والايمـــان ضعيف ، والجهل منتشر ، والخلود الى الراحة وايثار السلامة مطمـــح النخبة الواعية بله السواد الاعظم من الشعب . بينما يقف على مرمـــى البصر عدو لدود ، حاقد ماكر ، يحركه الحقد الصليبي ، ويحفزه الثأر من الهزائم الشنيعة التي مني بها في عشرات المواقع والمعارك الفاصلـــة ، ويتحين الفرص للانقضاض على المغرب ، واذلال اهله واحتلال شواطئه . وفي الجناح الشرقي من الوطن الاسلامي تعاني دولة الاسلام والعروبـــة سكرات الاحتضار ، وتطوي الصفحة الاخيرة من حضارتنا الباذخة ، بعد ان فشا التكالب على السلطة، وانتشر التآمر بين الاشقاء وساد الاضطراب السياسي حتى لم تعد نفعه من العالم العربي الاسلامي الفسيح الارجاء تنعم بهدوء نسبي يمكنها من اعداد العدة لرد العدوان وصد الهجـــوم الزاحف مـــن اوروبـــــا .

قامت الدولة العلوية الشريفة في هذا الجو المشحون بالاضطراب وارهاصات الانهزام الفكري والحضاري وتحملت العبء الثقيل واوست لنفسها قاعدة متينة للانطلاق منذ أول عهدها بالحكم مستأنفة بذلك دورة حضارية جديدة للاسلام والعروبة في المغرب بعد ان اوشك ان يفتك بهما الحقد والمكر والتآمر والخيانة والاعراض عن الجهاد والاغراق في الفساد.

واتضح مسار الدولة الجديدة القائمة على الحق والعدل والاحسان، الملتزمة بالتقوى والورع والصلاح، المتطلعة الى القوة والوحدة والتضامن. وانبسطت امام الملوك العلويين الاشراف آفاق العمل الاسلامي الجاد لرأب الصدع، ولم الشمل، وتجديد حماس الشعب، واشاعة الامن، ورفع لواء السلام الاجتماعي، وحشد همم العاملين وطاقات المجاهدين. ولم يمض وقت طويل حتى استرجعت البلاد وحدتها وهيبتها وسطوتها وقوتها، واطمأنت الامة الى استقرارها ورخائها ورفعة شأنها، واستعادت النفوس املها وثقتها ويقينها، وكان العرش من وراء ذلك كله الرائد والقائد والذائد عن حق المغرب المسلم العربي في الحياة الحرة الكريمة.

وتوالت البطولات الطافحة بالعبر والموعظات، وتفهم الوضع الدولي لبلادنا، وذاع صيتها، وسمت سمعتها، بين الامم والشعوب، حتى ان مخططات الدول الاستعمارية الاوروبية عقب ما يسمى بعصر النهضة كانت تركز على دولتين عربيتين اسلاميتين من العالم العربي والاسلامي: المغرب ومصر، لما كانا يقومان به من دور قيادي فريد في حماية الحضارة العربية الاسلامية والحفاظ على استقلالهما والنهوض بشعبيهما. وعاشت الدولة العلوية عصورها الزاهرة في عهد المولى اسماعيل والمولى محمد بن عبد الله والمولى سليمان والمولى محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن الاول الذي تعرض لضغط شديد من الاستعمار المتحفز وصمد في شجاعة نادرة وحافظ على مناعة المغرب واستقلاله في الوقت الذي كانت البلاد العربية والاسلامية كلها ـ باستثناء الجزيرة العربية ـ قد وقعت ضحية في يد الاحتلال من الهند الى الجزائر.

واذا كان العرش العلوي قد عرف بعض الهزات العنيفة في عهد الملوك الاشقاء المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف ـ رضوان الله عليهم ـ من جراء ارتفاع درجة التآمر الاستعماري ضد بلادنا، فان الله ـ والمؤمنين والتاريخ ـ يشهد أن المقاومة الباسلة التي ابداها ابناء المولى الحسن الاول كان لها دورها الفعال الذي لا ينكر بحال في التخفيف من آثار الوطأة التي اصابت المغرب من يوم 30 مارس 1912 الى يوم 18 نوفمبر 1955 وهي فترة الحماية التي قال عنها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده انها لم تكن الا بمثابة حادثة سير، وان كان هذا لا يمنع من القول أن ما اظهره العرش العلوي من تضحية وصبر وقوة احتمال وشدة شكيمة ورباطة جاش خلال هذه الفترة الوجيزة لا يعادله الا ما بذله مؤسس الدولة العلوية رضي الله عنه، بحيث يحق لنا أن نقول ـ مطمئنين الى صحة وقوة حجتنا ـ ان مصير المغرب، ومصير العرش والاسلام والعروبة في هذه البلاد قد تقرر خلال تلك المرحلة الحاسمة والفاصلة من

تاريخنا الوطني . فلولا ايمان المغاربة بدينهم ، وتمسكهم بشريعته ، وتعلقهم بعرشهم ، وايثارهم سلامة البلاد ووحدتها على سلامتهم الشخصية، ولولا ارتباط العرش بهذا الشعب ارتباطا شرعيا اولا ثم وطنيا ثانيا ، ولولا التحدي العظيم الذي واجه به جلالة المغفور له محمد الخامس دهاقنة الاستعمار والى جانبه عضده الايمن ووارث سره جلالة الحسن الثاني ـ اطال الله بقاءه ـ لتغيرت الخريطة المغربية لا قدر الله .

● والحق اننا مدينون للعرش العلوي بوجودنا الوطني بقدر ما نحن معترفون له بالفضل الاكبر في الحفاظ على كياننا المعنوي ونقصد به بالدرجة الاولى ديننا ولغتنا وتراثنا وثقافتنا وحضارتنا واصالتنا المميزة .

لقد كانت فترة الحماية البغيضة امتحانا صعبا للعرش العلوي اجتازه بتفوق باهر مبرهنا اصدق ما يكون البرهان عن قوة تمثيله لارادة الشعب المغربي وصدق تعبيره عن رغباته ومطامحه وتطلعاته واحقيته لقيادة معركه الحرية والاستقلال ومؤكدا بتضحياته وصموده ومقاومته وفاءه العميق بالعهد والتزامه القوي بالدفاع عن مقومات الوطن وكيانه الحضاري وتفانيه في خدمة جماهير الشعب واستعداده لمواجهة اسوا الاحتمالات حفاظا على الشخصية المغربية من ان تمس في جانب من جوانبها .

ولقد خرج العرش العلوي من هذه المعركة مرفوع الراس مهاب الجانب قوي البنيان شديد الاعتزاز بجهاده الملحمي الصامد .

وترعرع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في هذا الجو النضالي الشريف فما ان شب عن الطوق حتى راينا في طليعة المقاومة اقداما وشجاعة وصبرا واباء ورفضا للمناورات الاستعمارية باشكالها وطرقها واسهاما في الحركة الوطنية المتحمسة الامر الذي قوى من التحام الشعب بالعرش وزكى تلك العلاقة المقدسة التي تربط الملوك العلويين الاشراف بابناء المغرب الاشاوش مما جعل انظار سلطات الحماية تتجه نحو الامير المناضل وتسعى جاهدة لتفت في عضده واضعاف حماسه واندفاعه واستغراقه الكلي في العمل الوطني الموحد .

فالعرش ـ اذن ـ لم يكن منعزلا باي وجه من الوجوه عن الاحداث الجسام التي عرفتها بلادنا طيلة النصف الاول من هذا القرن ، وان كان الاستعمار سعى منذ البداية الى انعزاله والحد من فعاليته وتاثيره البالغ في نفسية الشعب ليخلو له الجو فينفذ خططه في مامن من كل خطر او تهديد . ولذلك لم يكن محمد الخامس ملكا كالملوك ولكنه كان مناضلا عزيز النفس قوي الشكيمة وطيد العزم شجاع القلب ، ولم يكن الامير مولاي الحسن (جلالة الملك الحسن الثاني) كالامراء ولكنه كان وطنيا مقداما ثائرا منضبطا وموجها للتحركات النضالية كاقوم واحكم ما يكون التوجيه في ظروف الحصار والتطويق والارهاب البوليسي والعسكري ، وعرف فيه المقربون اليه من رفاقه في الدراسة وخلانه ابناء الشعب ومعارفه من رجال القصر ـ بما في ذلك قلة من الاجانب الذين لم يكونوا على وفاق مع سلطات بلادهم ـ صفات وطنية وثورية قلما تتوفر في اقرانه الامر

الذي كون في أعماق نفسه بذورا تربوية أخصبت مع توالي الأعوام وتعاقب أشواط المعركة الى ان اتت أكلها باذن ربها يوم قبضه الله تعالى للامارة والحكم واختاره الشعب عن بكرة ابيه ملكا وامام وقائدا وزعيما يدين له بالولاء والسمع والطاعة .

ولقد كانت السلطات الاستعمارية تأخذ حذرها من جلالة الملك الحسن الثاني وهو بعد شاب يافع بتفتح عقله ووعيه على مغرب مكبل بالاغلال وضيق نفسه بالجو الخانق المحيط به من كل جانب ، واعتبرته حجر عثرة في طريقها الى تنفيذ مخططاتها العدوانية ، وكانت تضرب حوله حصارا رهيبا لئلا يختلط بالشعب تحسبا من ان تسري منه عدوى الوطنية المؤمنة الى شباب البلاد الناهض . وهو اسلوب سخيف في القمع والعنف الاستعماري عرف العرس والشعب كيف يتجاوزانه ويبطلان مفعوله بحيث لم تنفع الاستعمار اجراءاته المشددة ومواقفه المتطرفة وانتصر المغرب في الاخير لانه استمسك بالعروة الوثقى :

— الاســـــلام

— العروبـــــــة

— العـــــــرش

ومن هنا نبع التحدي الحسني القاهر الذي قصم — بتوفيق من الله وعونه — ظهر اعداء المغرب سواء ممن وفدوا علينا غازين من وراء البحار او من ابناء جلدتنا الذين لم يرعوا للعقيدة والدم والجوار حرمة فتطاولوا على النيل من سيادتنا فرد الله كيدهم في نحرهم .

التحدي الحسني المعزز بمدد من الله سبحانه وتعالى والمدعم بولاء من الشعب لن تنقطع اسبابه هو وحده الـذي مهـد لنا السبيـل الى الحرية والوحدة والعزة تحت راية القرآن .

● لقد تجلى التحدي الحسني بصورة واضحة في اختيار طريق وسط بين الاتجاهات السياسية والاقتصادية المعاصرة حفظ على المغرب كرامته واستقلاله ووقاه شر الانزلاق في مهاوي سحيقة والارتمـاء في احضان المعسكرات والمذاهب وصراع القوى الدولية . وهي تجربة ليست هينة على كل حال ، خاضها المغرب — ولا يزال — بوعي وتفتح وادراك كامل لطبيعة العصر . وهذا هو السر في المناعة الذاتية للعرش المغربي بالاضافه الى الولاء الشعبي العميق الجذور .

وهذا الاعتدال المنضبط اكسب المغرب قوة ونفوذا ووضعا دوليا متميزا ، وجعل دول العالم تتعامل معه على قدم المساواة ومن غير ضغط او اكراه او ارهاب سياسيا كان ام اقتصاديا ام ايديولوجيا ، في الوقـت الذي تتزايد فيه الضغوط الاجنبية على مجموعة العالم الثالث وتشتـد المناورات الاستعمارية للنيل من استقلالها واخضاعها للتبعية الذليلة .

هذا الانتماء المغربي المحض .. وهذا الارتباط العضوي بعقيـــدة الشعب وقيمه ومقوماته ومقدساته وتقاليده .. وهذا التجاوب الصوفي بين العرش والشعب هو القاعدة العريضة الراسخة للتحدي الحسني .

فهو ـ اذن ـ تحدي من اجل الخير والنماء والسلام ، واذا اردت الدقة والتعبير الجامع المانع قلت عنه انه تحدي من اجل ارساء حكم الله في الارض ومحاربة الطواغيت التي تسعى لتستبد بالامـــر وتعيـــث في الارض فســـــادا .

وحينما يقول المغرب : لا للتبعيـــة ، ولا لاستيـــراد المذاهـــب والايديولوجيات ، ولا للتكتلات العسكرية المشبوهة ، ولا لليمين الرجعي المحنط ، ولا لليسار المتطرف المتفلت من كل الضوابـــط الايمانيـــة والاخلاقية والمتنكر للتراث والاصالة .. فانما يرفض في الواقع ذوبان الشخصية المغربية القحة ويبقى على كيانها الوطني قويا متينا حرا مستقلا .

وهذا منطق الاســـــلام ...

وليست رجعية او انعزالا او تقوقعا او انكفاء على الذات ..

ان استيراد التكنولوجيا واقتباس احدث النظريات العلمية لن يكونا على حساب العقيدة والاصالة .

ان تخلفنا في جوهره مادي تكنولوجـــي وليس تخلفـــا فكريـــا او ايديولوجـــــا ..

اننا نعرف الله ـ سبحانه وتعالى ـ ونؤمن به ـ جلـــت قدرتـــه ـ ونأخذ بالاسلام طريقا ومنهجا واسلوبا ونجتهد ونكدح لنكون في مستوى اسلامنا العظيم ، وفي نفس الوقت نعتز اعتزازا حارا بالعرش العلـــوي المجيد وندين بالولاء الشرعي العميق الجذور لزائد المسيرة الخضـــراء ومحرر الصحـــراء .

وولاؤنا نابع من عقيدتنا .. ومستوحى من تقاليدنا واعرافنا .

ومن هنا ـ ايضا ـ يتبع التحدي الحسني ...

فليـــدم عـــرش التحـــدي ..

ولتحفظه الله ذخـــرا للمغـــرب ..

وبعد ، فان اقتران الذكرى السادسة عشرة لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش اجداده المنعمين بمرور اربعة عشر قرنا وخمسين سنة على ميلاد سيد الخلق اجمعين مولانا وحبيبنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرمز في الواقع الى مغزى عميق له ارتباط باللطف الالهي الخفي الذي يشمل هذا العرش المجاهد وصاحبه المنصور بالله .

وان شعب المغرب المؤمن ليسعه الا التفاؤل والاستبشار خيرا بهذا التوافق الذي ترتاح اليه النفوس وتقر به العيون ويثلج الصدور .

وهذا برهان جديد من الله تعالى على تطابق سياستنا واتجاهاتنا وخطواتنا لما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هداية وشريعة ومنهج حياة متكامل .

اننا اذ نحتفل بالمولد النبوي الشريف في هذا اليوم الاغر - يوم عيد العرش السعيد - لنستشعر عظمة هذا الدين القويم الذي ارتبط به العرش العلوي وسار على نهجه لا ينحرف ولا يزيغ . وهذا ما يملأ قلوبنا ايمانا وولاء وطاعة لله ولرسوله ولامير المؤمنين سبط رسول الله الاعظم عليه الصلاة والسلام .

وعلى الله قصد الحق

احتفلنا بعيد العرش

لتأكيد وجودنا الدولي ،

ونحتفل به لتأكيد وجودنا الإسلامي

للأستاذ عبد الله كنون

مع عيد العرش نتجدد ذكريات الكفاح الوطني ، والانتصارات السياسية التي حققناها في ميدان الكفاح، أيام اراد الأجنبي المتسلط على بلادنا ، اهدار الذاتية المغربية ومحو وجودنا السياسي من صحيفة المنتظم الدولي .

واذكر انني في العام الذى تقرر فيه الاحتفال بعيد العرش ، لأول مرة ، ذهبت الى البريد لبعث برقية التهنئة بهذه المناسبة الى جلالة الملك الراحل سيدى محمد الخامس قدس الله روحه ، فما ان دفعت بنص البرقية الى موظف البريد ، وكان فرنسيا ، الا وقد وقف الى جانبي محبر معروف ينتمي الى بلاد شقيقه، وكان أحول ، فالتهم البرقية بعينيه المحملقتين في استغراب شديد ، وحدد النظر الى ثم ذهب مسرعا كأنه يسعى الى موعد يخاف أن يفوته .

ولما رجعت أخبرت جماعتنا المحتفلة بخبره ، فقالوا كلهم لقد ذهب يحمل الخبر الى اسياده ولا بد أنه سيحصل على مكافأة مجزية ، وكثر التندر به ، وتمثيله وهو يتحامل باحدى عينيه على الأخرى ليتحقق من أمر المفاجأة ، وسخرنا منه ومن اسياده وكان حديثه من المسليات التى زادت جو الاحتفال بهجة وحبورا

واستدعيت من الغد الى المراقبة ، فقال لي المراقب : ما هذه البرقية التى أرسلتها الى السلطان ؟ قلت انها برقية التهنئة بعيد جلوسه على العرش ، فقال لي : ومتى كان هذا اليوم عيدا ، فالحكومة لا تعرف هذا العيد ؟ واجبت : اننا كرعايا لجلالته نعرف هذا اليوم ، ونعطيه أهمية عظيمة ، لأنه يثبت (بتشديد الباء) وجودنا كدولة ، لها كيان وسلطان ! قال : وهو ينظر الى البرقية ، وكانت بين يديه : وما هو الاحتفال الذى تتحدث عنه في البرقية ، واين كان ؟ قلت اننا احتفلنا في بيوتنا وفي احيائنا ، وكان المحتفلون من جميع الطبقات ولاسيما الطلبة والتجار والعمال ! قال انكم تعبثون . وهذا العيد لا ذكر له في قائمة الأعياد ، والسلطان نفسه لا يعرفه وسيعد برقيتكم افتياتا عليه، الى كلام آخر يتردد بين التوعد والاستنكار !

وانصرفت عنه وهو يهزأ بما قلت له وأنا به أكثر استهزاء . وفي الحقيقة فان الاحتفال كان متواضعا جدا ، وكان وحيدا في البلد كله ، ولم يكن هناك احتفال آخر في بيت ولا حيّ ، لأن الدعاية للاحتفال لم تكن كافية ، والناس لم يفهموا مغزاه من أول يوم ، والجهات الرسمية لم تعرفه أو على الأصح لم تقره لانه لم يخف عليها ، فلم تقع استجابة له على النطاق العمومي ، ولكن المبادرة على ضعفها كان لها صدى في الأوساط الشعبية بقى حديث الناس في كل مكان أياما عديدة .

وهكذا كان الاحتفال في العام الثانى أظهر وأشهر ، ومن مختلف الطبقات بحيث لم تستطع السلطات الرسمية أن تتجاهله ولا أن تناقش أحدا من أجله . أما في العام الثالث فقد أصبح احتفالا رسميا ، وصدرت به الأوامر ، وكان المراقب من جملة المحتفلين او على الاقل من جملة المشاركين مع الولاة المخزنيين في الاحتفال

ولا حاجة الى القول بأن خضوع سلطات الحماية وأعوانها لهذا القرار الوطني كان انتصارا حاسما للحركة الوطنية ، لا سيما وقد تطور عبد العرش الى ما يعرفه الجميع ، اذ اصبح اكبر تظاهرة وطنية في البلاد ، وصار جلالة الملك يلقي فيه خطابا سياسيا يطلق عليه خطاب العرش يستعرض فيه المنجزات ويحدد المطالب ، ويصفق له الشعب من أعماق قلبه ، ويجيء اسبوع العام ومعه كبار رجالات الادارة من مدنيين وعسكريين لتقديم التهاني الى جلالة الملك ، وانف الاستعمار راغم ! .

ونحن اليوم بعد الاستقلال ، نحتفل بعيد العرش لمعنى أسمى وأعلى ، انه **الوجود الاسلامي في هذا الوطن، الذي يحميه العرش ويمثله ، ولا نجد ملجأ للدفاع عنه والمحافظة عليه الا في العرش .**

لقد ثارت علينا الأعاصير من كل جهة ، وهبت الايديولوجيات المختلفة قوية جارفة ، تريد الاطاحة بكياننا السياسي والاجتماعي والديني ، وانتشر الالحاد ، وعم الفساد ، وطلع قرن العنصرية والنعرة الجنسية المفرقة . حتى طمع فينا المارقون وشمت بنا الأعداء ، والجهات التي يتوقع أن تكون مصدر انقاذ وتغيير ، أكثرها ضالع مع تلك التيارات ، ويدعو بدعوتها . **وليس هناك مرفأ للسلامة ترسو فيه سفينة هذا الشعب المومن الموحد (بفتح الحاء المشددة) الا العرش الذي كان سبيل النجاة وملاذ الامن بالامس ، عند استشراء خطر الاستعمار ومؤامراته ضد وجودنا الدولي** ، فلنتعلق به كما فعلنا من قبل . ولنجعل احتفالنا به تظاهرة جديدة لحماية عقيدتنا وصيانة وحدتنا ومقاومة المذاهب الهادمة والأفكار الهدامة التي تغرث فاها لابتلاعنا وتحطيم جميع مقوماتنا .

اننا مسلمون قبل كل شيء ، ومغاربة عرب بعد ذلك ، فايديولوجيتنا هي الاسلام وجنسيتنا هي العروبة، ولو خيرنا بين الجنسية والايديولوجية لاخترنا الايديولوجية التي هي الاسلام لا غير ، حتى ان ملكنا المفدى ، أي صاحب العرش لما اضطر الى الكلام على الاشتراكية قال : **ان الاشتراكية التي يومن بها هي اغناء الفقير وعدم افتقار الغني . وهذه هي الاسلامية التي نعيش من أجلها ونموت عليها .**

اننا أصحاب رسالة في غنى عن أي دعوة اجنبية ، وأي فكرة مستوردة ، وسبيلنا هو العمل برسالتنا واعلاء منارها ورفع رايتها، لا أن نذوب في الايديولوجيات الاجنبية او نخادع الشعب بتفسير الاسلام تفسيرا مزيفا مضرا وندعي أنه هو هذه الايديولوجيات .

ان جلالة الحسن الثاني هو الملك الذي يفتتح خطبه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ، وهو الذي يطرز خطبه بآيات الذكر الحكيم . ويختمها بالدعاء الذي هو مخ العبادة ، وليكن ذلك سياسة كما يقول الخصوم ، **فان هذه السياسة من الاسلام** ، وكفى انها تغيظ خصومه ، الم يستنكر لجوءه على خطيب فتتح خطابه باسم الله الرحمن الرحيم في جمع عام ؟ . !

ان الصبابة الباقية بأبدينا من الاسلام هي هذه المظاهر التي تربطنا برسالته المقدسة ، وهي في اعتقادنا الخميرة التي سوف تنمو بها وتزكو حياتنا الدينية ونهضتنا المعاصرة في حظيرة الاسلام الحنيف . **فلنلتف حول العرش الذي هو رمز هذه الحياة ورائد هذه النهضة** ، ولنحتفل به تأكيدا لوجودنا الاسلامي وسوف تكون النتيجة ان شاء الله كنتيجة الأمس ، وما بالعهد من قدم .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا .)

الاحتفالات وطنية :

عهد الحسن الثاني
مكسب ضخم للأمة والوطن

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

يحتفل الشعب المغربي بالذكرى السادسة عشرة لجلوس صاحب الجلالة الملك المفدى الحسن الثاني على عرش اجداده الكرمين ، وهو اذ يحتفل بهذه الذكرى انما يعبر عن ولائه الدائم للاسرة العلوية المالكة ، وعن امتنانه العميق لوارث سرها الجالس على عرش المغرب .

واذا كان هذا النوع من الاحتفالات بذكرى رؤساء آخرين لعدة دول يصطبغ بالصبغة (البروتوكولية) أكثر من اية صبغة اخرى ، فان الاحتفال بذكرى رئيس الدولة المغربية يصطبغ بصبغة أعمق وأعمق ، وينبع عن اساس أقوى وأمتن .

ان الحسن الثاني في نظر المغاربة الاحياء والمواطنين المخلصين يمثل نوعا فريدا في بابه من بين الرؤساء والملوك ، فهو حركة دائبة لا تفتر ، وهو عبقرية ناضجة لا تكدر صفاءها السحب والغيوم ، وهو رئيس دولة يعتبر الرئاسة تكليفا لا تشريفا ، ومسؤولية امام الله والتاريخ والأجيال الحاضرة والقادمة قبل كل شيء ، فهو لذلك يسابق الاحداث ويلاحقها ، ويستلهم الحلول حتى للمشاكل التي لم تصل بعد الى حيز الواقع وهو لا يترفع عن أن ينزل الى مستوى رجل الشارع من مواطنيه ، ليتحدث اليه باللغة التي يفهمها ، ويعبر له عن مشاعره العفيفة ، دون تحفظ ولا تملق .

ان الحسن الثاني لبشرف بحق منصبه الكبير ، ويقدر تمام التقدير مسؤوليته الثقيلة كملك لمملكة فتية ، عريقة في الفخوة والشهامة، حريصه كل الحرص على قطع المراحل التي فاتتها في مختلف المجالات ، واللحاق بمقدمه القافلة ، التي كانت في عهود تاريخية سابقة ، هي احدى طلائعها الاولى .

ولا يشرف الحسن الثاني منصبه ومسؤوليته فحسب ، بل انه لشرف ذكرى ملهمه الوطنيه ووالده المرحوم بطل الوحدة والاستقلال ، **محمد الخامس طيب الله ثراه** ، بل ذكرى كافة الملوك العلويين الذين سبقوه في خدمة هذه الامة ، والحفاظ على حريتها ، والدفاع عن مقدساتها ، وانهم بذلوا كل ما وسعهم من جهود وتضحيات ، في سبيل الابقاء على كيان المغرب والحفاظ على الوحدة الترابيه عبر القرون والأجيال

وهذا هو الحسن الثاني لا يعبر يوم من الأيام الا وسلطت عليه الاضواء العالمي الى برهم ما تضمنه من بيان ، وعلاج ما يعبر من اوضاع ، واحياء ما اندثر من امجاد ، واسترجاع ما ضاع من حقوق ، وهذا ان نشاطه قد اصبح مع مرور الأيام يعس جميع الجوانب لروحيه والمادية ، السياسة والاجتماعية ، بحيث أصبحت عملية الترميم الحسنية تمتد الى جميع عراص الحياة المغربية ، رغما عن أن المغرب لم يمر بفترة بلغت الغاية في التعقيد والحساسية كالفترة التي يمر بها في هذا العهد

وإذا كان ملوكنا السابقون يحكمون ، ويوسعون عروشهم ، ويتنقلون عبر المملكة باستمرار ، في (حركات) متواصلة الحلقات ، للاتصال برعاياهم ، ولحل مشاكلهم في عين المكان ، ولضمان الارتباط الروحي

العميق الذي يربط بين العرش والشعب ، عان الحسن الثاني عا جدد هذا العهد الملكي للحكيم ، وفقا لوسائل هذا العصر ، وطبقا لما تعارف عليه الناس ، ومنذ اعتلى عرش أجداده حفل من زيارة أقاليمها زيارات متلاحقة قوبل خلالها من مرضى الدوبه ، وبعطا جديدا للحكم، وعلامة حكمه من عاهل العهد الجديد ، وعلى هذا الطريق الحكيم اخذ الحسن الثاني يسير على منوال سلفه وجده يرعاه ويضع نصب العيون الأمانة ، ويسير بمعاونيه أجهزة الحكم ، بمنهج يطبع ما عهدنا من اهتمام واخلاص ، ويربط الجماهير الغفيرة الغامرة حوله وبين عرشه برباط لا ينفصم من الحب والطاعة

والخلاصة ان عرشنا كعرش الحسن الثاني ، وملكا كملكه ، لا يعتبر منحة ولا تشريفا ، وانما هو عب، ثقيل ، ومسؤولية كبرى ، وتضحيه متواصلة ، وكفاح مقدس في سبيل شعب وفي ، حسن النية ، نبيل الشعور، طموح الى تسلق القمم ، بماضي العزائم والهمم .

واذا احتفل الشعب المغربي بعرش الحسن الثاني فانما يحتفل في الحقيقة بنفسه الفياضه ، وبآماله العريضة ، التي تجسمت في أفكار الحسن الثاني وأعماله . ادامه الله ذخرا لهذه الأمة ، وحماها في عبقريته ومواهبه واخلاصه ، وهدى نخبة الشعب الوفية المخلصة الى التعاون مع ملكها العبقرى الهمام ، على خدمة الصالح العام ، في ظل العروبة والاسلام.

« يقول النبي صلى الله عليه وسلم او كما قال في حديث شريف : ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها امر دينها ، وانا اقول : ان الله سبحانه وتعالى يحلق لهذه الامة المغربية على رأس كل عشرين سنه مرصا لتجدد امر وطنيتها .

فاذا نحن انطلقنا من سنه 1912 وسنة 1916 ثم انطلقنا الى سنة 1936 الى 1950 والى 1975 نجد أن هناك ستين سنة على رأس كل عشرين منها أعطانا الله سبحانه وتعالى الفرص ليجدد لنا أمر وطنيتنا » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

نصرٌ من الله وفتح قريب وشكرٌ لله القوي المُعين

للأستاذ الرحالي الفاروقي

في العقد الثاني من شهر ذي القعدة عام الف وثلاثمائة وستة وتسعين ـ وفي اليوم السادس من شهر نونبر سنة الف وتسعمائة وست وسبعين ـ حلت الذكرى الأولى لمسيرة فتح الخضراء ، التي كانت زحفت باذن الله لتحرير الصحراء ، والتي كانت تولدت عن **عقلانية الحسن الثاني وفلسفته القانونية** ، وتفتقت بها ثقافته الفطرية وموهبته التطبيقية ، فكان الفتح السلمي دليلها ، وكان النصر الالهي حليفها ، ونمت بهذه المسيرة المخترعة المباركة عملية التحرير ، ونمرر باللقاء الأخوي الصحراوي المصير ، فاجتمع الشمل بها من الأول الى الآخر ، وان لم يرق ذلك حكام الجزائر ، الذين حالفوا وفارقوا البصائر .

أما الأراضي المحتلة من جيراننا ، في ظروف خارجة عن ارادتنا ، وفي أحوال كانت قد اشتبهت علينا ، فانها ترتقب ميقاتها ، وتنتظر ايجابيتها ، اذ كل مشكل له منفذ ومجاز ، كما ان كل داء له دواء وعلاج ، وكل شيء له أجل مسمى ، كما ان كل ما هو ءات قريب ، الا أن اكتمال الوحدة الترابية شيء ضروري وطبيعي ، وأمر شرعي واجماعي ، فلا سبيل دونه ، ولا خلاف حوله ، ـ **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم** ـ

وأما التحريش والتشويش النابع من سلطات الجزائر ، فانه التعدي والتحدي وركوب المخاطر ، وذلك ظلم للخلق ، هضم للحق ، وتجاوز للحد ، والظلم ظلمات في الدنيا والآخرة وفي العاجلة والآجلة ، ونعوذ بالله ان نكون من الذين يزجون الأيام في الباطل ، وفي تعطيل العاطل ، فلا هم في عمل الدنيا السار ، ولا هم في عمل الآخرة البار .

ومما لا ريب فيه أن الحق يعلو ويثبت وان دأبت على ابطاله ، وان الباطل يخفت ويسكت وان بالغت في احقاقه ، اذ الحق اسم من أسماء الله العظيم ، والباطل اسم من أسماء الشيطان الرجيم

ولا قرابة بين الحق والباطل كما انه لا صلة بين الخير والشر دائما وأبدا .

على أنه من الرشد والاستقامة أن يتعقل المرء في نزاعه ، ويتبصر في خلافه ما دامت له مسكة من العقل والبصر ، فيحكم شرعه وايمانه ، ويجنب هواه وشيطانه لينكشف له الامر ويتوصل الى حل العقد النفسية ، وسل السخم الصدرية ، التي تكون قد ألمت بصاحبها في وقت سابق وعند الصدمة الأولى ، فيخضع للحق الثابت ، ويرجع عن الباطل الباهت ، عملا بقوله سبحانه وتعالى: ـ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ـ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ـ

وأيا ما يكون فعلى المتعدي والمتحدي ، أن يشفق على نفسه من التصدي والتردي فان الذي يصدم الحق ويعسف عن الطريق لا محالة انه سترته الأيام لمحا باصرا ، وأمرا واضحا .

وها هي الحياة بعد انتهاء خطة التحرير ، وانطواء صفحة المستعمر ، وجلائه عن البلد المنتصر ، بدأت تدب في شرايين الصحراء ، وتسير سيرها التدريجي ، وتجري مجرى الشيء الطبيعي في ظاهر الأرض وباطنها ، وفي سائر الشعب وفروعها ، الى ان تصل بحول الله الى الحد الذي اراد الله لها من البناء والترميم ، والنهوض والتنظيم ، وذلك ان شاء الله من اليسارة والسهولة بمكان ، اذا صحت العقائد والمقاصد ، وكفت الايدي الآثمة عن الكائد ، — وعلى الله قصد السبيل وعليها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين —

وعلى اي حال فان الجلاء والنجاء من عذاب الاستعمار وبلائه — يعتبر من أجل النعم التي يجب ان تقابل بالشكر الدائم ، والعمل الدائم ، لتحقيق أمر الله في خلقه وفي ارضه ، فان أهم الواجبات ، واكاد المأمورات اذا استخلفك الله في ارضه التي حملها مسرها للناس ومحك من الاشراف على ما تهيمن بالاجرة وتسمم الجلاء وتوفي الزكاة ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحكم بين الناس بالحق ، وان تعمر الارض الموات ، باطراح الاشواك والاحجار ، وتفجير الانهار والآبار ، وحرث الحدود والثمار ، حتى تصبح الارض جنة ، والحياة طيبة بفضل الراجح ، وعمك الصالح ، مما اتاك الله من فضله ، وتسع عليك من نعمه كما قال سبحانه ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون —

فالانسان الصالح اداة الاصلاح في الارض ، والانسان الفاسد اداة الافساد فيها كذلك ، فاذا استقام قلب الانسان استقامت أعماله ، واذا انحرف قلبه انحرفت أخلاقه واعماله ، وكل ميسر لما خلق له

وبالجملة فالانسان مسؤول عن كل ما يروج في عالم الحياة من رفع وفساد ، وغلو واستداد ، وحرب وعناد ، — ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا — ان على عاتق الفرد الذي وضع عن نفسه وعلى عاتق الجماعة ، عند حلول الكارثة ، وبعد زكرها في سجل الخلود ، من حيث ابت ان تحمل اثر مسعاها ، وحصلت على مرتجاها ، في بعض ثمن في اقل قريب وبشكل يجمع لم يثر حربا ولم يحدث رعبا ولم يخلف عيبا في الممتلكات والمكتسبات ، وعدا حالة ما تحدثه الاهتمة والاستغراب في النفوس الا ان العقل في غدر الاحتمالات الحاسمة ، وتسنى لعملية التحريريه ، وترتيب التحريات المادية يعود الى حكم القائد البصير والرائد الخبير جلالة الحسن الثاني الذي أعد المسيرة واحكم اعدادها ، وقادها واحسن قيادتها ، وجعلها في وقت واحد تتجه اتجاها امنا وسلما ، وتهدف هدفا ساميا وتحريريا مما أثبا من البلاغة والبراعة التي حملته بمارس الأحداث بحنكة ، ويعالج المشكلات بحكمة في ضيق الاوقات واحرج الساعات ، ثم يخرج من هذه المعركة التي احتدت و شتدت بسلام وعصا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وان هذه العمليات الحكيمة الايجابية ، البعيدة عن الدبدبة والسلبية ، التي حققت هذه المسيرة الخضراء ، تسائل عن الخروج بمغرب الأعمال ، في اي مجال من الاحوال ، ويستدعي ذلك بالضرورة الحساب وتحديد المسؤولية ، التي تقتضي هذا الموقف الحرج ، ذلك الموقف الذي تمحص وجوه الصفحات المرجحة ، وتحقق طور الحد الفاصل ، ثم كان [illegible] ، وهذه المسيرة ، العظيم [illegible] ، حسب التصريح [illegible] ، وبجماعه حدوده [illegible] ، وبعضهم مع [illegible] ، وبعد ما طفت بصرعات الاستعمار [illegible] ، وبعد [illegible] ، وبعضهم على حذا حذوه [illegible] ، وبعد كل هذه الجهاد المستمر [illegible] ، كلا ، انها الصحراء ، كهذه الصحراء التي فرضت وجودها على المحتل وحاولت من الحكام ، بمثل ما سلكه العالم من مدرسة الأحد سلام ، والتي تميزت بادراك الغايات ورفع الرايات ، وتسلحت بسلاح الكفاح ، مستغنية عن صفائح السلاح ، فتسابقت الى الميدان ، لاقامة الدليل والبرهان ، على تمسكها بقوانين القضاء ، وروابط الصحراء

وذلك حسب حد الحد وشرح الشرعة ، وهذه سلسل الرسول ، وابن عاصمة البيان ، التي تلتقي فيها الحد الخروج والعمل ، فاستجاب واستجاب دعاءه ، وأدعت له ، والتزمت امره ، وبدرت ان لا تتحرك الا باذنه ، ولا تتوقف الا بأمره ، ولا تستمع الا لقوله .

فالمسيرة الخضراء التي تتحدث الناس عنها مرا وجهرا ، والتي استلهمت الأنظار البها شرقا وغربا ،

كانت في المستوى حسا ومعنى ، وهي وان كانت من جملة حركات التحرير في العالم فانها فاقت كل حركة بأسلوبها المبتدع ، وصورتها الرائعة ، وقوتها المعنوية، وبخلائها من الشعارات التي تمتلىء بالتضليل والاختلاق والتلفيق والنفاق ، وانما شعارها الوحيد ، ولباسها الجديد ، كان هو التكبير والتسبيح والتوحيد ، وتلاوة الكتاب العزيز والقرءان المجيد ، فما هي الا ثورة ايمانية تحريرية ، مبادئها دينية واسلامية .

ولعل ذلك هو سر ظفرها ونجاحها الى حد ما كنا نتوقعه لها ، ولا كنا نتنظره منها .

لاكن سر الله في صدق الطلب
كم رىء في اصحابه من العجب

وهذا هو الفتح والنصر الذى حازته وانجزته ، وما الفتح الا باذن الله وما النصر الا من عند الله .

هذه هي صيرتنا انجمراء ، وفرحتنا الكبرى ، وهذا هو أسلوبنا الذى ارتضاه قائدنا وشعبنا في تفكيك المسائل المعقدة ، وتخليص الأراضي المستعمرة .

اسلوب التجاوب والتفاهم الانساني والحوار والتفاوض المنطقي ، الذى يقوم على أساس الاعتراف بالحق وبعودة الارض الى طبيعتها، والأمة الى سيادتها.

فعلى الذين يومنون بدين الحق وشريعة الله أن يتجنبوا الغرر والخطر ، وان يستجيبوا لله ولرسوله كما قال سبحانه ـ **يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم** ـ أى لما فيه حياتكم ومصلحتكم ونهضتكم .

وظاهر أن الاستجابة تكون بالايجاب لا بالنفي والسلب ، ولا بالسب والثلب ، وان الاعتراف بالحق شأن المومنين ، وسبيل المتقين ، وعلى الذين يجيئون بدين الله ، ويسيرون على صراط الله ، ان يعلموا أن الرفق واللطف ، قبل الشدة والعنف ، وان الدخول في السلم ، خير من الدخول في الحرب ، فان الحرب فساد وخراب ، والله لا يحب الفساد والخراب ، كما قال وقوله الحق ـ **يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين** ـ وكما قال لرسوله في شان الكفار ـ **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ـ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يومنون ـ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون .**

وبعد فان كثيرا من شعوب الاسلام في آسيا وفي افريقيا كانوا الى عهد قريب في محنة الاستعمار ومحنته العارمة ، وقد حقت بهم عناية الله فتحرروا من اغلال الاستعمار واستغلاله، وتمكنوا من اسباب المجد ووسائله، وباية هذه العناية الشاملة ، التضامن البشرى الذى اجمع على عدم صلاحية الاستعمار جملة وتفصيلا ، وتلك هي مشيئة الله ـ **وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما** ـ

وان الله جلت قدرته عندما حكم بفك هذه الشعوب التي كانت ترزح تحت وطئه ، وتئن من ضغطه امتحن قلوبهم للتقوى مرة أخرى هل هم سيشكرون لله نعمته، ويلتزمون صراطه بقصد صحيح وعمل خالص ام انهم سينحرفون عن سبيله ، ويعودون الى عصيانه ، فان ساروا على صراطه ، وامنوا بنظامه ، فذلك اية شكره ، وغاية حمده ، ومن شكر الله فقد أقرها وأنقاها، وان عادوا الى مخالفته ، عاد الله الى معاقبتهم كما قال ـ **وان عدتم عدنا** ـ

وكيفما كان الامر فالمسلمون وان اخذوا يستيقظون فانهم ما زالوا يتخبطون من مس الشيطان وتصرفه الاثيم والى ذلك فهم متنافرون ومتخالفون في التربية وفي الأنظمة ، وفي حكم الطبيعة ، والعلة في تخلفهم وتخالفهم ترجع الى الخطوط التي رسمها الاستعمار في الشرق والغرب للافقار الادبي وللافقار المادى ، ولا سبيل الى مناهضة ذلك الا باجماع المسلمين على توجيه وتنظيم يشمل سائر أطراف الحياة ومواقع النهوض بوحي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبقياس النهوض المادى الاوربي على ما جاء من تعاليم الاسلام السامية ، وعقائده الايمانية وقواعده الاساسية.

وان الاسلام اليوم في حاجة الى الايمان به والى العمل به اكثر من تردد الخطب والمحاضرات وتكرار الاجتماع والمناظرات ، اذ الاسلام الصحيح هو الواقع الصحيح ، والجهاد الفصيح ، وليس هو الأقوال التي لا تصدقها الأعمال .

وان اسلافنا الاولين وابائنا الاقدمين كانوا يعملون اكثر مما يقولون .

فعلى العالم الاسلامي الذى يحس في قرارة نفسه بالاضطراب الداخلي والتهديد الخارجي ، وعلى الحكومات الآخذة بزمام

الأمر ان يتحركوا جميعا أن الوقت قد حان لازالة الأوحال ، وتنقية الاجواء ، والى جهاد صادق وناطق يجمع جامعة المسلمين على اساس نظام اسلامي ينطق بمعاني الاسلام ، ويملأ الارض صدقا وعدلا وسلاما عله ينقذ البشرية اذا قام هذا النظام بين المسلمين وتحققت نجربته ، وثبتت نتيجته ، في هذا العصر الطاغي بمادته وفلسفته – عله ينقذ البشرية مما نالت اليه من كساد الضمائر وفساد البصائر – ومن الغالاة في تقديس المادة التي أصبحت تهيمن على مشاعر الانسان وتهدد ايمانه ووجـــوده بالدمار والخراب .

واذا كان المسلمون في هذه الفترات الأخيرة اعني فترات تحررهم واستقلالهم قد عبروا عن الوحدة بينهم، لأنها قوة الانسان في حياته ، فانهم لا ينشدونها مـــن طريقها ولا يطلبونها من موضعها ، انهم الا اذا استندت الى نظام الاسلام الحقيقي ونبتت جذورها من أصـــل التربة التي بثها نبينا صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه ، وقررها بواقع حياته .

وكيف تتحقق الوحدة بين المسلمين ونحن عـــن جادة الاسلام منحرفون ، وعن صراطه المستقيم ناكبون، وكيف نترجاها ونحن لا نستطيع ان نؤدي معناها في نفوسنا ولا أن نرسم الخطوط لها في حياتنـــا ، وكيف نراها وشبكة ولغة القرءان تستغيث ودعائم الاســـلام تختفي وصور الكارم تستحي وأين هي مقـــومـــات الوحدة ، وأين هو الوجود الصحيح لأصحاب هـــذه الوحدة فلقد ثرنا على تراثنا ، ولبسنا جلدا غير جلدنا ، واستبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

وان الوحدة والاخوة اللتين اشار اليهما القرءان الكريم بقوله – **وان هذه أمتكم أمة واحدة** – وبقوله – **انما المومنون اخوة** – لا يتحققان الا بالتزام الاســلام الخالص من البطلات والترهات ، والانصـــراف الـــى أسباب التواطؤ والترابط في كل مقوم من مقومات حياة الخير والبرور ، وفي كل طارئ من طوارئ حياة الاثـم والفجـور .

وان الخيرية التي وصف الله بها امة الاسلام لا تقوم الا بالايمان الصادق الذي يخلق الشعور بالعـــزة والكرامة وذلك لا يسمح أن يكون للكافرين على المومنين سبيل من قريب أو بعيد – والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك ما يهدف الى سلامة المجتمع من كل مـــا يعرضه الى الافات والأزمات والى المكاره والمظالم فـــي حياته وفي حاله ومئاله .

وان الشهادة التي اثبتها الله كذلك لامة الاسلام على غيرهم من الأمم لا تقبل الا اذا استقامت قلوبهم وصدقت أقوالهم ونهضت اعمالهم وتحسنت احوالهم كما الشرط في كل شهادة لقوله تعالى – **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** – اى خيارا وعدولا ناهضين ، اذ لا يشهد على الناس الا من كان من اهل الحل والفضل ، واما الذين لا يقيمون وزنا للاسلام في وسطهم ، ولا ينهضون في حياتهم ، بل تتلاعب بهم الاهواء والاعراض ، وتجتاحهم العلل والامراض ، فليس لهم أن يشهدوا به على غيرهم .

وقد يكون فصل الخطاب في هذا الموضوع أن العلماء والرؤساء والزعماء عجزوا أن يمهدوا السبيل الى غيرهم من عوام الناس وجماهيرهم وعجزوا أن يمثلوا الاسلام على وجهه في حياتهم فلم يستطيعوا مقاومة التيارات الخارجيـــة ، والاعتبارات الاجنبية ، والمؤامرات السياسية بأقوى الوسائل المنطقية ، وأصـــح العوامـــل الدفاعية ، ولم يقدروا أن يقرروا للناس الاسلام بقانون حياتهم ، ولا أن يظهروا لهم المعانـــي بأسلوب عملهم .

وفوق ذلك فقد غرقتهم الحياة الدنيا وانحاشوا الى مناصب المادة السافلة ، وانسلخوا الا مـــا رحم الله من المثل العليا والقيم السامية ، وما اكثر المسبئين والخطائين « **وما أكثر الناس ولو حرصت بمومنين** » ، «**وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين**»

لقد عادت الينا بفضل الله ورحمته العزة والكرامة فتحررنا من الكبول والقيود ، وتجردنا من مصطنعـــات الحدود ، ومارسنا حياة الحرية والاستقلال وعرفنـــا حقيقة تقرير المصير والمثال ، فكانت النعمة سابغـــة والعيشة هنية ، وكان فضل الله عظيمـــا ، وصنعـــه حكيما . الا اننا ما قدرنا الله حق قدره ، ما شكرنا الله على فضله ، وما وفينا بعهد الله الذي واثقنا بميثاقه ، وما اتبعنا صراط الله الذي امرنا باتباعه ، بل اتبعنا السبل المفرقة والمعرقة عن النهوض والبرور ، والمذرة بالشر والويل والثبور ، فسرنا في هذا الطريق الشائك ،

وذهبنا في هذا المذهب الخاطئ الذي لا تحمد ولا تغبط مسيرته ، وعدنا نتردد الاستعمار ونسير في تخطيطاته وطريقته ، ونطمع في معونته ومادته ، ويتوعد بعضنا بعضا بتونه ، ومرجع هذا كله الى ضعف العقيدة واليقين ، وقلة العقل والدين ، والى كفر النعمة وجحد المنعم .

فاللهم اصلح احوالنا وصحح أوضاعنا ، وتقبل اعمالنا وغير ما بنا من سوء ، فانك انت الله الواحد الوجود ، وانك انت الاحد الصمد المقصود .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

خواطر عن
الدعوة الاسلامية
ومناهجها

للأستاذ محمد المعزوي الوطاني

اكتب هذه المقالة تلبية لطلب كريم من « دعوة الحق » ، وهل هناك خير من ان نختار الكتابة عن الدعوة الاسلامية في ذكرى مولد سيد المرسلين واعظم الدعاة المرشدين محمد صلى الله عليه وسلم ، الذكرى العاطرة التي تشع انوارها هذه السنة في عيد جلوس ملك مسلم يحمل لواء الدعوة في قوله وعمله ، ويؤمن بها ايمان المناضلين ، ملك تتجلى فيه روح الاصالة نقية باهرة ، ويأخذ من كل جديد لبه وجوهره ؟ ذلكم هو الحسن الثاني وفقه الله ، ملكا وقائدا ومرشدا ، ومتعه بالعافية وطول العمر .

الدعوة ، بمفهومها الاسلامي ، ليست « تبشيرا » تمليه الرهبنة وتوجهه الكهانة ، وهي ليست « دعاية » يفرضها الكبرياء وحب الغلبة والسيطرة، بل انها توجيه بالعقل ، واقناع بالحجة ، وارشاد بالحسنى .

والدعوة ليست بالكلام المرصوف ، ولا بالخطب الرنانة الجوفاء ، بل هي منهج وسلوك ، خلق وقدوة .

الدعوة ركن من اركان الحضارة الاسلامية لم تعدلها قط جيوش ، ولم تغن عنها فتوح ، انتشرت في ارجاء الأرض كما ينتشر ضوء الشمس ، وكان القرآن رائدها ، والسنة سندها ، والقدوة الصالحة قوامها . انتشرت بالعلم والعمل معا ، بالمثابرة والمصابرة ، فكان ما كان من اشعاع الاسلام وتفوق حضارته ، وتزايد معتنقيه واتساع رقعة اقطاره .

— — —

الم يقل الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه :

« **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين** » (النحل ، 125) ،

فالحكمة هي المعيار الذي به يعرف الصواب في القول والعمل ، فهي اذن الحق يدعمه العلم . وفي هذا يقول الراغب الاصفهاني « الحكمة اصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالى معرفة الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ، ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات » والحكمة التي يريد الله لنبيه ان يستعين بها في دعوته هي الحكمة المستمدة منه سبحانه المقصودة بقوله تعالى « **يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا** » ، ويرى الامام الغزالي « ان المختص بهذه الكرامة يتعين عليه اقامة الشكر ، وليس شكره الا بافادة المستعدين، وافاضة العلم على المسلمين، وهكذا تصبح الدعوة واجبا على كل من اكرمه الله بانسانه الحكمة ، فذلك منه شكر بالقلب والجوارح وحمد بالعمل .

ونعود الى الآية الكريمة التي سبقت الاشارة اليها ، فنرى ان الله تعالى يريد من نبيه ان يشفع الحكمة بالموعظة والمجادلة بالتي هي احسن، اي باسلوب رفيق مهذب يعتمد على المنطق وبفهم بالحجة . والقرآن الكريم ملئ بامثلة من هذا الاسلوب . واننا لو تاملنا

هذه الآيات البينات « **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صوره ما شاء ركبك** » (الانفطار ، 6 ــ 8) لوجدناها دليلا رائعا على اسلوب الجدل اللطفي الرفيق ، يخاطب الله به عباده في نسق من الفاظ بسيطة جميله ، وعبارات منظومه مستساغة ، وجمل مترابطه مكاملة ، ومنطق يجمل من الانسان حجة قائمة به عليه . ويزيد هذه الايات روعة انها ــ باعتبار مقاصدها الوعظية والتدبرية ــ تخاطب الانسان وهو في الدنيا ، الا انها في نفس الوقت تنظر اليه من خلال يوم البعث والحساب ، وتذكره في حاله بمآله : « **اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت** » ، (الانفطار ، 1 ــ 5) ، فهي اذن آيات تحليلات تدعو الانسان في الدنيا ، من خلال الاخرة ، الى تدبر امر نفسه والتفكر في حكمة صنع الله فيه ، خلقه فآتاه العقل ومهد له بذلك سبيل العلم بنفسه وبما يحيط به . والانسان كما قال عنه الله تعالى : « **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين** » ، (النحل ، 4) يميل الى الجدل والخصومة ، ولا ضرر في ذلك اذا كان مصحوبا بالتأمل والتدبر والطموح الى المعرفة التي تؤدي الى الايمان بالله وبوحدانيته ، ولذلك قام اسلوب القرآن والسنة على الجدل بالحجة ، والاقناع بالبينة ، وتوجيه العقل والبصيرة وجهة التدبر والتأمل والاستنتاج . وقد توصل بعض الناس الى فهم حقيقة الوجود فيقوى ايمانهم ويصح عملهم وتتفتح ادراكهم ، الا ان اناسا آخرين قد تأخذهم الغرور بأنفسهم ، جهلا ، مع انهم يعلمون انهم عالمون : « **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » (غافر ، 57) فالانسان ذرة في السموات والارض ، وهو ذرة فاعلة موجبة متى أدرك الحق وانفتحت أمامه أبواب العلم . اذ بالعلم وحده يمكن أن ينطبق عليه القول الصوفي المشهور : « وبك انطوى العالم الاكبر » .

— — —

جاء في حديث شريف : « **لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا ينفقه في سبيل الله ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويدعو الخلق اليه** » .

ان صاحب المال لا يحسد على ماله ، بل لانفاقه في سبيل الله، وسبيل الله لا نهاية له، هو نشر دعوة القرآن في كل زمان ومكان ، هو نفع الناس بتعميم التعليم والخدمات الصحية والاجتماعية ، هو رفع الظلم ، واحقاق الحق ، ونشر العدل والمساواة بين الناس ، هو هدم الأصنام كيفما كانت وأينما كانت ، هو احترام الانسان الذي كرمه الله بالعقل والشاعر ، احترامه بعدم التطاول على حرمته وشرفه وعرضه ، احترامه بتشجيعه على اظهار قوى الخير والابداع الكامنة في نفسه .

وصاحب العلم لا يحسد على علمه ، بل على نشره لهذا العلم ودعوة الخلق اليه دون تمييز . تأمل لفظ الحديث : « **فهو يعمل به ويدعو الخلق اليه** » ، فالعلم اذن هنا اكتساب وتفاعل ، أخذ وعطاء ، وهو العلم الذي ينفع الناس ، ويوجههم الى الخير والصلاح ، ويقرب بعضهم الى بعض ، ويثبت قلوبهم على الايمان بوحدانية الله ومطلق تصرفه في ملكه ، سواء كان هذا العلم دينيا أو دنيويا ، عقليا أو نقليا، رياضيا أو طبيعيا أو نفسيا، فغايته العلم واحدة : أن يتحرر الانسان روحا وجسدا وأن يتمكن من نفسه الايمان بربه ، « والانسان الحر ــ كما يقول محمد اقبال ــ يستكشف هذا العالم ، الا أنه يجد نفسه بالضرورة » .

ان العلم الذي يقر الملحد على الحاده ، ولا يرد الضال عن ضلاله لا يمكن أن يسمى علما مهما كانت نظرياته ومعادلاته وبراهينه ومسلماته .

— — —

يخطيء من يظن أن الدعوة ، بالمعنى الذي حدده الاسلام لها ، هي مجرد وظيفة وعظية مقصورة على خطباء الجمعة في المساجد ، أو انها تنحصر في التبشير والانذار ، والوعد والوعيد . اننا نعلم أن خطب الوعظ والارشاد لم تتوقف في مسجد بأيه بقعه من بقاع العالم الاسلامي منذ كانت هذه المساجد ، ومع ذلك فان المسلمين أصابتهم نكسات ، وضعفت شوكة أقطارهم ، وتغلبت عليهم الأمم بجهلهم وانحطاطهم ومشاحناتهم وتنكبهم عن طريق الله .

واذا كان الاسلام ــ دينا وحضارة ــ قد عاش واستمر مقاوما تقلبات الزمن ، فالفضل في ذلك يرجع ، أولا الى قوته الذاتية النابعة من الكتاب والسنة ، وثانيا ، الى الصرح العلمي المتين الذي أقامه علماء السلف الصالح ومجددو الدعوة والفكر الاسلاميين .

الدعوة الاسلامية واجبه على كل قادر عليها ، لأنه لا كهانة في الاسلام ولا رهبنة : فكل مسلم مسؤول ومكلف متى توفرت فيه شروط التكليف والمسؤولية : ومنها الرشد ، وصحة العقل والبدن ، والعلم . وتكون الدعوة بالتبليغ الشفوي والكتابي كما تكون بالقدوة الصالحة

يقول الامام الغزالي من رسالة بعث بها الى الوزير ضياء الملك : « ان مدينة كركان منذ زمان كانت خالية من عالم يحسن الاقتداء به حتى عاد اليوم الى موطنه ناصح المسلمين ، ابرهيم السباك واحيا هذه الناحية بعلمه وورعه وشاعت فائدته في التدريس والتذكير وانتعش اهل السنة بالحياة من جديد » . فانت ترى كيف اكد حجة الاسلام على حسن الاقتداء والعمل والورع ، اذ العلم وحده لا يكفي ، وربما كان في كركان — عند قدوم ابرهيم السباك اليها علماء ، لكن لم يكن يحسن الاقتداء بهم ، فلم تنتعش المدينة ولم تتدفق الحياة في شرايينها من جديد حتى ورد عليها داعية توسل بالعلم والعمل لتجديد دعوة الدين ، وجعل من نفسه قدوة للناس بالورع وجمال السيرة .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » (التوبة ، 71) والمعنى ان بينهم نسبة ومشاركة ومناصرة في الحب والاعتقاد فهم لا تجمعهم الألفة والمودة فحسب بل واجب مشترك هو الدفاع عن القيم الخلقية التي امر بها الله ، فكل بعضهم بعضا في ذلك فيأمرون بكل عمل مستقيم نافع (المعروف) وينهون عن كل انحراف وفساد (المنكر) ، لا يستثني الله من النهوض بهذا الواجب مؤمنا او مؤمنة ، كل واحد منهم مرآة اخيه في العمل الصالح والايمان القويم ، والغيرة الاسلامية ، فهم يتعاونون وتبرز قوتهم مجتمعين فتستقيم احوال الأمة الاسلامية وتتمهد امامها سبل العزة والاستقرار بالايمان والعلم والعمل الصالح

— — —

من خواطر الداعية المصلح جمال الدين الافغاني قوله : « اذا اخذنا ما تجمع للخليفة الأول ابي بكر ، وللخليفة الثاني عمر الفاروق — رضي الله عنهما — من الجيوش ... وعلمنا ان مجموع الجيوش الاسلامية في العهدين لم يتجاوز الأربعين الفا ، وقسنا ما دخل من الممالك في حوزة المسلمين ... تبين وتحقق لنا ان عمل الجهاد بالسيف لم يكن ليذكر في جانب الدعوة بالحكمة، والأخذ بالعدل المطلق، والمثل الحسن، والقدوة الصالحة، وما نتج من البلدان والامصار صلحا اكثر بكثير مما فتح عنوة وحربا » هذه حقائق يثبتها التاريخ والواقع ، لقد انتشرت دعوة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالاقناع والاقتناع ، بالقدوة الصالحة والعلم ، بفضل طائفة من الدعاة الأبرار الذين ينطبق عليهم هذا القول الكريم : «**يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، واولئك من الصالحين** » (آل عمران ، 114) .

— — —

العالم الاسلامي اليوم ، هذه سيرته هائلة ، ورقعة جغرافية شاسعة الاطراف ، واقطار العالم الاسلامي كلها تسير في طريق النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي. الا أن هذه الأقطار تواجه تحديات ملحة ومستمرة في شتى الميادين : في التعليم والثقافة ، في الاقتصاد والاجتماع ، في الحكم والسياسة ، في الأخلاق والقوانين

وأخطر هذه التحديات جميعا ما يحدث منها في ميدان الفكر والاعتقاد ، اذ من هنا تتسرب الفساد الى بقية الميادين الأخرى . ولعل المهم هو أن نقف من هذه التحديات موقف الحذر والتخوف ، بل ان نستعد لمواجهتها وصدها

انها تحديات تصور الباطل حقا ، والسفاهة رشدا ، مستعينة في ذلك بأسلوب في الجدل والتغلغل تسنده الوسائل العلمية والمادية والتقنية التي يتيحها العصر . فهي تجعل في خدمتها علم النفس وعلم الاجتماع وفن الاعلام ووسائله السمعية البصرية ، وينفق أصحابها في سبيل ذلك الأموال الكثيرة، يصدرون بها الكتب والمجلات ، ويبعثون الرسل والمبشرين، ويصورون الأفلام ويسجلون الأشرطة ، ويقيمون المؤتمرات والندوات ، كل ذلك بقصد نشر افكار تمجد المادة وحدها وتجعل منها مبدأ الحياة وغايتها ، وتنشر عقائد يؤدي اعتناقها الى الالحاد . وتتخذ هذه الأفكار والعقائد اشكالا وصورا شتى ، وتتباين اسماؤها ومقاصدها الظاهرة ، الا أن غايتها واحدة : القضاء على كل حضارة قوامها الايمان بوحدانية الله وبقدرته المطلقة وبكون الانسان

مسخرا هذه الدنيا لعمارة الارض وخلافة الله فيها بالبر والعدل والاحسان والتقوى استعدادا لدار البقاء التي لا تفنى .

وواجبة هذه التحديات يجب على الداعية المسلم الذي يتصدى لارشاد الشبان وتعليمهم وانارة سبيل المستقبل والحياة امامهم ، ان يأخذ بالوسائل العلمية والتكنولوجية التي يتيحها العصر لابطال الباطل بالحجة ، والوقوف في وجه الخصم بسلاحه . ولا يتصور في العقل ان يقف الداعية المسلم في وجه مروجي الافكار والعقائد المادية الالحادية ، ولا سلاح معه الا معرفته بالفقه والتفسير والحديث وعلوم اللغة والبلاغة على الاساليب القديمة ، بل لا بد له من ان يكون ذا ثقافة واسعة ومعارف متنوعة كفلسفة التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع مع الالمام بلغة او بعدة لغات اجنبية .

ولست اقصد بالداعية المسلم ، الذي يتصدى للوعظ والارشاد في المساجد فحسب ، **بل كل مسلم متعلم سواء كان معلما او طبيبا او مهندسا او مؤرخا او باحثا او صحافيا او موظفا ..**

لقد كان السلف الصالح من العلماء كلهم دعاة بلسانهم وقلمهم وعملهم ، لا يستثني من ذلك المحدث والمفسر والمؤرخ والطبيب والفيلسوف والرحالة والاديب. اقرأ ، مثلا اي كتاب لابن قتيبة الذي اشتهر بكونه اديبا، تجد انه لا يخلو من الدعوة للاسلام والدفاع عن مبادئه وعقيدته . وقل مثل ذلك في رجال امثال ابن سينا ، وابن الهيثم ، والغزالي ، وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن حزم ، وابن تيمية ، وابن خلدون ، وعز الدين بن عبد السلام ، وابن بطوطة ، وابن جبير ، والادريسي ، وابي حيان التوحيدي ، وابن عبد ربه . كلهم كانوا دعاة على اختلاف بينهم في الاتجاه الثقافي والتخصص العلمي

والدعوة الاسلامية ، لها قادة وجنود ، فقادتها هم ملوك الدول الاسلامية ورؤساؤها وزعماء الرأي والفكر والعلم فيها ، وجنودها هم جميع افراد الامة الاسلامية الذين اتيح لهم نصيب من الثقافة ويعملون في مختلف ميادين الحياة .

والدعوة الاسلامية هي رسالة دائمة مستمرة مسؤولية جماعية وواجب فردي .

فالمسؤولية الجماعية تتولاها الحكومات والهيئات السياسية والثقافية والاجتماعية والمهنية المختلفة ، تتولاها اولا وقبل كل شيء ، في ميدان التربية والتعليم بجعلها اسلاميين في توجيهها وعايتهما ، عصريين في مناهجها وطرق تلقينهما . ويستحسن ان نورد هنا كلمة للداعية المسلم الجليل ابي الحسن علي الحسني الندوي قالها في معرض التحدث عن الغزو الفكري الجارف الذي يستهدف له المسلمون في اقطارهم في طور ضعفهم وتأخرهم ، قال : « وحل هذه المشكلة .. ليس الا ان يصاغ النظام التعليمي (في الاقطار الاسلامية) صوغا جديدا يلائم عقائد الامة المسلمة ومقومات حياتها واهدافها وحاجاتها ، ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على الله والثورة على القيم الخلقية والروحية وتعبد الجسم والمادة ، وينفخ فيه من روح التقوى والانابة الى الله ، وتقدير الآخرة ، والعطف على الانسانية كلها » .

نعم ان **المادية الملحدة تمارس عملها الهدام اول ما تمارسه في المدارس والمعاهد والكليات عن طريق الكتب المدسوسة ، والبرامج المقومة ، وبواسطة مدرسين ذهبوا ضحية استلاب فكري افقدهم** لصواب وحسن التمييز .

وتواصل المادية الملحدة عملها عن طريق الافلام والكتب والمجلات والندوات مستعينة باحدث الوسائل العلمية والفنية لبث فسادها ، فلا بد اذن من ان تواجه الحكومات الاسلامية كل هذه الوسائل بوسائل من جنسها .

واننى بهذه المناسبة اود ان انوه بالجهود الحميدة التي تبذلها في هذا السبيل هيآت رشيدة مثل « رابطة العالم الاسلامي » التي نتمنى لها مزيدا من النجاح في اداء رسالتها . كما ينبغي الاشادة بالجهود الفردية التي يبذلها دعاة أجلة من قادة العالم الاسلامي وعلمائه ومثقفيه بما يؤلفونه من كتب ويلقونه من محاضرات ويشاركون فيه من ندوات ومؤتمرات فيواجهون التيارات الضالة المضلة بعلم وكفاية ودراية ، رميهم الفلاسفة والمؤرخون والأطباء والادباء وعلماء النفس والاجتماع .

وقد قيض الله للاسلام ، في هذا العصر ، علماء من الغرب اتيح لهم ان يتفقهوا في علوم القرآن وان يطلعوا على كثير من مناحي الثقافة الاسلامية الرائعة ، فجندوا معارفهم وحملوا اقلامهم ورفعوا صوتهم في سبيل التعريف بالاسلام والدفاع عنه وابراز القيم الانسانية والروحية المثلى التي ينطوي عليها القرآن ، ويكفي أن

نذكر من هؤلاء عالما فرنسيا جليلا صدر له منذ شهور قليلة كتاب قيم أشاد فيه بالاسلام وأكد ، بما لا يترك مجالا للشك ، عجاز القرآن وموافقة كل ما جاء فيه من اشارات علمية للمعارف العصرية ، هذا العالم هو الأستاذ الطبيب الجراح موريس بوكاى صاحب كتاب «التوراة والانجيل والقرآن والعلم» الذى صدر بالفرنسية ولخصناه تلخيصا وافيا فى تقديم سنصدر في مجلة « المناهل » التي تشرف عليها وزارة الدولة في الشؤون الثقافية

– – –

وبعد ، فان هذا العصر عصر صراع وتهافت ، ونحن لا يخامرنا شك في ان الاسلام – دينا وعقيدة وحضارة – هو الكفيل وحده بانقاذ الانسان مما تردى فيه من انحلال وانسياق مع المادية والالحاد ، وهو القادر وحده أن يقدم الأجوبة الكافية على ما تطرحه الحضارة العصرية من اسئلة عديدة. ولا بد اذن أن ينهض من بين المسلمين دعاة غيورون يبصرونهم بحقيقة الرسالة الاسلامية على ضوء معارف العصر ووفقا لتنظيم وتخطيط محكمين والمجتمع الاسلامي المعاصر لا بد له من أن يأخذ بأسباب العلم والتكنولوجيا ، على أن يسخرهما لخدمة مقاصد الاسلام ورسالته ، اذ في ذلك خلاص البشرية مما يستبد بها من هم وقلق وخوف ...

« غير خاف عليك شعبي العزيز اننا كبرنا فى مدرسه وطنية مدرسة محمد الخامس رحمه الله الذى القى خطابه التاريخي سنة 1944 ذلك الخطاب الذى قال فيه مقالتين مهمتين : الاولى : ان الملك والشعب يرغبان في العيش في ظل ملكية دستورية ، وفي نفس ذلك الخطاب قال رحمة الله عليه : (يجب علينا أن لا ننسى في الثورة التى نقوم بها للتحرير وللتعليم وفتح المدارس وارسال البعثات الى الخارج ، يجب علينا أن لا ننسى سواد الامة الذى يكونه الفلاحون) .

واذن فان مدرسة محمد الخامس الوطنية كانت مبنيه على ثلاثة أسس : الاطار العام ألا وهو الملكية الدستورية والرفع من مستوى شعبه، وذلك بتعميم الثقافة والتعليم وبعث البعثات الى الخارج دون أن ينسى ذلك المشاكل الحقيقية والثروات الحقيقية للبلاد التي يكونها ثمانون في المئة من السكان ألا وهي مشاكل الفلاحة » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

الوثائق المغربية في عهد جلالة الملك الحسن الثاني

لمؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور

لم يفتأ المؤرخون والسياسيون المغاربة (1) وحتى علماء الاقتصاد والاجتماع منهم يشعرون بالحاجة الماسة الى الاطلاع على الوثائق والمستندات المغربية للاستعانة بها على كتابة ما يرغبون في تاليفه من كتب واعداد ما يحضرونه من دروس ومحاضرات ، ومنهم من يرغب في الاطلاع عليها بدافع وطني لمقارنتها بما نشره الاوربيون والامريكيون عن بلادنا من وثائق ومستندات تحتفظ بها المكتبات الرسمية وغير الرسمية ببلداتهم ، تلك التي بنوا عليها احكاما واستنتجوا منها نتائج تبدو احيانا لمفكرينا وشبابنا الغير متحيزة وبعيدة عن الصواب ، ماسة – بالتالي – بكرامة المغرب وما رسخ في اذهانهم عما لماضيه من مفاخر ومجاد

والمفكرون المغاربة والشبان منهم على الخصوص عندما يحسون ذلك الاحساس ويرغبون تلك الرغبة انما يصدرون عن عاطفة نبيلة وطموح حميد ، لانهم يستهدفون من جهة تقصي الحقائق ، كما يستهدفون من جهة اخرى درأ أكثر ما يمكن درؤه من الشبهات عن ماضي الوطن المغربي الذي لم يكن كل ما كتب عنه من طرف الاجانب خالصا سليما بعيدا عن الغرض المشت والهوى المطاع .

وكان يزيد في لوعة مفكرينا وشبابنا وحسرتهم ان الاطلاع على هذه الوثائق والمستندات لم يكن بالامر الهين ولا الاهتداء الى مكامنها والوصول الى مخابئها بالشيء الذي لا يكلف عناء ولا يرهق عسرا ، فالمستندات المغربية بقيت حبيسة غميسة مفقودة الاخبار مجهولة الآثار حتى حسب الكثير ان المغرب ليست له وثائق بالمرة ، واحسن الناس ظنا واطولهم أملا من تخيل ان ما كان منها موجودا استولى عليه الاجانب ايام حكمهم واتلفوه أو نقلوه الى مكاتب بلادهم وحرموا لاستفادة منه على غير مواطنيهم .

والحقيقة أن الوثائق والمستندات المغربية موجودة وكائنة منذ كان المغرب دولة ، اذ من شروط الدولة ومستلزماتها ان يكون لها جهاز حكومي واداري يشرف على تدبير امورها وتسيير شؤونها ، وهذا التدبير يتوقف على جهاز كتابي يتولى تبليغ التعليمات الحكومية والتوجيهات الادارية الى ولاة الاقاليم وقضاة الاحكام ، وقواد الجيش وجباة المال وسفراء الدول كما يتلقى اجوبتهم عنها أو يتلقى منهم المكاتيب التي يكتبونها بدءا بانتظام .

انما الذي لم يكن يفهمه المغاربة – ومن الفضيلة أن نعترف بما ارتكبنا في ماضينا من اخطاء – أن رجال الدولة والموظفين منهم على الاطلاق كانوا يعتبرون المراسلات الصادرة عنهم أو الواردة عليهم حال ممارستهم للوظيف وتلبسهم بالحكومة ملكا شخصيا لهم لمجرد أن اسماءهم مذكورة فيها ، فلهذا كانوا ينقلون معهم الى

(1) المقدمة الضافية التي صدر بها الاستاذ بنمنصور العدد الاول من الدورية الجديدة الوثائق .

دورهم تلك المستندات الحكومية والادارية عند ما يتخلون عن الوظيف بمحض ارادتهم او عند ما يقصون عنه بغير اختيارهم . وبذلك نشبت شمل المستندات وانتشر سلكها وتفرقت شذر مذر وذهبت ايادي سبا ، وصارت موزعة مجزأة في قصور الوزراء والموظفين السابقين بدل ان تبقى محفوظة بالدواوين الحكومية والمؤسسات الادارية .

ولم تقف المصيبة عند هذا الحد ، فان تلك المستندات كانت بعد انتقالها الى دور الخواص تطرح عاليا في زوايا الاهمال وتترك بدون ادنى عناية ، معرضة للآفات الطبيعية من مطر السماء ورطوبة الارض وبحر الارضة وقضم الجرذان . وأقطع من هذا واشنع ان ايدي الجهال كانت تمتد اليها فتأتي عليها حرقا واتلافا واحيانا كانت تبيعها بثمن الورق الرخيص لمن يكمش فيها القطاني او يلف البهارات من الباعة المتجولين .

وفي العقد الثاني من هذا القرن العشرين شرعت الحكومة المغربية تجمع ما تفرق من وثائق المغرب ومستنداته مما عثر عليه في مكاتب الموظفين المخزنيين او صادرته مع ما صادرت من ممتلكاتهم وممتلكات قنصليات الدول المعادية خلال الحرب العالمية الاولى ، ولما انشأت بالرباط المكتبة العامة انشأت بجانبها قسما للوثائق كما انشأت بباريس (قسما تاريخيا)(عهدت اليه بجمع كل ما يحتوي عليه مكاتب الدول الاوربية مما يتعلق بالمغرب . وعمل هذا القسم التاريخي عملا جليلا بما جمع وترجم ونشر ، ولا مثل سلسلة الكتب المعنونة بـ (المصادر الغميسة لتاريخ المغرب) .

وسارت الحكومة اشواطا في جمع الوثائق ، وتضخم قسم المستندات في الخزانة العامة بالرباط بما حفظ فيه من وثائق القنصليات الفرنسية بالمغرب ومن الوثائق الحكومية والادارية التي كانت تبعث اليه للحفظ من دواوين الحكومة بالعاصمة أو من مكاتب الادارة بالاقاليم . كما نشط بعض المواطنين المغاربة والاجانب لنشر عدد من الوثائق على حدة كـ (الرسائل الشريفة) التي نشرها الكمندان نيلبل ، و (الرسائل الموحدية) التي نشرها المستشرق ليفي بروفانصال ، و (رسائل سعدية) التي نشرها الاستاذ عبد الله كنون، أو تضمينها الكتب التاريخية والمدونات القانونية التي ألفوها وجمعوها ونشروها . كـ (اتحاف أعلام الناس) لسلفي مؤرخ الدولة السيد عبد الرحمان بن زيدان ، و (مدونة القوانين) الخاصة بمنطقة الحماية الفرنسية، والاخرى الخاصة بمنطقة الادارة الدولية بطنجة .

ولكن هذه العملية الاولى الناجحة تشتت بكثير عندما استعاد المغرب استقلاله في اواخر سنة 1955 لان دولتي فرنسا واسبانيا حاميتي المغرب السابقتين عمدتا الى نقل اكثر ما كان بالمكتبات الرسمية المغربية من المستندات الى بلديهما ولم تبقيا بها الا القليل منها .

حدثني الاستاذ محمد الفاسي اول وزير للتربية الوطنية في المغرب المستقل ان سيارات الجيش الفرنسي حضرت ذات صباح في اوائل سنة 1950 الى المكتبة العامة بالرباط ومعها الجنود بكامل اسلحتهم ، ففتح لهم محافظها . وكان يهوديا جزائريا متفرنسا ، ابوابها ومكنهم من جميع ما كان مخبوءا فيها من المستندات فنقلوه الى فشله من فشلاتهم ثم أرسلوه فيما بعد جوا وبحرا الى فرنسا بواسطة القواعد الجوية والبحرية التي كانت يومئذ تحت قبضتهم بالمغرب .

ومرت السنتان الاوليان على اعلان الاستقلال والدولة المغربية منصرفة الى معالجة المشاكل المترتبة على الغاء الحماية كتثبيت السلطة ومغربة الادارة وانشاء الجيش وفرق الامن واجلاء القوات الفرنسية والاسبانية والامريكية عن القواعد التي تحتلها بالمغرب وتحرير الاقتصاد والعملة من التبعية للاجانب . وكانت مسائل ذات أهمية ثانوية في ذلك العهد كجمع الوثائق والمستندات وترتيبها ونشرها آخر ما يخطر على البال ويصرف اليه الاهتمام ، على ان الدولة بدأت تصطدم بالمشكلة منذ البداية ، لان الفرنسيين والاسبانيين لم يردوا الى المغرب جميع اراضيه السليبة بالجنوب والشرق والجنوب الشرقي رغم تعهدهم بالمحافظة على وحدة ترابه بمقتضى الاتفاقيات التي عقدوها معه في مارس وابريل 1956 ، فاسبانيا لم تعد اليه قطاع سيدي يفني واقليم طرفاية دع عنك الساقية الحمراء ووادي الذهب ، كما أن فرنسا لم يكفها ما قضت في الماضي من اقاليمه في الجنوب والشرق والحقته بمستعمراتها في شمال افريقيا وغربها ، فاحتفظت لاسباب عسكرية محضة بأجزاء أخرى بقيت تسير من طرف مندوبيتها السامية بالرباط الى آخر أيام الحماية والحقتها رغما عنه وجعلت من بعضها حقولا لتجاربها الذرية ، فكان المغرب وهو يحاج ويحتج في اشد الحاجة الى مستندات اصلية يثبت بها صحة دعواه ويقيم بها

الوثائق

الوثائق

لحجه على الدولتين الحاميتين السابقتين ، فلم يجد مفيدا الا ما تسرده الاحاديث في غيرا متقطعة من عبيد الاحتلال والاستعمار ، وهو لا ينفي حق الوفاء بكل ما كان يبغي الاستدلال به وبتمناه .

ولقيت نفس هذه الظاهرة ، ظاهرة فقدان الوثائق والمستندات المغربية في ذلك الوقت الذي اشتدت فيه الحاجة اليها ، وصار من اكبر ما يشغل بالي كمصور في الديوان الملكي وواحد من المهتمين بتاريخ المغرب البحث عن مخابئها والسعي في ترتيبها استعدادا لدراستها ونشرها ولما استند الى جلالة الملك المرحوم محمد الخامس (09 ــ 1951 م) طيب الله ثراه أمر خزائن الكتب المحفوظة في قصوره في خريف سنة 1958 عثرت على عدد من الكتب والكنانيش الخزانية سجلت فيها مراسلات ملكية ترجع الى العصرين السعدي والعلوي ، وعدد آخر من المستندات الاصلية التي لم تقيد في كتاب ولم تسجل في كناش كعقود بيعة السلطان المرحوم مولاي يوسف (1882 ــ 1927) ، كما سلم الى الوزير المرحوم السيد محمد المعمري (1885 ــ 1970 م) عددا من المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها المغرب مع الدول الاجنبية ، من بينها مجموعة الاتفاقيات المتعلقة ببناء منار رأس سبارتيل الواقع الى الغرب من طنجه في أعلا منطقة بالساحل الغربي للمارة الافرنقية . وضمت الى هذه الكتب والمستندات ، مستندات حديثة ترجع الى السنوات الاخيرة لعهد الحماية والسنين الاولى لعهد الاستقلال ، عثرت عليها بالديوان الملكي ، وكذلك المجموعة الكبيرة النفيسة من الوثائق والمستندات التي صودرت من دار الوزير الاول السابق الحاج محمد المقري (1901 ــ 1956 م) وهي الوثائق المتعلقة بأيام خدمته الاولى مع الدولة الى سنة 1912

ولما تربع على عرش المغرب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يوم 26 فبراير 1961 وزار فاس زيارته الرسمية الاولى لفتت نظر جلالته الى الكتب المحفوظة في خزائن قصرها الملكي والتي لم تر النور سنين طويلة ، فأمر جلالته بفتح تلك الخزائن فاذا هي تضم في مرافقها جزءا من الكتب السلطانية التي كانت تحفظ في قصور فاس منذ العهود المرينية والسعدية والعلوية الاولى ، كما كان بعض هذه الخزائن مليئا بالكتب التي طبعها الملوك العلويون داخل المغرب وخارجه من عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الى عهد السلطان عبد الحفيظ .

وكانت هذه الكتب في حالة يرثى لها من الاهمال فحيث لم يكن من الممكن ابقاؤها حيث هي الا اذا أريد لها تزداد ضياعا وتلفا ، فأمرني جلالته بنقلها الى القصر الملكي بالرباط فنقلت ووضع من بينها عدد من الكتب والكنانيش التي عثرت فيها مراسلات الملوك والحكومة وحسابات العمالة ، ثم نقلت اليه بأمر جلالته بعد ذلك جميع ما كان بخزائن قصور فاس وأعرضته من الرسائل والاوراق التي عثرت فيها الحرائج للطبعة وأبدى الجليل حينما عاينها ، وكانت هذه الاوراق اكثر من عشرة آلاف بعد ما استبعد عددا وكثيرا منها ، ثم وجد ضمن ما يمكن النشر منه خاص المستندات والوثائق بالقصر الملكي

ولما زار جلالته مراكش بعد ذلك زيارة رسمية أحاط علما بما سبق تصويره وأعرضته من مخطوطات ووثائق ، فأمر بنقلها الى قصر الرباط وضمها الى ما نقل اليه من قصر فاس ، وخلال ذلك وضعت الترتيبات لتصنيع ما توجد في كل قصر من وثائق فصادرها حسن الحريزي في عهد الحاج المدني الكلاوي (1911 ــ 1918) بمدينة مراكش أوائل سنة 1950 وتم انقاذها وجمعت في قصر الامانة الملكية الخاصة بمراكش وضمت الى ما استرد من فاس والرباط

وعرفت المكتبة الملكية بعد ذلك ملأ مجموعات مهمة من الوثائق والمستندات ، الاولى المجموعة الهامة التي كانت محفوظة بالقصر الملكي بمكناس وآلت الى المكتبة الربداطية قبل ان تؤول هذه بدورها الى المكتبة الملكية ، والثانية المجموعة التي كانت محفوظة بقصر السيد الطيب العلمي بفاس والتي تكون مجموعة من الوزير الاول الحاج محمد المقري الشار اليه من قبل والثالثة مجموعة السيد الحاج محمد بن المدني بنيس أمين الامناء في عهدي السلطان سيدي محمد الرابع وابنه السلطان مولاي الحسن الاول ، التي كانت محفوظة عند ورثته في حانوت بمنذق الماطيين بفاس ، ثم نقلتها بأمر من جلالة الملك الى الرباط يوم السبت 31 مارس 1973 ، يضاف الى هذه المجاميع مجموعة أخرى هامة من الكنانيش والوثائق الملكية كانت زحزحت عن مكانها الاصلي بقصر فاس ثم أعيدت اليه ، وكذلك جزء تم تصويره من مستندات ووثائق الحاج المهدي المنبهي وزير الحربية السابق المحفوظة عند ورثته بطنجة ، مع مستندات أخرى متفرقة قليلة العدد كثيرة الاهمية

ضمت أصولها الى صورها أو نسخها الى المستندات التي تقدمتها .

ومن جهة اخرى جدت الدولة في البحث عن الوثائق وجمع المتفرق منها بالحيازة او النسخ او التصوير ، فأصبحت مركزا وطنيا للمستندات بكتابة الدولة في التخطيط ، وامتازت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية على الخصوص بجهودها الموثقة الحكيمة في هذا الباب ، ولاسيما بتنظيمها لمعارض المخطوطات والوثائق التي امكن بواسطتها تصوير عدد من المستندات المعروضة كل سنة ، كما نشط ايضا الافراد لدراسة الرباط ونشرها خصوصا في هذه السنين التي يناضل فيها المغرب النضال المرير لاسترجاع صحرائه واثبات ما له من حق في أقاليمه الاخرى التي سلبت منه أيام ضعفه وتآمر القوى الاستعمارية الاوربية عليه ، ونذكر منها : الاتفاقيات الدولية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله التي نشرها الاستاذ كايي بالرباط سنة 1960 ورسائل مولاى اليزيد التي نشرها الاستاذ ضون ماريانو اريباس بالاو بتطوان سنة 1960 ، والوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبروبيك (يوغوسلافيا) التي نشرها الاستاذ نسيم فورقوت بسراييفو سنة 1960 ، والرسائل المتعلقة باقليم توات التي نشرتها بالرباط سنة 1962 ، ورسائل السلطان مولاى اسماعيل الى الاسرة الفاسية التي نشرها الاستاذ الوزير السيد محمد الفاسي بالرباط وتطوان سنة 1962 بمناسبة مرور ثلاثة قرون على تولي مولاى اسماعيل الملك ، ورسائل مولاى اسماعيل الى ولده الامير مولاى المامون التي نشرتها بالرباط سنة 1967 ومجموعة الرسائل القيمة التي ضمنها الاستاذ لبحاثه السيد محمد داوود موسوعته عن تاريخ تطوان والاخرى التي ضمنها الوزير المرحوم السيد المختار السوسي موسوعته القيمة عن تاريخ زاوية الغ المسماة (المعسول) وكتبه القيمة الاخرى عن اقليم سوس ، ومجموعة الوثائق التي نشرتها طيلة تسع عشرة سنة في كتاب (انبعاث أمة) الذى يتضمن كل الآثار المنطوقة وبعض الآثار المكتوبة لجلالة الملك المرحوم محمد الخامس وخلفه المنصور جلالة الملك الحسن الثاني وكتبا أخرى غابت عني اسماؤها في هذا الوقت ، دع عنك مئات الوثائق التي نشرت في الصحف والمجلات الوطنية حجة لحقوق المغرب في أقاليمه المغتصبة ، وكذلك الفهارس القيمة التي وضعتها الخزانة العامة بتطوان لجزء من الرباط المحفوظة بها .

وازاء توافر عدد هذه الوثائق وتكاثرها وتعاقب وصول مجاميعها وما ينتظر ان يلحق بها مستقبلا صار من الحتم اللازم والواجب الاكيد انشاء جهاز ادارى مثمر يعنى بحفظها وتبويبها وفهرستها وتيسير الاستفادة منها على الباحثين والدارسين ، مثلما يعني بالحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من المستندات والوثائق المغربية المتفرقة في جميع انحاء العالم وخاصة في خزائن ومكتبات الدول الاوربية التي كانت تربطنا بها في الماضي روابط الكراهية والعداء تارة وروابط الصداقة والتعاون تارة أخرى ، وهذا ما فعله الملك العالم المثقف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذى انشأ مديرية الوثائق الملكية ابتداء من فاتح يناير سنة 1975 وعهد الي بادارتها .

— — —

ليس في نيتي أن اتحدث الآن عن الوثيقة الرييدة فاضع لها التعاريف واورد مفاهيمها اللغوية والاصطلاحية في أدمغة العلماء ، ولا أن أتعرض لعلم الريادة أو الارشيف فاذكر تاريخ نشأته ومراحل تطوره وعناية الامم المتقدمة به فان ذلك هو من لغو الحديث وسخف القول بعد ما الف في هذا العلم من كتب ونشر عنه من دراسات بمختلف اللغات ، وانما الذى اريد أن أضيف الى ما تقدم اننا الآن امام ثروة ضخمة من الوثائق الرييدة والمستندات الغميسة المغربية نعتقد جازمين ان اعدادها ستتكاثر مستقبلا ومددها سيتوافر بما سيرد منها على مديرية الارشيف الملكي بطريق الشراء أو الهدية أو التصوير أو النسخ أو الاسترجاع القانوني ، والذى امكن جمعه منها حتى الآن بعضه موجودة أصوله في أوراقها التي كتبت فيها لاول مرة مختومة بخواتم الملوك والرؤساء او ممهورة بامضاءاتهم او امضاءات الوزراء والسفراء والقناصل والعمال والقضاة والامناء وحتى الجواسيس والمخبرين المتطوعين ، وبعضها منقولة نصوصه في الكنانيش الحكومية والسجلات الادارية والدفاتر الرسمية ، وكذا في الكتب التاريخية والادبية والمجامع الانشائية التي اثبتت فيها لعدد من فرسان البلاغة كتاب القصور وأمناء أسرار الملوك نماذج مما كتبوه عنهم وبأمرهم ، وهي تتناول جميع ما كان يهتم به المسؤولون على مختلف المستويات ومراتب الولايات

من القضايا الداخلية والخارجية ، والخصوصية والعمومية .

وان تصنيف هذه الوثائق والمستندات التي نعد لحد الآن بعشرات الالوف واستخراجها لينطلب جهدا جهيدا وأمدا طويلا وصبرا جميلا . كما يتطلب وجود لجنة مثقفة واعية متخصصة في هذا الفن مقتدره على العمل داخله الى جانب لجنة مماثلة في الرباط .

عبوره هل كل شيء على تاريخ وطنها شديدة التعلق بامجاده كثيرة الحرص على تبيين الحقائق دون تاويل مذهب عن التعصب منزه عن الكبرياء ، لان من الوفاء للوطن والنصح للشعب ان نمثل منه ماثلة على مواطن القوة والعظمة في حياته الماضية ليترسموها ويسيروا في عدها ، ونرسدعم بالحجة الى نقط الضعف في [illegible] ونستعدوا عن طريقها حتى لا نتعرض لهزات وانتكاسات كالتي تعرضنا لها في عصورنا المتاخرة وصرنا بها في المؤخرة بينما سار غيرنا في مطلعه الركب ومعدم الغاشة ، ولم يخلق الله شعبا منحليا بالفضائل كلها او متخليا عن الرذائل جميعها ، لذا وجب اخذ العبرة ممن ارتفعوا بالفضيلة الى القمة او انخفضوا بالرذيلة الى الحضيض ، وهذا هو سر التاريخ على الخصوص وحكمة وثائقه ومستنداته على الاخص

وقد يقول المتحيل ـ بعد أن شوفناه الى الوثائق واطلعناه على المصاعب والمتاعب المرتقبة ـ انه سينتظر السنين فوات العمر قبل ان يطلع عليها ويكتشف ما فيها . ولازالة مخاوفه نبادر فنقول . اننا نشرع فورا في نشر كل ما تم ترتيبه منها سواء كان مما مضى عهده او قرب زمنه ، وسواء كان يتعلق بشؤون السياسة والدبلوماسية ، او أمور الاقتصاد والاجتماع ، او كان متعلق بنوازل خاصة وقضايا معينة قد تكتسي طابعا أسريا ، مقصين كل وثيقة بدراسة او كلمة تحدد زمانها وتبين اعلامها وتشرح مضامينها ، فاسحين المجال لكل من يبغي نقدها او تكميل ما يراه ناقصا في حقها او مقارنتها بنصوص اخرى وطنية او اجنبية .

وستكون الوثائق التي تنشر متعاقبة بتعاقب ازمانها متلاحقة حسب تواريخها ، معززة بعض نصوصها المطبوعة بصور اصلها ، مرفقة بما له ارتباط بها من رسوم زمنية او صور فتوغرافية ، وكل ما نعتقد ان الفائدة منها تزداد به كانواع الخطوط واشكال الزخرف وطوابع الملوك وخواتم الولاة وعلامات القضاة وامضاءاتهم .

وسنقسم مع كل مجموعة من هذه الوثائق يصدر بها كتيب او كتاب فهرسا ملونا بسهل على الباحثين والدارسين الوصول الى الوثيقة التي يرغبون في الاطلاع عليها ، اذ سيكون بجانب كل موضوع رقم او ارقام ترتيبية ترشد الى مكان الوثيقة او الوثائق التي نشرت متعلقة بذلك الموضوع .

ونعتقد جازمين ان هذا العمل سيتيح الفرصة لتصويب كثير من الاخطاء التي ارتكبت عن قصد او بغير عمد في حق تاريخنا ، وتصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بسياسات حكوماتنا واوضاع مجتمعنا ، وبكمل نقصا كبيرا وسد ثغرات طالما احس بها الباحثون والدارسون وهم يضعون الموازين لتقييم الادوار التاريخية التي قام بها الشعب المغربي في مختلف الازمنة والعصور، ونخرس لسان كل حسود لئيم يستنقص قدر المغرب ويبخس عين كل جحود زنيم مزعم في قحة انه لم يكن في تاريخه دولة منمزة ، فالوثائق الثابتة الصحيحة السليمة من كل نيابة هي وحدها الكفيلة بتوضيح الرؤية وكشف الحقيقة سواء كانت لنا او علينا ، وبدون وثائق يصبح التاريخ والتقسيم مجرد تخمينات وتقديرات واجتهادات، وبدونها ايضا لا يمكن الحرم بصحة رأي ولا القطع بوجهة نظر .

واذ كان لي من كلمة في الختام فهي الاقرار بالفضل لصاحب الفضل ، والاعتراف بالجميل لمسدي الجميل جلالة الملك الحسن الثاني أمده الله ونصره الذي رأت بعنايته هذه المبرة عالم النور ، وانبعثت برعايته وثائقنا ومستنداتنا للظهور والنشور ، فلجلالته مدين كل باحث بما يسر له ، ويمتن كل دارس بما وفر له من مادة ووفر عليه من جهد .

أطال الله أيامه ، ونصر اعلامه ، ومنحه النصر والتمكين والفتح المبين .

الرباط ـ السبت 1 محرم 1396 ـ 3 يناير 1976

مسيرة روعتها من روعتك

للأستاذ الشاعر عبد المجيد بن جلون

الى الذي استلهمها في خلوته ... مسيرة روعتها من روعته
في وطن تمزقت أوصاله ... مزقها العدو في وحشيته
خاطرة .. عرت الى أن أصبحت ... تحديا بخيف في دمدمته
تحديا للخاضعين والغفلا ... والذين استهتروا بقوته
والذين غرهم وقاره ... وحبوا الخذلان في مروؤته
ووجهة الله ... لن يصرفه ... ذو شقوة مهما سعى عن وجهته
الشعب صال صولة تاريخها ... سجل باللؤلؤ نور صولته
وقل الناس .. ولكن شعبنا ... ظل قويا جأشه في وقفته
حتى استرد في هبوب قاهر ... ما ضاع من وحدته وعزته
تحت قيادة عزيز ملهم ... اذا خطا فحقنا في خطوته
ما زال يرعى وطنا يحبه ... ووطنا عزته من عزته
الا تحقق الرجاء ... يوم أن ... يعاد للوطن باقي وحدته ...

عبد المجيد بن جلون

ماهي الدواعي التي تدعو أمير المومنين جلالة الحسن الثاني نصره الله وايده الى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها.

د. محمد تقي الدين الهلالي

هذه الدواعي كثيرة لا حد منها ولا اعددها

1 — قوله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . دلت هذه الآية الكريمة على ان محبة الله للعبد رهي اشرف المطالب تحصل ولا تنال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتم اتباع الرسول الا بنصر سنته ونشرها والعمل على احيائها والعمل بها وتكثير متبعيها ، اخرج الحاكم في المستدرك من حديث ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض .

وروى الامام مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي وروى مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم شيئين كتاب الله وعترة اهل بيتي فحث على كتاب الله ثم قال وعترة اهل بيتي لا تنخذوهم غرضا من بعدي وفيه ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فهذا معنى الحديث فالعترة الذين وصى بهم النبي صلى الله عليه وسلم واخبر انهم لا يفترقون مع الكتاب حتى يلقوه على الحوض جديرون باتباع سنته بعد كتاب الله وجديرون بأن يحبهم المؤمنون بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى في صفة المستحقين لرحمته الذين يتبعون الرسول النبي الامي الى ان قال فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ثم قال بعد ذلك واتبعوه لعلكم تهتدون (سورة الاعراف) 157 الى 158 — نفهم من الآيتين أن رحمة الله وان كانت وسعت كل شيء فانها لا تنال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وان افلاح وهو النجاة من كل مرهوب والظفر بكل مرغوب لا ينال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكل مؤمن صادق يرى من النفاق يرغب في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يعرف كيف يتبعه الا اذا كان عالما بسنته وهديه ولا يكون عالما بذلك الا اذا كانت السنة منصورة منشورة قد رفعت اعلامها ووضحت احكامها فهذا من الدواعي والاسباب التي تحمل جلالة الحسن الثاني على العناية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر والنشر والايمانات التي رحض على الاتباع ونصر السنة اكثر من ان تحصى وكذلك الاحاديث

12 تقدم حديث مسلم في الوصية بالعترة وهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم انهم لا يفترقون مع الكتاب والسنة ، والمعنى بذلك هم الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم وقد جمعهم بعض العلماء في بيت واحد فقال

علي وعباس عقيل وجعفر
وحمزتهم آل النبي بلا نكر

وهؤلاء هم الذين تحوم عليهم الزكاة في مذهب مالك رحمه الله ويرى الشافعي رحمه الله زيادة بني المطلب اما المحبة فتشمل الجميع ولا شك أن ذريتهم اذا تبعوهم باحسان لهم نصيب وافر من هذه المنقبة واتباعهم باحسان يقتضي نصر سنة النبي صلى الله عليه وسلم ونشرها ولما كان جلالة الحسن الثاني من ذرية هذه العترة فلا غرو ان يسير على نهجهم في نصر السنة ونشرها لينال اوفر نصيب من هذه الخصوصية

وقال تعالى في سورة النساء (59) « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا) امر الله جميع المؤمنين فى كل زمان ومكان بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بامتثال الاوامر واجتناب النواهى وكرر الفعل لبين لعباده ان من اطاع رسوله فقد اطاعه ومن عصى رسوله فقد عصاه كما صرح بذلك فيما بعد بقوله عز من قائل (من يطع الرسول فقد اطاع الله) ثم عطف اولى الامر وهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يجمعون كلمة المسلمين ويحافظون على شريعة الاسلام وينفذون احكامها ويدافعون عنها بدون اعادة الفعل وهو « اطيعوا » وفى ذلك نكتة لطيفة كشف الغطاء عنها علماء الكتاب والسنة وهى ان طاعة الله ورسوله مطلقة لان الله هو الشارع ورسوله هو المبلغ وهو معصوم عن الخطأ فيما بلغه اما اولوا الامر فليسوا كذلك لان طاعتهم مقيدة بان يأمروا بمعصية وقد جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم اخبار فيما يتعلق بطاعة الامير وتقييدها ، رايت ان اتحف القراء بذكرها لان اكثر الناس فى هذا الزمان عنها غافلون ، الحديث الاول فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعصى الامير فقد عصانى

الثانى عن ابى ذر رضى الله عنه قال ان خليلى صلى الله عليه وسلم اوصانى ان اسمع واطيع وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف « هو المقطوع الاذن او الانف او اليد ونحوهما » وفى رواية البخارى ولو لعبد كل راسه زبيبة .

الثالث وفى الصحيحين على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية ، فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة

الرابع عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى من امير شيئا يكرهه فليصبر ، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية . وفى رواية فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه .

الخامس عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخير منهما .

السادس عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشر ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، فقلنا يا رسول الله افلا ننابذهم بالسيف عند ذلك ؟ قال لا ما اقاموا فيكم الصلاة الا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من المعصية ولا ينزع يدا من طاعته . قال شارح العقيدة الطحاوية بعد ان ساق احاديث من هذا الباب مقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة اولى الامر ما لم يأمروا بمعصية ، ثم قال واما لزوم طاعتهم وان جاروا فانه يترتب على الخروج عليهم من المفسدة اضعاف ما يحصل من جورهم ، فان الله تعالى ما سلطهم علينا الا لفساد اعمالنا ، قال تعالى (او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم) فاذا اراد الرعية ان يتخلصوا من ظلم الامير فليتركوا الظلم ، وعن مالك بن دينار انه جاء فى بعض كتب الله يقول الله تعالى انا مالك الملك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا اعطفهم عليكم

« توضيح لما تقدم »

1 — قوله وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف اى وان كان الامير الادنى عبدا حبشيا ولاه امام المسلمين عبدا من اعماله او جعله اميرا على بلد يجب على الناس طاعته وان كانوا من اشراف العرب ولا يجوز لهم ان يستنكفوا ويدفعوا مع النخوة والحمية الجاهلية فيقولوا نحن من اشرف العرب واوسطهم فكيف يولى علينا هذا العبد ، لان طاعتهم لذلك الامير العبد هى طاعة للامام الذى ولاه ، وليس المقصود بذلك ان يكون الامام عبدا لان امام المسلمين يجب ان يكون حرا ولا يجوز ان يكون عبدا ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش ما اقاموا الدين لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه فى النار وفى رواية فى الصحيح الخلافة فى قريش ما بقى فى الناس اثنان ، فلهذا قلنا ان المراد بكون الامير عبدا الامير الادنى .

2 — قول النبى صلى الله عليه وسلم فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، هذا من فضائل الاسلام الذى هو دين الله الحق وهو ملة ابراهيم ودين جميع الانبياء والرسل خالص صاف لم يصبه تبديل ولا تحريف وقد تكفل الله بحفظه الى قيام الساعة ، قال تعالى فى سورة الحجر « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » سورة الحجر رقم 9 . وهذه معجزة خالدة باقية الى يوم القيامة لا يزيدها تطاول الزمان وتوالى العصور الا جدة وقوة بشرى للمؤمنين وحسرة على

الكافرين فانك تجد القرآن الكريم فى البلاد المسيحية الجاحدة لا يستطيع أحد أن يغير منه حرفا ولا تفعله وتجده فى البلاد التى تدين بالنصرانية محفوظا كذلك وتجده كذلك فى البلاد التى تدين باليهودية محفوظا من التغيير مع شدة عداوتهم له ولا تجد كتابا متداولا لاى طائفة من البشر قد تكفل الله بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن . فتحريف الكتب المقدسة عند الامم المختلفة واضح لاهل العلم لا يخفى على باحث وكذلك تكفل سبحانه بحفظ السنة المحمدية فى الجملة فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين فمنه الله صلى الله عليه وسلم وان لم يكن لها ما للقرآن من الحفظ فان الله تكفل بتقيض رجال علماء امناء ينفون عنها كل ما ادخله فيها المبطلون فهى فى كل زمان سهلة التناول من طلبها وجدها عند الطائفة المنصورة عدة الاوزاعى صافية المشارب

وهذا الملك الذى سدده الله وحبب اليه نصرها ونشرها احد انصارها فى هذا الزمن وسانكر برهان ذلك فيما بعد . ونفهم من الحديث الذى نحن بصدد ايضاحه ان الاسلام ليس فيه طاعة عمياء فيهما بلغ الرئيس من علو المنزلة وسمو المكانة لا يطاع طاعة مطلقة ، بل متى امر بمخالفة الكتاب والسنة فلا طاعة لامره فالكتاب والسنة هما الحاكمان على الامير والمامور والرئيس والمرؤوس ولهم الند العلولى على الجميع وهذا سر بقاء الاسلام صافيا محفوظا من التغيير الى يوم القيامة .

الثالث — قوله عليه الصلاة والسلام فانظروا الاخر منهما انما امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الخليفة الثانى لانه شق عصا الطاعة الواجبة عليه لامام المسلمين وفتح فتنة على المسلمين لا يمكن الاحتراز منها الا بقطه فانه كالعضو المنسم من الجسد . لا تمكن سلامة الجسد من التلف المحقق الا ببتره ، ومن المعلوم ان المسلمين كما جاء فى الحديث الصحيح فى توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الرابع — قوله عليه الصلاة والسلام خير أئمتكم يصلى الخلفاء والامراء الذين تحبونهم ويحبونكم

ويسلمون عليهم ويصلون عليكم . الصلاة هنا على معناها اللغوى العربى لا على المعنى الشرعى اى الصلاة فى اللغة الدعاء قال الاعشى :

وصهباء طاف يهودى بها
واترعها ربها فامزجا

ولا تمزجا بالماء الا قليلا
فماء الندى يفسد الخمر فامزجا

مقوله وصلى على دنها اى دعا بالخير أن لا تحمض ولا تفسد والدن هو الذى يسمى بالعامية البرميل تحفظ فيه الخمر .

وقال تعالى يخاطب نبيه الكريم فى سورة التوبة رقم 103 (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) فمعنى صل عليهم ادع لهم ، وقوله تعالى ان صلاتك اى أن دعاءك رحمة لهم . وقد امتثل النبى صلى الله عليه وسلم امر ربه سبحانه فكان يصلى على من جاءه بالزكاة وفى حديث ابن ابى اوفى انه قال اعطانى ابى صدقة ماله فاتيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم صل على آل ابى اوفى ، قال فى انسان ؛ قال الازهرى هذه الصلاة عندى الرحمة

وقولهم افلا ننابذهم بالسيف عند ذلك . يعنون افلا نقاتلهم ونشق عصا طاعتهم اذا تعدوا حدود الله بارتكاب الظلم والمعصية حتى لعنتهم الرعية ولعنوها فاجابهم النبى صلى الله عليه وسلم بالمنع ما داموا يقيمون الصلاة التى هى عنوان التمسك بالاسلام . لان الخروج عليهم فيه من الشر والفساد اضعاف ما فى جورهم وظلمهم ، وقد قرأنا تاريخ الخوارج من اوله الى آخره فما وجدنا فيه الا الشر على الخوارج انفسهم وعلى المسلمين وكلام شارح الطحاوية فى ذلك واضح لا يحتاج الى شرح .

الخامس — بيان معنى قوله تعالى « أو لما اصابتكم مصيبة » قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية وهى ما اصيب منهم يوم احد من قتلى السبعين منهم (قد اصبتم مثليها) يعنى يوم بدر فانهم قتلوا من المشركين سبعين قتلا ، واسروا سبعين اسيرا ؛ قلتم انى هذا اى من اين جرى علينا هذا (قل هو من عند انفسكم) قال ابن ابى حاتم بسنده الى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم احد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من اخذهم الفداء فقتل منهم سبعون

وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) بأخذكم الفداء وهكذا رواه الامام أحمد اهـ . فاذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير هذه الامة علما وعملا وأبرها وأتقاها لله عوقبوا بسبب ميلهم الى أخذ الفدية من السبعين أسيرا الذين أسروا فى غزو بدر وفضلوا أخذ الفدية منهم وأطلاق سراحهم على قتلهم والاستراحة من شرهم عوقبوا بقتل سبعين منهم فى غزوة أحد وهزيمتهم وفرارهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصاب النبى صلى الله عليه وسلم من شر عملهم ما تقدم ذكره من كسر سنه وتخضيب وجهه الكريم بالدم فما بال أهل هذا الزمان الذين ملؤا الارض جرائم وآثاما يستغربون ويتعجبون مما أصابهم من البلاء على يد الاستعمار المدمر والصهيونية الحاضرة فلسان الحال يقول لهم كل ما أصابكم فهو بسبب ما كسبته أيديكم ويعفو عن كثير . فتوبوا من آثامكم وأنيبوا الى ربكم يعطكم من العزة والنصر فوق ما تؤملون . أما أنكم تصرون على ما أنتم عليه وتريدون أن ينصركم الله وقد خذلتم دينه فقد غرتكم الاماني والاحلام « أن الاماني والاحلام تضليل » فأنتم تريدون حصادا بلا زرع ولآلىء بلا غوص وفى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني رواه أحمد والترمذى وغيرهما من حديث شداد بن أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أكرمه الله بكرامة جديدة بهرت العالم كله وخصصتها بقصيدة نشرت فى مجلة الارشاد التابعة لوزارة الاوقاف حيث وقع الكرامة الا وهى استرداد الصحراء الغربية وانتزاعها من اليد الاجنبية وهى أرض خلقها الله يوم خلق السموات ، والارض مغربية باجماع علماء الارض لا يمكن أن تخرج عن المغرب حتى تخرج لندن من بريطانيا وباريس من فرنسا والقاهرة من مصر ومن زعم غير ذلك كذبه أهل السموات وأهل الارض .

الثالث — أن أبناءه الاكرمين منذ حلوا بالمغرب بدؤا أمرهم على طاعة الله واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته فان جده الاعلى الامام عليا الشريف كان من أهل العلم والورع والجهاد فى سبيل الله . فحفت ذريته حذوه حتى اختارهم الله تعالى لجمع شتات أهل المغرب . وتوحيد كلمتهم فى دولة واحدة حفظت ثغور المغرب وحدوده من عدوان المعتدين وغارات الافرنج المغتصبين وطهرت ما أصابه رجسهم من البلاد كطنجة والعرائش وغيرهما فى الزمان السابق ثم طهرت المغرب برمته من رجس الاستعمار الا قليلا منه على يد الامام المفرد العالم محمد الخامس نضر الله وجهه فى الجنة وشاركه فى ذلك وآزره الامام الحاضر أبو محمد الحسن الثانى زاده الله نصرا وقوة وتوفيقا وأطال بقاءه وأدام فى سماء المعالى ارتقاءه حتى يظهر ما يقى ، فانه مع اشتغاله بالسياسة الداخلية والخارجية للمغرب وتحمل ثقل أعبائها وحل مشاكلها لم يهمل جانب السنة المحمدية الكريمة وسار على سنة أسلافه وزاد عليهم بما خصه الله به كتأسيس دار الحديث التى هى غرة فى جبين عهده الزاهر وكأحياء الكنز الثمين وأخراجه من صدفه الى حيز الوجود وانتفاع الناس به الا وهو نشر كتابه التمهيد وهنا أتوقف قليلا لابين ما شاهدته فى جميع أنحاء البلاد الاسلامية وغيرها من تلهف أهل العلم على سرعة انجاز هذا العمل العظيم لان أهل العلم فى أشد الحاجة اليه لا تطمئن نفوسهم ولا يطيب لهم عيش حتى يروه كاملا قد صفت مجلداته بعضها الى بعض كاللآلىء البهية والدرارى المضيئة وشيد لهذا الملك الهمام بادراك ما قصر عنه الاولون من أفضل والاحسان .

ونسأل الله أن يزيده توفيقا لادراك المفاخر واحياء السنن وأماتة البدع وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مكناس : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

الوراقة المغربية
في عهد السلطان العلوي محمد الثالث

للأستاذ محمد المنوني

الوراقة بكسر واوها ، تستوعب ـ في مدلولها ـ النساخة للكتب وتصحيحها وزخرفتها وتفسيرها وما الى ذلك .

وقد عرفت ثلاث دراسات سابقة نشاط الوراقة بالمغرب الاسلامي ، انطلاقا من عهد الولاة فالدولة الادريسية ... حتى العصر العلوي الاول (1) .

ثم يبتدىء العصر العلوي الثاني من ولاية السلطان محمد (الثالث) بن عبد الله بن اسماعيل وتمتد ايامه من عام 1171 هـ . ـ 1757 م . الى عام 1204 هـ . ـ 1790 م .

وبما ان الوراقة في هذه الحقبة تتسم بطابع مميز ، يكون من المناسب تخصيصها بدراسة على حدة حسب الابواب التالية .

ـ طابع الوراقة الرسمية .

ـ وراقون في المنسخات السلطانية .

ـ وراقون غير رسميين .

ـ الوراقة في بلاط الامير علي بن السلطان محمد 3 .

وسيسير هذا العرض في الاحالة على اماكن المخطوطات كالتالي :

المكتبة الملكية الرباط	م . م . ر .
قسم الكتب الزيدانية بنفس المكتبة	م . م . ز .
الخزانة العامة بالرباط باعتبار مخطوطاتها القديمة	خ . ع . د
قسم الاوقاف بنفس الخزانة	خ . ع . ق . ا
قسم المخطوطات الكتانية بنفس الخزانة	خ . ع . ك
قسم مخطوطات الجلاوي بالخزانة ذاتها	خ . ع . ج
قسم مخطوطات الجامع الكبير بالرباط من هذه الخزانة	خ . ع . ر .
خزانة ابن يوسف بمراكش	خ . ى .
الخزانة الناصرية بتمكروت	خ . ن
خزانة الجامع الكبير بوزان	خ . و

(1) الدراستان الاولى والثانية في مجلة « البحث العلمي » : العدد 16 ص 37 ـ 65 . العدد 18 ص . 17 ـ 47 الدراسة الثالثة في مجلة دعوة الحق : العدد 10 ، السنة 16 ، ص . 80 ـ 92 .

1 ـ طابع الوراقة الرسمية

ويتدرج تحليلها هكذا :

ـ وفره اعداد النسخات .

ـ خضوعها لمنهجية محددة .

ـ اعتماد النقل من الاصول الجيدة

ـ العناية بالمقابلة والتصحيح

ـ السرعة في العمل

ـ * ـ

وبالنسبة للنقطة الاولى ، نشير الى ان عملية الوراقة في هذا العهد ، كانت تتوزع بين عدد من المدن المغربية : مراكش ، والرباط ، وسلا ، ومكناس ، وكانت فاس هي المركز الاكثر نشاطا في هذا الاتجاه ، حيث يذكر وراق معاصر ان السلطان محمد الثالث بعث الى فاس بسبعة وخمسين حملا تحمل أصول الكتب قصد الانتساخ منها ، ومرة أخرى يتحدث المصدر ذاته عن مجلة كبيرة جلبها من فاس النسخ في العاصمة العلوية

وقد ورقم هذه الارقام ضمن رسالتين (2) دون ان يقع تأكيدها من اى جهة اخرى ، غير انه يعرف ـ لحد الآن ـ مجموعة من النسخات التي كتبت بامر محمد الثالث ، وسنتبين أن لاحتها الاولى ترتفع الى 134 بين سفر ومجلد حسب العرض التالي :

1 ـ « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني ـ 11 سفرا ـ انتسخ بمدينة مراكش ، ووقع الفراغ من كتابته أوائل شعبان عام 1173 هـ . ـ م. م. 3352 .

2 ـ « البيان والتحصيل » ، لابن رشد « الاول » ـ 20 سفرا ـ برسم الخزانة السلطانية ، تمت كتابة جميعه ـ بفاس ـ أواخر ربيع النبوي عام 1174 هـ . م. م. 1550 .

3 ـ « البيان والتحصيل » ، لابن رشد « الاول » ـ 18 سفرا ـ برسم الخزانة الناصرية بتمكروت ، انتهت نساختُه ـ بفاس ـ في صفر الخير عام 1178 هـ . خ. ع. ق. 430 .

4 ـ « ادراك الاماني ، من كتاب الاغاني (3) » ، عمل عبد القادر المدعو السلاوي بن عبد الرحمن الاندلسي ثم الفاسي ، بتوجيه السلطان محمد 3 ـ 25 سفرا ـ بتاريخ اواسط جمادى الاخيرة عام 1180 هـ . يوجد منها 24 سفرا ، وضاع السفر 18 . م. م. 3706 .

5 ـ « البيان والتحصيل » ، لابن رشد « الاول » ـ 20 سفرا ـ برسم خزانة الجامع الكبير بالرباط ، أواسط رجب عام 1180 هـ . خ. ع. ر. 4

6 ـ « صحيح » البخاري نسخة تامة في مجلد ، بتاريخ 10 ربيع الثاني عام 1192 هـ . م. م. ز. 217

7 ـ « النهاية » لابن الاثير ـ 4 اسفار ـ 20 جمادى الاخيرة عام 1205 هـ . خ. ى. 3/2

8 ـ « المنتقى » للباجي (4) ـ 7 اسفار ـ 6 محرم 1197 هـ . م. م. 7654 .

9 ـ «الجامع الكبير» للسيوطي ـ اربعة مجلدات تضم عدة أسفار :

المجلد الاول: خال من تاريخ الانتساخ م. م. ز. 371

المجلد الثاني : نسخة حاصة بتاريخ 16 ربيع النبوي عام 1201 .

---

(2) كاتبها هو الحسن بن عبد القادر الوافلاوي آتي الذكر ، والرسالتان ـ معا ـ من مكتوبات مجموعة طوميار .

(3) أنظر عن كتاب « ادراك الاماني ... » ، محمد الخوني : « ملامح الحركة الادبية في العصر العلوي الثاني » ، مجلة دعوة الحق : العدد 8 ، السنة 15 ، ص. 87 .

(4) لم يقع في هذه النسخة تصريح باسم الامر بكتابتها ، ولعلها جاء اخر رسالة من محمد 3 : « وها نحن وجهنا للفقيه السعد الناودي ثمانية اسفار من المنتقى ، يقف وقوف الحزم على اكمالها ، وينسخ نسختين منها » ، « النهضة العلمية ، في عهد الدولة العلوية » ، لابن زيدان ، بواسطه مقتبسات من المخطوطة الاصلية

المجلدان : الثالث ، والرابع وهو الاخير الذي يحمل تاريخ ثاني قعدة عام 1200 هـ - م. م. 3873 -

10 ـ « تهذيب مسائل المدونة » للبرادعي ـ المجلد الاول ـ خ. ع. د. 1189 .

11 ـ « شرح المختصر الخليلي » لابي علي ابن رحال ـ 14 سفرا ـ برسم الخزانة الناصرية بتمكروت (5) .

فهذه أسماء 134 بين سفر ومجلد مما كتب بأمر أو رسم محمد 3 ، يضاف لها مؤلفات السلطان نفسه ، في نسخ متعددة تصل الى عشرات الاسفار ، يضاف لذلك مؤلفات اخرى يفترض انها من هذا القطاع ، حيث تحمل تاريخ وطابع الحقبة ذاتها ، وسترد نماذج منها عند باب « الوراقين غير الرسميين » خلال عرض منتسخاتهم .

وهذا شاهد اخير لوفرة المنتسخات في هذه الفترة ، وتنتزعه من رسالة للعامل العلوي ، الى الوراق علي الوافلاوي ، وقبها يأمره بتمييز الكتب المتلاشية بالخزانة السلطانية بفاس ، ثم توزيعها على النساخين ليقوموا بكتابتها من جديد : « الملحق » رقم 1.

* * *

وهكذا نتبين من هذا العرض كثرة المؤلفات التي انجزت كتابتها على عهد السلطان محمد بن عبد الله ، وبعد هذا نعاود قراءة لائحة الكتب المنوه بها ، فنستنتج ان مجموعها يخضع الى منهجية خاصة ، منهجية العامل التي تهدف للرجوع الى كتب السلف ، أو الى المؤلفات الحديثة التي تعتمد الاصول القديمة ، كشرح المختصر الخليلي لابي علي بن رحال .

* * *

ومن هذه الميزة الثانية للوراقة ، ننتقل الى التي تليها : نقطة اعتماد النساخة من الاصول القديمة ، ومن نماذج ذلك فقرة ضمن رسالة رسمية ، عن نسخة البيان والتحصيل برسم الخزانة الناصرية : « وما نحن امرنا علماء فاس وقاضيها ، بنسخه من نسخة عتيقة حبسها بنو مرين على جامع القرويين ، ليس بها تصحيف ، ولا مسخ ولا تحريف » ، انظر « الملحق » رقم 2 .

* * *

الميزة الرابعة : وهي العناية بالمقابلة والتصحيح ، وهي ظاهرة لا تزال آثارها باقية ، وبالخصوص على هوامش الكتب المنوه بها وشبكا ، هذا فضلا عن التنصيص على ذلك عند افتتاحية ، أو خاتمة بعض المنتسخات المشار لها .

ويتعلق الامر بخمسة نماذج تبتدىء من « البيان والتحصيل » : المخطوط رقم 2 من اللائحة ، حيث صدر بمدخل مطول عند مفتتح كل من الاسفار : 1 ، 6 ، 11 ، 16 ، فيذكر ان هذه النسخة اشرف على كتابتها أربعة من أعلام فاس ، على أن يقوموا لذلك من تثبت اتقانه وتحقيقه ، ليأتي الكتاب سالما من التصحيف ، محفوظا من الخلل والتحريف ، واختص كل واحد من الاربعة بخمسة أسفار من البيان والتحصيل ، والتزم القيام بمدبلته

وكان العلماء المنوه بهم هم :

ـ محمد التاودي ابن سودة : الاسفار الخمسة الاولى .

ـ ابو حفص عمر بن عبد الله الفاسي : الخمسة الثانية .

ـ محمد عبد الصادق الوكالي : الخمسة الثالثة .

---

(5) هذا يستفاد من محمد بن عبد السلام الناصري ، حيث يتحدث ـ في كتابه : « المزايا » ـ عن البيان والتحصيل لابن رشد ، ثم عن شرح المختصر الخليلي لابن رحال ، بمناسبة انتساخها للخزانة الناصرية بتمكروت ، وهو يقول في هذا الصدد : « ... وما أنعم بنسخة جيدة من البيان لابن رشد من 18 جزءا ، الا أمير المؤمنين ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، حضرت استنساخه لها أواخر السبعين ، فبعثه محبسه له هنا ، كشرح ابي علي بن رحال في 14 جزءا ، بعث ـ رحمه الله ـ بنسخة منه ومالا نحو 400 مثقال حتى استنسخه هنا ، فحبسه واستخرج الاصل » .

ـ القاضي عبد القادر بن العربي بوخريص : «الخمسة الرابعة .

وبعد البيان والتحصيل نلتقي مع «ادراك الاماني» : المخطوط رقم 4 من اللائحة ، وجاء بافتتاحيته خلال الحديث عن العامل المعني بالامر : تسجيل أمره للقائم بتجديد كتاب الاغاني : بأن يعمل على تحرير النسخة المستجدة ، وتصحيحها وتحقيقها .

وهذا كتاب « البيان والتحصيل » : نسخة الرباط رقم 5 من اللائحة ، فقد جاء على السفر الاول منه : أن هذا الديوان كتب على يد قاضي الرباط : المهدي مرينو ، وكان الفراغ من نسخه وتذهيبه ومقابلته ..

النموذج الرابع : كتاب «الجامع الكبير» للسيوطي رقم 9 من اللائحة ، حيث يرد «اخر المجلد الثاني : « بلغت المقابلة ـ جهد الاستطاعة ـ من أصل بخط مشرفي لا بأس به ... على يد كاتبه : سعيد بن احمد الجزولي ... » .

وفي المجلد الرابع : « وفرغ كاتب ما بيد يمنه في يوم الاحد ... بعد أن بذل جهده في مقابلة ما كتبه له النساخ بمحروسة فاس ومكناسة عبد ربه : سعيد ابن احمد الجزولي ... » .

وخامسا : « تهذيب مسائل المدونة » للبرادعي : المجلد الاول رقم 10 من اللائحة ، كتب عليه انه وقعت مقابلته على نسخة القرويين بين يدي الشيخ التاودي .

* * *

والى هنا تنتهي نماذج العناية بالمقابلة والتصحيح : الموضوع الرابع من طابع الوراقة الرسمية في هذا العهد ، ويصل بنا الطالب الى النقطة الخامسة والاخيرة : ميزة السرعة في العمل ، فتنتهي كتابة الاسفار العشرين وما يفوقها خلال المدة القصيرة ، هذا كتاب البيان والتحصيل : المخطوط رقم 2 من اللائحة ، ترد بآخر السفر العشرين منه ، فقرة تشهد ان مدة نسخه ـ بكامله ـ انما هي شهران وثمانية أيام .

وبعد هذه المدونة ، تتم كتابة السفر 25 من «ادراك الاماني» ـ المخطوط رقم 4 من اللائحة ـ عند اواسط جمادى الثانية عام 1180 هـ. بعد ما كان اوائل المحرم من نفس العام ، هو تاريخ صدور الامر للوراق بانتساخ الكتاب .

2 ـ وراقون في المنتسخات السلطانية .

ـ وراقون نساخون .

ـ مصححون او مشرفون .

ـ الزخرفة او تنويع الكتابة .

وسنعتمد ـ غالبا ـ في معرفة الاسماء العلمية ، على الاشارات الواقعة عند أوائل أو خواتم المؤلفات المكتوبة بأمر أو برسم محمد الثالث ، وهي ذات اللائحة ـ بالعناوين وما يليها ـ الواردة صدر الباب الاول من هذه الدراسة ، وقليلا تستخرج بعض الاسماء بواسطة مصدر من نوع «اخر .

* * *

وراقون نساخون

1 ـ علي بن الطاهر بن التهامي الشريف الحسني . «اخر المخطوط رقم 6 من اللائحة المشار لها وشيكا .

2 ـ محمد ـ بفتح أوله ـ بن علي السوسي ثم السلوي (6) ـ «اخر اجزاء النهاية لابن الاثير ، رقم 7 من اللائحة .

3 ـ أحمد التونسي ـ اسما ـ المالكي الزهيري ـ كاتب السفر الثالث من المنتقى للباجي، رقم 8 من اللائحة

4 ـ احمد بن محمد ـ بفتح أوله ـ المهدي الحلو (المريني الفاسي) ـ كاتب نحو الثلث من السفر السابع والاخير من المنتقى للباجي ، رقم 8 من اللائحة .

(6) سيلتمع اسمه في الفترة التالية ، كوراق تصعد به خطاطته الى القمة ، وهو ما سنتوضح عند موضوع «الوراقة في الدولة السليمانية باعانة الله سبحانه .

5 ــ اليماني بوعشرين (المكناسي) (7) ــ كاتب السفر الثاني من المجلد الاول من الجامع الكبير للسيوطي، حسب اشارة بخط دقيق رقمت اعلى الصفحة الاولى من جهة اليسار بالسفر المشار له رقم 9 من اللائحة .

6 ــ محمد الشنتوى (المكناسي) (8) ــ كاتب السفر الذى يبتدئ به المجلد الثاني من الجامع الكبير ، حسب اشارة بخط دقيق أعلى الصفحة الاولى من جهة اليسار ، رقم 9 من اللائحة .

7 ــ علي بن عبد الله : « مولاى » ؟ ــ ناسخ السفر الذى يلي الاول من نفس المجلد الثاني من الجامع الكبير ، حسب اشارة مماثلة ، رقم 9 من اللائحة .

8 ــ الهادى ابن عبود (المكناسي) ــ كتب 51 كراسا وثلاث ورقات من المجد الثالث من الجامع الكبير، حسب اشارة مماثلة ، رقم 9 من اللائحة .

9 ــ الطيب بن عبد الرحمن ابن سليمان (الفرناطي ثم الفاسي ظنا) ــ ناسخ مؤلف السلطان محمد 3 : « بغية ذوي البصائر والالباب ، المنتخبة من تأليف الامام الخطاب » ؛ المؤلف الثاني ضمن المجموعة رقم م. م. 7307 .

مصححون او مشرفون

ونشير ــ اولا ــ الى العلماء الفاسيين الاربعة الذين اشرفوا على نسخ البيان والتحصيل : المخطوط رقم 2 من اللائحة .

10 ــ محمد التاودى ابن سوده (المرى) (10) ، المتوفي عام 1209 هـ. ــ 1795 م.

11 ــ أبي حفص عمر بن عبد الله (الفاسي الفهري) (11) ، المتوفى عام 1188 هـ. ــ 1774 م.

12 ــ محمد بن عبد الصادق (الدكالي الفرجي) (12) المتوفي عام 1175 هـ. ــ 1762 م.

13 ــ عبد القادر بن العربي بوخريص (الكاملي الجعفري) (13) ؛ المتوفى عام 1188 هـ. 74 ــ 1775م

حسب المخطوط المشار له ، عند طالعه الاسفار : 1 ، 6 ، 11 ، 16 .

14 ــ المهدى مرينو الاندلسي الرباطي قاضيه(14) افتتاحية السفر الاول من البيان والتحصيل : مخطوط

---

(7) الظاهر أن هذا غير اليماني والد الوزير الطيب بوعشرين ، وتوجد مخطوطة من كتاب « الجامع » لابن البيطار بتاريخ 17 رجب عام 1288 هـ. وبذيلها كاتبها باسمه هكذا : اليماني بن الفضل بن اليماني بوعشرين المكناسي » ، خ. ع. د 759 ، ويمكن ان اليماني جد هذا الناسخ هو الوراق الذى نعلق عليه .

وهناك مقدمة ديوان محمد بن محمد بن صالح الهلالي قاضي رودانه ، وقد ورد فيها ذكر محمد اليمني بين أسماء فقهاء مكناس الذين أخذوا عن ابي العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي عند زيارته لهذه المدينة ، انظر كتاب « المسؤول » ج. 6 ص. 33 .

(8) هناك معلم لاحد ابناء السلطان ابي الربيع ، حيث يخطط بالفقيه الشنتوى ، في مطلع رسالة سليمانية وردت عند ابن زيدان في « النهضة العلمية » ، فهل هذا هو الذى نعلق على اسمه ؟ مع ملاحظة أن عائلة الشنتورى من الاسر القديمة بمكناس .

(9) في وثيقة حبسية مؤرخة بعام 1200 هـ. ورد اسم الفقيه العدل السيد الهادى ، بن الفقيه العلامة ابن عبود ، فيكون هذا هو الذي نعلق عليه .

(10) تعددت مصادر ومراجع ترجمته ، ونشير من بينها الى « سلوة الانفاس » ج. 1 ص. 112 ــ 115 . وهي التي سنعتمدها مصدرا للمترجمين بها في الاحالات الآتية :

(11) ترجمته في سلوة الانفاس ج. 1 ص. 337 ــ 339 .

(12) ترجمته « بالمصدر » المذكور ، ج. 1 ص. 273 ــ 274 .

(13) ترجمته « بالمصدر » نفسه ، ج. 2 ص. 12 ــ 14 .

(14) ترجمته في « الاغتباط » ، بتراجم اعلام الرباط » ، لمحمد بوجندار ، خ. ع. د 1287 .

مدينة الرباط رقم 5 من اللائحة ، وكانت وفاته عـــام 1188 هـ. / 74 – 1775 م.

15 – سعيد بن أحمد الجزولي (15) ، مصحـــح نسخة الجامع الكبير رقم 9 – حيث جاء التصريح بذلك عند خواتم المجلدين : الاول والرابع .

16 – محمد (بن محمد) بن عامـر (التادلـــي العمداني) (16) ، انتسخ على يده كتـــاب محمد 3 : « الفتح الرباني ، فيما اقتطفناه من المسائد وفقه الخطاب والشيخ ابن ابي زيد القيرواني » – حسب امر سلطاني بذلك كتب على لسان تجليدة تكسو كتاب « طبـــق الارطاب ... » لنفس المؤلف م. م. 1771

وفي تعبير البعض (17) : ان ابن عامر هذا ، كان يضطلع بتقييد المؤلفات السلطانية ، وكانت وفاته عام 1234 هـ. – 1819 م.

الزخرفة او تنويع الكتابة :

17 – عبد القادر السلوى (18) سابق الذكر ، كاتب ومزخرف « ادراك الاماني » : المخطوط رقم 4 .

18 احمد بن المهدى بن محمد الغزالي الحميـرى الاندلسي ثم الفاسي (19) . المتـوفي عـام 1191 هـ. – 77 – 1778 م. وهو مزخرف مخطوط البيان والتحصيل رقم 2 ، حيث يشير الى انه الذي قام بتذهيب تراجم الكتاب ورقمها ؛ والحاق اولها بآخرها ، من بدئها الى ختمها ، حسب خواتم الاسفار : 1 ، 11 ، 16 ، 20 من هذه النسخة .

19 – محمد بن الطيب بن عبد القادر سكيـــرج الفاسي (20) ، المتوفي عام 1194 هـ. – 1780 م. يذكر عنه الجريرى في شرح القصيدة الشمقمقية : انه ابن مقلة زمانه في ترصيف الخط وابداع الرسم ، وكان مبتكـرا فنانا في بسط الخط المغربي والمشرقي والكوفي (21) .

20 – علي عبد القادر بن محمد الوانغلاوى اليدراسني ثم الفاسي ، الوراق المجد في كتابته وزخرفته ، وفي وصف خطه يقول ابو الفيض حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي :

بـدوت للخـط اثـبت مقلتـه
ما لابنها رقـم خطك الحسن

يقـول كـــل لبيـب ابصـره
لله درك يا أبا الحسن (22)

ولبراعته في الوراقة ، رشحه السلطان محمد 3 – من عام 1202 هـ. لنشر هذه المهنة ، وعينه لتعليـم الكتابـة والزخرفة والجدولة بفاس مع 140 من الصغار ، فسهم ابناء الجيش البخارى ، ومن مراكش وللصويرة وسلا والرباط ومكناس ، على أن يكون مكان تعليمهم داخـل بيت المال من نفس المدينة ، ويتقاضى على عمله مرتبا من الاوقاف ، مبلغه 15 مثقالا من كل شهر، انظر نص الامر بذلك ضمن الملحق رقم 1 .

وتذييل موضوع الزخرفة الرسمية بالاشارة الـى هدية فاخرة بعث بها السلطان المغربي الى الخاقـان

---

(15) ذكره الزياني كاحد رفقائه في الدراســه ، وقال : انه يعرف بالشيخ ، حسب صدر الترجمانـــة الكبرى ، نشر وزارة الانباء ، ص. 61 – 62 .

(16) ترجمته في سلـوة الانفـاس ، ج. 3 ص. 16 – 17 .

(17) هو الفقيد الجماع المرحوم احمد بن محمـــد التمبشي في احدى كتاباته .

(18) لا نعرف له ترجمة منتظمة بالمصادر المتداولة، وهناك معلومات عنه متناثرة ، نسقها دراسة منشورة في مجلد « دعوة الحق » : العدد 8 ، السنة 15 ، ص. 85 – 87 .

(19) ترجمته في « سلوة الانفاس » ، ج. 1 ص. 331 – 332 .

(20) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » ، ج. 4 ص. 120 – 127 .

(21) ورد نقل هذا عن الجريرى في مقال للاستاذ السباق للنشر في الصحافة المغربية والعربية : عبـــد الكبير عبد الحفيظ الفاسي الفهري ، كتبه في جريدة السعادة بالعدد 4449 : السنة 34 ، بتاريخ السبت 3 ربيع الثاني 1356 هـ. – 12 يونيه 1937 م. ص. 6

(22) مخطوط « رياض الورد ... » لمحمد الطالب بن ابي الفيض حمدون ابن الحاج .

العثماني عبد الحميد الاول ، وكان من محتوياتها مصحف شريف ، محلى بالذهب ، مرصع بالالماس ، يساوى ـ حسب المصدر المعني ـ مائة الف دينار (23) .

3 ـ وراقون غير رسميين

ويشتغلون بهذه المهنة تلقائيا دون أن يكونوا مؤجرين لجهة رسمية ، وفي الغالب نعتمد في معرفتهم على ذكر اسمائهم الواردة بذيل منتسخاتهم ، وهم ـ بدورهم ـ ينقسمون الى وراقين نساخين ، واخرين مزخرفين ، وعلى هذا الترتيب يأتي عرض كل فريق على حدة ، مرتبين حسب تسلسل تاريخ الانتساخ ، وقليلا تاريخ وفاة المعروفة ترجمته .

اولا : وراقون نساخون

القرءان الكريم وتفسيره

21 ـ ابن مومو : محمد التهامي بن الطيب بن محمد بن العربي بن عبد القادر ، الكتاسي نزيل الزاوية الادريسية .

كتب مصحفا شريفا في حجم صغير بخط مغربي يميل للبسيط دقيق مليح مجدول ، مشكـــول ـ في غالبه ـ بالحمرة ، والشدات والسكون باللون الازرق ، والهمزات ونقط ألفات الوصل بالصفرة ، وعلامات القطع بالحمرة أيضا ، وأسماء السور بالخط الكوفي ، توازيها زخرفة صغرى بالهامش .

فرغ من نساخته يوم الاحد منتصف صفر الخير ، عام 1191 هـ . خ . ع . ح . 736 .

22 ـ الرهوني : محمد بن محمد بن حسين الشريف الحسني الغازي ، الفاسي الدار والمنشا .

الربع الاول من « المحرر الوجيز » في تفسير الكتاب العزيز » لابن عطية : أواخر جمادى الاولى عام 1195 هـ . م . م . 8089 .

23 ـ ابن زاكور : عبد الرحمن بن الخياط بن احمد بن عبد القادر الفاسي .

« التسهيل لعلوم التنزيل » لابن جزى ، في سفرين فرغ منهما يوم الاحد منتصف شعبان عام 1198 هـ .

وهو يسلسل أصولها من نسخة محمد بن صالح بن محمد الاندلسي ، الى نسخة أبي عمران موسى بن علي بن موسى الوزاني (24) ، الى أصل المؤلف ابن جزى

م . م . ز . 69 .

24 ـ المعين ـ عمر بن الحاج الناصر التسولي ثم الورتناجي ثم التمدرتي .

ثلاثة ارباع من « المحرر الوجيز » لابن عطية في مجلدين .

الربع الاول : ضحوة السبت 25 صفر عام 1199 هـ .

الثالث : زوال السبت 8 شعبان عام 1201 هـ .

الرابع : 27 شعبان عام 1202 هـ . م . م . 8531

25 ـ احمد بن يحيى الفاسي نزيل سجلماسة .

الاول من « لباب التاويل » في معاني التنزيل » للخازن ، ضحى الاحد 9 ربيع الاول عام 1206 هـ . م . م . 6281 .

الحديث الشريف

26 ـ الوزير : محمد ـ بفتح أوله ـ بن عبد السلام بن محمد ـ بفتح أوله ـ بن عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد ـ بالفتح ايضا ـ بن ابراهيم الغساني الاندلسي ثم الفاسي .

أ ـ « الموطا » للامام مالك : الثلاثاء 4 شعبان عام 1185 هـ . في حوزة البعض بالدار البيضاء .

ب ـ الموطا : 20 جمادى الاولى عام 1186 هـ . م . م . 2621 .

ج ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني : السفر التاسع من نسخة عشارية بتاريخ ضحوة الثلاثاء 16 جمادى الاولى عام 1196 هـ . م . م . 8623 .

(23) مخطوطة « درة السلوك ... » للامير عبدالسلام بن السلطان محمد 3 .

(24) هذا المترجم عند ابن عسكر في « دوحة الناشر » ، دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر ، بالرباط ، ص . 40 ـ 41 .

د ــ فتح الباري : نسخة تامة من ثمانية اسفار خالية من التاريخ ، م. م. 3326 .

27 ــ الدلائي : محمد بن محمد ــ اربع مرات ــ ابن عبد الرحمن البكري الفاسي ، المتوفى عام 1197هـ/ 82 ــ 1783 م. يقول عنه ابو الربيع الحوات (25) : « ويحكي انه من كان يكتب نسخا من صحيح البخاري ويقوت من ثمنها » .

ولحسن الحظ لا يزال بتيد الوجود اربع نسخ من صحيح البخاري بخطه ، كل واحدة في مجلد ضخم بخط مغربي مجوهر مدمج مليح ، مكتوب ومقابل من فروع نسخة ابن سعادة :

الاولى : تحمل تاريخ 1172 هـ م. م. ز. 211 .
الثانية : عام 1170 هـ. خ. و. 70 .
الثالثة : عام 1179 هـ. خ. و. 72 .
الرابعة : عام 1180 هـ. خ. و. 71 .

الفقه

28 ــ الغرابلي : عبد الله عبد السلام القصري الشاوي الاصل .

أ ــ تحرير الكلام ، في مسائل الالتزام ، للحطاب عام 1175 هـ. م. م. 3691 .

ب ــ شرح ارجوزة المنهج المنتخب للزقاق
م. م. 3310 .

29 ــ محمد بن احمد الحاج الحسني .

تبصرة الحكام لابن فرحون عام 1195 هـ. من نسخة مقابلة باصل بخط مشرقي قرىء على مؤلفه .
م. م. 3461 .

30 ــ الفجيجي : محمد بن ابراهيم بن عبد الجبار ، ترجيز المختصر الخليلي ، لناظمه ابي القاسم بن محمد بن عبد الجبار الفجيجي ، فرغ من انتساخه بعد ظهر الخميس الاول من ربيع الثاني عام 1197هـ ، برسم أبي العباس احمد بن الشيخ مولاي الطيب الحسني الوزاني م. م. 1407 .

31 ــ بصري : محمد بن محمد المكناسي الافريقي ، شرح المختصر الخليلي في اربعة اسفار يتخلل بعضها نقص كثير :

الاول : وقع الفراغ من انتساخه بعد عشاء يوم الاثنين 9 صفر عام 1200 هـ.

الثالث : عشية السبت 16 رجب عام 1200 هـ.

الرابع : يوم الاحد 19 ربيع النبوي عام 1202
مخطوط خاص

المواد اللسانية

32 ــ الخلوتي : ابراهيم بن محمد العيدوي الحسني (26)

أ ــ « اتحاف ذوي الاستحقاق ، ببعض مراد المرادي وزوائد أبي اسحاق » ، لابن غازي ، فرغ من انتساخه آخر النصف الاول من رمضان ، عام 1170 هـ.
م. م. 3497 .

ب ــ « ايضاح الاسرار والبدائع ، في شرح الدرر اللوامع ... » لابن المجراد عام 1197 هـ. م. م. 5411

ج ــ « الفاتيح المرزوقية لحل الاقفال واستخراج خبايا الخزرجية » لابن مرزوق الحفيد ، عام 1202 هـ.
م. م. 2058

د ــ « شرح الخلاصة » للمرادي ، من نسخة بخط أبي زيد المنجرة استاذ الناسخ ، الاحد آخر ذي القعدة 1168 هـ. م. م. 8576

33 ــ ابن ابراهيم : احمد بن أبي القاسم بن محمد الدكالي المشتراتي الفاسي .

كتب بخطه نسخة من القاموس «للفيروزابادي في مجلدين ، وفرغ من انتساخها في منتصف شعبان عام

---

(25) مخطوطة البدور الضاويه ، حيث ورد اسم المعني بالامر آخر تراجم الكتاب ، وقد كرر هذا العنصر اسم محمد في «ابا» المترجم اربع مرات ، خلاف لوارد في سلوة الانفاس ج. 2 ص. 100 .

(26) هو مؤلف شرح « المنظومة الدالية » في المراءات للمقراوي ، مخطوط م. م. 763 . وبنفس المكتبة توجد « اجازة » برسمه من جهة أبي زيد عبد الرحمن بن ادريس المنجرة الشريف الحسني ، م. م. 2209 ضمن مجموع .

وله ترجمة عند ابن ابراهيم في « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » ، ج. 1، ص 188 ــ 189 ، حيث يسميه بابراهيم السرغيني الخلوتي .

1203 هـ. ببسجلماسة ، وسلسل في ختامها أصولها واحدا فواحدا حتى الاصل الذى عليه خط المؤلف (27) .
م. م. 8148 .

34 ـ الفاسي : محمد بن عبد السلام بن محمد الفهري (28) ، المتوفى عام 1214 هـ. ـ 1799 م.

الاول من « القاموس المحيط » حتى نهاية حرف الطاء ، في سفر تحمل نهايته تاريخ ضحوة الاحد ، لتسع بقين من رجب عام 1173 هـ.

مع تذييله بـ « اضاءة الادموس . ورياضة النحموس من اصطلاح صاحب القاموس » ، لاحمد بن عبد العزيز الهلالي ، فرغ من كتابتها في فاتح شعبان من نفس العام : 1173 هـ.

وخطه فيهما ـ معا ـ محوهر محموج مليح ملون .
خ. ي. 3/49

السياسة

35 ـ التونسي : محمد الشهامي بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الغني القرشي الزبيري ، الاندلسي ثم الرباطي :

« الشهب اللامعة » لابن رضوان عام 1183 هـ.
م. م. 1103

مواد متنوعة

36 ـ معشيو : محمد بن عبد القادر بن العربي بن أحمد السلوى .

أ ـ « الشفا » للقاضي عياض ، فرغ منها ضحوة الثلاثاء 10 رمضان عام 1177 هـ. خ. ن. 398

ب ـ « العهود المحمدية » للشعراني ، ضحوة الاربعاء 7 جمادى الثانية عام 1201 هـ. برسم الباشا بوعز بن الباشا محمد القسطالي . خ. ن. 1346

37 ـ المصباحي : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن طيفور الحسني القصري .

أ ـ « التاج والاكليل » للمواق ، 20 رمضان عام 1182 هـ. م. م. 1140

ب ـ « المقامات الحريرية » ، 4 ربيع النبوي عام 1190 هـ. برسم ابن عمه عبد الله محمد بن الشيخ السيد الجيلاني المصباحي الحسني . م. م. 535

38 ـ البزور : محمد بن عبد الله التازى .

أ ـ « شرح الخلاصة » للمكودى : الخميس 2 شوال عام 1182 هـ. خ. ي. 6/54

ب ـ ارشاد الساري للقسطلاني ، نسخة تامة من ثمانية اسفار ، برسم الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله التوزمتي عام 1198 هـ. م. م. 3879

39 ـ التازى : محمد بن أحمد السلوى .

أ ـ تفسير الجلالين : الخميس 24 صفر عام 1196 هـ. م. م. 2732

ب ـ نسخة أخرى من التفسير ذاته ، عام 1196 هـ.
خ. ع. ك 410

ج ـ سنن المهتدى للمواق ، كتبه ـ على حد تعبيره ـ لاخيه في الله : الفقيه العدل الطيب ، بن العلامة محمد بن دحمان ، وفرغ منه يوم الاربعاء 4 ربيع الثاني عام 1198 هـ. م. م. 3575

40 ـ عديل : عبد العزيز بوجيدة بن عبد الخالق بن محمد الاندلسي ثم الفاسي ، وكان ـ حسب الكتاني (29) ـ من العدول المرزنين بفاس ، ذا خط حسن ، يقيم الهجاء ، ويضع الحروف على أحسن صورها ، نسخ بيده

(27) انظر هذه النسخة وكاتبها : محمد المنوني : « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوى » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 4 ، السنة 11 ، ص. 58 ـ 59 .
(28) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج. 2 ص. 318 ـ 319 .
(29) ابي المواهب جعفر بن ادريس الحسني « عند خاتمة كتابه : « الرياض الزيانية ... » ، خ. ع. ك 497 .

عدة كتب في غاية الاتقان ، والحسن والضبط والجودة والبيان ، وهذه ثلاثة من منتسخاته

أ ـ شرح الخلاصة للمرادي : الجزء الثاني ، برسم الشريف عبد الهادي بن عبد الواحد القادري الحسني ، بتاريخ زوال الثلاثاء 5 شعبان عام 1204 هـ.

م. م. 7203

ب ـ الفتح والتيسير ، على آيه التطهير لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني م. م. 4476

ج ـ غنيه الطالبين لطريق الحق ، للشيخ عبد القادر الكيلاني الحسني . م. م. ز 1004

41 ـ أخريف : عبد القادر بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحسني السلماني .

أ ـ شرح تحفة الحكام لمحمد بن احمد ميارة : ضحوة الثلاثاء 10 رجب عام 1200 هـ. نسخة خاصة

ب ـ شرح الشمائل الترمذية لجسوس : 3 ذى القعدة عام 1205 هـ. م. م. 552

42 ـ التاشفيني : محمد المختار بن عمر بن على بن مسعود بن عبد الرحمن الفاسي (30) ، المتوفى عام 1224 هـ. ـ 09 ـ 1810 م.

أ ـ شرح الحكم العطائيه لجسوس - الجزء الاخير: الخميس 13 جمادى الاولى عام 1194 هـ. م. م. 1208

ب ـ تيسير الوصول للشيباني : السفر الثاني : ظهر الثلاثاء 5 ربيع الثاني عام 1199 هـ. م. م. 6337

ج ـ شرح الهمزية البوصرية لبنيس ، عام 1205 هـ. خ. و 363

43 ـ ابنه محمد التاشفيني .

شرح العقائد النسفية لبدر الدين محمد بن الغرس الحنفي : السبت 25 ذى القعدة عام 1193 هـ.

م. م. 7575

ثانيا : نساخون مزخرفون

44 ـ الحلو : محمد ـ بفتح أوله ـ بن محمد المهدى بن احمد بن محمد المريني الفاسي .

أ ـ مجموعة تشتمل على الشمائل الترمذية ، فتأليف للسهيلي ـ عام 1175 هـ خ. ع. ح. 435

ب ـ الخامات الحريرية ، عام 1178 هـ. م. م. 1544 .

ج ـ الموطا للامام مالك ، عام 1185 هـ. م. م. 1781

د ـ نسخة اخرى من الموطا ، 20 جمادى الاولى عام 1186 هـ. برسم الطالب محمد المكي بن عبد الله بن المحجوب بن سالم الزموري م. م. 2661

هـ ـ الشفا للقاضي عياض ، منتصف جمادى الثانية عام 1187 هـ. م. م. 574

45 ابن الحرار : الفضل بن محمد الادريسي .

سفران من ذخيرة المحتاج : أحدهما برسم السيد عبد الخالق بن مؤلف الذخيرة : الشيخ المعطي الشرقي العمري . م. م. 7878

والآخر يحمل تاريخ 1184 هـ ، وبه رسوم متنوعة مزخرفة . م. م. 7251

46 ـ الحلو : عبد العزيز بن محمد بن محمد المهدى المريني الفاسي ، المتوفى عام 1233 هـ. ـ 1817 م.

وكان حسب ابنه عبد الرحمن (31) ـ ولوعا بانتساخ كتب الحديث ودلائل الخيرات للجزولي ، وكتب من خصوص صحيح البخارى عدة نسخ ، بينها اثنتان كتبهما بقلم واحد : احداهما في خمسة أجزاء ، والاخرى في مجلد واحد ، مع اتقان وبراعة في الخط ، ومهارة في صناعتي الزخرفة والتسفير ، ومن منتسخاته المزخرفة في هذا العصر وما قاربه :

(30) له ترجمة وجيزة في « سلوة الانفاس » ، ج- 3 ص. 355 .
(31) في كناشته .

أ ـ الموطأ ، بتاريخ الاثنين 14 رمضان عام 1187 هـ. م. م. 4095

ب ـ نسخة أخرى من نفس الكتاب عام 1188 م. م. 1903

ج ـ صحيح البخاري في مجلد : أوائل المحرم عام 1206 خ. ع. ج 695

47 ـ الحلو : محمد بن محمد ـ ضمنا فتحا بن محمد المهدي المريني الفاسي .

الموطأ ، عام 1206 هـ. خ. و 97

48 ـ الوانغلاوي : الحسن بن عبد القاهر بن محمد البدراسني ثم الفاسي .

كتب وزخرف بخطه منتسخات كثيرة ، ومنها ـ في هذا العصر ـ الدر المصون ، في علم الكتاب المكنون ، لاحمد بن يوسف الحلبي المشتهر بلقب السمين، وفرغ من الربع الاخير منه أواخر ربيع النبوي عام 1204 هـ. م. م. 5186

الوراقة في بلاط الامير علي بن السلطان محمد 3

ولم يعمر طويلا ، فتوفي ـ في حياة والده ـ عام 1187 هـ ـ 1773 م. (32) ويقول عنه الزياني (33) : «وكان له اعتناء كثير بنسخ كتب العلم الغريبة وكتب الادب » ، غير أن المعروف ـ لحد الآن من منتسخاته لا يتعدى كتابين اثنين ، يبلغ مجموعهما سبعة عشر بين سفر ومجلد :

أ ـ « اللباب من علوم الكتاب » : اسم تفسير القرآن الكريم لابن عادل الحنبلي : الموجود منه ثمانية اسفار من تجزئة 13 .

الاول : يبتدئ بتسجيل أمر الامير المنوه به بنسخ الكتاب الذي جاء في 13 سفرا ، ثم ذيل السفر ذاته بقصيدة تكرر ذكر الامر بكتابة هذا التفسير ، مع اسم ناسخ الاول منه : محمد الندرومي ، حيث فرغ منه عام

« شوقي صح » على طريق التاريخ الشعري ، بحساب الجمل بالترتيب المغربي : وهو عام 1184 هـ.

خ. و 792

الثاني والثالث : اخر عام 1183 هـ. ، وهما خاليان من اسم الناسخ . م. م. 8017

الرابع : عام 1183 هـ. خ. و. 793

الخامس : في نفس العام خ. و 794

السابع : العام ذاته ، وبآخره اشارة الى انه كتب باشراف خديم الامير العلوي: عمر بن الحاج محمد بن لعروصي الهلالي . خ. و 795

الثامن : بخط محمد بن عبد السلام بن محمد الوزير الفاسي ، سابق الذكر عند رقم 26 ، حيث فرغ منه صبح الجمعة 7 رمضان عام 1183 هـ. خ. و 796

الحادي عشر خ. و 797

ومن تواريخ هذه الاسفار ، نستنتج طابع السرعة في وراقة الامير العلوي ، حيث تمت كتابة أغلب الاجزاء في عام 1183 هـ. وقد تبينا ـ سلفا ـ نفس الظاهرة في وراقة والده السلطان محمد 3 .

ب ـ والآن نشير للمنتسخ الاميري الثاني ، وهو تفسير الفخر الرازي، في اربعة مجلدات ضخمة خالية من اسم الناسخ ، وختم اخرها بشعر يشتمل على الرمز ـ بحساب الجمل المغربي ـ الى تاريخ الفراغ من الكتابة: عام 1186 هـ. مع التصريح باسم الامير علي الذي وقع الانتساخ برسمه م. م. 2640

ومن هذا العرض نستخرج ثلاثة اسماء من الوراقين في بلاط الامير العلوي :

49 ـ محمد الندرومي كاتب السفر الاول من اللباب ، ويوجد بخطه ـ أيضا ـ الارباع الثلاثة الاولى من احياء الغزالي ، في ثلاثة اسفار كتبها بعد وفاة مخدومه ، حيث فرغ منها ضحوة السبت 24 رجب عام 1204 هـ. وهو يذكر اسمه هكذا : محمد عبد الكريم الندرومي . م. م. 7652

(32) انظر عن مصادر ومراجع ترجمته مجلة « دعوة الحق » : العدد 8 ، السنة 15 ، ص 84 .

(33) « البستان الظريف ... » خ. ع. د 1577 ص. 140 .

50 ــ عمر بن الحاج محمد بن العروصي الهلالي ، المشرف على كتابه السفر السابع من اللباب وهذا له ترجمة معروفة تضيف الى نسبة الهلالي : « المصباحي الدكالي » ، ثم الرباطي قاضيها أواخر القرن الهجري الثاني عشر في ظن المصدر المغني ، ثم كانت وفاته عام 1215 هـ. ــ 1800 م. (34) .

أ ــ ومن منتسخاته بعد وفاة مخدومه : « أوضح المسالك » لابن هشام ، بتاريخ الثلاثاء 22 رجب عام 1192 هـ. خ. ي. 3/54

ب ــ الفتوحات الالهية ، في أحاديث خير البرية للسلطان محمد 3 : في مخطوطة رائقة ، زينت طالعتها بترجمتين ملونتين مذهبتين ، في شكل يميل للشرقي زخرفة وكتابة ، وبتاخرها ترجمة مماثلة ، كتب بداخلها: أنه وقع الفراغ من انتساخ الكتاب في ضريح السبطين ؟ بالقاهرة ، بتاريخ اول ذي الحجة عام 1200 هـ. على يد ... عمر بن الحاج محمد بن (العروصي) الهلالي . م. م. 3303

وسيبقى ــ بعد هذا ــ الاسم الثالث من وراقي الامير العلوي ، وهو محمد بن عبد السلام الوزير الفساني، كتاب السفر التاسع من اللباب، وقد تبين ــ وشكا ــ انه سبق ذكره بمناسبة منتسخاته الاخرى عند رقم 26 .

والآن نذيل باثبات اللحقين اللذين تكررت الاحالة عليهما في هذه الدراسة ، واولهما : من السلطان محمد 3 الى الوراق علي الوافلاوي ونصها بعد الافتتاح :

« نامر الناسخ الزواق ، الفقيه السعد علي الفلاوي : أن يقدم كل يوم الى بيت مال المسلمين ، ويقعد مع تلك الصبيان « كذا » ويعلمهم الكتابة والتزويق والتجويل ، وأذنا للسيد محمد الشامي ناظر الاحباس : أن يدفع لك ــ كل شهر ــ خمسة عشر مثقالا من مال الاحباس ، ولا تغفل عنهم في التعليم ، والله ــ سبحانه وتعالى ــ يحفظ « كذا » ويرعاك .

ومما نامرك به أن تقف مع الامناء والنظار في امر الخزانة ، وتزمم كتبها ، وتنظر في الكتب الذين عم تمزقوا ، من غيرهم ، وتجتهد في تفريقهم على الطلبة لكي ينسخوتهم « كذا » ، وتجعل ذلك كله في كتاش وتبعث لنا ، والله يعينك ، والسلام ، عام 1202 » (35)

اللحق الثاني : رسالة من السلطان المذوه به ، الى كبير الزاوية الناصرية بتمكروت : الشيخ يوسف الناصري ، في موضوع كتابة نسخة من البيان والتحصيل لابن رشد ، برسم خزانة الزاوية المشار ليها ، ونص الرسالة بعد الافتتاح :

« ... محبنا في الله : السيد يوسف الناصري ، وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال ، وبلغنا واياكم المقصود والآمال ، سلام عليكم ورحمة الله وأتم البركات ، والتوفيق المصاحب لكم في الحركات والسكنات .

وبعد : فقد وافانا كتابكم ، وسرنا العذب خطابكم، واستروحنا كأنكم تستنجزون ما وعدناكم به من (البيان والتحصيل) ، اعلم ان ذلك منا على بال ، ووعدنا ــ والحمد لله ــ كالاخذ باليد لا تطرق ساحته اغفال ولا اهمال . وها نحن امرنا علماء فاس وقاضيها ، بنسخه من نسخة عتيقة حبسها بنو مرين على جامع القرويين ، ليس بها تصحيف ، ولا مسخ ولا تحريف، فكونوا على تشوف اليه عن قريب ان شاء الله ... وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ، عام 1177 هـ.»(36)

(34) الاغتباط ، بتراجم اعلام الرباط » .
(35) مجموعة طومباى .
(36) ضرب نطاق الحصار للعلامة الاديب محمد بن اليماني الناصري ، المطبعة الاهلية بالرباط ، ص. 47 ــ 48 ، مع النهضة العلمية لابن زيدان .

الأمير أبو عبد الله محمد العالم

للأستاذ سعيد أعراب

اذا ذكر العالم الاديب ، والملك الشاعر عبد الله ابن المعتز — بالمشرق ، ذكر معه بالمغرب ابن المعز الصنهاجي ، وابو الربيع الموحدي ، وابو عبد الله محمد العالم العلوي ، وما اكثر شبه هذا الاخير به ، فكلاهما عاش للعلم والادب ، وكلاهما خطبته الرئاسة ، وجاءته الامارة تجرر اذيالها فلم ينل منهما شيئا ، وكان كما قال القائل :

ما فيه سولا ولا ليت فينقصه
وانما ادركته حرفة الادب

واديبنا الامير محمد العالم — وهو الذي يسوق اليه هذا الحديث — كان متبحرا في علوم اللغة ، ماهرا في فنون شتى ، ولذا يلقب بالعالم .

اما الادب فبحر لا تكدره الدلاء ، ينفعل للشعر ، وتهزه أريحية الادب .

ولاه والده السلطان المولى اسماعيل — خليفة عنه — على سوس ، وكانت (تارودانت) مقر عمله ، وعاصمة خلافته ، وكان محبا للعلم ، مؤثرا لاهل الادب تأتيه وفود العلماء ، وأفواج الادباء ، من كل جهة ومكان ، فيكرمهم ، ويغدق عليهم العطايا ، وكانت له مجالس علمية ، عاطرة الشذى ، — ولا سيما في مواسم رمضان — يحضرها علية العلماء ، ونبهاء الفقهاء ، وكان يراسها بنفسه ، ويفتح باب المناقشة على مصراعيه ، فاذا احتدم الخلاف وتصارعت الآراء ، تدخل بلطف وحكمة ، وكانت الكلمة الاخيرة له ، فينفض المجلس عن نكت ولطائف ، دونها خرط القتاد !

وكانت له ندوات ادبية يساجل فيها الاحباء ، ويقارضهم الشعر ، فخلق بذلك — في اقطار سوس — حركة علمية ، ونهضة ادبية ، لم تعهد هذه البلاد مثلها من قبل ولا من بعد ، ويؤثر عنه انه كان يقول : « انني ما فرحت بالقيادة على سوس ، كما فرحت بوجود الادب والشعر فيها » .

وسنورد في هذه العجالة صورا من ندواته الادبية وانماطا من مساجلاته الشعرية ، وما كانت تطفح به من روح شاعرة ، ونقد هادف بناء ...

— كتب اليه اخوه المولى الشريف في صدر كتاب بعث به اليه ، ما خاطب به سيف الدولة بن حمدان ، اخاه ناصر الدولة :

رضيت لك العليا وان كنت اهلها
وقلق لهم بيني وبين اخي فرق

اما كنت ترضى ان اكون مصليا
اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

فاقترح على الشيخ المسناوي ان يجيبه عنه فقال :

بلى قد رضيت ان تكون مجليا
ويتلو نداكم في العلى من له السبق

وما لي لا ارضى لك المجد كله
وانت شقيق النفس — ان عرف الحق

ولكن ذوي الضغن انتحوا ذات بيننا
فغدرها افسادهم وبها رنق

— ومن شعره يخاطب شيخه أبا عبد الله القسمطيني — أيام خلافته بسوس ، ويتشوق الى فاس الفيحاء :

ألا ليت شعري هل أنزه ناظري
وللنفس اقبال بوادي الجواهر

أمتع طرفي في رياض أنيقة
واقطف أزهارا بها كالزواهر

بحيث ترى أسد العرين صريعة
وقد فتكت بها ظباء المقاصر

وحيث ترى غلب الحدائق سلسلت
حديثا صحيحا عن نسيم الازاهر

وقد نسجت كف النسيم عشية
دروع مياه بين تلك النواهر

وأصبحت الاطيار فوق غصونها
فصاحا تقص فوق خضر المنابر

سقى الله أدواحا بفاس عهدتها
تغازل أنواء الغيوث المواطر

ولا برحت عين تراها قريرة
وان قذفت بالقلب جمرة حائر

لك الله من الف بدرعة جسمه
وقلب بفاس في قدامة طائر

تراوحه الاشواق في كل ليلة
فما بين مزور هواه وزائر

ولو انه يعطي على قدر قدره
لكان له ما بين يسر وياسر

فمن مبلغ عني رسالة شيق
الى علم الاعلام صدر الاكابر

— * —

حنانيك هاض القلب سهم ابن مقلة
فأدمى فهل تروى حديث ابن جابر

عليك سلام الله ما هاج شيقا
بريق وما لاح الصباح لناظر

فأجابه الشيخ بقصيدة مطلعها :

خليلي عج بالركب من أم عامر
وعرج على كثبان نجد وحاجر

وكتب الى الوزير الاكبر ، ركن الدولة أبي العباس اليحمدي يشكره — وقد بلغه انه اثنى عليه عند والده المولى اسماعيل — :

« .. حيا الله — بمنه — ركن الدولة الاسماعيلية وسميرها ، ومنتقى هاتيك الحضرة ووزيرها ، مطلع أنوارها ، ومعدن أسرارها .. فقد أحسنت — أبا العباس — ولم يتقدم منا اليك احسان ، وقمت في نصرتنا مقاما لم يقم معك فيه انسان ، وقد أسديت — والله شكور ، واتجرت تجارة لن تكسد ولا تبور .. ومن قبل كنا بحقك جاهلين ، وعن قدرك ذاهلين ، والان تبين الحق ، وحصحص الصدق ، واتضح الكهام من الحسام ، والصيب من الجهام .. »

ومن ندواته الادبية ، ما يذكره صاحب كتاب (نزهة الالباب ، بذكريات الاحباب) (1) ، وان شئت سميته (نفحات الشباب) — كما يقول مؤلفه .

الندوة الاولى :

... حضر ثلاثة من الفقهاء جاءوا من قرى نائية ، للمشاركة في الدروس الرمضانية التي يرأسها خليفة السلطان محمد العالم ، — وهم : أبو عبد الله الزدوتي ، وأبو اسحاق السكتاني ، وأبو عبد الله الهلالي الايلاني ، فمثلوا بين يديه — والجمع حافل بالعلماء ورجال الفكر ، ومن عادته أن يختبر العلماء الجدد ، ولاسيما الذين تبدو عليهم سمة الادب ، وبعد أن سألهم عما درسوا ، وعن الشيوخ الذين أخذوا عنهم ، — فألفاهم جميعا من خريجي جامع القرويين بفاس — أنسهم ببعض أسئلة في اللغة والصرف ، منها وزن (المرايا) وأصلها ، فكانت أجوبتهم في غاية من الدقة ، وفي مستوى عال من الاحاطة والشمول ، ثم دخل معهم في شؤون الادب ، وكان أول سؤال وجهه اليهم : من قائل هذا البيت :

ان الاسود أسود الغاب همتها
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

1) مخطوطة نادرة مبتورة الاخير ، توجد بخزانة أستاذنا المرحوم محمد المختار السوسي ، وما أجدرها بالتحقيق !

فاجابوا — مبادرين ، متسمين من سؤاله عن ضروري — : ان قائله أبو تمام الطائي ، ومطلع القصيدة

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وقال له الهلالي الايلاني : ان شاء مولانا سردتها عليه كلها — مع ذكر حكاياتها ، وتاريخ المعتصم الذي قيلت له ، ثم اضرب عن ذلك وقال : من قائل هذا البيت:

واصرع اي الوحش قفيته به
واترك عنده مثله حين ارکب

فقال السكتاني : انه لاحمد بن الحسين المتنبي ، من قصيدة يقولها في كافور ، أولها :

اعالي فيك الشوق والشوق اغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

وان شاء سيدنا املیها عليه كلها ، واملیت على مسامعه الشريفة تاريخ كافور ، والمتنبي ، وكل القصائد التي قالها فيه — وهي معدودة ، حتى هجو ابنه التي شبهها بـ (الكركدن) ، قالوا وكان يرى الخليفة — وهو يهتز اهتزاز القصبة في يوم مريح ، لما سلسل عليه السكتاني ذلك كله بعبارة عربية فصيحة ، ثم قال : من القائل :

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

قال الزدوني — مبادرا قبل صاحبه ، لتصرف ايضا مكانته — : ان البيت لبشار بن برد الاعمى ، واحفظ مع البيت قطعة كبيرة ، فان شاء مولانا تلوته عليه مع نفع وفوائد لبشار ، خصوصا في عشيقاته وهو الذي يعشق بأذنه قبل عينه ، (2) ، فقال الخليفة : لله درك ! فانني كنت احسب انك تقول : انني حفظت القصيدة كلها ، مع انني ما رأيتها كلها في كتب الادب التي طالعتها (3) ، وحيث قلت ما قلت ، فان ذلك يدل على صدقك ، ثم قال من الذي يقول :

وقموا لنا الدنيا وهم يرضعونها
افاويق حتى ما يدر لها ثعل

قال فسكتنا — لاننا لم نسمع بالبيت قبل ذلك الوقت ، وجعل بعضنا ينظر الى بعض ، ثم قال السكتاني يا مولانا ، لنا الفضل في ان يكون هذا اول ما تستفيده من حضرتك العلامة ، فاننا لسنا بمكاثرين ، ولا بمفاخرين ، فما علمناه نبغضل سيدنا السابق الينا قبل المثول بين يديه ، وما جهلناه — وهو كثير من قل — فلنا الفخر العظيم ان نكون فيه تلاميذ لسيدنا ، فقال : له دركم ! فانني عمدت الى ما ليس للشعراء المشاهير ، لانظر هل يقولون لا ندري فيما لا تدرون ، ام تعرفون بما لا تعرفون ومن تمام عقل الرجل في علمه ، ان لا يتبجح بما لا يعلمه ، وان لا يستنكف عن قوله لا أدري فيما لا يدري ، ثم قال ان البيت لابي سلول ، وهو شاعر مقل في التابعين ، وقبل البيت :

اذا انتصبوا للقول قالوا فاحسنوا
ولكن حسن القول خالفه الفعل

ثم قال : انني مبتهج بكم كثيرا ، فقد سمعنا من كثير من علماء هذه البلاد ، انهم لا يستحضرون التاريخ والادب — كما هو ، مع ان لهم يدا طولى في اللغة ، وما الادب الا ابن اللغة — ان صادفت فطنة سليمة ، وقريحة سيالة ، ثم قال لهم : كيف نسجكم في الشعر ؟ فقال السكتاني : اننا — يا سيدي في ذلك — كما قال بعض من قبلنا : ما يعجبنا منه لا يأتينا ، وما يأتينا لا يعجبنا ، وما واحد منا الا كان له بعض الشيء ، ثم أطرق الخليفة لحظة ، ثم رفع راسه وقال : اجيزوا هذا البيت متتابعين بيتي كل واحد على ما قبله — :

خليلي سبق السيف العذل
حتو اذني صمم عمن عذل

فكروا كلهم ، فاذا بالسكتاني — وكان ابده الجماعة — قال :

مضى الامر فاصحت لقى
بلحاظ لا بيض وأسل

---

2) يشير الى قول بشار : (والاذن تعشق قبل العين احيانا) .
3) وقد طبع الشيخ الطاهر بن عاشور بتونس ديوان بشار ، أو على الاصح ما وجد منه ، وبه القصيدة كاملة .

فكاد الخليفة يهتك وقاره — استحسانا للبيت ! وبعد لحظة قال الزدوني :

من يكن يشكو جراحات الظبـــا
فانـا اشكـو جراحـات المقـل

فانبض الخليفة — ولم يملك أن مد يده بالمصافحة فاهوى اليها الزدوني — مقبلا ، فقال له ، ما اعجب ما نكنه جبال سوس من بلغاء عظام ! ثم انتظر ما يقولـه الآخر ، فبعد لحظة قال الهلالي :

فليزرتـني ليسرى كيـف الهـوى
من يرى أن الهـوى امـر جلـل

فقال الخليفة : لا فض فوك ايها الاخير ، فقد كنت احسبك انك تتأخر عن حلبتك ، فاذا بك بينها بلا تقدم ولا تأخر ، ثم قال لهم ها أنتم جئتم الى ، ولابد لكل قادم من تحفة ، وتحفة الاديب قصيدة يقدمها أمامه ، فهل صنعتم شيئا ؟ فقالوا لم نصنع شيئا ، لاننا ما كنا نحسبك — يا مولانا — في مثل هذا المقام العالي في الادب ، وكنا نعهد الى سوس ، من لا يرفعون للادب راسا ، أو يسوون بين الشعور والشاعر ، ولذلك طلقنا الادب في جانب الفقهاء ، واخترطنا في المفتين والعدول ، ولم نقدم على حضرة سيدنا الا بصفة فقهاء !

ولكن حين بدا لنا ما بدا ، فابلعنا — سيدنا — الريق ، حتى نقدم ما تيسر غدا أو بعد غد ، وكان الذي يتولى الكلام السكتاني ، لانه أسن القوم ، واجراهم واشجعهم ، واكثرهم مخالطة للعمال ، ثم قال لهم : اننا سنوصي على منزل يفرغ لكم تنزلون فيه ، ومؤونتكم تاتيكم في كل وقت ، مع لزومكم لبابه ، ولمجالس البخاري — دائما

ثم افرغ على كل واحد كسوة تامة ، امرهم ان يلبسوها ثم يرجعون اليه ، قال السكتاني : فخامرني حياء عظيم من هذا الاعتناء ، فقلت في نفسي لابد من بيتين تذين ، الان ارتجلهما — وانا البس الكسوة اقدمهما له ، فكان هذا ما فتح :

ما الموج في ازبادها ما السحب في
امطارها ما الريح في اعصارهـا !

اندى ولا اسخى مما ضمتـه يمن
راحات مولانا لمدى ايثارهـا !

فانشدتهما له ، فقال : هذا ابن ساعته ! فقلت نعم يا مولانا ، نفحة من نفحات الحلة العطرة ، فتناول كتاشه فكتبهما بيده . ثم أومأ الينا الحاجب الواقف مع العبيد ، فخرجنا ...

— ❊ —

... انفرد كل واحد من الادباء الثلاثة — بعد صلاة التراويح — تلك الليلة — لينشيء قصيدة ، وتواصوا على ان لا تتجاوز القصيدة خمسة وعشرين بيتا ، لان الاكثار قلما تجيء معه الاجادة ، كما تواصوا على ان لا يجعلوا في القصائد نسيبا ، وان تكون كلها مدحا ، وعند السحور جعل كل واحد يلقي ما صنع ، وبعضهم ينتقد بعضا ، فيتجادلون — وربما احتدم النقاش بينهم — حتى يتفقوا على ما يتركون عليه المنتقد اخيرا ، لانهم يعرفون ان الخليفة ناقد بصير !

ومن الغد قدموا على مجلس الخليفة ، وكان موضوع الدرس ذلك اليوم ، حديث من كتاب الصيام للبخاري ، فوزعت عليهم النسخ ، وكان الذي يتولى التدريس بين يدي الخليفة ، احد العلماء الذين جاءوا معه من مكناس ، ويتولى السرد جماعة مناوبة ، واحيانا يسرد ابو عبد الله الفاسي المسارد الدائم للخليفة ، وكان الخليفة هو الذي يثير المناقشات ، ويجيب عن كل سؤال او اشكال يطرح في الموضوع ، وكان لهيبته قلما يقدم على ذلك الا علماء مكناس ، وابو عبد الله المستاوي الذي قدم على حضرته بهذه المناسبة ، ولم يشارك احد من الضيوف الثلاثة — هذه المرة — في المناقشة — ولكل قادم دهشة ، فعاتبهم الخليفة ، ولكن ابا اسحاق السكتاني كان بعد ذلك لا يترك شيئا ، مما جعله في مقدمة الشيوخ عند الخليفة ، ويحظى لديه بكل اعتبار وتقدير ، وبعد انتهاء الدرس ، اشار اليهم الخليفة هل ظلتم شيئا من الشعر ؟ فقالوا نعم ، فناولوه ما كتبوا ، فتأمله قليلا ثم اعاده اليهم ، وقال : ليقرأ كل واحد منكم قصيدته قائما ، قال السكتاني : فسبقت انا وانشدته :

(ردانة) في بشر وحق لها البشـــر
فمن افقها من عليائها اشرق البـدر

يهنيء بعض الناس بعضهم بـــه
وترقص بالافراح في خدرها البكـــر

تحشى الجمادات انتشت بوروده
كان قد غدا من بين اشخاصها فكـر

فهذى الرياض المونقات تمايلت
بمقدم مولانا فمائلها الخضر

وتلك الجبال الشامخات وهذى الـ
ـسنابل قد عنا معاملها الوعر

قد ارتج سوس كله يوم اقبلت
كتائبه يقادها العز والنصر

حظينا بخير الناس علما وحكمة
ورايا سديدا حين يشتبه الامر

وافضل اولاد الامام ومن غدا
يتيمنهم فى عقدهم وهم الدر

وافضل خريت العلوم وكل ما
يسوده فى ظهر مهرته الحبر

— * —

باى لسان او باية لهجة
يقام بها حمد الخليفة والشكر

فانعم مولانا على (سوس) كلها
بطلعته لالا يحيط بها الحصر

قال السكناني : وحين وصلت هذا البيت :

حظينا بخير الناس علما وحكمة
ورايا سديدا حين يشه الامر

تهلل وجهه فالتفت الى من عن يمينه من علماء (مكناسة) — مبتسما ، وحين وصلت الابيات التي فيها وصف ثباته فى الحرب ، رايته تحرك فوق سريره ، وتحمل كثيرا حتى لا يخرج عن وقاره امام العلماء الشيوخ ، قال السكناني : وحين ختمتها قال لي : لله درك من عربي مبين !

ثم وقف الزدوقي فانشد واعاد ، وكان رقيق الصوت ، جميل الالتاء ، ومما جاء فى قصيدته قوله :

ثناؤك فى الافواه احلى من الشهد
وخلقك للجالس انكى من الورد

يزين فلق الشعر ذكرك مثل ما
تزين مسك الصدغ سالفة الخد

بهرت كمالا وانفردت محاسنا
مكنت تريد الشعر فى كامل المجد

فما انت الا اية فى مزاياك ان
تجل فى الوغى او فى المعارف او تسدى

تحدثت الركبان عنك فمسا رأوا
وما لم يروه منك اعظمها عندى

معارف تطمو من لسان كانه
لسان اخى ذبيان او لهجة اجعدى

يحاورنا حتى طفى البحر فوقنا
فاغرقنا حتى الغدائر بالبد

مثلنا لديه خاشعين لهيبته
تدوب بها حتى الضواري من الاسد

فجاذبنا الاداب يسير غورنا
واين من السادات معرفة العبد

كان جميع الشعر تحت عيونه
فيترك من قصد وينشد عن قصد

الى ان يقول :

نعمذك يا مولانا ان تحصب اللقا
عظيما وذر النمل فى الوهد كالطرود

فكل اماتينا رضاك فاهله
يحلون فى الفردوس او جنة الخلد

قال الراوي : فلما وصل فى انشاده الى قوله :

فجاذبنا الاداب يسير غورنا
واين من السادات معرفة العبد

رايناه مطرقا — وكانه تواضع لله لما جعل سيدا وغيره عبدا ، وعندما قال :

كان جميع الشعر عند عيونه
فيترك من قصد وينشد عن قصد

التفت الخليفة الى المكناسيين — مبتسما ، وحين وصل قوله :

فكل أمانيا رضـــاك وأهلـــه
يحلون في الفردوس أو جنة الخلـــد

قال : تخلب جميعا رضى الله الاكبر ، ثم قـــال للزودتي — صاحب القصيدة — : أيتم أيها السوسيون الكرام ، الا التواضع ، وذلك من مكارم الاخلاق .

ثم جاء دور الهلالي — وربما كان اصغرهم سنا ، فأنشد قصيدته التي يقول فيها :

سعد الزمان وطابـــت الايـــام
لما بدت من جيشـك الاعـــلام

فالدهر عيـــد كلـــه ومســـرة
وتعانـق وتحيـــة وســـلام

فكأن رغد العيش حين حللـت يـــا
خير الخلائق عندنـــا احـــلام

همعت علينا الغاديـات بغيثهـــا
لما انجلت عن كفـــك الاكمـــام

من صافحته يمين مولانـا فقـــد
أعطتـــه اوثق عهدهـــا الايـــام

— * —

هذي علومك للـرواة وهـــذه
بيض السكور لمـن هـم ظـــلام

أين الرواة فهذا مرامهـم بـل ابـــ
ـــن الظالمون فذلـك الصمصـــام

هل جئت مولانا بجيشـك قائـــدا
في جانبيك حمائـــل وحســـام

أم جئتنـــا للدرس والتعليـــم في
امهاتـــك الصفحـــات والاقـــلام

فلتزهون (ردانة) القـــراء اذ
اضحى لها مقامـك الاعظـــام

ولتغبطنها (فاس ودالخضراء ، والـــ
ـــاقطار حتى (مصرها) و (الشام)

فلقد أتمت السوق حافلـة بهـــا
تتثاب حضرة علمك الاعـــلام

غيرى جميعهـم علومهـــم علـى
أنواعهـــا يطـــو بهـــا عـــلام

للنحويين خليلهـم ، للفقهيـــين
ـــن خليلهم لذوى الحجـا النظـــام

ويزيدهم فهـم الجيوب ومـن يفـد
فهـم الجيوب فانـــه الفهـــام

والكـل يشكر كيسـه وصمـــره
شكر تباكـم دونـــه الافهـــام

قال الهلالي : فبمجرد الافتتاح ، جعل الخليفـــة يبتسم ، ويكرر الانظار الى المكناسيين مرارا ، الى ان تمت القصيدة فقال : جزيتم خيرا ، وما أنا الا واحد من العلماء ، وأرجو الله أن أحشر بينهم ، ثم أعلن الدعاء .

وبعد استراحة عاد الخليفة ، وما ان استـــوى المجلس ، حتى نودى على الابناء الثلاثة : ليقرأ كـــل واحد منكم قصيدته ، وهنا بادر الخليفة فقال : ان دأبي — دائما — أن انتقد من استجيد اقوالهم ، وهذا فلان — يشير الى بعض المكناسيين — يعرف ذلك .

قال السكتاني : ثم قال لي : اقرأ قصيدتـــك ، فأنشدته ، فلما وصلت البيت الثاني :

يخفيء بعض الناس بعضهم بـــه
وترقص بالافراح في المخدع البكـــر

وكان البيت هكذا في الاصل ، قال الخليفـــة : ان المخدع — هنا — ينبغي أن يبدل ، ثم قال : أما يصلح هكذا :

(وترقص بالافراح في خدرها البكر) ؛ فقلنا له : ان البيت استتم ما ينقصه ، ثم انتقد في البيت الثالث لفظة : (أشخاصها) وقال : انها نابية ، ولكن لم يوجد ما تبدل به فبقيت ثم زدنا قدما الى أن وصلنا هذا البيت :

(وقد قام ميزان الهزيمة فانتفـــى
عن الوالد الحافي ابنه المستحي البر)

فقال : ان هذا الابن — هنا — ينقصه ان يوصف بالشجاعة ، والا فالحياء والبر — وحدهما — لا يمنعان الجبان من الهروب ، ولكن أبقى البيت على ذلك ، ولـم يهتد الجالسون لاصلاحه ، وبعد ما انتهت القصيدة ، قال الخليفة : أحاجيكم ما هو الاصل في هذا المعنى الذى في آخر هذه القصيدة — وقد وصفه وصفا دقيقا ! فقـــال

الزدوني فقال : انه المتنبي في بيتيه المعلومة التي يقول فيها لسيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

الى آخر المقصود من تلك القصيدة. فقال الخليفة: لله درك ! فهذا ما أريد ؛ ولكن ابشر اديبنا اسكتاني في انه اخذه اخذا حسنا ، وذلك الوصف مما جعل للقصيدة مزية عظيمة — في نظري .

ثم انشد الزدوني قصيدته — الى البيت الثاني ، فانتقد لفظة (الخال) فقال : ان الاولى ان تكون الصدغ والبيت — في أصله — هكذا :

يزين فلق الشعر ذكرك مثل ما
يزين مسك الخال سالفة الخد

فقال : لو ذكرت صفحة الخد ، لكان الخال مواضعا ولكن حين ذكرت (السالفة) وهي موضع الصدغ ، كان الصدغ اولى ، ولما وصل قوله :

معارف تطمو من لسان كتبه
لسان اخي ذبيان او لبجة الجعدي

قال الخليفة : ما يضير لكم في مقابلة النابغتين : الذبياني والجعدي في الفصاحة اللغوية — وهي المقصود بقول الشاعر ؟ فسكتنا ، قال : ان في قلبي من ذلك شيئا تأملوا في ذلك بعد الان ، ثم مد في القصيدة ذكر الاسئلة ، الا اننا توقفنا عن الجواب اخيرا ، فالتفت الخليفة الى المكناسيين ، فقال : لا يمكن ان يقر احد من اهل الحضر بعجزه ، كما اقر هؤلاء — وهم يرون اقرارهم شرفا ، واهل الحضر يرونه عارا ، — وشتان ما بين اخلاق الناس .

ولما وصل قوله :

تهنيك يا مولانا ان تحسب اللقا
عظيما ، وذر النمل في الوهد كالطود

قال له الخليفة : الم تكن تحفظ قصيدة المتنبي التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم .. ؟ قال نعم ، قال : اذن نظرت في بيتك هذا الى قوله :

اعيدها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكان الزدوني استعدا ، فقال له لحاجبه : لا أدري ، فقد تركت المتنبي وورمه ، ومللت الى عطية اللقاء ، وعظمة الطود ، أما أنا فلا اسمي هذا سرقة ، وان كان هذا ، واشار الى مكناسي — يسمي كل شيء مثل هذا سرقة ، وذلك — عندي — غلط ، والبيت حسن ملائم للقصيدة ، كما ان بيت المتنبي ملائم لقصيدته ، ثم قال الخليفة : ان الكتب التي يتشكى من قلتها اهل البادية قد حمل قدمتها اهل المدن الموجودة عندهم ، فعندنا في مكناس خزانة عظيمة ، لا ارى من يطالع فيها الا قليلا ، ثم قال الزدوني لمجلسه : بحمراء الحلفة حسبا !

ثم انشد الهلالي ، فلما اتم حتى قال له الخليفة : ان هذا يشبه حضرمي لا بدوي ، كأنك سرقت هذا من ناس ، وقد اعجبت ببذين البيتين

والدهر عبد كله ومسخره
ومعانق وتحيته وسلام

مثل رشد العين حين حداه به
خبر الخلائق عندنا احلام

ثم قال : ان البيتين جيدان محكمان — وان كان معناهما غير منكر ، فان الثاني يتنظر الى قول الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون واهلها
فكأنها وكأنهم احلام

ولكن ذلك معنى ، وهذا معنى آخر في محله ، كما انه يوجد معناه في خطبة (الفلائد) للاندلسي — حين مدح والدته تحية وسلام .. لكن البيت مع ذلك محكم حسن ، وقد زاده انسجامه لطاعة ، ثم استحسن ايضا هذا البيت :

من صافحته يمين مولانا فقد
اعطاه اوثق عهدها الابسام

قال : يمثل هذا البيت يتكلم الشعراء المتقدمين عند خلفاء بني العباس ، ثم استوقفته ايضا هذه الابيات :

هل جئت مولانا بجيشك قاصدا
في جنابك حامل وحسام

أم جئتنا للدرس والتعليم في
ايمانك الصفحات والاقلام

أم انت نعمة ربنا المهداة قد
بها كل ما تحتقبه الانعام

فقال : ان مجموع الابيات في غاية الحسن والجودة ، — وان كان الاولى ان تكون كلمة اخرى في مكان (الصفحات) — ان تيسرت ، والا فهذه ايضا لا بأس بها ، ثم انتقد المكناسي لفظة (يحتقبه) ، فقال له الخليفة : انما فيها الحذف والايصال ، وهكذا ذلك مقبول ، خصوصا في معنى مطرد في أبيات — كما هنا — فان الكلمة مغفورة لا تستحق الانتقاد ، ثم قال له : قد يسلم لك السوسيون ذوقا ، واما العربية والنحو ، فهم — في بلادهم — احسن اليوم من غيرهم — كما رأيته ، الا ما كان في الحواضر ، فانها متقدمة على غيرها .

ولما وصل قوله :

النحويين خليلهم للفقيهين
ـن خليلهم لذوي الحجا النظام

قال : ان البيت — وان كان فيه الجناس بالخليلين ، ليظهر لي فيه انتقاد وجيه في عدم ايصال في جملة « للفقيهين خليلهم » والمقام مقام الوصل ، لا الفصل ، وكذلك (لذوي الحجا النظام) .

ففي هذه الجملة الاخيرة انتقاد ثان ، فان المقصود ان يقول الشاعر : ان مثل النظام النظار لاصحاب المناظرة ، ولكنه تنكب ذلك الى قول (لذوي الحجا) — وهل يسلم النحويون والفقهاء — انهم بغير حجا تام ؟ ثم قال لنا : ما يظهر لكم ؟ فوافقناه على ذلك .

ثم أعجبه قوله :

ويزيدهم فهم الجيوب ومن يفد
فهم الجيوب فانه (1) الفهام (2)

فقال انه معنى حسن ، مبني على المشاكلة — بعد ذكر فهم العلوم — غير انني احب ان يعرف (فهام) — بالالف واللام ليفيد الحصر المدعى ، — وقد كان الشاعر قال (فانه فهم) — هكذا — بالتنكير ثم سألنا عن ذلك فوافقناه .

ثم أتم الهلالي قصيدته ، فالتفت الخليفة الى المكناسي وقال له : ما ظهر لك من أدباء (تارودانت) ؟ فقال له : انك في اليوم مدحت بشعر حسن ، واما ما يجيئك به الفقهاء ، فانا استحيي لهم — حيث لا يستحيون لانفسهم ! فقال الخليفة : ان الادب لا ينال ذوقه الا بفطرة سليمة ، لا بكثرة العلوم ، ثم ذكر حكاية مضحكة عن بعض فقهاء (فاس) مدحه بقصيدة غير موزونة ، ثم قال له : ان نقصها — يا سيدي — شيء ، فزده لها ، قال فاقصيت .

ويذكر الراوي انه عندما اذن العصر ، ذهب الخليفة الى مسجده ، وفي الحين ، جاء صاحبه يدعو الشعراء الثلاثة ويقول لهم : ان الخليفة يقول لكم : ليكتب كل واحد منكم حاجته ، فطلبوا منه — أولا التحرير لقراهم ، كل واحد لقريته ، ثم نفذ لهم حبوا ، ودراهم ، وظهار التحرير .

اديب رابع :

وعلى الاثر التحق بهم اديب رابع ، وهو ابو عبد الله محمد بن احمد الرسموكي ، ذكر المكناسي للخليفة وقال له : ان ها هنا اديبا كبيرا ، وابوه ايضا اديب كبير ، فأمر باحضاره فمثل بين يديه فامتحنه فوجده كبير القدر ، حافظ لاشعار العرب ، وربما كان احفظ من الآخرين .

ولنذكر هنا المساجلة التي جرت بينه وبين الخليفة ، وقد دخل عليه — وهو جالس في متنزه يشرف على بستان فيه اشجار ، وحولها كوم رمل — فقال له : أجز :

اختيال الغصون في الاحقاف

هذا البيت ، ويرددونه بينهم ، حتى صار مثلا عندهم .

---

1) في الاصل (فانهم) — ولعل الصواب ما اثبته
2) يقال ان اهل دكالة لا يزالون يستحسنون

فقال : كاختيال القدود فى الاردافه .

فاعجب به الخليفة ، لانه اجاب بديهة من غير تأمل ، ثم أشار الخليفة الى أغصان — وقد مالت نحو ازهار ، فقال — بانيا على ما تقدم :

مائلات الى الزهور كماما ؟

فسكت الخليفة فى نصف الكلمة ، فقال الرسموكى :

لـت قدود الحسان عند اقتطاف

فلم يملك الخليفة أن قال لمكانى من اهله : هكذا تكون القرائح والافكار المتقدة !

ثم اراد أن يستزيد فى سرعة فكرته وضوحا فقال له : أجز — وهو يشير الى حصاد بمنجل فى السنبل يضربه فيبدده عمدا ليلتقطه كبش معه — :

فكأن منجله اذا ما بددا

فقال الرسموكى :

سيف الخليفة حين يفتك بالعدا

ثم قال الخليفة — وقد أشار الى صقر انقض على حمامه فى البستان :

فكأن ذاك الصقر اذ
ينقض فوق الحمامه

فقال الرسموكى :

طرف الخليفة حين يهـ
ـوى للعدو يثنى هامه

فازداد عجب الخليفة وقال له : لقد أعدت (1) عصر ابن عطية ، فقال الرسموكى : كما أعاد سيدنا عصر عبد المومن بن على ، فكان امتحانا آخر عرف به الخليفة انه عارف لقضيهما المشهورة .

وقد اجازه الخليفة بظهير احرام قربته ، وبكسوة وجوب ودراهم ، كما اجاز زملاءه الآخرين ، ثم صاروا جميعا يحضرون مجلس الخليفة كل نهار ، وبعد اداء مراسم العيد ، خرج الخليفة لتوديع العلماء ، ومن بينهم اديباتنا الاربعة ، — وقد أغرق عليهم العطايا ، واثقل كاهلهم ببره واحسانه .

---

1) فى الاصل : (اعددت) ولعله تصحيف .

النفحات الزكية في الاخبار المغربية

قام الاستاذ زين العابدين الكتاني في نطاق البحث الذي يواصله في موضوع (الصحافة المغربية) برحلة تنقيب جديدة الى عـــدد من الدول العربية وخاصة مصر وتونس .

وفي هذا النطاق فقد عثر بمجموعات المكتبة الوطنية التونسية على اشياء مهمة من ذلك انه عثر بالخصوص بجريدة (الحاضـــرة) في عـــدد رقم : 33 الصادر يوم الثلاثاء 17 رجب 1306 الموافق لـ : 19 مارس 1889 وبالصفحة الثالثة انه صدرت بالمغرب جريدة مغربية باسم : (النفحـات الزكية في الاخبار المغربية) .

والسؤال المطروح الآن هـــو :

أيـــن هـــي هـــذه الصحيفـــــة ؟

نضال المغرب الدبلوماسي
من أجل مركز للصيد

للدكتور ابراهيم حركات

بالرغم من أن الصحراء المغربية تعد منطلقا لاحداث جسام في تاريخ المغرب وتطوره فالدراسات الجادة والهادفة حولها لا تزال ضئيلة محدودة جلها كتابات عابرة تصف سفرا او اتصالات بهذه البيئة او تلك ، من البيئات القبلية التي تعمر هذه المنطقة الشاسعة . فجل الدراسات اذا كتبها اجانب اغلبهم له ارتباط او هدف سياسي .

وان الذي يعود الى الوثائق التي لم يسبق نشرها حول المناطق الصحراوية والتي تعد فريدة في اهميتها ومحتواها ليعجب من هذا التشبث المستمر بحق المغرب في ترابه المغتصب والذي يبرز جليا من ثنايا هذه الوثائق التي يطلع عليها القارىء الكريم في هذه الدراسة ، فلم يكن دفاع المغرب عن مراكزه النائية وليد الساعة ولا الصدفة ولا المصلحة ، وانما هو دفاع يوضع في نفس مستوى الدفاع عن أي مدينة داخلية كفاس او الرباط او الدار البيضاء ، أي ان هناك اطارا جغرافيا لهذه البلاد لا ينتهي الا حيث تبدأ شخصية جغرافية اخرى بكل مقوماتها الوطنية والتاريخية .

على ان المراكز الساحلية المغربية تعتبر أول حلقة في سلسلة الفتوحات التي قام بها كل من البرتغال والاسبان عبر السواحل العالمية .

وبالرجوع الى احداث التاريخ نجد أول محاولة للتدخل في التراب المغربي من قبل الدولتين تبتدىء من عهد المرينيين ، وبالذات من عهد يعقوب المنصور المريني حيث حاولت مجموعة من الاسبان الذين رست مراكبهم بصورة مفاجئة بميناء سلا ، ثم اتفقوا مع بعض التجار المسيحيين المتوطنين في عين المكان على الانقضاض على المسلمين وهم يؤدون صلاة الجمعه في المسجد الجامع ، لكن لحسن الحظ تم احباط المكيدة على الفور .

ولما كانت سبتة أول مدينة تتجه اليها عادة اطماع الغزاة من الخارج ، بالاضافة الى انها أقرب مركز مغربي الى التراب الايبيري فقد استغل البرتغال الفرصة للاستيلاء عليها سنة 818 / 1415 في الوقت الذي كانت الدولة المرينية قد اصبحت تعاني من الضعف والازمات ما منع بني مرين من رد الهجوم البرتغالي عليها .

واستولى البرتغال بالتوالي على عدد من المراكز الساحلية الاخرى ومنها :

— قصر الجواز (القصر الصغير) سنة 1458 م

— آنفا 1468 .

— اصيلا 1471

— اكادير 1505

— آسفي 1508

— آزمـــور 1513

البريجـــة (الجديدة) 1514

— حلق الوادي (المعمورة او المهدية) 1515

ولم يكن الاحتلال البرتغالـــي ولا الاسبانـــي للشواطىء المغربية ليمر دون رد فعل شديد وصادر من السلطة المركزية الممثلة في الوطاسيين والمقاومة الشعبية التي تولى كبرها جماعـــة من الصلحـــاء والصوفية وسائر الاطراف الوطنية ، وكل هـــذا في الوقت الذي كان المغرب يعانـــي فيه من التمـــزق والتفكك السياسي ما زاد من طمع الاسبان والبرتغال فيه ، وتدل الفترة الطويلة التي قضاهـــا التدخـــل المزدوج المذكور ، على مدى اهمية الكفـــاح الذي خاضه المغرب من أجل الدفاع عن ترابه جزءا جزءا.

ولن نعالج هنا مراحل المقاومة المغربيـــة على الصعيد الرسمي والشعبي لهذا التمركز المتسلسل، لان ذلك يحتاج الى حيز اضخم من هذه الدراســـة التي تركزها فقط حول نقطة معينة كثر حولها الخلاف بين اسبانيا والمغرب وتردد الرســـل طويـــلا مـــن الجانبين بشانها واثارت مع هذا كبير اهتمـــام في دوائر الحكومتين المتنازعتين الى سنـــة 1934 . ويتعلق الامر بمركز ساحلي للصيد ادعت اســـبانيا ملكيته وحدث خلاف طويل الامد حول اسمه ومكانه بالضبط . وكان الاسبان والبرتغال قد احتلوا هـــذا المركز وبنوا به برجا سنة 1476 وبقـــي الى 1524 حين استعاد السعديون المنطقة ، لكن البرج اختفى بعد ذلك ولم يعثر على مكانه ، وكان على شاطىء وادي نون ، او قرب أكادير حسب ادعـــاءات الســـلطة الاسبانية احيانا .

المعـــاهـــــدات :

في عهد محمد الثالث عقدت معاهدة بين المغرب واسبانيا بتاريخ 28 مايو 1767 وهي تتعلق بالامـــن والعلاقات التجارية ، وبموجبها يتنـــازل المغـــرب لاسبانيا عن حق الصيد في المياه الاقليمية ابتداء من « سانتا كروز » شمالا . وفي عهد مولاي سليمـــان جددت هذه المعاهدة سنة 1799 ، لكن لا يوجد في المعاهدتين ما ينص على تنازل ترابي . وفي عهـــد محمد الرابع انتزعت اسبانيا من المغرب بنـــاء على اتفاقية تطوان 1860 حق الحصول على مركز للصيد بما يسمى « لا سانتا كروز لا بيكينيا » على ان يقـــوم الطرفان بتحديد المنطقة بواسطة ممثليهما .

وكان الاسبان قد بنوا في وقت سابق ، بناء على المعاهدات الماضية مركزا في « لاسانتـــا كروز » المذكورة ، وكانت بريطانيا تخشى ان تضع اســـبانيا اقدامها في اكادير فبؤدي ذلك الى تغلغلها في التراب المغربي شيئا فشيئا ، حتى طلبت رسميا على لســـان سفيرها بمدريد ان يتم التاكيد من طرف الدولـــة المغربية على ان الامر لا يتعدى مطلقا باكادير . كما ان السر « هـــاي » الذي ينظاهر بالصداقة للحكومـــة المغربية انهم الاسبان بانهم حاولوا ان يحدثوا الخلط بين « سانتا كروز لا بيكينيا » وسانتا كروز اكاديـــر (اي اكادير كما كان يسميها البرتغال) ، ذلـــك ان عدة مراكز شاطئية بالجنوب حملت اسم «سانتا كروز»

وهكذا اصبحت نوايا الاسبان لا ان يحصلوا على مجرد مركز بسيط للصيد ، بـــل :

1) ان يكون المركز تجاريـــا وفي ذلك تضـــرب بالاقتصاد الوطني

2) ان يكون استراتيجيا يسمح بتحويله الى ميناء عسكري حقيقي

3) ان يكون قريبا اكثر ما يمكن من منطقة الصحراء شمالا لاعداد خطة للتغلغل العسكري .

لكن الحكومة المغربية امام ضغط الاحـــداث ، وامام التكالب على ثروات المغرب وترابه من قبـــل عدد من الدول الطامعة بما فيها اسبانيا ، لم تر بدا من الاستناد بشكل مستمر الى الوسائل الدبلوماسية سواء في علاقاتها الثنائية مع اسبانيا او في علاقاتها الدولية مع سائر الاطراف التي تهتم بقضية المغرب .

موقع « سانتا كروز لا بيكينيا » :

قبل ان نشرع في تحديد مراحل الخلاف حول المركز الذي اشارت اليه معاهدة 1860 دون تحديد دقيق نعود الى التاكيد هنا بان التفاوض من الجانب الاسباني بدا على اساس مركز كان به ما يشبه برجا اسبانيا فيما مضى ثم لم يبق من هذا البرج الا آثار سفلية تختفي عند مد الرمال وتنكشف عند جزرها . على ان مكان هذا المركز المحتمل حـــول اكويديـــر

(تصغير أكادير ، لانه مجرد حصن صغير) وهو يقع عند مدخل مضيق صغير حول منطقة حنيفيس فيما بين طرفاية وطنطان . وقد تعرفت بعثة من المعهد الجغرافي المغربي على هذا البرج أو بقاياه على الاصح في ابريل 1962 وهو مربع الاركان يبلغ عرض كل من جوانبه 8ر30 م وعرض جدرانه حوالي مترين؛ وكان الصعود الى اعلاه بواسطة سلم حجري ، ويبلغ ارتفاع البرج ما بين اربعة امتار وخمسة . وقد اقيم هذا البناء من الحجر الصلب المنحوت .

وقد كان اكتشاف المكان بمساهمة استاذ فرنسي سابق بمعهد العلوم الاجتماعية هو بول باسكون Paul Pascon الذي ضمن نتائج ابحاثه دراسة صغيرة بعنوان « اطلال اكويدير حنيفيس » . وقد اعتقد هذا الاستاذ نظرا للاسم المصغر الذي اطلق على البرج « اكويدير » انه يمكن ان يكون هناك حصنان أو ان هذا الحصن الصغير اقيم مقام حصن كبير . والواقع أن لفظ التصغير أطلق على عدة ابراج من هذا النوع فلا مجال اذا للافتراض على هذا الاساس ، وانما البناء صغير فاخذ اسما مصغرا ؛ ومع هذا فلا مانع من قبول وجود حصنين في المنطقة، احدهما اكبر من هذا الذي نتحدث عنه .

ان المنطقة التي يوجد بها هذا الاثر لا تخلو من مزايا سياحية فضلا عن ثروتها السمكية التي اغرت الاسبان مدة بضعة قرون حتى شق عليهم بعد استقلال المغرب أن يتخلوا عن الصيد بها خصوصا وهي بعيدة عن مناطق التلوث . ومنذ معاهدة تطوان 1860 تهافت على المنطقة عدد كبير من السفن والتجار فيهم فرنسيون واسبان وبرتغال وانجليز وبلجيكيون . وبعضهم كالكومندان جوتيس تعرف بالفعل على حصنين احدهما شمال فم اكويدير والثاني جنوبا .

فهل المكان الذي يوجد به برج « اكويدير » هو المقصود « بسانتا كروز لا بيكينيا » والذي اشارت اليه معاهدة تطوان ؟ هذا ما نعالجه فيما يلي :

قضية تحديد « سانتاكروز لا بيكينيا » ومضاعفاتها

بالرغم من ان المغرب قبل مكرها ، على اثر معاهدة تطوان ، التنازل عن مركز للصيد لاسبانيا ، فقد فضل التريث في تطبيق البند الثامن المتعلق بهذه القضية حيث عرض على الحكومة الاسبانية مبلغ ثلاثة ملايين ريال سنة 1862 كتعويض عن المركز المذكور حتى لا يضيع للمغرب مزيد من الاراضي المغتصبة . وقد رفضت اسبانيا هذا العرض ، وطالبت بتطبيق نص اتفاقية تطوان ، وحينئذ ، عرض المخزن على الحكومة الاسبانية اقامة مركز للصيد براس كيدانة الواقع في اتجاه الجزر الجعفرية التي اغتصبتها اسبانيا ايضا سنة 1848 .

ومرة اخرى رفضت الحكومة الاسبانية العرض الجديد متشبثة بتطبيق معاهدة تطوان ، وهكذا عينت لجنة مغربية اسبانية للتحقق من المكان الذي تطالب به اسبانيا ، وابحرت اللجنة من الصويرة سنة 1877 ثم بدأت تحرياتها فيما بين اكادير وراس اخفنير دون ان تعثر على المركز القديم الذي كان به حصن ورد الحديث عنه سابقا . وكانت السلطة المغربية تؤكد ان الحصن يوجد فيما وراء راس اخفنير جنوبا بينما تؤكد السلطات الاسبانية انه يقع ابعد شمالا .

وفي سنة 1878 أوفدت لجنة ثانية على ظهر باخرة انطلقت من الصويرة . وبحث الوفد الاسباني بدقة حتى عثر على آثار حصن قديم بايفني فقرر ان هذا هو المركز البحري القديم الذي كان يستعمله الاسبان قديما ، وانتهزوا فرصة وجودهم في عين المكان ، وانتزعوا منك اعتراف من أحد رؤساء القبائل المحلية بان المكان المذكور هو الذي استعمله الاسبان سابقا ! واستصدروا من هذا الشخص تصريحا بالتنازل لهم عن جزء من المنطقة ليستغلوها ميناء تجاريا ، وكل هذا على مرأى ومسمع من ممثلي السلطة المركزية الذين لم يقبلوا بطبيعة الحال هذه الطريقة في التعامل بين دولتين .

وفي سنة 1297 / 1879 طالب الاسبان القاطنون في كناريا بتطبيق الاتفاقية بشأن سانتاكروز واحدثوا شغبا من اجل ذلك اشارت اليه الوثيقة المغربية الآتية :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ادام الله العز والنصر والتمكين والتأييد والفتح المبين لسيدنا ومولانا امير المؤمنين ، ابن سيدنا ومولانا امير المؤمنين ،

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب لمولانا من (التعظيم ؟) والتشريف ، ينهي

لكريم علم سيدنا أيده الله ونصره أن باشادور [illegible] كتب له وربر [illegible] يخبره بان جزر كلانيا [illegible] كثر فيها الهرج واللغط على [illegible] من مكينسي انجليزي النازل هناك ؛ ويطلبون وفاء الشرط الثامن والدولة لم تدر ما تجيبهم لانها تحب المحافظة على محبة المغرب بجميع ما يمكنها ، وان أراد سيدنا أيده الله قطع الشرط فيوجه أعزه الله من يكلم معهم في شأن ذلك ليجلوا ما يجبون به .

وذكر الباشادور المذكور انه تكلم مع خديم سيدنا ، الحاج عبد الكريم بريشة ، ليبلغ كلامه في هذه القضية ؛ وانه لم يرد له جواب ؛ فيطلب التعجيل بما يظهر لسيادة مولانا أعزه الله ليعرفوا ما يجيبون [illegible] الرعية ولاهل الجزر المشار اليها ؛ طالبا من مولانا رضاه والسلام .

في 9 رمضان المعظم عام 1297
خديم سيدنا أعزه الله محمد بركاش
لطف الله به

وتؤكد هذه الوثيقة :

[illegible] أن الانجليز حاولوا بكل الوسائل الدبلوماسية أن يؤجلوا ما أمكن تمكين الاسبان من مركز ساحلي في الجنوب حيث كان « مكينسي » يتتبع تحركاتهم بهذا الصدد .

[illegible] رغبة السلطان ومصلحته في [illegible] لدم الالتزام برأي الا [illegible] تحت الضغط والاكراه ، [illegible] والامر يتعلق بمسائل تراني مهما بدت ضيئلة .

وقد توصل محمد بركاش بجواب السلطان يخبره فيه انه سيعين ممثلا عنه لمفاوضة السفير الاسباني بطنجة ، ثم يستشيره في تعيين بريشة . وقد حيد بركاش تعيين بريشة على ان يفاوض وزارة الخارجية الاسبانية رأسا ، اذا تعذر الاتفاق بينه وبين السفير الاسباني . وفيما يلي نص مراسلة بركاش الى القصر الملكي بهذا الشأن :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ادام الله العز والنصر والتمكين ، والظفر والتأييد ، والفتح المبين لسيدنا ومولانا امير المؤمنين ، ابن سيدنا ومولانا امير المؤمنين .

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وادداء ما يجب من الاجلال والتشريف ينهي لكريم علم سيدنا أعزه الله انه وصلنا كتابه الشريف اسعده الله ؛ جوابا عما كتبنا لسيادته ادام الله علاه ، في شأن الهرج الواقع بجزر كلانية بسبب مكينسي النجليزي، وفي شأن قطع الشرط الثامن مع الحسبول .

وذكر مولانا أيده الله ، انه في الاثر ، يرد علينا من يتكلم في قطعه مع الباشادور ، وأمرني مولانا أيده الله ان نشير هل يوجه رجل آخر غير بريشة ، لكونه حديث عهد بالورود من هنالك ، أو يوجه هو ولو كذلك .

فيعلم مولانا أدام الله علاه انه ظهر لي ان توجيه بريشة افضل لكونه له معرفة بالناس بمزيد من جانب المخزن . وقد استشرت مع الباشادور في شانه ، فاشار بان توجيهه افضل ، بحيث اذا لم يقع اتفاق بينه وبين الباشادور في ذلك ، ليتوجه بنفسه لمدريد ، ليقطع ذلك هناك ، وهم في ضيق كبير مع الرعية لكثرة الكلام فيهم في الكرازيط ، الجرائد ، .

واطلعنا علم سيدنا أعزه الله بما ظهر لنا وما ظهر للباشادور ، ونظر سيدنا أوسع ، طالبا من مولا دعاه ، والسلام .

في 26 شوال الابرك عام 1297

خديم سيدنا أعزه الله
محمد بركاش ، لطف الله به

اما مكينسي المشار اليه في هذه الوثيقة فهو شخص انجليزي كان يعمل لصالح الطرف البريطاني ويتظاهر بالنصح للحكومة المغربية ، وكان يهم الحكومة البريطانية ان لا تحصل اسبانيا في الجنوب على اية امتيازات تتفوق الحكومة المغربية على الاقل

ومنذ هذا التاريخ تكونت وفود عديدة وجرت مساع متواصلة بشأن التعرف على منطقة سانتاكروز دي مار پكينا ، وهكذا ففي سنة 1301 / 1883 تكون وفدان مشتركان عن اسبانيا والمغرب للتعرف على المكان ، وكان الوفد المغربي برئاسة مولاي احمد البلغيثي ، والوفد الاسباني باشراف دون بيدرو دي الكسيليو ، ولكن الباخرة التي حلت بمواحل السوس لم تتمكن من الرسو بمرسى « اكويدير الرجيمة » الواقع ببلاد تكنة ، والذي اكد الخبراء

المعارية فيما بعد انه هو المكان الذي اتخذه الاسبان فيما قبل مركزا للصيد .

ويبدو ان السلطان الحسن الاول كان حريصا على ان لا يتمكن الاسبان بأية حال من الحصول على مركز في منطقة استراتيجية قد يدعون انه هو موضع بحثهم ولذلك كانت اوامره صارمة للوفد المغربي حيث يقول كاتبه الخاص على لسانه :

« ... واما ما طلبوه من انهم اذا عبروا محل عبر اكويدير الرجيله تحوزوه لهم فيامركم مولاي امره الله ان لا تساعدوهم عليه الا اذا كان اعلى من كريخير المذكور لناحية الطرفيا حسبما اجبتموهم به . واما اذا كان ادنى منه لناحية صاكا فلا » .

والحقيقة ان اسبانيا لم تعد تقبل ان تكون لها منطقة صغيرة ولا شبه جزيرة كيدا الموقع الذي ... المغاربة انه هو الموضع الذي حدد معاهدة 1860 على المنار عنه . ومن اجل ذلك كانت تندرع بالجرح التي يوجهها الاسبان وزراء الحرب بالحالات لتقوم بعمل عسكري حقيقي في منطقة الجنوب الغربي بما فيها الصحراء . وهذه رسالة كتب باسم السلطان الى وزيره محمد بن العربي ابن المختار ، وهي تثبت مدى تتبع المغرب بدقة ، لما كان يجري من تحركات معادية للمغربية :

« الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

سيدنا ، الفقيه الاجل الامجد ، وزير مولانا الارضى سيدي محمد بن العربي المختار ، حفظك الله وسلام الله عليك ورحمة الله ، من حبر مولانا دامت سعادته ايده الله ونصره

وبعد ، فانهي لسيادتك ، ان يوم الخميس ورد مركب حربي اسبانيولي فيه كبير جزائر كنريه، اخبرنا بعض الصبانيوليين هنا انه كان في قادس يتكلم مع وزير الامور الخارجية عندهم ، اما مشافهه او في سلك التيلغراف عن هذه القضية ، وامضى معه ما يكون فيها ، كذا قيل ...

وهؤلاء سكان الكنرية مجدون في اتمام هذا الامر ولو بالحرب حسبما يظهر لنا من احوالهم ، بل قيل لنا انهم اراحوا دولتهم من هذه القضية والتزموا القيام بها بأنفسهم وقوتهم ، رد الله كيدهم في نحرهم ، ووجب اعلام سيادتك بهذا ولو كان من فضول الكلام . وعلى الخدمة الشريفة والسلام .

في 11 رجب الفرد عام 1300

احمد بن عبد الله الصويري لطف الله به »

واحمد الصويري هذا كان كبير المهندسين وقائد المدفعية ، انظر حاشية .

وبما كانت اسبانيا قد يئست من احتلال اكادير التي ادمت في بعض انتصارات انها المقصود بمعاداتاكروز دي مار بيكينيا ، فقد تحولت الى المطالبة بايفني عوضها لان المانيا ابدت معارضتها لاسبانيا بخروج الاسباني في اكادير ، غير انها لم تحظ في النهاية بشيء من مولاي الحسن . وقد كان السلطان مولاي عبد الحفيظ يتبع باهتمام منذ حين كانت الاحوال قد بلغت من التردي مبلغا خطيرا بالشمال والجنوب فقد احتلت القوات الاسبانية العرائش والقصر الكبيرة وطنجة في الوقت ذاته تطالب ... باعطى . فرفض السلطان شدة موقف اسبانيا واعلن استنكاره امام الدول الاوربية التي تملصت من الامر باعتبار انه يهم الجانب المغربي والاسباني لا غير . وجاء في رسالة باسم السلطان مولاي عبد الحفيظ الى نائبه محمد الجباص ، بطنجة :

« ... لا احد من الناس مطلقا تسمح همته بالسكوت عن الكلام في حقوقه وتركها لحين الضياع والاهمال ، او تساعده قواعد الانسانية على تحمل الاهانات التي يحسبها فاعلها حقيرا »

وكل هذه الاجراءات الدبلوماسية كانت تجري في الوقت الذي يمارس فيها الاسبان الصيد فعلا بمياه اكروز دي ما بيكينيا من زمن بعيد ولكانهم كانوا يبحثون في الواقع عن مركز اكثر امنا على ما كانوا يظنون . فان سكان الصحراء الغربية والسواحل البوسية لم يسلموا قط شبرا من تراب بلادهم على الرغم من بعض التنازلات الفردية التي لم تكن تجدي نفعا امام المواجهة الوطنية المباشرة والموقف الحكومي الصلب .

وقد عرض السلطان الحسن الاول على الحكومة الاسبانية ابتداء من سنة 1831 ان تؤدي حكومته تعويضات لاسبانيا لتنسحب نهائيا من ميناء

سانتاكروز (دي مار بيكينيا) ، وتجدد هذا العرض عدة مرات مع تأكيد الملك المغربي حق بلاده في السيادة على ترابها المغتصب (1) .

وقد تلقى الحسن الاول عرضا من بريطانيا سنة 1871 بفتح ميناء جديد بأكادير (2) ثم تجدد نفس العرض في سنوات 1874 ، 1876 ، 1878 ، 1879

وفي سنة 1881 قبل المغرب افتتاح هذا الميناء الذي عرف المخزن كيف يستغله تجاريا وعسكريا . وكان على مولاي الحسن ان يقبل عرضا جديدا لفتح ميناء آخر جنوبا على شاطىء الاطلس حتى يؤكد سيادته على الاجزاء النائية من البلاد والتي هي موضع اطماع بعض الدول الاجنبية . وكان هذا العرض مرة اخرى من بريطانيا . وقد رأى مولاي الحسن ان يستغل هذا التنافس خصوصا بين بريطانيا وفرنسا لضمان سيادته على الاجزاء المذكورة ، حيث تسعذر المواصلات ولا يجد السكان وسيلة ملائمة للمبادلة التجاري في عين المكان . وكان الميناء الجديد هو (اساكا) على وادي آقشاكا الفاصل بين منطقتي سوس ونون . ولكن الواضح أن كلا من ميناءي اكادير واساكا كان عليهما أن يؤديا قبل كل شيء مهمات عسكرية من شأنها مراقبة تحركات السفن الاجنبية والعناصر الداخلية التي يمكن أن تخضع لتهديد او اغراء الاجانب . ولحسن الحظ لم تكن هناك حاجة في الواقع لحملات داخلية لان الزعماء التعيين تسارعوا الى اعلان ولائهم للسلطان تلقائيا،سنة 1882 بل أكدوا رغبتهم في صد كل هجوم خارجي محتمل . ثم كانت الحركة الثانية سنة 1886 والتي سار فيها السلطان الحسن الاول على راس جيش يبلغ اربعين الف مقاتل (3) .

ولقد سارت هذه القوة نحو تزنيت دون ان يكون هناك اي اعتراض لها ، وكان لها اثر معنوي لا في اقرار هيبة السلطان في سوس وما وراء سوس فحسب ، بل حيال الدول الاوربية التي يراقب ممثلوها في الصويرة كل شاذة وفاذة في تطورات السياسة المغربية ايضا . وهكذا احدث السلطان مراكز حراسة عسكرية في كل من تزنيت وآساكا وكوليمين وقصبة باعمران ، ووضع يدلك حدا لاطماع الدول الاوربية لامد طويل ، ذلك لان اسبانيا كانت تدعي أن مركز الصيد الذي كانت تريد استعادته يقع بقرب اكادير . ومن ثم بدات مطالبها تتخذ صورة الجشع الى تملك اكادير التي طالبت بها رسميا سنة 1877 . وبعد ان استنفذ السلطان الحسن الاول جهوده الدبلوماسية معلنا منذ سنة 1880 انه يؤكد سيادته على الاراضي الجنوبية الغربية لجأ الى الاستعداد للطوارىء كما مر .

اما ما حصل في منطقة الصحراء الغربية في هذه الفترة وبعدها الى اقرار الحماية الاسبانية تقريبا فقد تمسكت بسيادة السلطان المغربي واعلنت ولاءها على لسان زعمائها لا سيما ماء العينين وابنه احمد الهيبة الذي جاهد الفرنسيين والاسبان معا حتى وفاته عام 1910 ، بينما لم يتمكن الاسبان من احتلال ايفني الا سنة 1934 بعد نضال مستمر ابداه سكان المنطقة الذين يعد صمودهم هذا مثالا لليسالة واوطنية ، والذي يتفق تماما مع الموقف الرسمي والوطني للدوله .

---

(1) Miège, le Maroc et l'Europe, 3, 344-345.
(2) نفس المصدر ، ص 346 .
(3) نفس المصدر ، ص 353 .

لسنا في حاجة إلى استيراد نظريات

« يقول أهل الاجتهاد ان الفقه ينقل ولا يتعقل ، أنا أقول ـ وهذه نظرية شخصية ـ ان الفقه ينقل ويتعقل . فاذا كانت هناك ديانة سماوية تتحاشى النقل بل وتتحاشى أن تورث عقيدتها كما يرث الابن دار أبيه فهي الديانة الاسلامية ، انها ديانة بلا أسرار ومن أجل ذلك فهي تتطلب من معتنقيها جهدا يوميا للبحث ، والذين يقولون ان في العقيدة الاسلامية ثغرات هم الذين يجهلون أعماق الفلسفة الاسلامية ، فالاسلام ليس الصلاة والصوم واغتسال ولا حج بيت الله فقط بل هو كما قال النبي «**الدين المعاملة**» ، ولم يقل «**الدين العبادة**» والمعاملة لا تعني هنا المعاملات والعلاقات بين الافراد من بيع وشراء وما الى ذلك ، بل تعني المعاملات التي نسميها الآن بالتعريف العصري « المعاملات العامة » أي واجبات المجتمع نحو الفرد وواجبات الفرد نحو الجماعة انه ما نسميه « القانون العام » ولذلك قلت وأكرر القول بأن الدول العربية غير محتاجة لاستيراد فلسفات ، ولا الى وضع نظريات ثالثة أو رابعة أو خامسة، ان حاجتها تنحصر في تطوير العشائر.. في ابتكار أصناف جديدة لها، في تجديد وتغيير أساليب استعمالها حسب الحاجة وعلى ضوء التجربة وتطور أساليب الكشف عن الامراض ، وكما قلت ان الديانة الاسلامية هي من أسهل وأصعب الديانات في وقت واحد ، انها تتطلب جهدا يوميا مستمرا للبحث ، لقد قال الله في كتابه : « **ما جعل عليكم في الدين من حرج** » ، وقال النبي (ص) «**الدين يسر وليس يعسر**» وقال أيضا : « **لن يحاج هذا الدين أحد الا غلبه** » ، ان باب السؤال ، وباب المناقشة ، وباب البحث مفتوحة في الاسلام ، هناك بعض الاسئلة يحرم طرحها عند المسيحيين واليهود ، ولا يمكن أن يطرحها ويناقش فيها الا رجال الدين ، ومن هنا قلت ليس في الاسلام أسرار ، وانه يحتاج الى جهد وارهاق ... ولكنه ارهاق حلو لا ارهاق مر ، لانه ارهاق العالم الباحث الذي يجهد فكره يوميا .. »

جلالة الملك
الحسن الثاني

كانت اعظم شريط حي شاهدته البشرية في القرن العشرين .. اخرجه الملك الحسن الثاني من أعماق التاريخ الاسلامي ، واروع بحث سوسيولوجي ميداني قام به لابراز خصائص المجتمع المغربي .

وكانت ثورة تحريرية شعبية ، اسلامية الفكر والعقيدة والقيم والشعارات ، اعادت الصحراء الى المغرب وموريطانيا قبل أن يعود متطوعوها الى بيوتهم .

خصائص ظاهرة

الإستمرار

في المجتمع الإسلامي المغربي من خلال المسيرة الخضراء

للدكتور ادريس الكتاني

من بين الموضوعات التي تنال اهتماما بالغا لدى المفكرين والباحثين الغربيين ، ولا نستثني منهم السياسيين المتخصصين في شؤون العالم العربي والاسلامي ، ظاهرة استمرار وتغلغل الفكر الاسلامي التحرري الثوري في المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، شرقا وغربا ، رغم مرور أربعة عشر قرنا على ظهور الاسلام ، ورغم الحروب والمواجهات التاريخية الكبرى التي مرت في حياته ، ورغم الحملات الصليبية

والاستعماريه والشيوعية والصهيونية ، ورغم الغزو الثقافي والايديولوجي و الاقتصادي والحضاري المعاصر، رغم ذلك كله ، مرغم المجتمعات والاقليات الاسلامية راسها عاليا حيثما وجدت، بعد استعمار طويل او قصير، في القارات الكبرى او في الجزر الصغيرة المنعزلة في المحيطات ، لتطالب بالحرية والوحدة و الاستقلال ، باسم الاسلام ! .

وامام هذه الظاهرة ، « ظاهرة الاستمرار » في الحضارة الاسلامية » ـ ولم يعرف تاريخ العالم المتغير استمرارا لحضارة اخرى في الزمن ، وفي العقيدة ، وفي الثقافة واللغة والفكر ، وفي القيم الانسانية، مثل حضارة الاسلام ـ يتساءل الباحثون الغربيون ، ويسالون علماء الاجتماع المسلمين (1) ، عن ماهية خصائص هذه الظاهرة ؟ .

كيف استطاع المجتمع الاسلامي ان يثبت امام الزلازل والاعاصير كل هذه القرون ؟

ما هو الاصيل الثابت الذي لا يتغير ؟

وما هو القابل للتغير في الحضارة الاسلامية ؟

وهل الدعوة للمعاصرة (اي للانسياق مع تيار تغيير كل شيء ، حتى العقيدة والقيم واللغة والثقافة) تستطيع ازاحة عناصر الاصالة في هذه الحضارة وامتصاصها ؟

للاجابة على هذه الاسئلة ـ التي تتطلب تخصصا في الفكر الاسلامي وعلم الاجتماع ـ قام جلالة الملك الحسن الثاني باعظم واروع بحث ميداني سوسيولوجي تم حتى اليوم ، لا على ساحة بيئة ، او طبقة اجتماعية، أو قرية ، أو منطقة جغرافية معينة ، ولكن على ساحة مجتمع كامل ودولة .

ان تحرير الصحراء الغربية بأسلوب « المسيرة الخضراء » كان بحثا سليما ضاربا للاستعمار الاسباني، اقدم عليه جلالة الملك ، في مغامرة فريدة في التاريخ ، واضعا ثلاثمائة وخمسين الف مواطن ومواطنة من شعبه الغيور المخلص ، في مواجهة جيش مدجج بالاسلحة ، تعود الشعب المغربي ان يواجهه منذ الف عام بالايمان والسلاح ، فكيف يواجهه اليوم بالايمان دون سلاح ، في عصر كفر بالايمان ، وتعبد بالقوة والسلاح ؟ .

ان تحرير الصحراء كان يعتمد ولا شك على النتائج الايجابية لعمليات هذا البحث الميداني في نظر الملك الحسن الثاني ، منذ قررت اسبانيا منح الصحراء المغربية المحتلة من طرفها استقلالا مزيفا، فسنده معنويا، وتستغله سياسيا واقتصاديا حكومه الجزائر ، وأصبح المغرب مهددا بالحصار الجغرافي والعسكري، والتطويق السياسي والاقتصادي ، فما هي الوسيلة للخروج من هذا المازق ؟ .

كان من راى بعض الهيئات السياسية ذات الفكر التقدمي الثوري ، طبق النمط اليساري ، الالتجاء الى حرب التحرير الشعبية بالاعتماد على نحو 30.000 فدائي يتسللون الى قلب الصحراء ، هو الوسيلة الوحيدة لتحرير الصحراء ، وتسي هؤلاء ان مثل هذه الحرب في ارض عارية كالصحراء ، لا شجر فيها ولا ماء ، في مواجهة دولتين عسكريتين . حداهما مارست حرب التحرير الشعبية ثمان سنوات ، سوف تصبح حرب استنزاف للمغرب ، قبل ان يتمكن من عبئة دولتي المواجهة ، وارجاع الصحراء للوطن الام .

هذا الحل ، كان آخر حل يمكن الالتجاء اليه ، لو لم تكن الجزائر قد أصبحت طرفا في النزاع ، ليس لان المغرب لا يتقن « حرب العصابات الشعبية » ، فالكل يعلم ان المغرب كان أول من استعمل هذه الحرب بنجاح، ضد الاستعمار الاسباني نفسه ، خلال الثورة الريفية ، ومنه انتقلت الى الشعوب المستعمرة الاخرى ، ولكن فقط لاختلاف ظروف المكان والمواجهة ، ان حلول المشاكل والازمات التي تواجهها الدول النامية يجب أن تنبع من ذاتها وطاقاتها وحضارتها ، وهذا ما كان يوحي به جلالة الملك الحسن الثاني بالنسبة لمشكل تحرير الصحراء .

وفي مساء ذلك اليوم (الخميس 11 شوال 1395 ـ 16 اكتوبر 1975) كان الشعب المغربي على موعد مع ملكه لسماع الحل المقترح لتحرير الصحراء ، وأعلن جلالته قرار المسيرة الخضراء ، وعمت الشعب موجة من الارتياح والحماس ، كانت فرحتي يومئذ تفوق

---

(1) منذ سنوات نظمت البعثة الثقافية الالمانية بالمغرب ندوة بفاس دعت لها لفيفا من اساتذة التاريخ والاجتماع الجامعيين لمناقشة هذه الظاهرة بالذات .

الوصف ، ولا تعادلها الا فرحة اعلان الاستقلال ، قبل عشرين عاما ، وجاءت (المسيرة الخضراء) لتفاجيء العالم بحدث فريد في التاريخ ، وفي تاريخ حركات تحرير الشعوب في القرن العشرين

350.000 مواطن متطوع ، عشرهم من النساء ، كعينة مختارة عشوائية ، من بين ثمانية عشر مليونا من السكان ، بنسب تمثيلية متعادلة تقريبا ، لسكان ثلاثين اقليما جغرافيا بالمملكة ، ينوبون عنهم ويمثلونهم في أكبر زحف سلمي ، مشيا على الاقدام ، لتحرير الصحراء .

هل سيلبون نداء الملك للتطوع ؟

هل سيسيرون فعلا نحو الصحراء ؟

هل سنستطيع مؤسسات الجيش تنظيم ، وتعبئتهم ، وتحييمهم ، وتنظيمهم ، ورعايه صحتهم ، وضمان أمنهم ؟؟

هل سيتحملون مصاعب السفر الطويل والسير والزحف ؟

هل سيتحملون قساوة الصحراء ولدغات العقارب والافاعي ؟

هل سيصمدون للتهديدات الاسبانية ، وحملات التخويف والتثبيط الجزائرية ؟؟

هل سيحمي الشعب ظهرهم ، ويخرج قاطبة لوداعهم ؟

هل ستتحقق النتائج المرجوة من (المسيرة الخضراء) ؟ .

تلك بعض الاسئلة التي كان يضعها المفكرون السياسيون والاجتماعيون الغربيون على أنفسهم ، في شك كبير من أجوبتها الايجابية أحيانا ، وفي سخرية ممزوجة بالشفقة أحيانا أخرى ، وكان لا بد من أن تجرى عملية « المسيرة الخضراء » ليتجز للغرب أكبر دراسة ميدانية (سوسيولوجية) في تاريخ البحوث الاجتماعية ، وليجيب عن هذه الاسئلة بالافعال لا بالاقوال .

رد الفعل الغربي :

كان رد الفعل الغربي من اصحاب اليسار واليمين بعد الاعلان عن المسيرة ، ملبئا بالسخرية والشفقة ، وانطلاقا من مقاييس الفكر والحضارة الغربيين ، وامكانيات المجتمع الاستهلاكي المجوز ، الخاضع لحكم المادة ، فان التفكير في مسيرة بهذا الحجم ، تدخل الصحراء مشيا على الاقدام ، عزلاء الا من سلاح الايمان، اذا لم يكن على سبيل الفكاهة والاسطورة ، فهو لا شك ضرب من الهوس او التهور .

لنستمع ، على سبيل المثال ، الى المهندس الفرنسي جان بول أبيشتر المقيم بمدينة فاس ، يخاطب الرأي العام الفرنسي بواسطة صحيفته « لوموند » في محاولة لتصحيح نظرة الغرب الخاطئة ، ومقاييسه الفاسدة ، عندما يتعلق الامر بشعوب تختلف عنه حضارة وعقيدة :

« ... ان هذه الاخيرة (المسيرة) جزء لا يتجزأ من حياة المغاربة ، الا تعطي درسا رائعا عن نضجها ، وذلك بانضمامها الجماعي الى حملة استرجاع الصحراء ؟ ، لا شك ان هذه المواقف ستزعزع كثيرا ما التخطيطات الجاهزة لليمين واليسار ، والتي يستمر اليسار الفرنسي في حصر فكره داخلها ، حيث يتضح انه لم يعد يملك استيعابا كبيرا لهذا العالم الثالث ، الذي يفسد بذلك المعايير التي يعتقدها اليسار شمولية ، فهل لا يدل ذلك على وجود رواسب غير واعية عنده من العقلية الاستعمارية ؟

ويظهر بالتالي ان المجهود الذي يقوم به المغرب لاستعادة الصحراء التي يعتبرها سائر المغاربة جزءا من التراب المغربي ، بثرواتها الهائلة والحيوية ، هذا المجهود لا يدخل بدوره ضمن تلك التخطيطات ، « فكيف يحدث أن يكون الحق الى جانب حكم ملكي ؟ ، وكيف يحدث أن تحصل سياسة ملكية على مساندة شعبية ؟ ،

ويبدو مسبقا أن هذا الامر «مستحيل» في منطقكم، ولذا فانكم ستلجأون الى سائر « الحجج » لاثبات كون هذه المساندة « مزيفة » و « مختلقة » ! . عودوا الى صوابكم ، فالامر يتعلق حقيقة بحركة تأييد حر ، ولن تتمكن بعض القفامات – التي قد تكتشف – من تكذيبه.

هذه المسيرة السلمية ستبدو غير متلاحمة بالنسبة لتخطيطاتكم « التي لا تميم » ، والتي تشمل حوالي نصف مليون من الرجال والنساء ، والتي ستنطلق نحو جزء من التراب المغتصب ، وستبدو القبضة العامة « غير متلاحمة ومتهورة » ، ونفس الاحكام ستصدرونها حول اعداد كل التجهيزات والناقلات والاطباء والاطر والادوية

والتموين والخيام ، وستبدو لكم « منيورة » ، وتؤدى الى شلل شبه تام للاقتصاد ، ولكنكم تتناسون ذلك الحماس الذى افتقدته اوربا العجوز منذ امد طويل ، والذى نستحيل عليها الآن مجرد التفكير فيه (1) » .

هذا النموذج ، لرد الفعل الغربي ، وقد جاء على لسان عربي مقيم فى اعرب ، كان ايضا موقف بعض المسئولين العرب ، الذين استحوذ عليهم شعار التقدمية والمعاصرة ، وينشرون الكراهية والعداء للتراث العربي والحضارة الاسلامية ، وهو يظهر مدى الخطورة والمغامرة فى الاقدام على عملية من حجم « المسيرة الخضراء » ، لو فشلت لا قدر الله .

فى بعض المراحل التاريخية للشعوب ، تحدث اغتصاب الحكم ، ولا يكون رئيس الدولة فى مستوى الدولة ، وتلك حالات استثنائية ، لها القانون الاجتماعي العام ، للتطور العادى للحكم ، ابو ما عبر عنه ابن خلدون : « كما يكونون يولى عليكم » ، وهكذا كانت اصالة الملك الحسن الثاني كرئيس دولة اسلامية عريقة في الحضارة والسيادة والحكم ، منذ حبا مبكرا من اصالة الشعب المغربي ، كان خبيرا بخصائص مجتمعه الاسلامي ، واثقا من طاقاته الدينية والخلقية والوطنية ، وقدرته على تحمل مسؤولياته كاملة فى معركة تحرير الصحراء ، وكان هو الرئيس المحنك ، والقائد الشجاع لهذه الدولة الفتية التى لم تتغلب فيها المعاصرة على الاصالة ، والرائد الحكيم الذى يتمتع بشخصية قوية نافذة ، تتميز بعمق التفكير ، وحسن التقدير ، ورحابة الصدر ، والقدرة العجيبة على اجتياز اصعب الجسور ، وأخطر الازمات

كانت المسيرة اذن تجربة سوسيولوجية فذة فى تاريخ البحث المنهجي الميداني ، لاستكشاف خصائص المجتمع الاسلامي المغربي ، وخاصة منها تلك التي تتصف بالاستمرار او التغير ، وتحديد مدى فعاليتها فى التحرير والتطور ، ليس فقط لاستغلالها فى وضع تخطيطات البناء والتنمية في المستقبل ، ولكن ايضا لاثراء علم خصائص الشعوب L'Ethnologie بنتائج هذه الدراسة ، وتزويد علم الاجتماع المغربي والاسلامي بنماذج تطبيقية ، لمميزات المجتمع المغربي وخصائصه ، وتحديد العناصر الاساسية في بنية شخصيته الوطنية.

(1) جريدة « العلم » بتاريخ 28 اكتوبر 1975 .

واذا كانت (المسيرة الخضراء) لم تدرس حتى الآن من الوجهة الاجتماعية (السوسيولوجية) ، فاننا سنحاول في هذا البحث القصير ، أن نحلل جانبا من معطيات هذه المسيرة ، بتدخل بعض الخصائص البارزة في ظاهرة الاستمرار التي تمتاز بها آنفا ، مما يتعلق بالعقيدة والدين ، وهو ما يندرج فى مدلول السلوك ، ويتسع له باختصار هذا الفصل

1 ـ التطوع للجهاد وتحرير الارض :

من خصائص المجتمع الاسلامي التى تميزه وتباعا الاسلام كعنصر رئيسي فى بنائه ، هذا التطوع للجهاد وتحرير الارض الاسلامية ، خاصة عندما يوجه الدعوة للتطوع من الخليفة او السلطان او ولي الامر وقد برهن المجتمع المغربي على انه لا يزال يحتفظ فى اعماقه قيمة الايمان بهذا العمل ، والرغبة العاصفة فى ممارسته كسلوك ، رغم مرور عهد طويل لم تمارس اثناءه هذا النوع من السلوك الا في فترات متقطعة من التاريخ ، وجاء النداء الملكي للتطوع فى المسيرة يوم 16 اكتوبر 1975 ، وكان واضحا للشعب ان المسيرة السلمية الى الصحراء لم تكن عبارة عن نزهة مريحة وقصيرة، كل متطوع ومتطوعة كان يعلم سلفا انه مقدم على معركة شاملة لا تحمل فيها سلاحا ، وقد لا يعود منها الى بيته ، والنداء الملكي حذر فعلا من امكانية حدوث مواجهة مع العدو ، ولكنه عاد فذكر بان الشعب المغربي الذى تعود أن يواجه رصاص المستعمرين بصدره في عهد الحماية ، لا يزال هو نفس الشعب ، بنفس العزيمة والايمان والتضحية ، وقد أعلم المواطنون والمواطنات فعلا على التطوع بايمان وحماس ورغبة جامحة يعجز القلم عن وصفها ، انها فرصة العمر ان يتطوع المرء للجهاد ، ولم يمض اسبوعان على فتح ابواب التطوع حتى فاق عدد المسجلين مليون نسمة ، رجالا ونساء وشبابا ، ولم تنقطع سبل المتطوعين الذين يقفون في صفوف طويلة ينتظرون التسجيل ، ولم يكن في الامكان قبول اكثر من 350.000 متطوع ، فعلى أى شيء يدل هذا الاقبال المتقطع النظير ؟ ، هذا زوج يودع زوجته وأولاده ، وهذه أم تصر على الذهاب تاركة اولادها الصغار لجدتهم ، وهذا طالب يضحي بدروسه ،

« ... ان هذه المعركة او درس السيرة ، يقول الملك الحسن الثاني ، لم تستغرق الا شهرا واحدا ، لكن هذا الشهر ، بوسائل الاعلام المرئية والمسموعة ، جعل كل هذا الشعب ، وكانه اعطى حقنه مليئة دفعة واحدة ، بالوطنية والوعي ، والمسؤولية ، وحتى الذين لم يشاركوا في السيرة ، كانوا سائرين أكثر من السائرين ، فحتى الاطفال الفتيان ، حتى الذين كانوا لا يعرفون أين تقع مدينة العيون ، او الساقية الحمراء ، صاروا يرددونها صباح مساء .. (1) » .

« لقد كانت مسيرة فتح الخضراء ، يقول احد المتطوعين فيها ، ملحمة كبرى ستبقى على مر الازمان عبرة ونبراسا يستنير به الجيل الصاعد ، ودرسا للمستعمر الذي يعتقد أنه بفضل قوته سيبقى جاثما على أرض ليست في ملكه (2) » .

ان مظاهر الحماس التي ابداها الشعب المغربي قاطبة لتلبية النداء الملكي للتطوع في المسيرة الخضراء ، وخاصة اثناء وداع كتائب المدن والاقاليم المغربية،وهي تغادر مراكز تجمعها ، أو تركب القطارات ، او مئات الشاحنات ، لهي شيء يفوق الوصف ، ويجعل القلم عاجزا عن التعبير عنه ، وامثل دلالاته الاجتماعيه ان المجتمع المغربي لا يزال — كما كان اجداده في كل العصور — مستعدا لتلبية نداء ملوكه ونابته لخوض معركة لاعلاء كلمة الله ، والدفاع عن مقدسات البلاد ، وحريتها واستقلالها ووحدتها ، وتحرير كل ارض اسلامية من سيطرة الكفر والاستعمار والصهيونية مهما بعدت ، ومهما كلفت من تضحيات .

ولقد شاهد الشعب المغربي على الشاشة الصغيرة، يوم اخترقت جموع المتطوعين حدود الصحراء الوهمية ، منظر عجوز بدوية بين الستين والسبعين ، كانت تسير مع السائرين بخطى قوية وسريعة ، وفجاة وقفت لتكبر وتصلي شكرا لله ، بعد أن اخترقت حدود الصحراء المحتلة ، وكان المشاة وهم يسرعون الخطى ، يصطدمون بها يمينا وشمالا ، وهي تركع أو تسجد ، دون أن ينتبه احد لها ، ولم تكن هي أيضا تشعر بوجودهم ، او تهتم بانتباههم واحتكاكهم بها ، كانت مندمجة بوجداتها ومشاعرها في صلاتها ، في تلك اللحظة احست العجوز بانها وطئت فعلا صحراء آبائها وأجدادها ، وانها حفنت امنيتها مع مواطنيها في تحريرها من حكم النصارى ، كانت فرحتها غامرة ، عظيمة ، ومن يدري ، لعلها كانت اسعد لحظة في حياتها الفكرية ، فوقفت تصلي شكرا لله ، صلاتك سيدتي ، — علقت جريدة العلم — انها صلاتنا جميعا نحن المغاربة .

من علم هذه البدوية العجوز قيمة حب الوطن ، وقيمة التضحيه من أجل تحريره ووحدته ؟؟ ، وهي لم تدخل مدرسة ، ولم تقرأ كتابا ، ولم تشاهد شريطا في سينما أو تلفزيون ، ولم تنتم الى حزب سياسي ، ولا تعلم شيئا عن فوسفاط الصحراء ، ولا تنتظر نفعا ماديا يعود عليها من أرض الصحراء ؟ ! .

من علمها قيمة الشعور بالمسؤولية ، وقيمة الاستجابة لنداء امير المومنين ، وقيمة التطوع في المسيرة الخضراء ، وقيمة الصلاة شكرا لله ؟؟ .

انها قيم الحضارة الاسلامية التي يندهش لباحثون الغربيون لثباتها واستمرارها خلال الاجيال والقرون ، دون أن تتوقف او تضعف أو تتغير ، رغم عصور الضعف والانحلال ، ورغم انتشار الامية والجهل، ورغم معاول الاستعمار والغزو الفكري ! .

واليوم تاتي المدرسة الفرنسة ، ومناهج التعليم المحشوة بالافكار الالحادية ، والمطعمه بالنظريات الماركسية ، لتهدم هذه القيم عند اجيالنا الناشئة ، باسم التقدمية والمعاصرة ، ويتعلم حفيد هذه البدوية العجوز في (دروس الفلسفة) السخرية بالدين والقيم الخلقية والدينية ، وان الدين هو مجرد صنف من أصناف التفكير ، وان الفكر الديني ليس الا امتدادا للفكر السحري الاسطوري ، وانه « يتحمل تبعات شقاء الانسان وضياعه ، وتعرضه للاستغلال ، وتهيئته لقبوله والرضى به ، وكلنا نذكر تلك القولة التي أطلقها ماركس صارخة مدوية : « الدين أفيون الشعوب » .

بهذه الاساليب الماكرة يحاول اعداء المغرب تجريد الاجيال المغربية الصاعدة من قيمها الاصيلة ، وطاقاتها التحريرية ، لتصبح معاول هدم وتخريب في يد القوى الاستعمارية الاجنبية ، « **ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين** » .

(يتبع)

---

(1) من الخطاب الملكي يوم 6 نوفمبر 1976 بمناسبة ذكرى المسيرة الذي أصبح عيدا رسميا .
(2) السيد الرابط من الدار البيضاء « العلم » 5 نوفمبر 1975 .

ملامح من أدب عيد العرش

للدكتور عباس الجراري

انبثقت فكرة الاحتفال بعيد العرش عن المؤتمر الثالث لطلبة شمال افريقيا المسلمين الذي انعقد سنة 1933 ، حيث تقررت المطالبة بالاحتفال به ، وتأسست على اثر ذلك في فاس والرباط ومراكش لجان للتخابر بهذا الشأن مع سلطة الحماية. وكان أن احتفل الشعب فعلا بعيد العرش في هذه السنة ، ولكن بشكل رمزي ، اذ لم يكتس الاحتفال صبغة رسمية الا في السنة التالية (1934) . وكان صعبا على حكومة الحماية أن تمنع مثل هذه المظاهرة ، ولكنها لا شك توجست بها وبما صاحبها من مد وطني كبير .

واذا كان متعذرا علينا أن نحدد الظروف المباشرة التي أوحت باقامة ذكرى العرش ، فاننا نستطيع أن نتصور الاطار العام لتلك الظروف . ولعلنا لا ننسى أن المقاومة الشعبية المسلحة استمرت في مناطق كثيرة للتعبير عن الموقف من الحماية. وبمجرد أن هدأت هذه المقاومة بدأ العمل السياسي. وكان حادث الظهير البربري سنة 1930 بداية مرحلة جديدة ظهر معها وعي متطور أتاح الفرصة للالتحام العملين السياسي والثقافي . وهو الالتحام الذي انطلقت منه الحركة الوطنية . ومن هذا كله نتج احساس قوي بالذات ادى الى ضرورة الالتفاف حول العرش باعتباره رمز الكيان الوطني .

ويمكننا ان نستشف ملامح هذا الشعور في الخطبة التي القاها جلالة الحسن الثاني سنة 1945 ـ وهو يومئذ ولي العهد ـ في تهنئة والده المغفور له محمد الخامس بذكرى الجلوس على العرش . وكانت العادة أن يلقي في كل مرة خطبة يهيء فيها والده بالمناسبة . فقد جاء في هذه الخطبة فقرة علل فيها للاحتفال حيث قال : « ... ناتي هنا لنأخذ حظا وافرا من مظاهرتين عظيمتين : أولاهما حب عاهل البلاد على أفراد أمته يبذل لهم النصائح ويرشدهم بنفسه قولا وعملا الى أحسن السبل متمسكا في كل ذلك بحبل الله المتين مقويا تلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها من الاخوة الصافية التي ينبغي أن تتصل بين المومنين والتواصي بالحق والصبر الذي امرنا به رب العالمين . والثانية محبة أمة مسلمة مؤمنة تحيط بملكها الفذ احاطة النحل باليعسوب تطيعه في أوامره وتتسارع الى مرضاته ، تبذل له ما يجب من أكيد الولاء وتؤازره في ثابت الوفاء ليتم بفضل الله هيكل الوحدة الاسلامية والحضارة المغربية في رفاهية تكسو كل نواحي البلاد وسعادة تتمتع بها سائر طبقات العباد » .

— ⁂ —

والحقيقة أن عيد العرش بهذا الاعتبار وبهذا البعد وبالحصانة التي كانت تحيط به ، أصبح ـ بالنسبة لجميع الغاربة ـ الفرصة التي تتيح لهم التعبير عن مشاعرهم الوطنية ، لا سيما وأن عهد الحماية كان لا يبيح مثل هذا التعبير .

واستمر هذا الروح حتى بعد الاستقلال ، بل غدا التعبير منطلقا دون قيود بحكم جو الحرية الذي بدا يتنفس في المغاربة . وأصبحت المناسبة لا تقتضي تناول قضايا الحرية والاستقلال . ولكن عدت فرصة للتجاوب مع المنجزات وللتعبير عن التطلعات ولطرح مختلف القضايا الوطنية وعلى مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

ونحن حين ننظر في الادب الذي صدر مرتبطا بالعرش منذ ظهر هذا الادب الى الآن ، فاننا نستطيع تناوله من خلال ثلاثة اصناف :

أولا : الخطب السلطانية

وعندنا انها مرت في عهد الحماية بمرحلتين :

الاولى : المطالبة بتحقيق بعض الاصلاحات ، ولاسيما فيما يتصل بالمجالات الحيوية في الامة ، وخاصة التعليم الذي كان يكتسي صبغة الالحاح والاستعجال . ويكفي للدلالة على روح هذه المرحلة ان نشير الى الخطبة التي القاها جلالة المغفور له محمد الخامس في ذكرى الجلوس سنة 1943 ، والتي اداره حول العلم وضرورة طلبه باعتباره فريضة على كل مسلم . فقد ورد في هذه الخطبة قوله بأن المغرب « ... يفتقر قبل كل شيء الى رجال العمل المنتج ولا يكون اولائك الرجال الا العلم ... لذلك جعلنا اساس النهوض بالبلاد والجد وراء مصلحة العباد الاعتناء بمعاهد العلم وانمارها حتى يدنو قطوفها ، ولا وسيلة بدون العلم لسعادة بني الانسان ولا ذخر كالعلم يجمل به الفرد والامم مدى الحقب والازمان . خطا المغرب بفضل الله خطوات حميدة في هذا السبيل فاصلح الموجود من معاهد العلم قدر الامكان واسست مدارس جديدة يتنور فيها الشبان ، فاقبل شباب المغرب في جمع متزايد على حياض العلم وصار يبشر بها يملأ القلب سرورا ويثلج للمؤمنين صدورا ، الا ان ذلك لا يكمل الا اذا حصلنا على اصلاح كل افراد الامة لنخرج مما كان يحيط بنا من الظلمات الداهمة ، فان الامة كالجسر لا يمكن اصلاح نصفها مع بقاء النصف الآخر ناقصا او عليلا . فلا صلاح الا بصلاح جميع اعضائها ، لذلك تنبهنا لتربية بناتنا لرتق حالة عائلاتنا » .

الثانية : المطالبة بالحرية والاستقلال ، وقد تبلورت في خطاب سنة احدى وخمسين واثنتين وخمسين ، والعلاقات المغربية الفرنسية متأزمة بسبب المطالب المغربي الملح على ضرورة انهاء عهد الحماية .

اما الخطاب الاول فتكفينا منه هذه السطور برهانا على ما بلغته الظروف من حدة توحي بالاختناق ، ولكنها في نفس الآن توحي بالصمود والثبات والتصميم على الاستمرار . قال جلالة المغفور له : « ... نشكره جلت قدرته لما يسر لنا من رعاية هذه الامة المغربية وحفظ مصالحها الدينية والدنيوية ... والسر كل السر في ذلك هو الثبات على المبدأ والمثابرة والصبر والمصابرة ... فقد جرت سنة الله في خلقه بامتحان الانبياء والصديقين وفتنة المخلصين والمصلحين ليبلوهم أيهم احسن عملا . قال تعالى: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وكفى بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام برهانا ساطعا وتراسا نيرا لامعا . اوذي صلى الله عليه وسلم فما وهنت عزيمته ولا ضعفت حجته ولا استكانت في الحق صرامته ، التفت في أحرج المواقف الى عمه حين عرض عليه المال والجاه ليتخلى عن تبليغ الدعوة فقال : (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته) ... وقد آلينا على انفسنا منذ قيضنا الله لذلك ان نسعى غير وانين ولا متهاونين وندأب غير متخلفين ولا متقاعسين حتى نعيد لها مجدها التالد وعزها الخالد » .

واما الخطاب الثاني فقال فيه رحمة الله عليه موضحا ضرورة استرجاع السيادة : « فمنذ توليتنا الامور بنفسنا ونحن نذود عن تلك السيادة ... لكن الحماية سلكت منذ تاسيسها سياسة .. لم تجار روح العصر وتطور الشعب المغربي . وقد ضربنا في ذلك مثلا لاحد رجالات فرنسا المسؤولين في محفل رسمي سنة 1944 بقولنا ان الحماية مثلها كمثل قميص جعل لطفل صغير فكبر الطفل ونما وترعرع وبقي القميص على حاله . » .

وقد أخذت الخطب الملكية غداة الاستقلال ، وخاصة في عهد جلالة الحسن الثاني ، تكتسي طابعا آخر يتفق ومرحلة البناء والتشييد . فهي تطرح المشاريع والمنجزات في جميع القطاعات ، وترسم الاهداف وتخطط وسائل

تحقيقها ، وتوضح المشكلات وتفتح الآفاق لمختلف القضايا الوطنية ، وهي بعد هذا تعالج جميع اهتمامات المغرب بالعالم ، وخاصة فيما يتصل بقضايا التحرير وتحقيق مصير الشعوب وتصفية الاستعمار .

ولا شك ان الخطب الحسنية ، سواء ما قيل منها في مناسبة ذكرى عيد العرش او غيرها من المناسبات ، تعتبر بهذه الخصائص ميثاق عمل دائم ، وهو ميثاق يتجدد في كل مرة ، ويكتسي بذلك طابعا يجعل منه ـ وعلى التوالي ـ فصولا متلاحقة لايديولوجية واضحة الملامح والمعالم . وعلى الرغم من أني في غير حاجة الى التمثيل لهذه الخطب لانها أبدا نابضة بالحياة والقوة في اذهان وقلوب المواطنين ، فاني أود ان أورد في هذا المضمار فقرة من خطاب جلالته في عيد العرش سنة 1974، يكشف فيها حفظه الله عن سر التلاحم بين الملك والشعب خلال التاريخ اذ يقول : « وليس ببدع أن تتآزر فوق أرض هذا الوطن العزيز رغائب ملوك هذه البلاد ورغائب الشعب وتتعاون المشيئات المتماسكة المتعاهدة والمتلاقية على صعيد واحد ونهج لا تباعد فيه ولا خلاف . ذلك أن الشعور بالصالح العام والشعور بالواجب المفروض والمهام التي تولدت عن هذين الشعورين خلال القرون المتعاقبة حتى اصبحت لازمة من لوازم الحياة ، هذا وغيره من مشاعر الثقة والصفاء المصاحبة لاتحاد الدوافع والمقاصد تآلف منه ذلك الاصل المشترك الذي خلق القربى واحكام الروابط والصلات ، فلم يكن دأب الملوك الذين تعاقبوا على عرش هذه الدولة ولا كان همهم الاخلاد الى الراحة والسكون الى الدعة والاستئامة الى الترف والاستمتاع ، وانما كان كدهم وهجيراهم أن يكافحوا ويناضلوا ويقاوموا ويجادلوا ويحرروا ويوحدوا ويؤسسوا وينشئوا دفاعا عن حوزة البلاد وصدا لاطماع الطامعين وردا لعدوان المعتدين وحفاظا على الكرامة وابقاء للسيادة وابتغاء لامنك ورقيك واعلاء لشانك ومدا لجاهك وتامينا لكريم عيشك وتوفيرا لاسباب امهاجك واسعادك » .

كذلك اود ان أورد فقرة من الخطاب الذي القاه جلالته في ذكرى ثورة الملك والشعب سنة 1975 والذي عبر فيه عن عزمه على تحرير الصحراء داعيا الشعب الى التعبئة للمعركة ، في نفس يذكر بقادة الجهاد ومواقف البطولة التي يشهد بها تاريخ المغرب في أزهى مراحله وابهى ازمانه ، واسلوب يتسم بالصدق والتلقائية وينم عن العزيمة والاصرار . قال نصره الله: «نحن في طريق المعارك الدبلوماسية وأملنا ان تنجح ، ولكن ـ شعبي العزيز ـ اذا هي لم تنجح فلن يبقى لنا الا أن نخوض غمار المعركة الاخيرة الا وهي معركة التضحية والاستشهاد. لا اريد أن أطيل عليك في هذا المضمار شعبي العزيز ولكن أريد من الجميع ... أن يعرف ... ان هدفنا هو نيل ارضنا اما بالوسائل السلمية واما بغير الوسائل السلمية . وحينما يحين شعبي العزيز ويدق الوقت يجب على كل واحد منا أن يهيء حقيبته ويبري، ثمته ويركب مطيته لكي يذهب الى الساحة في ذلك الوقت سوف اخاطبك لا ببذلتي هذه ولكن بالبذلة العسكرية حتى اكون على رأس كل من أراد أن يجاهد ويستشهد في سبيل أرضه ووطنه . »

ثانيا : الكلمات

وتعتبر في طليعتها الخطب التي أسلفنا عنها القول، وهي التي كان جلالة الحسن الثاني وهو ولي للعهد يعني، بها والده ، وكذلك صاحبة السمو الاميره لالا عائشة . وكانت هذه الخطب تاتي لتعبر على لسان الامة جمعاء عن مدى التعلق بالعرش ، وتاتي كذلك لتؤكد الاهداف وتوضح المطالب ، سواء في مرحلة النضال بالاصلاح أو مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال .

وقد برز في هذه الكلمات على عيد الحماية كتاب في طليعتهم الاساتذة الحاج محمد ابا حنيني ومحمد ابو بكر التطواني وعبد الرحمن الفاسي وعبد الله الجراري . اما بعد الاستقلال ، وخاصة في عهد جلالة الحسن الثاني ، فتكاد تكون كل الاقلام منطلقة للتعبير ، الى حد أن يصبح من الصعب علينا أن نحاول استقصاء أسماء الكتاب في هذا العرض المحدود ، فهم أكثر من أن يستوعبهم . ولعله يكفي أن يرجع الدارس للاعداد الخاصة التي تصدرها مجلة (دعوة الحق) بالمناسبة لكي يتبين ملامح الكتابات المتنوعة التي تروحي بها ذكرى عيد العرش .

ثالثا : القصائد

وغير خاف أن الشعراء كانوا ـ وما زالوا ـ يتبارون في الانشاد . ويمكننا أن نذكر منهم في عهد الحماية على

سبيل المثال الشعراء محمد معمرى الزواوى وعبد الرحمن الدكالي وعلال الفاسي ومحمد بن المهدى العلوى وعبد الملك البلغيني وعبد الله كنون ومحمد الحلوى والحسن البونعماني ومحمد العثماني وعلى الصقلي والمدني الحمراوى .

أما في ظل الحسن الثاني أيده الله فيكاد الشعراء المعاصرون جميعا يتسابقون للتعبير عن المناسبة ، على اختلاف أجيالهم وتباين انتماءاتهم السياسية والفكرية، مما يجعلنا نقصر في استعراضهم مهما ذكرنا من الاسماء، وكذلك نقصر في استعراض أسماء الشعراء العرب الوافدين الذين لا شك في أنهم يغنون بعرشياتهم مجال القول في المناسبة .

— ⁂ —

ولا يخامرني أدنى شك في أن الادب المرتبط بهذه المناسبة أدب وطني (1) بكل ما يحمل هذا الوصف من مضامين وأبعاد . ويكفي أن أنظر مثلا في الكتابات العرشية منذ بداياتها حتى الآن ، لاجد أنها حقا تعبر عن عواطف الكتاب نحو الجالس على العرش ، ولكنها الى جانب ذلك تتناول جوانب من تاريخ الدولة العلوية وتاريخ المغرب عامة ، في محاولة جادة للكشف عن الصفحات المجيدة من هذا التاريخ . كما أنها تتناول المشاريع الوطنية وتناقش القضايا القومية وغيرها مما يدخل في اهتمامات المغرب الداخلية والخارجية .

واذا كان هذا الراى ينسحب على النثر فهو كذلك ينسحب على الشعر الذى أرى امكان النظر اليه من خلال مرحلتين :

الاولى قبل الاستقلال

وكانت العرشيات في هذه المرحلة تشيد بالملك ونضاله ومبادراته ودوره في اذكاء شعلة الوطنية وما يبذل من جهود لتحقيق مصير المغرب . وكانت كذلك تعبر وفي قوة عن الافكار والمبادىء الوطنية ، وتمجد الحمية وتشيد بأمجاد المغرب والعرش والشعب ، ويكفيني هنا أن امثل بابيات من قصيدة للشاعر الاستاذ عبد الرحمن الدكالي يقول فيها مخاطبا جلالة المغفور له محمد الخامس :

في عيد عرشك نور الاستقلال
وعلى يديك تحقق الآمال

يسعى اليك الشعب وهو مهلل
ومكبر يا كاسر الاغلال

يسعى اليك وكله بك هاتف
عش للبلاد وعش للاستقلال

قد قلت ان الشعب يطلب حقه
قد قالها والله غير مبال

حق لنا سنناله بدمائنا
ان لم ننله بحجة وجدال

فليستعد المعتدون لقمعنا
بسلاح الاستعباد والاذلال

أما في المرحلة التالية أى بعد الاستقلال ، وفي عهد الحسن الثاني ، فقد ظل الشعر ينحو هذا النحو من التعبير ، من حيث الاشادة بجلالة الملك ومبادراته وجهوده في الداخل والخارج ، ومن حيث الاشادة كذلك بأمجاد المغرب والعرش والشعب ، ولكنه أضاف الى ذلك التعرض لمختلف المشاريع والمنجزات وطرح القضايا الوطنيه والقومية . مما يجعلنا نقرأ هذه القصائد فنجدها تتحدث مثلا عن سياسة السدود والمليون هكتار واسترجاع الاراضي والمغربة وتحرير الصحراء ، كما نتحدث عن قضية فلسطين وحرب الكرامة التي خاضها العرب ومشاركة الجيش الملكي بفعالية وتشريف في هذه الحرب . وساكتفي بان أطرح نموذجين :

---

(1) سبق للكاتب ان تناول هذه القضية في عدة أبحاث منها :
ـ) النضال في الشعر العربي بالمغرب .
ـ) الشعر المغربي في مرحلة النهضة (مجلة المناهل العدد الخامس)
ـ) مقدمة ديوان الشاعر مفدى زكريا : (من وحي الاطلس) .

احدهما يشيد بجلالة الملك وهو للشاعر ادريس الجاي ، وفيه يقول :

بك ما نفـوك بفخر الاحـرار
وتشـاد امجـاد وبعلـو منـار

كرم الزمان فكنت خير عطائه
وكذاك تحسن صنعها الاقدار

أما طلعت بمغرب الشمس امحى الليل للقتام وأشرقت أنوار

وتألقت بك يـا بهـي سماؤنـا
وتبسمت لشموسهـا الاقمـار

فالافـق حـال بالمنـى مستبشر
وديارنا يزهـو بهـا الاحبـار

اكـرم بـه ذاك الجبين مكللا
بالمكرمات يغـار منهـا الغار

أعظم بـه نمـى البـذور فأينعت
فـاذا الزهـور براعـم وثمـار

يفديك يا حسن الفعال وصانع التاريخ شعب ذاكر شكار

ولعلنا نحس بشيء غير قليل من النبض والصدق يتدفق من هذه الابيات ، مما يجعلها وهي تشيد بجلالة الملك لا تقع في متون المدح التقليدي .

أما النموذج الثاني في قصيدة الشاعر الحلوى « طلائع النصر » وكان قد أنشأها في الذكرى الثالثة عشرة ، وكانت سنة عمل فيها المغرب بكل طاقاته وامكاناته من أجل الوحدة حيث كان له موقف مشرف في حرب أكتوبر . يقول الشاعر في أول هذه القصيدة :

اللـه اكبـر ان النصـر يقتـرب
وجيش صهيـون منسيـنـاء ينسحب

قد زلزل البغي وانهارت قواعـده
فالارض من تحتـه أحشاؤهـا لهـب

من بعد مـا شمخت في أرضنـا زمنـا
قلاعـه طاطأت هـامـاتهـا النـوب

كأنهـا لـم تكـن يومـا ولا رصـدت
قتالنـا تتحداهـا وترتقـب

من بعد عظرسة الباغي ونخوتـه
سكران يختال في كبر ويغتصب

تعسا تذكر صهيونا وقـد نسيـت
ان الذيـن غـزوا اوطانهـم عـرب

لا يركعـون لبـاغ جـاء يرغمهـم
وليس يرهبهـم شيء اذا غضبـوا

من بعد مـا أمنـت صهيون ثورتنـا
وآمنت أنمـا الـدنيـا لمـن غلبـوا

ثرنـا فـدارت عليهـم شـر دائـرة
لم يشهدوا بعدهـا فيمـا بـه نكبـوا

غـرق القتـال وفي الجـولان ملحمـة
لم ترو اهوالها الاحقاب والكتـب

كم خيم الصمت في ساحتنـا وشكـت
سبوتنـا وصـي في الاعمـاد تشطرب

وكـم دعونـا لهـذا اليوم قـادتنـا
وكـم أقمنـا علـى الاطـلال نندب

حتى استجابـوا وهبوا من مرابضهم
فحققـوا معجـزات شانهـا عجـب

ولكن الشاعر لا ينسى المغرب وملكـه في هـذه الصورة حيث نراه يقول :

أكبـرت في المغـرب السـاق عاملـه
لقد تباهى بـه الاسـلام والعـرب

هناك شاد سدودا من اشاوستنـا
بالموت تقذف لا بالمـاء تنسـرب

واظنني في غير حاجة الى القول بأن السنتين المنصرمتين بما تميزتا به من تعبئة لتحرير الصحراء واسترجاعها بالفعل في مسيرة شعبية خضراء ، قد فتحت للادباء مجال التعبير عن هذه القضية في روح نضالي قوى كشفت عنه القصائد والكلمات التي أبدعتها القرائح الملتهبة .

ولم يكن الادب الحسني وحده في الساحة الوطنية، بل كان الى جانبه الادب الشعبي الذي كان ابدا موجودا فيها يثبت حضوره في مختلف المواقف والمناسبات ، يعبر في تلقائية عن عواطف الشعب واحاسيسه وتطلعاته واهتماماته ، ويؤدي من خلال هذا التعبير دوره في تعبئة الجماهير وتوعيتها وتحميسها . ويمكننا ان نميز من انواعه :

1 ـ الاهازيج والمردات المتداولة بمختلف اللهجات وفي مختلف المناطق .

2 ـ الاغاني الموضوعة كلماتها بالعاميه .

3 ـ قصائد الملحون .

وأود هنا وبالنسبة لهذا الشعر أن أذكر من الشعراء الذين برزوا في عيد العرش على عيد المغفور له محمد الخامس الاشياخ العياشي العلوي والحاج محمد ابن عمر الملحوني ومولاي احمد العلوي . اما الذين لمعوا في التجاوب مع ذكرى جلوس الحسن الثاني فكثيرون يكفينا ان نذكر منهم الاشياخ الحاج محمد العوفير واحمد سهوم - وعبد المالك اليوبي وعبد القادر الجراري واليعقوبي وعبد الحميد العلوي .

∴

ولا اريد أن أختم هذا العرض السريع عن بعض ملامح أدب عيد العرش دون أن أشير الى بعض الظواهر التي ارتبطت بهذا العيد :

الاولى ـ ان مباريات للكلمات والقصائد تنظم وتمنح فيها جوائز للفائزين .

الثانية ـ ان الناشئين في مجال الكتابة والشعر يغتنمون المناسبة وما يعتمل عنها في نفوسهم ليعبروا عما يحسون من عواطف ومشاعر ، وغالبا ما تلقى هذه المحاولات في حفلات المدارس والحفلات الشعبية التي تقام في الشوارع والساحات العمومية .

الثالثة ـ أن عيد العرش كان الفرصة الاولى التي جربت فيها الفتاة المغربية حظها في مجال الكتابة والشعر.

وبعد ، فلعلي بهذا ـ وغيره كثير ـ لا أستطيع أن اتحدث عن مسيرة الادب الحديث والمعاصر في المغرب ، دون أن أسجل ان عيد العرش كان عاملا من عوامل النهوض بالحركة الادبية ، وانه اظهر نوعا جديدا من الادب الوطني ، أهم ما يمتاز به صدق العاطفة ونضجها والتلقائية في التعبير والبعد عن الغلو والمبالغة .

وهو بذلك صورة من التاريخ النابض بالمشاعر والاحاسيس والمطامح والتطلعات ، بل هو الصورة الحقيقية لتاريخ المرحلة .

التاج المغربي

في عمق الملاحم الاسلامية والعربية

العرش والشعب يخوضان المعركة الفاصلة

للأستاذ محمد المنوني الرباطي

كل شعب له خصائصه وطبائعه التي فطره الله عليها ، ومن مميزات شعبنا أن لا يخضع للدخلاء ، ولا يقوس ظهره للغرباء ، ولا يسمح لنفسه بالتبعية في أي مجال من مجالات الحياة ، فهو مرهف الاحساس ، قوي الشكيمة ، أبي النفس ، ولا يؤمن في هذا الباب الا بالسباق في ميدان العمل والانتاج والابتكار ، دون توجيه من الخارج ، ومن غير استيراد للافكار والحكام .

من هذه الزوايا اتخذ شعبنا في جميع أطوار حياته مواقف صارمة وعنيدة ضد كل تدخل أجنبي في شؤونه الخاصة والعامة ، وأعرض عن كل توجيه دخيل في سلوكه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعقائدي ، باستثناء طلائع البداية الاسلامية التي فتح لها قلبه قبل ذراعيه ، واحتضنها الى صدره بشوق وحرارة لا مثيل لهما الا في المهاجرين والانصار الذين آمنوا بالرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام .

وعندي أن هذا التحول في طبيعة المغاربة ـ وهم يستقبلون الهداية ـ يعود بالاصالة الى أن الاسلام في عمقه ومنبعه يسير والخصائص المغربية في خط مستقيم، حيث يأبى ديننا أن يكون معتنقوه أمعات ، ويربأ بأتباعه أن يسيروا وراء كل مهرج وخلف كل ناعق ، بالاضافة الى أنه ليس وسيلة للتسلط والغصب والاستعمار والاستغلال ، وانما هو دعوة مثالية الى الفضيلة والنبل والشرف ، وانتشال للانسان من عبودية الاصنام والاوثان ، البشرية منها والحجرية ، الى عبادة الله الواحد الاحد ، والايمان برسالة سيدنا محمد الذي جاء مبشرا بالمحبة والاخاء والسلام والصفاء .

ومن الحقائق التاريخية أن شعبنا لم يندمج في الخلافة الاسلامية العامة اندماجا كليا ، بل اكتفى منها بالعلاقات الطيبة والوثيقة التي تجمع بين المسلمين كوحدة عقائدية ، مثلها الاعلى توحيد الخالق سبحانه ، والايمان برسالة سيدنا محمد ، ونصرة المسلمين والدفاع عن قضاياهم ، وهكذا امتد نفوذ الخلافة العثمانية على العالم الاسلامي في الجزيرة العربية وبسطت سلطتها السياسية والعسكرية على اقطار المغرب العربي ، ولكن نفوذها وقف عند حدودنا دون أن يتخطاها ، ومن ثم كان شعبنا هو الشعب الوحيد الذي اعتنق الاسلام كعقيدة ورفض الانصياع لاي دخيل ولو كان يومن بعقيدته الدينية ، ايمانا منه بأن الاسلام في جوهره لا يبيح لمعتنقيه أن يبسطوا نفوذهم الدنيوي بالاكراه على اية جماعة توحد الله وتومن بشريعته . وموقف المغرب هذا ينسجم تماما مع المميزات والخصائص والطبائع التي فطر عليها شعبنا ، والتي كانت وستظل التاج الوهاج الذي يزين مفرقه على مر العصور والأجيال .

ولعل تلك الخصائص هي السر الدفين في احتفاظ المغرب باستقلاله الكامل في شؤونه الخاصة والعامة ، بالاضافة الى ما نفحته به العقيدة الاسلامية من مفهوم جديد لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من عزة وكرامة، وانقياد شعبنا طوعا الى عقيدة الاسلام جاء كحقنة جديدة قوت عزيمته في الاستقلال ودفعت به لان يكون قلعة منيعة من قلاع الاسلام التي انطلقت منها جحافل المجاهدين ذودا عن العقيدة المحمدية ونصرة لها مما سجله التاريخ لشعبنا الشجاع بحروف ذهبية .

ويكفي دليلا على هذه المواقف البطولية أنه كان سباقا في عبور مضيق جبل طارق عدة مرات لحماية الاسلام والمسلمين بالاندلس من غارات الصليبيين الحاقدين على ديننا الحنيف ، ولولا تلك الحملات التأديبية لسقطت الاندلس عند الضربات الاولى من لدن النصارى ، ومع الاسف الشديد أن حكام القوطوس المفقود لم يستغلوا الفرص الذهبية التي اتاحها لهم المغاربة ، ولو فعلوا لامتدت فروع الحضارة الاسلامية الى اقطار بعيدة ، ولكان الحكم الاسلامي في الاندلس قائما حتى اليوم ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

ومساهمة جيشنا الباسل في معارك الجولان وسيناء ليست ببعيدة عن الاذهان ، وهي تزكية لما أشرنا اليه من أن المغرب منذ اللحظة الاولى لاعتناقه الاسلام وهو قلعة من قلاعه ، وهذا في نظري هو السر في الاحتلالات والاراجيف التي يتعرض لها بلدنا من لدن اجهزة الاعلام في جهات معروفة لا يخلو الامر من ان تكون حاسدة وحاقدة او موجهة ومأجورة .

ورفعا لكل التباس نشير الى أن موقف المغرب السلبي من التيارات الخارجية ليس معناه ان بلدنا منزوت او منكمش على نفسه ومنعزل عن العالم ، بل العكس من ذلك حيث نجده متفتحا على العالم كله ، ولكن تفتحه لا يعني التنازل عن اصالته ، او قبول كل ما تمطرنا به الحضارة الغربية من صالح وطالح ، فهو حذر كل الحذر ، وحتى اذا تسربت اليه بعض الاشياء الضارة لا يلبث أن يتخلص منها بما عهد في شعبنا من حكمة ولباقة ، وما عرف عن ملوكنا من غضبات مضرية ضد كل تيار هدام .

وتعاقبت على عرش المغرب اسر مجيدة منه واليه ، امتازت في مجموعها بالحفاظ على مميزاتنا في تعشق الحرية والهيام بالاستقلال ، الا أنها توارت عن مسرح الاحداث لظروف مختلفة وعوامل عديدة تطول شرحها ، « سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

واخيرا تسلمت القيادة الاسرة العلوية الشريفة وتحملت هذا العبء الثقيل ، فوجدت فيها جماهيرنا أمنية غالية من أمانيها ، وضالتها المنشودة التي تطلعت اليها منذ زمن بعيد ، ومن الطرافة في هذا الباب أن المغاربة اتخذوا من الخلافة الاسلامية موقفا وسطا ، ولكنهم لتقادوا عن طواعية واختيار لهذه العائلة الشريفة والدخول في طاعتها والدفاع عنها بكل ما لديهم من حول وقوة ودون تحفظ ، ولعل السر الدفين لهذا الانصياع التلقائي هو الاخلاص المطلق لعقيدة الاسلام وحبهم الصادق لآل البيت النبوي الشريف ، ونحن نرى أنه بمجرد ما آلت الامارة الى هذه الاسرة الكريمة ارتمى المغاربة في أحضانها وكأنهم كانوا على موعد مع هذه الفترة الذهبية من تاريخهم الحافل بالامجاد ، ولم يكن لهذا اللقاء بين العقيدة الاسلامية وحكم آل البيت النبوي من نتيجة سوى الانسجام والالتحام ، وهو سر خفي كان محتجبا في الازل ينتظر الوقت المناسب ليبرز الى العيان كحقيقة ناصعة لما كان يحتفظ به شعبنا في أعماقه من عدم الانصياع لاي دخيل حتى يأتي امر الله بالعقيدة المحمدية ثم بعدها بالدوحة النبوية .

وشاءت الظروف أن يتعثر شعبنا في مسيره ، ويكبو في فترة من فترات تاريخه ، تتكالب عليه قوى الشر والعدوان من كل جانب ، وتطوقه الجيوش الاوربية الذهمة من جميع اطرافه ، وتفرض عليه حمايتها البغيضة فرضا ، على أن هذا التدخل نفسه لم يكن المغرب ضحيته الاولى ، وانما جاء بعد سقوط العديد من الدول الاسلامية والعربية والافريقية الواحدة تلو الاخرى فريسة سائغة بين مخالب استعمار لا رافة فيه ولا رحمة ، وكان شعبنا آخر معقل هوى تحت ضربات ومؤامرات تساندها قوى الشر والبغي والطغيان ، وتؤازرها تكتلات صليبية متعصبة حاقدة .

الذي ينبغي التركيز عليه وابرازه بصورة واضحة أن شعبنا لم يستسلم لاول وهلة ، ولم يقبل هذا الوضع الشاذ بسهوله . ولم يغمض عينيه على هذا الذي منذ اللحظة الاولى ، بل قاوم الدخلاء بالسلاح ما وسعه المقاومة ، وحتى بعد فرض هذه الحماية ظل يناوش هنا وهناك ، وفي بعض الاحيان قام بثورات مسلحة لم يكتب لها النجاح في النهاية ، وان كانت كبدت حمايته الكثير من النكبات والعديد من الخسائر المادية والبشرية ، واعطت الدليل القاطع على أن شعبنا يرفض هذا التدخل الاجنبي في جميع أشكاله وصوره ، ومهما تسبغ عليه المستعمرون من أردية ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، الامر الذي أدخل في حسبان المستعمر أن شعبنا لا يلبث أن يحطم الاغلال في أقرب الفرص والآجال .

وتشاء الاقدار الالهية أن لا تطول فترة هذه الكبوة، فيتولى عرش المغرب بطل من ابطال التاريخ الانساني ، ويجلس على اريكة هذا العرش العتيد محمد الخامس رضوان الله عليه ، ومن هنا تبدأ قصة من أروع القصص البطولية التي قل نظيرها وعز مثيلها في التاريخ ، ذلك أن محمدا الخامس راى بعبقريته الثاقبة وفراسة المومن أن التعجيل بالانعتاق يكمن في الاتصال المباشر بشعبه وتحطيم السد المنيع الذي حاول الاستعمار اقامته بينهما ثم تشجيع التعليم الحر للدفع به الى الامام باعتباره حظيرة من حظائر تفريخ أشبال المغرب الذين سيضربون الاستعمار الضربة القاضية ، ومن هذين المحورين سار العرش والشعب جنبا لجنب الى أن برزت فكرة عيد العرش باعتبارها الاعلان الصريح والواضح على ان الوطنية المغربية متمسرة في ركاب ملك المغرب ، وان الجالس على العرش هو المحور الذي تدور حوله كل مخططات الانعتاق ..

هنا شعر الاستعمار بالخطر المحدق ، وادرك أن هذا التكتل ليس الا المسمار الاول في نعشه ، فراح يقاوم فكرة عيد العرش بكل ما لديه من خداع ومكر ودهاء ، وما يتوفر عليه من عتاد وتهديد ووعيد ، ولكن الشيء الوحيد الذي غاب عن ذهنه المريض ان محمدا الخامس لم يكن ملكا فحسب ، وانما كان بجانب ذلك وطنيا من الصنف الممتاز ، وكان قائدا من الدرجة الاولى ، وكان قبل هذا وبعده مؤمنا كل الايمان بربه ، وبالامانه العظمى التي أصبحت في عنقه ، وبأن التاج ليس اكليلا من الزهور والرياحين ، وانما هو مسؤولية لها أهميتها وخطورتها في قيادة معركة التحرير والمصير، اما الزعيل الوطني الاول فلم يكن ينظر الى العرش والمتربع عليه الا نظرة الاجلال لما امتاز به ، جلالة الملك من خصال القيادة ومزايا الزعامة ، ومن هنا نبع الالتحام والانسجام وتوطدت الصلة بين القوتين الضاربتين في اتجاه واحد وهدف محدد ... واذا ما ذكرنا الزعيل الوطني الاول فالوفاء يحتم علينا الاشارة الى الدور الطلائعي الذي لعبه ابناء التعليم الحر في جميع مراحل الكفاح الوطني ، والواجب الاسلامي والوطني يفرضان علينا التنويه بالمواقف المشرفة والبطولية التي وقفوها في وجه الاستعمار بجحافله العسكرية واسلحته الجهنمية وجواسيسه الذين أذاقوهم صنوف العذاب وجرعوهم كؤوسا دهاقا من الحنظل ، وزعماء المغرب الابرار لم يتخرجوا من مدارس « فرانكوراب » وانما كانوا ثمرة من ثمار مدارسنا الحرة وبذرة من بذورها التي آتت اكلها كل حين باذن ربها .

والخلاصة أن الشعب المغربي بجميع طبقاته ومختلف هيآته كان متفقا بأن مصيره بمصير عرشه، وبأن جلالة الملك هو الرمز المجسم لوحدته وخلاصه ، وتتعاقب الاحداث بما فيها من خير وشر ، ويتفوق الكفاح من جانب العرش والشعب وفي جميع الواجهات ويشتد العناد والتصلب من المستعمرين مما ادى بهم الى ارتكاب حماقة مريدة من نوعها وغلطة سياسية بشعة بالاعتداء على حرمة العرش والجالس عليه ، فكانت السبب المباشر في تحنيط الاستعمار داخل تابوت وضعت الامة المغربية فوقه أهراما من الاسمنت المسلح .

ويختار الله جلت قدرته بعد فترة وجيزة من الاستقلال محمدا الخامس لجواره ويتولى ساعده الايمن وعضده المتين ورفيقه في الكفاح وأنيسه في المنفى جلالة الحسن الثاني الامانة في ظرف صعب ودقيق ، ليس من السهل التغلب على مشاكله لو لم يكن جلالته خريج مدرسة والده العظيم الذي أعده لهذه المهمة الخطيرة المتبلورة في العمل والتوجيه داخل واجهات متعددة ومعقدة كالتعليم والاقتصاد والصحة ، والفلاحة ، والسدود ، واستكمال الوحدة ، وحماية الحدود ، مع المساهمة الفعالة في الحقل الديبلوماسي والهيآت الدولية التي جال فيها جولات رائعة ووقف من مشاكلها مواقف مشرفة وبطولية دفاعا عن حقوق الشعوب الضعيفة بما فيها الشعب العربي سياسيا وعسكريا ، بالاضافة الى تبنيه للبعث الاسلامي وحمايته للعقيدة الاسلامية من الموجات الالحادية التي تهدف الى اضعاف روح المقاومة النابعة من العقيدة الاسلامية ، والنيل من المعنويات العالية في جماهيرنا المسلمة .

واذا ما حاولنا تتبع مواقف جلالته بالشرح والتفصيل فنحتاج الى محاضرات لا الى كلمة مقتضبة في هذه المناسبة العزيزة على كل مغربي حر أبي ، ويكفي أن نقول اليوم ان شعب المغرب مدين للحسن الثاني بكل ما وصلنا اليه من رقي وتقدم وازدهار ، وانه فخور بأن يكون شعب هذا الملك الوافي للامة ، والضامن لوحدتها

والداعي الى لم شملها ، والحصن الحصين لمكتسباتها السابقة واللاحقة .

ومن البديهيات ان جلالته اعطى اروع الامثلة في الشعور بمسؤوليات للحفاظ على السلم العالمي والتعاون الدولي ، مع الاحتفاظ لامجادنا القومية وحقوقنا الشعبية بمركزها المرموق لتظل وحدتنا الترابية في مأمن منيع من عدوان المعتدين ، وطمع الطامعين وحقد الحاسدين .

من هذه المنطلقات نتخلص الى النتائج التي يتعين استخلاصها من هذا العرض الخاطف وهي أن شعبنا كان وسيظل وفيا للعرش الذى اعطى مات الدلائل على انه الضامن للكيان الوطني في أحرج الاوقات واشدها خطورة، ثم انه يختلف تماما عن كثير من العروش ، فهو ليس بمعزل عن الاحداث ولا بعيد عن التطورات الاجتماعية بل انه يعيشها يوميا ويحياها باستمرار ، ويؤثر فيها سلبا او ايجابا بما يتخذه من مواقف رائعة ، وتدخلات موفقة ، ومبادرات حكيمة ومتزنة يضامنها النجاح التام ، ويحالفها الفوز العام .

وهذه المواقف المشرفة ، والتضحيات العظمى ، والجهود المشكورة من جانب عرشنا وملكنا يقابلها وفاء منقطع النظير ، وولاء ليس له مثيل من الجمعيات المهنية ، والاوساط الثقافية ، والهيآت السياسية ، والفئات العمالية ، حيث تجلى ذلك بوعي رائع وحماس ممتاز اثناء الزحف الشعبي الهادر وهو يقتحم الحدود ويتخطى الحواجز التي فرقت بيننا وبين صحرائنا حقبة من الزمن ، وسوف لا تزيد الايام والاحداث هذا الوفاء والولاء والانسجام والالتحام الا رسوخا وعمقا ، بفضل الله ورعايته ومدده الذى لا ينقطع عن المؤمنين الصادقين .

على اننا مهما بالغنا في احاطة ذكرى عيد عرشنا بهالات الاكبار والاعجاب فسوف نظل عاجزين عن اعطاء صاحب هذه الذكرى الغالية ما هو اهل له من الشكر والامتنان على ما قدمه لشعبه من خدمات وتضحيات ، ولعل الذى يفي بشكرنا ويعبر اصدق تعبير عن امتناننا هو مواصلة هذا التلاحم كعربون على ولائنا وتعبير صادق على استعدادنا للسير في ركاب العرش الى النهاية، واملنا ان يكون شعبنا في مستوى المغرب الجديد ، الذى نامل ان يكون عظيما عظمة الحسن الثاني في تطلعاته لمستقبل شعبه السعيد .

نظام البيعة في المغرب

للأستاذ الحسن السائح

تطور المغرب عبر تجربته الحضارية بين الانظمة السياسية ، في اختيار اداة الحكم الصالح في البلاد ، وقد عرف منذ بداية تاريخه نظام الحكم الجماعي المرتكز على الفرد الصالح للقيادة، ورغم ان الرومانيين لبثوا في المغرب زهاء اربعة قرون فقد ظل المغرب واعيا للعمل السياسي ، يقظا في اختيار الحكام على اساس نظام المشيخة والجماعة ... واستطاع المغربي أن يصل لحكم روما بدربته السياسية والادارية في عهد الامبراطور (سبتينوس سفروس) الذي تسلق الى كرسي الامبراطورية الرومانية ... وكانت حركات المدرسة النموذجية لتكوين السياسيين والحاكمين للبلاد معتمدة تجربة (ماسينسا) و (يوبا) واخيرا (يوغرطا) الذي كان نموذجا للحاكم المثقف والراعي لشخصية المغرب الافريقي . وجاء الاسلام ليؤكد هذه التجربة السياسية المغربية ، حيث وجد المغاربة في دعوته السياسية نموذجا صادقا للحكم العادل ، لهذا فقد تمسكوا بالاسلام عقيدة وسلوكا ، ووجدوا في المذهب المالكي ما يساعدهم على انتخاب الخليفة بطريقة البيعة الديموقراطية . ولما اصبحت الخلافة في يد الامويين ، وشعر المغاربة بتبعيتهم لمركز الخلافة دون سيادة واستقلال في بلادهم ، انتسب بعضهم للحركة الخارجية واعلنوا في عهد (ميسرة المدغري) رفضهم لتبعية الخلافة الاموية ، ولكنهم لم يلبثوا ان وجدوا في الادارسة ضالتهم ، حيث توحدت البلاد مستقلة ذات سيادة ، فقد جاء الادارسة بصفتهم معتدلين سياسيا ، غير شيعة ولا خوارج ، واعلنوا التزاماتهم السياسية السنية والتزم المولى ادريس الاول بالعمل لوحدة المغرب ، والواقع ان هذا الالتزام خضع للشروط التي ينص عليها التشريع الاسلامي؛ وهو كذلك وفق التجربة المغربية وطبيعتها الديموقراطية واصالتها .. وقد اجتهد العلماء المسلمون المغاربة في الملاءمة بين النظم الاسلامية والاصالة المغربية ، ولهذا يلاحظ اختلاف بين الانظمة سواء في الحكم او القضاء او الحسبة بين بلاد المغرب والبلاد الشرقية ، وقد تحدث ابن خلدون والمقري ، وابن الخطيب ، وابن الازرق عن النظم المغربية ، كما ان مؤلفي كتب الحسبة والقضاء ومؤلفي كتب النوازل والاحكام والفتاوى .. شرحوا النظم المغربية بما يكفي للمتخصص في هذا الموضوع. والواقع أن النظم المغربية تعتمد اساسا على الشريعة الاسلامية وعلى المذهب المالكي بصفة خاصة ، وبالرجوع الى الاصول الاولى لهذه التشريعات ندرك مدى الاتفاق بين الاسلام وما اعتاد عليه المغاربة .

فالانظمة السياسية في الاسلام ترتبط بمبادئه التشريعية ، وبالقواعد التنظيمية وبالاخلاق والقيم . وتستحيل كلها الى عبادة ، والدولة نفسها تعتمد على اسس روحية اخلاقية . وبذلك فهي لا تسيطر بالعنف والقسوة والقوة ، وانما لها صلات روحية وارتباطات اخلاقية تلزمها بالسلوك المستقيم ومراقبة الضمير

.. فالقيم الروحية تسيطر على التكوين السياسي ، وترى أن السلطة هي للدستور القرآني الذي يراقبه الجميع في السر والعلانية . ولذلك فالدولة والشعب يخضعون لاحكام الشريعة التي تعتمد على اسس واضحة وهي القرآن والسنة . وكلاهما يد الامة كلها ، وعلى الاجتهاد الرسمي الذي يقرره كبار العلماء ، ويضمن ذلك المبادىء السياسية التي هي المساواة في الحقوق والواجبات وكفالة الحريات العامة الفكرية والاعتقادية والاقتصادية والسياسية ، والتعبير والثقافة واعتماد التشريع الاسلامي ، والالتزام له والدفاع عنه وعن المواطن والدولة والوطن كما تعتمد على حرية الاقتصاد والاتحاد والعمل وتنظيم الانتخابات لتدعيم الشورى لاعطاء الحكم للمستحقين ، والراغبين فيه وضمان العدالة الاجتماعية ، واعطاء الامكانيات والفرص للجميع والقضاء على الفوارق الاجتماعية ، وتنظيم السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية حتى لا تتداخل لتحقيق المساواة التامة بين المواطنين .

وقد اعتمد المغرب على تجربته السياسية التي اظهرت نضجه عبر التاريخ ، فكان نظام البيعة اساس الانطلاقة السياسية ... كما اعتمد الحكم في المغرب على اصوله الحضارية ، وطبيعة البيئة المغربية وما تأثر به من الثقافات والحضارات التي لم تجد الشخصية المغربية فيها ما يفقدها عنصرها الذاتي وتطبيقا لطبيعة الشخصية المغربية التي تمزج الحضارات والثقافات ، وتعبر منها الى اوربا او الى افريقيا ، فان الشخصية المغربية جعلت من الحكم نقطة ارتكاز ومحور حركتها التاريخية ، وهذا لم يمنعها من الاستفادة من الحضارة الفنيقية والرومانية من جهة واعتماد الحضارة الاسلامية من جهة اخرى سواء بالنسبة للتاريخ القديم او للقرون الوسطى .. فالحكم يعتمد الاسس الاخلاقية والعدالة في جوهره، ويضطلع به المواطن العربق معتمدا على عصبيته القبلية ، ومساعدة الاسرة ومن هنا كان تأثير المصريين القدماء الذين اعتمدوا على حكم الاسرة ، (كما يرى جوليان) وكان تأثير البيئة واضحا ايضا في الركون الى شخصية اصيلة ، ولما جاء الاسلام واصطبغ المغرب بالروح الاسلامية اصبح الحكم يعتمد على (الولاء) بين الحاكم والمحكوم . وهو التزام على العمل المشترك لصالح الجميع بواسطة البيعة .. وكان اعتبار الولاء اساسا قويا للحكم في المغرب لمواجهة التحدي المغربي للتكتلات العدوانية المسيحية او التكتلات الصليبية في عهد حروبها ضد الاسلام ، او التكتلات الاستعمارية في عهد التسلط الاوربي ، او في الايديولوجيات في عصر التكتلات المادية ، وما يزال الانسان المغربي يرى في مفهوم الحكم رمز عدالة اجتماعية تضع الحضارة المغربية في اطار اسلفية الدينية والتطورات المعاصرة ، وتجمع بين روح التراث وروح المعاصرة معا على اساس استمرار الوجود المغربي .

واذا كان من المتوقع أن يزداد عمق الهوة بين المفهوم الحق والشعارات كلما زاد الانفصال عن ثقافة المغرب الاصلية ، فان على المفكرين المغاربة ان يجعلوا من قضية نوعية الفكر ، الحل الجدي وان يعتمدوا ارضية الحضارة المغربية والواقع حتى لا تبتعد عن الجذور ، وان كان من الواضح أن المغرب الحق لم ينفصل عن الجذور الاسلامية وان الجماهير المغربية ذات اصالة يصعب اجتثاثها ...

وقد تكون هذه الاصالة تعني الانسجام مع الطبيعة العامة ، فالانسجام بين المجتمع والطبيعة وقدرة للانسان على أن يعكس الحقيقة الاجتماعية ليتلاءم معها يؤدي حتما الى المزاوجة والاستمرار.. ولهذا فلا بد ان يكون الحاكم في المغرب في مستوى الفهم والوعي والتطور لان المغرب حلقة الوصل بين الحضارات الاوربية والاسيوية والافريقية ، والحضارات لا تنقل وانما تهضم وتتجانس ، ولهذا فقد استوعب المغرب الحضارة الشرقية والاسلامية، وكان ذرعها ضد الغزو الاوربي ... وعندما انهزم المغرب وسلبت منه الصحراء لم تنقل الحضارة العربية الاسلامية الى افريقيا فنجحت اوربا المسيحية واستعمرت افريقيا كلها .

فرسالة المغرب هي ان يوجه التاريخ ، لانه (اولا) على الصعيد الانتربولوجي شعب يمزج العناصر الافريقية والعربية والاسيوية ، فهو شعب شديد الخصوصية الفكرية والوجدانية وشعب ملاقح وبلاده ثغر من ثغور الاسلام ، وبعني ذلك انه في مواجهة دائمة ، ولذلك فهو (رباط) في استعداد دائم للجهاد ، وهذا لم يمنعه من الاستقرار الحضاري الذي يبدو في معالم المدنيات كلها ، فالمغرب يقف في المواجهة والتحدي ، ويعيش الاستقرار والهدوء .. فرسالته ليست مجرد حمل الحضارات ، ولكن يستوعبها ويهضمها ويمثلها ويحميها ويخصبها .

لقد اسس الادارسة اول حكومة مغربية ثم حقق الذاتية المغربية المرابطون ، وحافظ الموحدون على هذه الذاتية وحقوق الامتداد الجغرافي ، كما اكد المرينيون على الوحدة الاجتماعية والفكرية ، وربط المغرب بالاندلس بالدفاع عنها .. وجاء السعديون ليعيدوا العامل الاقتصادي بالاضافة الى العامل الثقافي ، فوصل المنصور الذهبي الى تمبكتو ، وجاء العلويون ليحققوا للوحدة المغربية ، في اطارها الطبيعي وما يستلزم ذلك من صيانة هذه الوحدة داخلها وخارجها ... ولم يتسرب الاوربيون لافريقيا الا حين ضعف المغرب بعد ان انهكه الاستعمار ، فظل الشعور التاريخي يحافظ على الوحدة العضوية، وكان ضعف هذه الوحدة سبب الوهن الاقتصادي والركود السياسي ... فالوحدة العضوية اساس الاستمرار الحضاري ... وستبقى نوعية العلاقة بين الوحدة العضوية الافريقية اساسا ترتكز عليه الثقافة ويبني عليه الاقتصاد ، ولاجل ذلك يعتمد الحكم المغربي حين ينطلق من خلية الفرد ثم الاسرة ثم القبلية ثم البلاد جميعها ، على الاتصال الروحي والثقافي ، فلهذا اخذ من الشرق حكومة الامة المساندة للفرد ، ثم اخذ العصبية القبلية عن وحدة القبلية العربية كما اعتمد على الشخص الاصيل ، ولم يمنعه ذلك ان ياخذ اطار الديمقراطية الغربية في الانتخابات والبرلمان وكل ما يحقق الثورة الاصيلة في الحكم ، وهكذا تجد النموذج التاريخي بارزا من عهد (الاقيد) الى عصر المرابطين والموحدين الذين مزجوا بين الصوفية والايديولوجية السياسية ، ثم السعديين الذين مزجوا بين الدفاع عن المغرب والحاجة الاقتصادية لانقاذ الاندلس ، وتمتين الصلات بافريقيا حماية لها من الاستعمار البرتغالي ... ثم جاء العلويون لحفظ التوازن وتعبئة الشعب ، واعادة المغرب لوحدته بعد ان استنزفته صراعات (الاقطاعات) التي اعقبت عهد السعديين ...

«الاشتراكية الاسلامية تنطلق من مبدأ «الحفاظ على كرامة الانسان » ؛ ففي القرآن نص صريح يقول : « **ولقد كرمنا بني آدم** » ، ومنذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، لم يكن أحد من الخلفاء المسلمين ولا من تبعهم بحاجة لاصدار وثيقة يعترف بها بحقوق الانسان ، فكما قال رسول الله « **المؤمنون سواسية كاسنان المشط** ...» اذن ، انطلاقا من مبدأ الحفاظ على كرامة الانسان ، ومن مبدأ « ضمان الحقوق الانسانية للجميع » ، وهما مبدآن نجدهما في كل باب من ابواب كتاب الله والسنة النبوية ، نستطيع ان نعترف ونعطي كل مسلم فرصا متكافئة وحظوظا متساوية ، ثم نتركه يجتهد ويحتفظ بمبادراته ... نحن لا نقسم المجتمع كما كانت تقسمه أوروبا الى ثلاثة اقسام النبلاء ورجال الدين والرعية ، فالاسلام ليس فيه طبقية ولا تمييز بين الناس ، ولا تفضيل لاحد على آخر ، ان مبدأ تساوي الفرص والحفاظ على كرامة الانسان هما من صلب العقيدة الاسلامية » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

الاختيار المغربي الحديث
بين المعزلة والتحدي

للأستاذ زيد العابدين الكتاني.

تؤكد كل النتائج والدلائل التي يسجلها الملاحظون والمراقبون على اختلاف ميولهم ان كل الخطوات التي نخطوها وجميع المراحل التي نقطعها او نطويها تثبت ان اختيار المغرب الجديد يتميز بالاسلوب العلمي المحدد الاهداف ، والمرامي ، والابعاد .. التي استهدفها في خطواته الاولى التي انطلق منها ..

ولا يعني هذا الاسلوب والتحديد ان الاسلوب العلمي كان يتعدم من قبل ، ولكن بزوغ العهد الجديد قد اقترن بوضع تخطيط مدقق للخطوات المرسومة التي قطعها المغرب منذ سنة 1956 كظاهرة بارزة في تاريخه الحديث .

***

واذا كان هذا الاسلوب او التحديد قد ارتكز مكرسا كل جهوده واهدافه ومراميه منذ البداية طبعا لوضع نقط توازن بين مختلف الاتجاهات ، وبين أسلوب العمل الذي اختاره هذا العهد مسبقا لضمان الاستقرار ، وتكافؤ الفرص ، وخلق المواطن المغربي الجديد الحر .. الشاعر بالحرية في أوضح صورها ، العامل من أجل حماية هذه الحرية وهذا الاسلوب . فان هذه الاسس هي الضمان الاساسي للاستمرار من جهة ، وحماية الوحدة المغربية من جهة ثانية .

ولقد اقترن ظهور أسلوب التفكير العلمي الجديد في المغرب بظهور :

أولا : تحديد علمي لكل الخطوات التي اصبح المغرب يخطوها في مختلف المجالات التي تنتظره وهو يعدو راكضا نحو اللحاق بأمجاده .. نحو آفاق المستقبل الذي تبدو امامه ، بل للوقوف في صف الدول التي اكتمل نموها للسير الى الامام .. ولهذا الجانب نتائج ملموسة.

ثانيا : ثم عندما أخذ المغرب يبلور اعماله العادية في التخطيطات العلمية والتصميمات التي تضمن نجاح الخطوات التي يتطلبها مستقبل المغرب بتحقيق رغباته في تجاوز مراحل النمو والقضاء على التخلف نهائيا .

وقد بلورت هذه التصميمات والتخطيطات مدى صلاحية الاتجاه الجديد وقدرته على تحقيق الرغبات الشعبية في كثير من المجالات ..

وتلخص هذا التفكير الواضح هو الذي يبرز الاسلوب العلمي الذي يميز مغرب ما بعد 1962 في المجالات التالية:

1) بلورة التفكير العلمي .

2) حماية التفكير المغربي وخلق اسلوب للتفكير المعاصر ، واستهدف هذا العمل ، خلق آفاق جديدة وواضحة .

واذا ما حاولنا ان نستخلص النتائج الاولى من هذه الخطوات ،فاننا نقف أمام تجربة واضحة تعمل من أجل تركيز الحرية من جهة ، وتجديد التفكير المغربي على أسس ومقومات لملائم فكر امة القرآن ، ويصور واقعها وحقيقتها في عالم تتضارب فيه حياتها ، وواقع الظروف التي تعيشها في عالم اليوم الذي أصبح البون فيه شاسعا بين تفكير الامه الاسلامية ، وواقع التطور الفكري والعلمي العالمي .. مما يصارع شعوبنا بضراوة لجعلها مادة سائغة للاتجاهات والمذاهب المنحرفة التي تستهدف تحويل الاتجاه الانساني وتقسيم ما يسمى بالعالم الثالث الى اسلوب استعماري جديد يرتكز على الاستغلال والاستعمار واقتسامه بلمة القوة والسلاح نتيجة صراع خطير .. مميت .

آفاق الفكر المغربي المقبل

واذا كانت هذه النتائج قد وجدت انعكاسات مهمة داخل البلاد وخارجها وحركت آفاق الشباب العلمية ، ودفعتهم الى التفكير في ماضيهم وفي واقعهم على ضوء المقاييس الجديدة فان هذا يوضح آفاق الفكر المغربي المقبل ، ولو أن الصراع يخفي هذه المعالم في بعض الاحيان ..

هذا هو الاختيار الواضح المعالم والافاق التي يدعونا للعمل الذي نعمل على صونه خصوصا عندما أصبح اسلوب العمل يرتكز على توحيد الصفوف ، واتحاد الجهود انطلاقا من حبل الله المتين ، الذي يصل قلب كل مسلم بقلب كل المسلمين في العالم بأسره ، سواء على النطاق الوطني او الجهوي أو القومي حيث تذوب المؤثرات الخارجية والمطامع التي غالبا ما يبعثها الاستعمار الجديد ، والشعارات التي قدمها لنا في صور مختلفة عن طريق مدرسته وأسواقه الفنية والاعلامية والسياسية التي كان القصد منها تفكيك الوحدة والاسرة

وانني اومن وكما أكدت هذه التجربة الصامتة في عدد من الخطوات سواء على الصعيد الوطني او العالمي في عدد من المجالات التي خاضها المغرب في وضوح وفي جلاء أن هذه الاختيارات تشير الى ان المغرب الجديد قد قطع في هذا الاختيار خطوات يثني الجهد بالجهد ، لبعث الطاقة الخلاقة لتستمر على هذا المنوال طبيعتها قائد محنك ، وشعب يقظ ، وعمل متواصل وارادة خارقة، وايمان صادق ورغبة أكيدة في البناء .. والوصول الى تركيز الاصالة والوضوح ..

والواقع ان هذه النتائج ليست نتائج عادية أو سهلة ، ولكنها ملامح ترتكز على بعث أسلوب مغربي أصيل يرتكز على دعامات أصيله يستمدها من نضالاته وثقافته وسياسته . هذه الدعامات المغربية الصرفة التي تنبعث اليوم من صميم المغرب الذي ينطلق في خط واضح ، تؤكد الآفاق الانسانية المحيطة به أنه خط أصيل وموصل ومستمر لبناء مغرب جديد .. المغرب الذي بشرت به ثورة الملك والشعب ، والمغرب الذي عاهد على بنائه أمة وقائد فسرب بهما هذه الثورة المباركة

الصورة الواضحة على مختلف المستويات

واذا كان علي ان اتناول ولو صورة واحدة للتعريف بنتائج هذا الاختيار فانني سأختار تجربة (مسيرة فتح) (1) التي تعتبر نتائج تجربة عشرين سنة ، وعنوان الانتقال من حقبة الى أخرى ..

واذا ما حاولت ان ارجع اولا الى الوراء ، وثانيا ان أحاول من خلال التجربة المغربية ان أجد عاملا يجمع بين الاحداث ، وثالثا ان أصل الى نتيجة ملموسة واضحة المعالم فان هذه المسيرة في اختيارها ونتائجها ومعطياتها هي النتائج الاولى في اختيارها ونتائجها المغربي ، الذي يعمل ليصبح باطاره العام منهج هذا الاختيار .

(1) أو المسيرة الخضراء .

ومن هنا ، من هذا المنطلق فاننا نجد أن المغرب الجديد عند ما اقدم على ثورة الاختيار الذى أطلق عليه (التجربة المغربية (2) كان العالم المتقدم بالذات ينظر اليها بكل تقدير ، بل وتشجيع ، فأطلق على تجربتنا (المعجزة المغربية) (3) .

ولم تكن هذه التجربة الرائدة بل وهذه المعجزة التي استخرجت تقدير الكثيرين وتنويه العالم المحب للحرية بصورة عامة وفي اطاره ، إلى كان بمثابة المرحلة الجديد ، يقطع مرحلة جديدة نحو الافضل والاسعد الذى ينطلق ابتداء من (مسيرة الله اكبر) نحو تخطي (مغرب المعجزة) الى (مغرب التحدى) للوصول بالتجربة الى مرحلة الانتقال الطبيعي

والنتيجة التي لا تقبل الجدل ان هذه التجربة اختيار .. انطلق من تخطيط علمي صرف شاركت فيه الامه بكل فئاتها .. وحاول ان يغطي كل المتطلبات والابعاد الذى يحلم بـ . وحجم اكبر عينات العالم المتخلف وهي الطبقات التي يسميها الاستعمار ، او يرغب عن الاقطاعيات التي كان يرتكز على ابقائها .. وارتكز على بعث جمهور ثلاثة الذى يعتبر بالدرجة الاولى هو صانع ... الحسني المجتمع الاسلامي ... هو صاحب التحول الاجتماعي الذى ارتكز على النهج الاسلامي منذ البداية ، وفي مختلف مراحله ، وذلك هان التجربة التي تحولت في نظر العالم الى معجزة سيجده مراعاة الاصالة واصالته ، واظهر واضح للعالم مرتكزات اساسه والتحقق في الابعاد والنتائج .

وهنا هان أي منصف لا يستطيع كما لا يجوز ان نلاحظ اي نظر محايد ... ان ... ، وان الامة التي حققت هذا المخطط انما هي خيرة ، اصيلة واصالة ... وليست جماهير شعارات وعاطفات ، انطلقت قدرة للاختيار ونتائجه ، واوضحت ذلك لاصحاب الشعارات الجاهزة او الوازية للغير .

وهكذا فان التحول واقع ، وان التطور يرتكز على اسس الاختيار الواضح ، وهما معا تابعان من الشروط المادية لوجود المجتمع نفسه (كما يقول هؤلاء) من غير تمرد على الاصالة ، ومن غير اهداف اساسيا وعمقيا ايطلقه الاستعماريه وسلطانا وحتيمتيا السعيبة المباشره في اهدافها وابعادها بصور مختلف وبنوع من الروائد الغير الشجاعة في المواجهة . وهو ايضا ما يصوره شعار (المغرب الجديد) او (مغرب التحدى) (4) على أن التجربة المغربية الجديدة لم تقف عند حد التجربة ولكنها وهي تلتقي مع التحدى ومعطيات ونتائج مسيرة فتح فهي تؤكد في وضوح اصاله الاختيار المغربي

— ٭ —

انتهيت سابقا الى محاوله الاحاطه بالمقدمات الاساسيه لمغرب الجديد التى اعلن عن ميلاده بانطلاق مسيرة فتح في نوفمبر من سنه 1975 لاسترجاع الصحراء لمغربيه

وذلك بعد ما نحاول أن نلقي الضوء على جذور صوره هي (المسيره الخضراء) من خلال الاسلوب المغربي دورا وحفاظا على وحدة البلاد واستقلاليا وعربيا بحب راعة القيم المثلى ، فان ذلك يدفعني الى ان علمسه هذه الصوره لم تحدث في الوقت عن فلسفة الرحلات الملكيه المغربية منذ قيام الدولة المغربيه التي تكاملت اسسها وعمقها بالفتح الاسلامي ، وبوطدت اركانها بالرساله المحمديه ورسخت عوامل حمل الثقافة الاسلامية العربية ، ومن ثم فمهما تنوعت اسباب هذه الرحلات والتنقلات وتاكدت صلاحيتها ، وتركزت اهدافها القريبة والبعيده سواء بالنسبه لنفسية الشعب المغربي ، او بالنسبة لما يتمخض عن هذه الرحلات من اعمال تنجز في ... ذكر او ما تحققه من الامال والاماني الخاصة والعامة .. فذلك ما جعلها غالبا ما تعمل عملها في الحين فتحرك عواطف الامه ، وتنطق الصامت والجامد فتحدث الحركة ، وتبدأ العمل ، وتيسر القافلة ، ويتجدد السير

---

(2) (التجربة المغربية) كتاب صدر عن دار مكتبه الحياة للدراسة ، محمد عثمان سنة 1968 يقع في حوالى مائتي صفحة .

(3) كتاب للاستاذ احمد عمة صدر سنة 1975 يقع في : 744 صفحة .

(4) (التحدى) مذكرات صاحب الجلالة الحسن الثاني ، صدرت بالفرنسية في مارس سنه 1976 وهو في 284 صفحة .

الرحلات موضوع علمي صرف

وفي تاريخ المغرب القريب والبعيد ، رحلات خالدة (5) سجلت أعمال أنجزت في حينها (6) وانتصارات تحققت لعاتيها ، وأهداف استهدفها الفاتحون لنصرة الحقيقة ، وإقامة الوحدة في سبيل بناء صرح السلام وتعميم الرخاء ، وغرس جذور جديده للمحبة والوئام والتوحيد .

وإذا كانت حركات الافراد العادية ، وبعض المظاهر الطبيعة الصامتة تترك من الاثر في النفوس ما يطربه، فلا شك أن حركات رواحنا غاليا وأعمالهم دائما ما تكون خالدة لانها تسعد دائما ، وتحقق الامال والامانـــي خصوصا بالنسبة للوكنا الذين عرفنا منهم من اختار أن يكون عرشه فوق فرسه ، ايمانا منه بان ذلك سيجعل ربوع مملكته متحدودة الاركان متماسكة الاطراف (7)

وإذا كان للمغاربة ولوع خاص بالرحلات (8) فلقد أمدوا لها من الكتب والنشرات ما لا نستطيع له عـدا في هذا العرض كما سجل الادباء والكتاب هذه الرحلات في صور مختلفة جمعت بين الروعه الادبية ، والتعبير الصادق عن الاهداف التي استهدفتها دائما ، ويمكن أن نحدد رحلاتنا في الصور التاليه :

أولا : رحـلات الفتح .

ثانيا : ورحلات التفقد والتنقد .

ثالثا : رحلات من أجل الدفاع عن حوزة البـــلاد وحمايه النظام .

وقد أضاف لهذه الرحلات ملك المغرب المقدس محمد الخامس رحلتين جديدتين في تاريخ المغرب ، صاحبه فيهما ولي العهد جلالة الحسن الثاني . وشهد معـــه المشاهد كلها ، وحقق معه النصر وانطلق من بعده يطبق مخططاته تبرا يوعده طبقا لوصيته **ولرغبات أمته فـــي الانطلاق نحو مستقبل واضح المعالم و في احدى يديه قبس من نور الهداية الاسلامية ، وفي الاخرى مشعـــل العدل والاخاء والحرية لربط أواصر الاسرة الانسانية)**

والرحلات الجديدة هـي :

رابعا . رحلة الكفاح والعوده من المنفى

خامسا رحلة استقـلال الاقاليم الشماليـــة وتوحيدها .

سادسا : رحلة الوحدة وهي الرحلة التي تسلم فيها سيدنا الله برحمته اقليم طرفاية .

سابعا : رحلة الوحدة التي ابتدأت برحلة الحسن الثاني الى ايفني التي تعتبر حلقة جديدة في حياته .

ولما كان جلاله محمد الخامس هو رائد (انبعاث لمغرب) (9) فان تخطيطه لانبعاث أمته يرتكز علـى اسس هي الاسس التي ينطلق منها الاختيار الحسني ، سواء بالنسبة للسياسة الداخلية او الخارجية ، الا ان نفس هذا الاختيار هو الذي حدا بمحمد الخامس الى أن يبدأ أول رحلة له عبر أقاليم المملكة المغربية سنة 1933

---

(5) رحلات محمد الخامس رضي الله عنه وهـي كثيرة ، للداخل والخارج ، أهمها : (رحلة الجنوب) و (رحلة طنجة) و (رحلةفرنسا) سنة 1951 ، ورحلة المنفى سنة 1953 .

(6) انظر مثلا :

أ ــ مجلة (رسالة المغرب) س : 6 ــ ع : 3 نونبر 1947 ص : 302 .

ب ــ قول القائد موسى بن نصير (نفح الطيب ــ ج : 1 ــ ص : 123 .

ج ــ مجلة (رسالة المغرب) ــ ص ' ــ 1 ــ خ ' 11 ــ غشت 1943 ــ ص ' 12 .

(7) كما اشتهر ذلك عن جلالـة الحســـن الاول 1190 م. 1311 هـ .

(8) انظر (رحلة العياشي) صفحات : 297/293 .

(9) الاسم الذي أطلق على مجموعة الخطب الملكية الرسمية التي تصدر كل سنة باسم (انبعاث أمة) صدر منها لحد الآن عشرون جزءا .

وذلك بالفعل ما يشير اليه التعليق المنشور يومئذ (10) والذي اثار ضجة عبر بسببها رئيس تحرير جريدة (السعادة) من اجل نشره للتعليق الذي جاء فيه :

« من الامور المقررة في برنامج اعمال جلالة السلطان المعظم اطال الله بهجته وحرس مهجته ان يتجول سنويا بين ربوع ايالته لتفقد شؤون مملكته ، والاطلاع على ماجرياتها ، والوقوف على عين حقيقتها ليكون جنابه السامي دائما على خبره تامة من مهام الملك ، واحوال البلاد وما انجز فيها من مشاريع اقتصادية وزراعية وصناعية وغيرها من أعمال هامة ، ومصالح عامة تدعو الى العناية بها وتفقدها من حين الى حين تشجيعا لها على مواصلة السير في طريق التقدم نحو الغاية المنشوده التي يصبو اليها الكل بتعطش واشتياق .. » (11) .

وفعلا فلقد أثرت الرحلات الملكية (12) على عهد محمد الخامس تأثيرا مباشرا داخليا وخارجيا كان في الحقيقة هو الطريق الاساسي الذي تركزت عليه الحركة الوطنية وعلى مخططاتها كانت تحقق هذه الحركة اهدافها الثورية في بث الوعي ، واذكاء الشعور الوطني ضد الاستعمار والتحركات الانهزامية والرجعية والانطباعية الموازية للمستعمر حتى تحقق النصر .

المسيرة خلاصة الاختيار المغربي المتسلسل

وهكذا اذا كان ضروريا ان اصل الى العوامل الثورة لاختيار أسلوب المسيرة الخضراء فاننا نجدها تستمد جذورها من فلسفة الاختيار المغربي عبر تاريخه الطويل حيث نستخلص ما يلي :

1) ان تجربة الاختيار بين معجزتها وتحديها مما مهد للمسيرة ونتائجها الواضحة ، السليمة في نظريتها، العلمية في منهجيا

(2) ان فلسفة اختيار الرحلات الملكية التي كانت طوال هذا التاريخ المتسلسل حلقات من السيرات التي ظلت طوال هذا التاريخ اسلوبا سليما يرتكز على الحفاظ على الوحدة الترابية والوطنية ، ويحقق نتائجه سواء بالنسبة للداخل أو الخارج ، فهزم البعض ، وانهارت الاطماع ، فبلغ الهدف وتحقق ، وتغير التاريخ بالنسبة لعدد من الطامعين والمستطلعين

وبشاء القدر الا ان تجتمع أغلب هذه العوامل على عهد جلالة الحسن الثاني ، وذلك ما جعلني انتهي الى نتائج هذه العوامل ، وهي التي جعلت التجربة تقف بين المعجزة والتحدي كما أوضحت .

ولذلك فاذا ما اخذنا رحلات هذه الحقبة (1961/1975) فاننا نجدها تنقسم الى نوعين :

اولا : رحلات عبر جهات البلاد للانجاز والتخطيط، وترتكز في أبعادها على المعرف على احوال سكان مختلف اقاليم المملكة ، ومن اجل الوقوف على مشاكلهم ، ومن أجل الاستماع اليهم من أجل الانصات الى دقات قلوبهم العامرة بالامل .. او بالشكوى ، بالراحة أو بالتعب ، بالسعادة أو بالشقاء .

ثانيا : رحلات الوحدة وهي رحلات يمكن ان تحددها فيما يلي :

1) – رحلات سنة 1389 هـ . – 1970 م. الى كل من :

– تلمسان بالجزائر (13)
– نواذيبو بموريطانيا (14)

2) رحلات سنة 1395 هـ . – 1975 م.

في اكتوبر .

– تعبير الصخور الاولى لبناء (سد المسيرة) باقليم سطات .

في 16 اكتوبر :

– الاعلان عن (المسيرة الخضراء) (15) تحت راية القرآن الكريم التي تحقق حدفها في عين المكان ، وبالتالي

---

(10) سنة 1931 أي بعد ثلاث سنوات من تنصيبه ملكا للمغرب .

(11) جريدة (السعادة) (ع : 3694 – ص : 1 – 9 جوان 1931) .

(13) أصدر مؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور كتابا بعنوان : (مع جلالة الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان) – المطبعة الملكية سنة 1970 في 275 صفحة .

(14) (مع جلالة الحسن الثاني في نواذيبو) – المطبعة الملكية سنة 1970 ، 185 صفحة .

(15) أنظر مجلة (الفنون) المغربية – العدد الخاص بالمسيرة الخضراء (نونبر 76

على الصعيد السياسي محقق (المغرب لنفسه مجدا ، ووضع على راسه تاجا ، وخلق اسطورة ..) كما قال هاته الجريدة ، في حين اعلن السيد محمد البجاوي رئيس رئيس تحرير (المغرب العربي للتحرير) ان هذه **الفكرة التي خرج بها صاحب الجلالة الحسن الثاني اثبتت عبقريته ، وذكاءه وفراسته، وانني قليلا ما استعمل هاته الاوصاف، ولكني استعملتها اليوم بدون اى تحفظ ، لانها تعبر عما شعرت به** (16) .

وهذا التحديد الواضح الذي شغل كثيرا من المحللين واطلق اقلام العديد من الكتاب والصحفيين والمعلقين الى الحديث عن (مسيرة النور) باعتبارها (تجربة فريدة **من الناحية السياسة ، ومن الناحية الاجتماعية والانسانية ، اى تثير التفكير في كل مشاكل مجتمعاتنا العربية ، مشاكل الانظمة والشعوب ، مشاكل الثورية والرجعية ، مشاكل الدين والاشتراكية والانفتاح والاستعمار والقوميه .. فكانت المسيرة في ذاتها تجربة.. سقطت في حركتها التاريخ الاسلامي القديم ، وايقظت كذلك قضايا كثيرة كانت نائمة في المنطقة)** (17) .

ولا تتوقف معلن مجلة روز اليوسف القاهريه عند هذا الحد ، بل يؤكد مرة اخرى بان هذه التجربة كلها من الناحية السياسة ومن الناحية **الاجتماعية** والانسانية تعني ظاهرة عامة عربية تحتاج الى اكثر من دراسه واكثر من تحليل ، (18) .

وهكذا فاذا كانت (المسيرة الخضراء) قد جددت اسم المغرب ، وقدمته للعالم تجمع في صورة تجمع بين الاصالة والتجديد ، وبين الواقع والارادة فان الذي نعتز به هو ارادتنا ووحدتنا ، لاننا اكدنا على مدى التاريخ انه وحده لا تتبدل ولا تتغير ، وتلك هي مخاوف العدو اذا في تأييد مسيرتنا الاسلامية موقفا ضد تجار الاسلحة الكيمياوية ومفهوم التقدم (19) وهم في نفس الوقت يدركون كم تكلف مثل هذه المسيرة من التفجير والاستفزاز والانسحام لتكون (مسيرة مضمون حسابها حتى من الوعيد والتهديد) .

وذلك ما دفع احد الصحفيين المصريين لان يتحدث عن (مشاهد من الفتوحات الاسلاميه بدون سلاح (20) وهو يكشف عن مواكبة المسيرة في عين المكان بينما اعلن الامين العام للمؤتمر الاسلامي انه يتمنى « أن تكون الامه العربيه وقادتها .. قدوة للتاريخ ، وفاتحة عهد العزه والكرامة والحق »

وبعد ، فان عشرين سنة لتقديم المغرب الجديد للعالم، وعملها من التخطيط والتجربه لتركيز الديمقراطية الحقة ، الديمقراطيه التي تعني الامساك عن كل نوع من انواع التهريج والاقتصار على العمل المجدى الوثيق الصلات بحقيقة الاشياء (22) كطابع للعهد الحسني بالخصوص ، اكسبت حسن الاختيار ومع ذلك فان المعركة القائمة تحت شعار هذا العهد يمكن ان نقول جازمين بانها ذات شقين

في **السياسة الداخليه** : تحقيق التوازن ، وتركيز المكتسبات الوطنية في مختلف جهات المملكة ، ومطاردة المخلفات الاستعمارية نحو خلق المغرب الجديد بأسلوب معتبر معجزة العصر .

في **السياسة الخارجية** : الكفاح من اجل تحقيق الوحده العربيه ، وخلق الاواصر الانسانية وذلك ما تحقق بالفعل ولا توجد في الشقين معا ، موضع آخر يمكن أن ينطلق منه اتجاه معاكس ، او فلسفه تسمح بوضع اتجاه او صيغة اخرى غير هذا السلوك

وتلك هي الايجابية التي أصبحت بكل وضوح وموضوعية طابع هذا العهد ، وهو الطابع المميز للسياسة الحكيمة التي ينهجها المغرب لتحقيق غد أحسن قوامه العمل الجدى الوثيق الصلات بحقائق الاشياء والاحداث، وبكل هدوء وسكينة في أوضح صورة

---

(16) انظر جريدة (المغرب العربي) (ع : 134 — 9 — 12 — 75) ص : 1 و 2

(17) مجلة (روز اليوسف) القاهرية (عدد : 2476 — 24 — 11 — 75) ص : 10 و 11

(18) نفس المصدر .

(19) نفس المصدر

(20) نفس المصدر .

(22) خطاب صاحب الجلالة سنة 1966 .

عرش وشعب

لشاعر الوحدة الاستاذ : محمد الكبير العلوي .

[illegible] ذو عزة فكلاهما ذو شان
المرشد السوي اشرق ساطعا وارتاد بالايمان والاحسان
[illegible] عبد العرش في [illegible] في [illegible] طالع وامان
[illegible] العرش المجيد [illegible] في [illegible] وتعانق [illegible]
[illegible] العظيم [illegible] وليس [illegible] على [illegible]
قالت [illegible] [illegible] وسحر [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] الصحى [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] اول من دعاه الى [illegible] والى [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] حديث [illegible]
قد [illegible] العرش المجيد [illegible] [illegible] العظيم [illegible]
[illegible] الحكم [illegible] [illegible] في الآذان
واضاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وتلوت [illegible] [illegible] آيات [illegible] على الاكوان
فتغنت الدنيا [illegible] نغمها انشودة قدسية الالحان
وادرت منه اكوسا خمرية ذهبت بعقل الشاعر الفنان
فاهتز مفتونا وقد لعبت به لعب السلافة بالفتى النشوان

لولاه ما صفت السموط قصائدا ... ولما نظمت قلائد العقيان

ولما ارتمت زهر البيان عرائسا ... وضاءة الهالات فى احضانى

وتناثرت درر البديع شتيتة ... كيما انتدعا عقود جمان

لنظمت زخرفها النثير قلائدا ... يعتز مبدعها على مجان

وزهت رياض الشعر وهى حدائق ... غلب يلذ قطافها للجانى

مسكية التفحات عاطرة الشذى ... نواحة مياسة الاغصان

فنعمت فى افنائها مترنحا ... وعصرت منها كل غصن دان

انا لا ازال عميدها وصريعها ... شغفا وحافظ عهدها المصطان

انا لا ازال البلبل الصداح فى ... اكمامها الملتفة الافنان

انا ما ازال ولن ازال اسيرها ... لسم انوء من هجر ولا سلوان

اخلصت للعرش المجيد وشعبه ... وامامه قطب الورى الصمدانى

عرش وشعب سامحان الى العلى ... فى صالح الاوطان ملتحمان

عرش نماه المحتد السامى الى ... خير البرايا المصطفى العدنانى

وحشود شعب حرة مصرية ... والمازغ تميت الى قحطان

مولاى مالك فى المحامد شان ... بل انت واحدها العظيم الشان

جلت مبرتك الابية عزة ... وتقدست عن منطقى وبيانى

اعلنتها خضراء لم تسبق الى ... امثالها فى سالف الازمان

فاهتزت الدنيا لها وترددت ... اصداؤها نوبية الاعلان

لبناك فيها للنضال وللفدا ... شعب ابى مخلص متفان

ورثوا المحبة والوفا لك فانتشوا ... لخطابك السامى بدون تواني

ومضوا الى الصحراء فانتعشت بهم ... خضر الربى وضاحضح القيعان

امم يدحرجها الشمال جنوبه ... حسنية الدوجية والايمان

حملت الى الصحراء ابوية الهدى ... خفاقة وادلة القرآن

رفعت بنود الحق فى ايسارها ... والمصحف القدسى فى الايمان

ومضت الى الوطن الحبيب ابية ... زحفا يدك معاقل العدوان

فكأنها الاعصار فى هيجانها ... وكأنها الركان فى ثوران

وكأنها البحر الغطمطم جارف ... طاغ على الاوداء والكثبان

وكأنها صبح البشائر شامل ... وكأنها ليل المسرة حان

وكأنها القدر المحيط مجاجل ... مترصص بالجور والطغيان

ما تلك الا امة حسنية ... شرفت وعظم شانها الثقلان

علمت بحبك واستقل بها الهوى ... مشبوبة الاحساس والوجدان
كانت به شغفا وجن جنونها ... فيه وهامت أيما هيمان
وتملأت أحشاؤها وقلوبها ... بوفائها وبحبك الربانى
فاذا دعوت الى النضال حشودها ... وافتك فى طرب وفى هيجان
وانتك تبتدر الامام وكلها ... بطل القضية فارس الميدان
حررتها وانرت زاهر عهدها ... واقمت وحدتها على اركان
ورفعت اعلام الهدى خفاقة ... فى الخافقين تشع بالعرفان
ونشرت دين المصطفى فحررته ... وحديثه فى عصرنا العلمانى
وجعلت مغربك المحبب آية ... للناظرين وضيئة البرهان
فى كل شبر منه سد شامخ ... وحديقة غنا وروض هاتى
فسما على أسس الحضارة زاهيا ... برتبه وجماله الفنان
وسمت ببانيه لتخترق السما ... فى عالم التشييد والعمران
وتنافست خضر الخمائل زانها ... متشاكس الازهار والالوان
فكأنها جنات عدن زفها ... للمتقين ملائك الرحمان
فتفيأ الشعب الكريم ظلالها ... سعداء زاهر عهدك المزدان
وتعانقوا فى ظل عرشك اخوة ... ما شم من غل ولا لدران
واظل جيشك كالسعود طلائعا ... نوبية فى ملتقى الجولان
واعتز فى سينا وشع سناؤه ... وجلاله لما التقى الجمعان
واضاء فى افق العروبة فانجلى ... عنها الضباب الحالك الظلمانى
اتسمت بالعرش المجيد اليه ... ما كان ابعدها عن البهتان
ان ليس للحسن الهمام المرتضى ... فى مجده وفخاره من ثان
غمرت مواهبه الشمال فامطرت ... فيها بسيب جوده الهتان
وتهاطلت نحو الجنوب كريمة ... منهلة التوكاف والفيضان
فله أياد فى العروبة جمة ... وله الايادى البيض فى السودان
عظمت فضائله فليس تنى بها ... اوزان اشعار وسجك معان
اخذت مآثره بأفئدة الورى ... وشدا بوافر حمده الملوان
وتفنن الشعراء فى أوصافه ... ونعوته فى زحمة ورهان
رحب المجال واشرقت ساحاته ... ليجول ذو سبق وذو ظلمان
تشرفت بالتحليق فيه ولم اكن ... لولا جميل ثنائه ما كان لى
لولا أحسن حرفة الطيران ... بالمستحيل من البيان يدان

حليت عمائدى الروائع باسمه ... وبوصفه السامى فهن عنوان

وبنت وحيدة نسجها وسموها ... فى عالم الإبداع والاتقان

فكأنهن سموط تبر رصعت ... بغرائب الياقوت والمرجان

وكأنهن الزهر مشرقة السنا ... وضاءة وهاجة اللمعان

أودعتها ثقل الصخور متانة ... ووهبتها لهف النسيم الوانى

فكأنها فى رقة وحرارة ... ريح الصبا وتذالف الركبان

اطريتها بمآثر الحسن الرضى ... فزهت تقر بمثلها العينان

وسمت بآيات الجمال فمالها ... كفؤ سوى الحسن العظيم الثانى

وثيقة تاريخية

عن زيارة جلالة الملك لتونس

سنة 1949

علق عليها
شاعر المغرب العربي الكبير
الأستاذ مفدي زكريا .

نشرت جريدة (الارادة) التونسية التي كان يصدرها الزعيم الدستوري المرحوم الاستاذ المنصف المستيري في عددها 778 السنة السادسة عشرة يوم الثلاثاء 9 رمضان 1368 هجرية الموافق 5 جويليه 1949 ، مقالا قيما زاخرا بالعاطفة الاخوية الصادقة التي تعززها وشيجة القربى بين البلدين الشقيقين تونس والمغرب ، والتقدير البعيد المدى الذي كان يحظى به سمو الامير ولي العهد مولاي الحسن الثاني لدى اخوانه الابرار من اقطاب الوطنية والكفاح في تونس الخضراء ، مع الاحتجاج الصارخ على ما قامت به آنذاك الاقامة العامة من ضرب حصار على سموه والحيلولة دون اي اتصال من اي تونسي به ، كبتا لمشاعر الشعب التونسي نحو سموه والوطن الشقيق الذي يمثله في هذه الزيارة ، وخوفا من نتائج اتصال امير مغربي مناضل مع اخوانه المناضلين بتونس ، والمقال تحت عنوان « زيارة ولي العهد المغربي ـ تحية اخلاص واجلال لسموه » صادرة من اعماق النفس التونسية العربية » وبمناسبة عيد العرش المجيد أرفع هذا المقال لجلالة القائد المفدى كهدية متواضعة على يد مجلة (دعوة الحق الحبيبة) مصورا طبق الاصل عن جريدة (الارادة) الغراء ـ مع خالص التهاني والاكبار والاجلال ، لجلالة الحسن الثاني المعظم ، رائد الابطال . ومعجزة الرجال ، وملهم الاجيال .

مفدي زكرياء

«يوم السبت 6 رمضان 1368 ـ 2 يوليو 1949 حفيت البلاد التونسيه بشرف زيارة منظورة بشوف عظيم قام بها حضرة صاحب السمو الملكي المعظم مولاي الحسن اكبر انجال صاحب الجلالة الشريفة عاهل القطر المغربي الشقيق وولي عهده .

وصاحب الجلالة الشريفة كما يعرف الجميع باعث النهضة في القطر العزيز الشقيق وباعث روحها لذلك حاز في اقطار المغرب العربي خاصة وفي العالمين الاسلامي والعربي مكانة سامية جعلته في طليعة ركب العاملين الصالحين الموقنين العاملين للخير العام الساعين في خدمة امتهم وتعزيز اواصر الاخوة بينها وبين شقيقاتها القاصية منها والدانية .

والشعب التونسي ـ شقيق الشعب المغربي وجاره القريب ـ يدرك هذه الحقيقة ويقدرها حق

التقدير . ويعلم اكثر من ذلك ان عاهل المغرب الجليل كثيرا ما كان في تصرفاته وفي عمله في سبيل امته اسوة كريمة وقدوة صالحة لهما اثرهما الطيب في بعث عمل موفق جليل وسعي وطني رائع هنا .

لاجل هذا شاع الاستياء العظيم في النفوس بصورة عامة لما رأى الناس سلوك سلطات الحماية في اعداد قبول دون ما يجب ان يكون لنجل العاهل العظيم . فقد وضع برنامج اقامة سمو الامير المغربي المحبوب على قاعدة « احتكار استعماري » منع الشعب التونسي من القيام بواجب التكريم اللائق بما لسموه من مقام عظيم في النفوس .

ولقد كنا نتمنى ان تتمكن مؤسساتنا القومية والعلمية والادبية من شرف المشاركة في الترحيب بسمو الامير المغربي الجليل وان تحظى بزيارة كريمة منه تكون فرصة مناسبة يظهر فيها الشعب التونسي عاطفة الاخوة التي تربطه بالشعب المغربي الشقيق وتزيد في تمتين العلائق الوثيقة التي لا انفصام لها ولا تزيدها الاحداث الا قوة .

لكن اليد الاستعمارية خيبت املنا هذا ونجحت في « احتكار » اقامة الامير المعظم « وحمايته » من التكريم الشعبي الاخوي . واذا كانت غايتها من صنعها الممقوت ان تبلغ هدفا استعماريا يرمي الى احداث فرجة في بناء الوحدة العربية الشامخ الذري الذي تستظل به شعوب المغرب العربي ، والى ارخاء روابط الاخوة والتضامن بين الشعبين الشقيقين : فاننا نؤكد لها انها خابت في سعيها على طول الخط . ذلك ان ما جمعه يد الله العلي القدير لا يمكن ان تبدده يد الشيطان ولا ان تهدمه يد الاستعمار البغيض . والشعب التونسي والشعب المغربي سواء في الايمان بهذه الحقيقة والحرص على التمسك بها والتأثر بنتائجها والسير في هذه الحياة، حياة الكفاح والنضال ، على هداها ونورها القدسي الذي لا تطفؤه الافواه .

ومن اغرب الامور واشدها ايلاما للنفوس انهم حين « احتكروا » لانفسهم الامير الملكي المعظم وخصوا دعايتهم باستثمار اقامته في قطرنا لم يقوموا نحو سموه الملكي بما يجب من الاجلال والتكريم بل ان التقصير كان واضحا في كل خطوة وفي كل مرحلة من مراحل الزيارة . حتى ليلوح ان في الامر شيئا مقصودا يراد به « وباحتكار الاقامة » الوصول الى هدف معين واحداث تأثيرات في نفس الامير المعظم وفي اواسط الشعبين الشقيقين والقطرين الملكيين.

ومما يؤسف له انهم يذروا اشاعات هنا وهناك ساعدتهم على ترويجها اناس من ادعياء الوطنية ، صوروا فيها الزائر الملكي المعظم في صورة الغريبة او آلة مطيعة وقعت عليها يد الاستعمار فهي تستعملها في تحقيق اغراضها وتحركها نحو الاتجاه الذي تشاء . وهو امر يتنزه عنه مقام ذلك الامير المعظم ابن ليث العرين وحامي الحمى وباذر البذرة الطيبة في حقل الكفاح الوطني الطاهر . فاي عقلية مريضة استطاعت ان تقبل هذه الصورة الشوهاء مع ان النبعة العصماء التي تحدر منها سمو الامير والبيئة التي ولد وعاش فيها والنشأة التي انشاه عليها جلالة والده المعظم التي ابهرت الانظار ولا تزال تبهرها وتهز المشاعر وتحرك احاسيس المجد والفخار في النفوس — نقول ان هذا كله ؛ بل ان بعضا منه ليحول دون تسرب مثل هذا التزييف للحقيقة اللهم الا عند من لا يعرف هذه المقاييس الخلقية الكريمة او لا يحسب لهذه الاعتبارات جلالا وخطرا في حياة الفرد وحياة المجتمع .

وكان من نتيجة اثر تلك الاشاعات ان مرت اجراءات الاقتبال واعداد برنامج الزيارة سواء للعاصمة او للقصر الملكي العامر بدون ان تلقى ما يجب من الاهتمام وبدون ان تثير اعتبارات التضامن والتعاطف والصلات الاخوية بين القطرين الشقيقين. حتى اذا انكشفت الحقيقة وتمزقت الغشاوة ظهر ان الذي تسبب بصنعه في عدم اثارة الاهتمام اللازم انما اساء في الواقع اساءة لا تغفر الى مقام القصر الملكي العامر والى الشعب التونسي الذي يجعل من مقام العرش الجليل مناط عزه وفخاره ومبعث شرفه ومجده فلا يرضى ان يساء الى هذا المقام الجليل اساءة موجعة .

وما لنا ان لا نفزع الى ساحة مولانا المليك الجليل المعظم ابقاه الله وسدد خطاه ونلوذ بأبوته السامية لشعبه وحدبه الكريم عليه وعلى ما يختلج به صدر ذلك الشعب المخلص الوفي من احاسيس وعلى ما يضطرب في نفسه من آمال وآمال — نقول ما لنا ان لا نفعل ذلك في اخلاص واجلال وتعظيم ونصارح ذلك المقام السياسي القول ؛ ان الشعب التونسي جميعه شعر بالحزن والاسى حين مرت هذه الزيارة من الامير

الإرادة

زيـــارة ولي العهد المغربي

المغربي المعظم ولم تقابل بما يجب . وانه ان أنسة موجعة حين علم ان اكبر انجال الحضرة العلية لم يحف الى استقبال سمو الزائر الكريم ممثلا للجانب العالي ابقاه الله كما جرت به العادة في استقبال كل من هب ودب من مختلف الشخصيات الفرنسية وغيرها ممن يزور عاصمتنا بين حين وآخر ومعظمهم لا يداني مقامهم مقام الامير المغربي الجليل .

وان كذلك انة موجعة حينما رأى امرأ مسلما يزور عاصمتنا اثناء شهر الصوم المبارك ويقوم بأداء واجب الزيارة لمقام المليك المفدى في صدر المساء ثم يخرج من هناك ليتناول طعام الافطار على مائدة السفارة الفرنسية . ثم يذهب من هناك ليشهد حفلة ساهرة اقامها له الكاتب العام للحكومة او سيدها المطلق العنان مسيو بروبي . بدل ان يقيمها كبير الوزراء التونسيين . ومن بعد ذلك يعود لا الى ضيافة القصر الملكي كما جرى به العرف الدولي . بل الى ضيافة السفارة العامة حيث تناول طعام السحور ان لم يشأ سموه التمتع برخصة الفطر لاجل السفر .

نعم ساءنا ان نرى القصر الملكي وهو مصدر التقاليد الكريمة لا ينبصر المسؤولون المضطلعون بالامر فيه ؛ في حقائق ما يشاع وما يقال حتى يظهر في هذا المظهر ويحقق للاستعمار ما كان يرغب فيه وما يسعى اليه من طريق المكايد وبواسطة اعوان يلبسون لبوس الصداقة والاخلاص والوفاء وما هم الا ادعياء يقود خطواتهم الطمع وحب النفس ان لم يكونوا من المأجورين .

فاذا ما ارادت السفارة العامة ان لا يذهب لاستقبال الامير الملكي في المطار الا موظفو الدرجة الثانية او القائمون بالنيابة . وان يناوا بمقام السفير عن هذا الاستقبال وعن شرف تقديم الزائر لمليكنا العظيم مع انا نراه يذهب لاستقبال كثير من الموظفين الفرنسيين وبعض الشخصيات الاجنبية ممن لهم مقام مساو لمقام سمو الامير او دونه احيانا ويتولى تقديمهم لمقام المليك بنفسه ـ اذا ما ارادت السفارة هذا فلها شأنها وليس لنا ان نجاريها فيه فلا يحضر كامل الوزراء بل ويتخلف شيخ المدينة الذي يجب عليه ان يمثل العاصمة التونسية ذلك التمثيل الذي اعتاد الحرص الشديد عليه وعلى ادائه بدقة كلما كان الزائر من افراد الصنف المحظوظ او من بني عمومة الصنف المحظوظ او ممن يرضى عنهم او يتبناهم الاستعمار صاحب القوة والسلطان ومن اليه الخفض والرفع والقبض والبسط والاغضاء عن العيوب . بل كثيرا ما تبرع باقامة حفلات الرقص ومآدب التكريم الخاصة وباحياء ليال حمراء تبهج نفوس السادة وترضيهم تمام الرضا .

الحق ان هذه الامور لمما يثير الوجع في النفوس ابى ابعد مدى . ولو اننا وجدنا بعد تسلية في لفتة كريمة صدرت من صاحب العرش المفدى حينما تبدت النوايا واضحة قاصر حفظه الله على ان تجري مراسيم الاستقبال دون مراعاة لاعتبار الصبغة غير الرسمية التي تكتسيها الزيارة وقدم لسمو الزائر هدايا ملكية قيمة . ولكم كنا نود مع ذلك ان يستقبل الزائر حرس شرف كمل وان تؤدى له التحية الملكية اللائقة المناسبة لمقامه السامي بالموسيقى والعلم وان تصدح الموسيقى بالسلام السلطاني . وان يقلد سموه نيشان البيت الحسيني فيكون ذلك تحية ملكية اخوية رائعة تربط البيتين المالكين في القطرين الشقيقين بأوثق رباط من الاتصال والمجاملة والتكريم . اما الشريط الاكبر من نيشان الافتخار فيكاد يمنح بصورة عادية الان لكل من يحظى بشرف المقابلة الملكية من الزوار الاجانب بينما الزوار المتساوون يمنحون وساما ارفع درجة منه فمنح الامير الملكي الوسام الذي له المقام الرابع بين الاوسمة التونسية لا يضفي على هذه الزيارة الملكية الصبغة الاخوية الممتازة التي تحرك العشاعر الطيبة في نفوس سكان القطرين .

هذه كلمة املتها الدوافع الوطنية وبعث الكاتب عليها الوفاء والاخلاص ونرجو ان يشفع هذا في صراحتها وان يكون لها التأثير المطلوب فتحدث في البيئات السامية الجو الذي نريده ونتمنى وجوده».

إهتمام العرش المغربي بشؤون القضاء ورجاله
أو تاريخ القضاء المغربي في فترة الحماية

للأستاذ محمد المنوني

تحت هذا العنوان قدمت القسم الاول منه في السنة الفارطة بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لجلوس ملكنا المحبوب جلالة السلطان المعظم مولاي الحسن الثاني نصره الله وايده ، على اريكة عرش اسلافه الملوك الفخام طيب الله ثراه .

فاستعرضت في ذلك القسم الاول ما لهم رحمهم الله من عناية فائقة ، بهذا القطاع الخاص الذي يعتبر الحجر الاساسي لبنا، عدالة اجتماعية ، وتاسيس حضارة عمرانية في طول البلاد وعرضها والتي بدونها لا يكون هناك استقرار بالوطن ، وقد أبنت فيه بالتفصيل والبيان الاطوار التي تقلب فيها القضاء بديارنا المغربية ، من اول يوم لتاسيس الدولة العلوية الشريفة الى آخر عهد استقلال البلاد قبل عهد الحماية المبرمة بين سلطان المغرب المولى عبد الحفيظ رحمه الله بفاس في 11 ربيع الثاني عام 1330 هـ ، موافق 30 مارس 1912 م .

لقد كان ذلك القسم الاول منحصرا في تلك الحقبة الذهبية من عهود القضاء الشرعي ببلادنا فعرف القضاء اذ ذاك استقلاله عن السلطة الحاكمة ، وعرف رجاله المجد اللائق بهم كقضاء علماء نزهاء ، لا يهابون أحدا الا ضميرهم النقي ، والا خوف الله العظيم الذي رفع من قدر المقسطين الى أعلى عليين .

ولريد اليوم متابعة الحديث عن القسم الثاني الذي يبتدىء من أول يوم من عهد فرض الحماية على المغرب ، فاقول : اننا عندما نستعرض فصول تلك الحماية نجد ان عاهل المغرب المولى عبد الحفيظ صدر الاول ما يأتي : اتفقت حكومة الجمهورية (1) الفرنسية اهتمامه بما يتعلق بشؤون القضاء ، فقد جاء في فصلها ـ مع جلالة السلطان ، على انشاء نظام جديد في المغرب ، يسمح بالاصلاحات الادارية والقضائية والتربوية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في ادخالها الى المغرب .

ولقد أخذت فرنسا على نفسها والتزمت في عقد الحماية الذي امضاه سفيرها ريتو بفاس بان أول ما تفعله هو الاصلاحات المتعلقة بالادارة والقضاء فهل وفت فرنسا بما ألزمته وتعهدت به ..... ؟ يتبين الجواب عن هذا السؤال في الصفحات الآتية :

(1) التنظيم الحالي لحضور الأستاذ موسى عبد

اننا نجد أن المولى عبد الحفيظ الذي ابرم معها عقد الحماية قد الح عليها في تنفيذ بنود فصولها ، وبالاخص الفصل الاول منها الذي هو موضوع حديثنا انها لو طبقت حرفيا ذلك الفصل لكان القضاء في عهدها غير الذي تمشت عليه في سياستها القضائية لانها تمسكت ببطء لا يبشر بخير اذ انها بدأت في التسويفات كذاب المسعمر حينما يفوز بالغنيمة ، يجب أن لا يعطي منها ما يعجل بانتهاء مأموريته ، وهكذا انصرمت الشهور الاولى من الاتفاق ، ولم تزد أن تنفذ شيئا فلم يسع السلطان المولى عبد الحفيظ الذي عاش طول حياته وحياة آبائه وأجداده حرا يتصرف حسب مصلحة وطنه ومصلحة شعبه الذي اعطاه بيعته ليسير به الى الامام انه لم يسعه الا ان يتنازل عن العرش بعد ما رأى من انحراف رجال الحماية عما تعهدوا به ، فترك الامر لمن يخلفه

مجاء أخوه المولى يوسف طيب الله ثراه وفي عهده وبعد الحاح من جانبه أيضا في البدء بالاصلاح القضائي بالبلاد لم يسع فرنسا الا أن ترضيه ، فصدر الظهير الشريف المؤرخ في 31 اكتوبر 1912 الذي انشئت بمقتضاه وزارة سميت بوزارة العدلية ، وعقب ذلك صدر منشور من لدن الصدر الاعظم مؤرخ بفاتح نونبر من نفس السنة يحدد مؤقتا اختصاص القضاة .

وفي 13 شعبان 1332 موافق 7 يوليوز 1914 حل محله الظهير الشريف الذي ظل زهاء ثلاثين سنة النص الاساسي الذي تخضع له المحاكم الشرعية بالمغرب ، كما نبه على ذلك الدكتور موسى عبود في كتابه التنظيم (2) القضائي بالمغرب .

فقسم هذا الظهير رجال القضاء الى صنفين : قضاة المدن ، وقضاة البادية وكانت الاحكام الصادرة عن الصنف الثاني تستانف لدى قضاة الصنف الاول واحكام هؤلاء تستانف لدى وزير العدلية ، بمشاركة جماعة من العلماء فكان وزير العدلية حلقة بين السلطتين القضائية والادارية .

وبقي العمل جاريا على هذا المنهاج الى ان حلت سنة 1931 م، فاحدث مجلس الاستيناف الشرعي بشرف الاعتاب الذي تستانف لديه جميع الاحكام الصادرة من كافة قضاة المغرب .

وكان هذا المجلس يتركب من رئيس ونائب رئيس واربعة مستشارين قضاة ، واربعة نواب قضاة ، ويضم اربع غرف تنعقد كل منها بحضور ثلاثة اعضاء وكان لكل غرفة كتاب واعوان وظل العمل جاريا طبق ما بين الى بزوغ فجر الاستقلال .

وكانت ادارة الحماية تراقب كلا من وزير العدلية ومجلس الاستيناف بواسطة مفوضين فرنسيين يتوليان عن مستشار الدولة الفرنسية في شان التوجيه والتسيير كما كانت اختصاصات المحاكم الشرعية محصوره في الاحوال الشخصية والمواريث والعقار الغير المحفظ ، فلم يكن القاضي الشرعي صاحب الاختصاص العام ، كما كان شانه في عهد الاستقلال .

اما ما يرجع الى اول محاولة لتنظيم السلطة القضائية لدى هاته المحاكم فذلك راجع الى المنشور الوزيري من طرف اول وزير للعدلية الشيخ أبي شعيب الدكالي وهو مؤرخ في 29 رجب عام 1333 موافق فاتح جوان 1915 ويشتمل على تسعة عشر فصلا كانت تقتضي عليها جميع المحاكم الشرعية بجانب المناطير المقررة لدى فقهاء النوازل والاحكام المتداولة والمقررة عند كافة القضاة بالايالة الشريفة .

وهناك بعض الظهائر تتعلق بامور تنظيمية اما بضبط قسم العدول كالظهير الشريف المؤرخ في 11 ربيع الثاني عام 1357 موافق 23 يونيو 1938 المشتمل على ستة عشر فصلا ، والظهير الشريف المتعلق بخطة وكيل العديم المؤرخ في 27 شعبان عام 1342 موافق 2 ابريل 1924 المحتوي على فصول ثمانية والظهير الشريف المؤرخ في 18 صفر 1344 موافق 7 شتنبر 1925 المتعلق بالوكلاء الشرعيين المشتمل على ثمانية وعشرين فصلا ، والظهير الشريف المؤرخ في 22 حجة 1341 موافق 6 غشت 1923 المتعلق بأبي المواريث المشتمل على تسعة فصول « انظر هاته الظهائر في ، « مجموعة مغيرة (3) » مطبعة ماروك ماتان بالرباط 1952 » .

اما ما يرجع الى تنظيم للدخول الى خطة القضاء وترقية القضاة ، فقد مر على ذلك لحماية 25 سنة وليس لهم تشريع ينظم ذلك الى ان حلت سنة 1937 م فعندها برز للعيان الظهير الشريف المؤرخ بفاتح رمضان عام 1355 موافق 5 نونبر 1937 م. وهو يشتمل على

---

(2) التنظيم القضائي في المغرب للدكتور موسى عبود مطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء.
(3) مجموعة مغيرة ، مطبعة « ماروك ماتان » 1952 .

ابواب اربعة كل منها يندرج تحته فصول الاول يتعلق بنظام انتخاب القضاة وكيفية ولوجهم للخطة ، ويتعلق الباب الثاني منه بكيفية التخلي عن الوظيف مؤقتا والرجوع الى الوظيف والاعفاء ، اما بابه الثالث فانه يتعلق بمراتب القضاة وتسميتهم الى اثنتي عشرة طبقة في مطلعها طبقة المتمرنين وفي نهايتها الطبقة الاستثنائية، وطبقة الخارج عن الطبقات ، ولم يكن احد من القضاة ليصل الى هاتين الطبقتين الا من كان مقربا لدى رجال السلطة الحامية كما هو معروف ومشاهد ولا ينبئك الا خبير ، اما الباب الرابع فانه ينظم العقوبات التي تلحق بالقضاة الذين لا يسبحون بحمد المخزنيين والمراقبين والذين لا يسيرون على نهج هواهم ، ولا يعرف الشوق الا من مكابده ولا الصبابه الا من يعانيها ، واهل مكة أدرى بشعابها .

ولم تكن للقضاة محاكم مشيدة في طول البلاد وعرضها باستثناء بعض قضاة عواصم المغرب والتي لا تعدو أصابع اليد ، على ان عامة المحاكم لم تشيد الا في آخر عهد الحماية وبعد احتجاجات من لدن ممثلي الاحزاب الوطنية كما لم يكن لهم محل لسكنى القضاة المغاربة بالخصوص ، اما القضاة الفرنسيون العاملون بالمغرب ، فانهم كانوا يتمتعون بما يتمتع به قضاة فرنسا الام كما سيأتي التنبيه على ذلك ، اما ادراجهم في سلك الوظيفة العمومية فانهم ظلوا محرومين منها بل كانوا يتقاضون أجرتهم من مدخول الشهادات التي يؤديها المتعاقدان وكان قدرها ثلاثين بالمائة والباقي يتقاسمه العدلان الى ان أصبحوا موظفين يتقاضون اجرتهم كما يتقاضاها حكام المخزن وذلك بمقتضى الظهير الشريف المؤرخ في 15 محرم 1371 موافق 17 اكتوبر 1951 . ولنتابع الكلام على بقية المحاكم وهي المحاكم المخزنية التي عرفتها البلاد طيلة عهد الحماية فاقول ، انه في 4 غشت 1918 صدر ظهيران يعتبران النص الاساسي بشان المحاكم المخزنية اولهما يضبط محاكم الباشوات والقواد والثاني يقضي بانشاء المحكمة العليا الشريفة بشريف الاعتاب .

وصدرت بعد ذلك نصوص تكميلية لهذين الظهيرين ، يقول الاستاذ موسى عبود في كتابه التنظيم القضائي بالمغرب : لكن العيب الاساسي الذي اتصف به هذا القضاء هو قيامه على اختلاط السلطة التنفيذية بالسلطة القضائية .

فالمحاكم المخزنية هي في الواقع عبارة عن مجلس يعقده الباشا او القائد او احد خلفائهما للفصل في الدعاوى واصدار الاحكام بمحضر المندوب المخزني بجانب الباشا والمراقب المدني بجانب القائد وكانا معا يبدعان كل شيء .

وهذا الاختلاط مخالف لمبدأ استقلال القضاء لان لباشوية والقيادة وخلافتهما انما كانت وظائف سياسية ، لا تراعي في اسنادها الا المصلحة السياسية فضلا عن خضوع متوليها الى توجيهات السلطة وائتمارهم باوامرها ، أضف الى ذلك كله أن الاحكام الصادرة من الباشا أو القائد لم تكن مدعمة بقوانين مؤسسة من لدن سلطة تشريعية تعطيها الصبغة القانونية ، وقد لمس ذلك وعبر عنه أحسن تعبير السيد محمود عزمي مندوب جريدة الاهرام في زيارته للمغرب ابان اشتداد الازمة المغربية فقال ، أمة بدون قانون ، ولذلك كانت الهيئات الوطنية تطالب من جملة ما تطالب به مبدأ فصل السلطات ، الامر الذي حمل ادارة الحماية على اصلاح صوري

فصدر ظهير شريف مؤرخ في 12 حجة عام 1363 موافق 28 نونبر 1944 يقضي بتاسيس محاكم اطلق عليها محاكم المقوضين ، ابتدائية ونهائية في الدعاوى التي لا تزيد قيمتها على 10.000 فرنك وابتدائيا فقط مع حفظ الحق بالاستيناف في الدعاوى التي تتراوح قيمتها بين 10 000 و 50.000 فرنك وكذا النظر في دعاوى الكراء مهما كانت قيمتها .

المحاكم الاقليمية :

في 15 صفر عام 1373 موافق 24 أكتوبر 1953 انشئت المحاكم الاقليمية وكان صدور هذا الظهير يصلح لان يضع نواة تنظيم حديث قائم على مبدأ فصل السلطات واحداث الطعن على وجه النقض والابرام وكان عددها سبعا ، بالرباط ، والدار البيضاء ، ومكناس ، وفاس ، ووجدة ، ومراكش ، وأكادير .

فهذه أول خطوة خطتها فرنسا نحو الاصلاح القضائي الذي تعهدت به في أول يوم من حمايتها اى بعد مرور ما يزيد على اربعين سنة على بسط حمايتها بالمغرب ، انه عمل يتضاءل أمامه ما انجز في عهد الاستقلال كما سيأتي بيانه في القسم الثالث بحول الله .

المحاكم العبرية :

لم تكن هاته المحاكم العبرية موجودة في العهد القديم لان اليهود المغاربة كانوا خاضعين للشريعة الاسلامية والمدنية على العموم ، لقول الله : « **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** » (42 سورة المائدة) .

لكن الدولة الفرنسية تركت للجماعات اليهودية الحرية في فض ما يعرض لافرادها من دعاوى تتعلق بالاحوال الشخصية والارثية على يد احبارها طبقا للشريعة الموسوية ، نظرا لاتسام تلك الدعاوى بطابع ديني .

اما بعد الحماية بالمغرب فقد صدر ظهير بتاريخ 12 مايه 1918 احدثت بمقتضاهما محكمة عبرية اولية وعليا تشتمل اختصاصهما على جميع المسائل التي تدور حول قانون الاحوال الشخصية والارثية للاسرائيليين المغاربة .

فالمحكمة الاولية تقام في المدن التي تعين بمقتضى قرار وزيري ، اما العليا فمقرها في الرباط وهي تنظر على وجه الاستئناف في الاحكام التي تصدر عن المحاكم الاولية .

المحاكم العرفية :

اما احداث المحاكم العرفية فان فرنسا بمجرد ما بسطت حمايتها على تراب المغرب فكر رجالها في فصل القبائل البربرية عن سلطة سلطان المغرب ، ويظهر هذا الاتجاه السي في عملها المتمثل في الظهير الذي استصدرته بتاريخ 11 شتنبر 1914 فقد ورد فيه بالخصوص أن القبائل المسماة بقبائل العرف تبقى خاضعة لقوانينها وأعرافها الخاصة ، تحت رعاية سلطات الحماية .

ثم عمدت بعد ذلك الى وضع اسس تنظيم قضائي عرفي بواسطة تعليمات صدرت عن المقيم العام ، وذلك بتاريخ 23 شتنبر 1915 بيد أن هاته التنظيمات كلها لم تكن قائمة على اى أساس تشريعي ، وحينما رات سلطات الحماية أن الوقت حان لاعطاء صلاحيات لهذا التنظيم ، ادخلت على تلك التعليمات شكلا قانونيا فاستصدرت الظهير المسمى بالظهير البربري المؤرخ في 16 مايو 1930 م. ووحدت به نظام القضاء الجنائي لدى القواد والباشوات ، شملت بمختصاته المحاكم العرفية أيضا ابتدائية واستئنافية ، وعينت مراكزها

كما احدثت سلطة الحماية قسما خاصا بالمحكمة العليا وسمته بالقسم الجنائي العرفي ، وتحكم هاته المحاكم العرفية بمقتضى الاعراف حتى في مسائل الاحوال الشخصية والميراث ، والتي منها عدم توريث المرأة .

وبذلك تم لرجال الحمايه ما ارادوه من اول حمايتهم من فصل الاقليه الساحقة من العنصر المغربي عن حظيرة الشريعة الاسلامية مع أن سكان المغرب البرابرة تقدمت لهم حكومات حكمت المغرب وحافظت على شريعة الاسلام ووحدة تراثه ، وناعيكم بالدول الرابطية والموحدية والمرينية .

وهذا العمل المبيت من اجل تنصير الاكثريه من سكان المغرب اثار ضجة كبرى داخل المغرب وخارجه، وكان عملها هذا ابتداء ظهور الحركه الوطنيه بالنظام بالمغرب ودل على فشل سياسة رجال الحمايه التي تتنافى مع بنودها التي تعهدت فرنسا بها في فصلها الاول كما بيناه في طالعة هذا البحث .

وان احسن ما وجه لهذه اللعبة التي اقدمت عليها فرنسا هو ما سافه صاحب كتاب تاريخ المغرب في القرن العشرين روم لاندو حيث قال : وكانت ما كان الهدف المعلن عنه رسميا بالنسبة الى هذه الخطوة الجديدة ، فان المغاربة رأوا فيها احدى الخطوات لتطبيق السياسة المسماة « السياسة البربرية » ، لقد وصف الجنرال كاترو الامر بهذا الكلام « يبدو ان لوسيان المقيم العام تجاوز النصح الذى قدمه له المستشار السياسى الذى كان قد درب في مدرسة اليوطي ، وقبل بدلا من ذلك رأى مستشار قانوني كان قد اصبح مقتنعا بوجود المنافحة عن سياسة معينة ، تؤيدها « الجبهة البربرية » وقد كان هدف السياسة وضع القبائل البربرية مقابل السلطان والمخزن وذلك في سبيل عزلها عن الحياة السياسية في دورانها في دائرة مغلقة ، انظر تمام كلامه في الصفحات 176 الى 183 فقد أشبع الكلام حول هاته النقطة الحساسة في انطلاق الازمة المغربية .

ومنها ندرك تمام الادراك ما قامت به فرنسا من اصلاح قضائي يحمي مصالحها أولا ويعمل ثانيا على تأييد مركز البشرين على محو الدين الاسلامي بهذه

الديار ، ولكن « لا يحيق المكر السيء الا باهله » 42 سورة فاطر .

المحاكم الفرنسية :

انه لما يستغرب منه ان نجد اهتمام فرنسا بانشاء المحاكم الفرنسية يفوق اهتمامها بالمحاكم المغربية التي هي الاصل كما يتجلى ذلك مما ياتي ، ففي 9 رمضان 1331 موافق 12 غشت 1913 صدر ظهير شريف انشأ بمقتضاه محاكم تتعلق بشان الترتيب العدلي للحماية الفرنسية بالمغرب صدر ظهير شريف يشتمل على فصول ثمانيه ينص فصله الاول على تاسيس محاكم محلية ومحاكم ابتدائية ومجلس الاستئناف بالايالة المغربية الداخلة تحت الحماية الفرنسية ، يحكم بها حكام اما اختصاص هذه المحاكم كما بينه الاستاذ موسى عبود بقوله فهو النظر في الاحوال الآتية :

1) متى كان المتهم او احد المتهمين فرنسيا ، او من رعايا الدول الاجنبية الاخرى

2) متى كان المجني عليه فرنسيا او من رعايا الدول الاجنبية الاخرى ايا كانت جنسية المتهم

3) متى ارتكبت الجريمة اثناء انعقاد جلسات هذه المحاكم ، وفي مكان انعقادها ايا كانت جنسية الفاعل .

4) في بعض مسائل مختلفة نعينها مختلف الظهائر مثلا مخالفة قانون الصحافة وغش في المواد الغذائية والاعتداء على الملكية الصناعية والادبية والفنية.

وزاد الاستاذ عبود موضحا قوله : انها تتمتع بنظام صحيح ، وكان جهازها القضائي مؤلفا من قضاة مهنيين ينتسبون الى السلك القضائي الفرنسي وكانت تتمتع فوق هذا كله باستقلال مهني تام ، دون اية رقابة او تدخل ، وكانت احكامها قابلة للطعن على وجه النقض لدى محكمة النقض بفرنسا وهو تدبير وان كان يمس السيادة المغربية فمن الناحية العملية كان ضمانة لسلامة الاحكام وتوحيد الاجتهاد ، يضاف الى ذلك انها كانت مزودة بمجموعة من القوانين العصرية التقدمية سواء منها القوانين الجوهرية والقوانين الشكلية .

من هذا العرض الوجيز عن تاسيس المحاكم الفرنسية بالمغرب ندرك تمام الادراك ما لهاته المحاكم من اهمية لدى الحكومة الفرنسية ، لانها ترمي من وراء ذلك الى جلب المستوطنين الاجانب الى ارض المغرب حيث يعلمون حق العلم ان مصالحهم مضمونة بتوفر هاته المحاكم التي تصونها ولو لم يكن الاجنبي فرنسيا فيدخل في ذلك حتى رعايا الدولة الالمانية التي هي عدوة لفرنسا في الحربين العالميتين وبسبب ذلك استولوا على معظم الاراضي الجيدة بتراب المغرب وكان المعمرون كيفما كانت جنسيتهم يتحكمون في كل شيء حتى في شؤون الاقامة العامة بالمغرب فيبقون من المقيمين من نفذ خطتهم ويسعون في ابعاد من لم يسر على هواهم.

وهناك محكمة دولية تعديه طنجة وتسمى بالمحكمة المختلطة وكانت تتالف من قضاة سبعة مهنيين ينتسبون الى الاسلاك القضائية لمختلف الدول ومن عدة قضاة محلفين يختارون من بين رعايا الدول الموقعة على عقد الجزيرة ، (انظر بقية الكلام في نفس المصدر ان اردت التوسع حول هاته المحاكم) .

وتتبع البيانات لا يهمنا في هذا البحث وانما نسوق ذلك مساق من يؤرخ لهذه الفترة التي مرت ببلادنا ، التي فقد القضاء فيها استقلاله ووحدته ، وبكفينا ان نعرف كيف مزقته دولة الحماية تمزيقا ذريعا ووزعت محاكمنا على اشكال مختلفة فاحدثت لاول مرة ما سمته بمحاكم شرعية واخرى محزنية وثالثة فرنسية ورابعة بربرية عرفية وخامسة قنصلية واخيرا محكمة دولية هذه هي الحال في منطقة الجنوب المشمولة بحماية فرنسا اما في المنطقة الشمالية فانه يحسن بنا ان نجلب هنا ما تعرض اليه الاخ فضيلة القاضي السيد بوشعيب الادريسي رئيس الغرفة الاستئنافية سابقا بالناضور في بحثه (4) القيم المعنون بـ : نظام القضاء بالشمال ، حيث قال ولما بسط الاسبانيون نفوذهم على جميع منطقة الشمال عينوا في كل قبيلة وفي كل مدينة قاضيا وجعلوا رئيسا لهم بتطوان كان يدعى في اول الامر بقاضي القضاة ، ومهمته النظر فيما يستانف لديه من الاحكام من نوابه الذين كانوا عينوا على رأس كل ناحية من النواحي الخمس ـ تطوان ـ العرائش ـ شفشاون ـ الحسيمة ـ الناضور .

(4) القضاء المغربي بين الامس والحاضر للاستاذ جهاد العراقي مطبعة الدجاج بتوار الناضور ص

الى أن قال : أما تولية القضاة فكانت خاضعة للنفوذ المراقبين والقواد ، ولم تكن في أول الامر بالظهائر الخليفية بل كان المراقبون اذا وقع اختيارهم على أحد عينوه ، ولو لم يكن كفؤا بعد استشارة رمزية مع نائب ناضي القضاة في الناحية التي يعين فيها القاضي وتابع كلامه قائلا : وكانت الاحكام تصدر بمحضر قائد القبيلة والمراقب ، هكذا كان الحال لبام قاضي القضاة بتطوان العلامة السيد محمد احمد الرهوني ، ولما أبعد وجعل مكانه العلامة السيد الحاج محمد افلال وأصبح على رأس وزارة العدلية رئيسا للاستيناف أصدر أوامره بفصل محاكم القضاة عن ادارة المراقبة .

وكان اختصاص القضاة في أيامه راجعا الى الاحوال الشخصية والقضايا المدنية ، أما الاملاك والجرائم فقد أسندت الى قضاة الدوائر .

وبقي النظام القضائي على هذه الكيفية الى شهر أكتوبر سنة 1938 اى في أثناء قيام الحرب الاهلية الاسبانية عندما أصدر الخليفة السلطاني ظهيرا عين فيه اختصاصات القضاة الابتدائيين وقضاة النواحي والمحكمة العليا للاستيناف ، ووسع لهم في الاختصاصات بأن يحكموا في جميع القضايا الراجعة الى الاحوال الشخصية والعقارية والتجارية وغير ذلك ما عدا الاملاك المحبسة .

وبعد ما وضعت الحرب الاهلية الاسبانية أوزارها في أوائل سنة 1939 م. طلب سمو الخليفة السلطاني من الدولة الاسبانية اصلاحات ، منها استقلال القضاء والاحباس فلبى طلبه كمكافأة على ما قدمه المغاربة المشمولون بالحماية الاسبانية أثناء الحرب .

فصدر ظهير خليفي مؤرخ بمتم يونيه 1939 يقضي باستقلال القضاء في المنطقة الشمالية ، انظر تفصيل ذلك في المصدر السالف الذكر .

وقد أشار الاستاذ موسى عبود في كتابه المتقدم الى تنظيم القضاء بالشمال فقال : يتشابه التنظيم القضائي في الشمال أثناء الحماية الى حد كبير مع التنظيم نفسه في المنطقة الجنوبية ، لكنه يختلف عنه في بعض المسائل الرئيسية .

1) أن القضاء الشرعي كان يتمتع بالاستقلال حيث لم تكن عليه أية مراقبة من طرف الدولة الحامية، لاسيما بعد سنة 1938 م. أما قبلها فقد كان تحت مراقبة القواد المراقبين .

2) فرغما من وجود عنصر بربري في القسم الشمالي فان الحكومة الاسبانية لم تنشئ فيه محاكم عرفية بل أقيمت محاكم شرعية في كافة تراب المنطقة المذكورة .

3) القضاء المخزني ظل حتى آخر عهد الحماية مختلطا بالسلطة الادارية ، ولم تتم محاولة لفصله عنها. وخلال سنتي 54 – 55 وقعت محاولة اصلاح هذا القضاء بتزويده بمجموعة من القوانين العصرية ، ووضع مشروع لهذه القوانين ثم جاء الاستقلال وعلى أي حال لم يكن المشروع يتضمن اصلاحا على أساس مبدأ فصل السلطات .

أما المحاكم التي عرفتها المنطقة الشمالية فهي

1) المحاكم الشرعية ، 2) المحاكم العبرية ، 3) المحاكم المخزنية ، 4) المحاكم القنصلية ، 5) المحاكم الاسبانية .

هذا ما اردت حلبه في هذا القسم الثاني المتعلق بتاريخ تنظيم القضاء ببلادنا ، في عهد محنته أيام الاستعمارين الفرنسي والاسباني التي تفككت فيه وحدته وأفقد فيها استقلاله .

أما القسم الثالث من بقية الحديث فهو موضوع حديثنا القيل بحول الله وقوته ، وسوف يظهر للقارىء الكريم عند ما يطلع على القسم الثالث الفرق الشاسع بين ما بذلته حكومة الحماية قرابة نصف قرن من توليها لشؤون لبلاد وبين ما وصل اليه القضاء المغربي في عهد الاستقلال وما بذله جلالة سيدي محمد الخامس رضوان الله عليه من مجهود جبار حتى هواه المكان اللائق به في مصاف الدول الراقية وما يبذله وارث سره جلالة مولاي الحسن الثاني نصره الله وأيده وأمر عنه بصاحب السمو الامير ولي عهده سيدي محمد وصنوه الامير مولاي رشيد وسائر الاسرة الملكية انه سميع مجيب والسلام .

(5) بعث عام باعداده الاستاذ العاضي السيد يوسف الادريسي رئيس مجلس الاستيناف بالناضور .

الإستعدادات الأولى للاحتفال بعيد العرش

في 18 نوفمبر 1933

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

معجزة التضامن بين العرش والشعب في 18 نونبر 1933 ، رغم أنف المستعمر الاحتفال بذكرى عيد العرش المجيد لاول مرة صدر تلقائيا من الشعب الكريم ، حبا وهياما وتمجيدا وتقديرا ، كل محاولات السلطات الاستعمارية الغاشمة ذهبت أدراج الرياح أمام صمود أبناء الشعب المغربي الحر الابي ، حيث نفذت الفكرة في أبهى الحال السندسية ، والاحتفالات البهيجة الخالدة .

كل رجال الفكر والسياسة يربطون الوثبة الاولى للحركة الوطنية المغربية بالقضية **البربرية 16 مايو 1930**

منذ هذا التاريخ استيقظ الشعب المغربي من الغفلة وأصبح شبابه وشيوخه يتتبعون حركات وسكنات المستعمر ويتعرفون على تدليسه وشعوذته وما يروجه في الاوساط بواسطة أذنابه وأعوانه، من الافتراءات والزيغ والضلال ، استيقظ الشعب وأصبح يعرف الحق من الباطل ، وفي هذه السنوات الثلاث ازداد الموقف وضوحا ، وانبلج ضياء حقيقة مواقف الجالس على العرش ، من جراء ما أظهره من وفاء لامته ، وحب وهيام بمصالحها ، ودفاع عن شرفها وكرامتها :

ظهرت محاولات تلاعب الحماة بكيان الامة وراج في الاوساط ما تحاوله الايدي الاثيمة من القضاء على شخصية دولتنا ، وما يبقى في يد سلطاننا من حق استصدار « **الظهائر الملكية** » **تشريعا وتقنينا** .

وشاعت موجة من التذمر والسخط ، عندما ذاع خبر محاولة الحماة في استصدار ظهير ملكي ، يسمح بموجبه لرؤساء الاقاليم المغربية من الفرنسيين المستعمرين أن يصدروا قراراتهم ، **بدل الظهائر الملكية سند عرش البلاد والحياة الكريمة لشعب المغرب وشخصيته .**

ساد القلق ، وظهر جليا ما يبيت للعرش المغربي من مكايد ، والامة المغربية من هوان بالتدابير المنكرة ، والاخلال والاختلاس ، لحق شعب عاش حرا طليقا ، قرونا وقرونا ، ورد كيد اعدائه مرات ومرات ، بواسطة عرشه المكين ، وقدسية ملوكه الاشاوس ، حينئذ تعلمت همة الطبقة الواعية من الامة ، وحصلت الاتصالات وتبادل الراي والمشورة ، ودراسة الاوضاع ، وما ستؤول اليه ان نفذ رأي المستعمر لا قدر الله .

في هذا الجو الصافي فكر ثلة من الاوفياء في طريقة مثلى تشد الطريق في وجه هذه المكيدة الجهنمية، وتقوي الالتحام بين العرش والشعب ضد العدو المشترك ، عرض المرض ! وبحث **عن الدواء** . وظهر في الصفوف الاولى لهذه البقية الخالدة شاب وطني ، رفع صوته عاليا بالحق والصدق مناديا : ذلكم هو محمد حصار رحمه الله حيث نشر نداءين اثنين بالعربي وبالفرنسي ،

المرحوم محمد حصار

الاول نشرته مجلة « المغرب » التي كانت تصدر باللغة العربية لؤسسها ومديرها الاستاذ محمد ميسا ، والثاني نشرته جريدة « عمل الشعب » الغراء اللسان المعبر عن الحركة الوطنية ، في اوجها وشبابها لديرها الاستاذ محمد حسن الوزاني ، التي كانت تصدر بفاس .

وما كاد التاريخ لهذا يصل حتى اختمرت الفكرة بكل الاوساط . واصبحت النخبة الواعية من المغاربة جميعا ، تعمل على ابراز الفكرة لحيز الوجود ، رغم الحواجز والعراقيل التي بثت من المستعمر واذنابه الحقراء !

هامت عده مدن مغربية بالتفكير لتنفيذ المشروع . والظهور به للميدان اعلانا **يتمسكها بوحدتها الوطنية ، وكيانها القومي ، تحت ظل العرش العلوي المجيد** ، الذي تدر في الازل ان تصدر هذه الهزة التنفسيه ، في **عهد جلالة السلطان محمد الخامس البطل الوفي اسكنه الله رحاب جنانه .**

فكانت لمدينة سلا الفيحاء الاسبقية في اظهار معالم الزينة والافراح . والتجمعات والمظاهرات بالاناشيد والاغاريد ، تكونت لجنة هامة من خيرة ابنائها شبابا وشيوخا ، للقيام بالاتصال بالدوائر المسؤولة الرسمية والشعبية ، ونجحت في مسعاها ، وسجلت هذه المكرمة، وهنا اسجل للتاريخ ما نشرته جريدة السعادة بعددها **4051 السنة الثلاثون ، الخميس 4 شعبان 1352 موافق 23 نونبر 1933 تحت عنوان « احتفال سلا بعيد العرش المجيد :**

عبر الشعب عن اخلاصه العظيم لصاحب الجلالة ابي المعارف والمآثر والمفاخر ، مولانا محمد بن امير المومنين المقدس ابي المحاسن مولانا يوسف ايد الله ملكه ، وادام نصره مع تعلق كبير بجلالته الشريفة ، نظرا لما لها من الايادي البيضاء على شعبها النبيل ، فمنذ جلوس جنابه الشريف على عرش اسلافه الكرام ، وهو يحظر بعين الاهتمام في مصالح امته ، وفيما يعود عليها بالرقي ماديا وادبيا ، ولاسيما من الوجهة العلمية، التي لا تخفى على احد ما للمعالم من الفضل في ترقية الامة ، وتهذيبها ، وانقاذها من وهدة الجهل والخمول

ونظرا لما لجلالته من المحبة العظيمة في القلوب ، راى سكان سلا آن يبرهنوا له على المحبة والاخلاص .

والطاعة باقامة احتفالات تذكارا ليوم جلوس **جلالته على** عرش المملكة المغربية .

وتالفت لهذه الغاية الحسنة . والفكرة المستحسنة لجنة من اعيان المدينة وسراتها .

اللجنة المنظمة لحفلات عيد العرش بسلا سنة 1933

وبمجرد المذاكرة مع سعادة باشا المدينة العلامة ، حليف الفضل الحاج محمد الصبيحي الذي ابدى سرورا عظيما للجنة بهذه المشاركة ، وشكرهم على عواطفهم نحو جلالة الملك حاءت صبيحة يوم الجمعة فاستدعى اللجنة المشار اليها لمنزله للمفاوضة في كيفية الاحتفال » .

وهنا اتورع ان انقل كلمات موزورة من الادارة الماكرة .

وما بزغت شمس يوم السبت 18 نونبر ، حتى بدت المدينة في ابهى منظر ، واجمل مظهر ، احتفالا بهذا اليوم الزاهر ، وقد زينت فيها سائر الادارات الرسمية، والمحلات المعمومه بالرايات المغربية ، وعلقت شارة الافراح على حكاكين التجار وارباب الحرف والصنائع وغيرهم .

وفي الساعة الثالثة كان موعد الاحتفال الشائق الذي اقامه الباشا بمنزله الفخم ، فما دقت الساعة المذكورة حتى قصد سائر الاهالي على اختلاف طبقاتهم

منزل الباشا الذى كان مفتوحا للواردين عليه ، لاداء التهاني بهذا العيد الملوكي .

وكان سعادة الباشا وخليفته ، واعضاء اللجنة ، يستقبلون الواردين بمزيد من الترحاب ، وكانت آلة الطرب تتشنف الاسماع بنغماتها الانجلسية ، وكؤوس الشاى والحلويات تدار على الواغدين ؛ وكلما خرج فوج من دار الباشا ، قصد منزل فضيلة القاضي العلامة الشريف سيدى محمد بن ادريس العلوى ، الذى احتفل أيضا احتفالا عظيما بهذا العيد السعيد لا يقل أبهة على احتفال فضيلة الباشا .

وقد كان تلاميذه المدارس يتردمون بالنشيد المغربي الذكر بنعمه لطيفة في منزلى سعادة الباشا وفضيلة القاضي

كما وفد من الرباط لمشاركة سلا في افراحها طائفة من الوجهاء والاعيان وزمرة من الشباب الناهض .

كما أن يهود سلا اوفدوا بعثة من أعيان اليهود لدار الباشا لرفع مراسيم تهانيهم بعيد العرش ، ومن جهة اخرى : فان تجار القيسارية اقاموا مهرجانا عظيما وحفلة فاخرة ، كانت نغمات الموسيقى تتردد خلاله ، واكواب الشاى والحلويات تدار على الحضور، المنغمسين في حلة المسرات والانبساط .

ولا يسعنا هنا الا أن نسجل اسماء بعض الشخصيات التي ابرقت للجناب الشريف بهذه المناسبة السعيدة ، فلقد أبرق سعادة الباشا ، ورئيس البلدية ، وفضيلة القاضي ، وعميد آل عواد ، والنادي الادبي الاسلامي ، والجمعية الرياضية ، النجاح ، والشرفاء العلويون ، وجمعية المحافظين على القرآن من المدرسة القادرية وشرفاء البيت الوزاني ، والحالية الاسرائيلية ،

ابرقوا جميعا لجلالة السلطان حيث كان بمراكش الحمراء يهنئون فيها جنابه الكريم بعيد جلوسه على العرش ، ويؤكدون لجلالته الولاء الصادق والاخلاص في المحبة ، فتقبل جلالته كامل التلغرافات المرفوعة لجلالته من مدينة سلا وعددها يفوق العشرين .

وللتاريخ أسجل مفخرة الشباب البطل المقدام السيد « محمد حصار » رحمه الله . فهو الذى حرر جميع هذه التلغرافات واوجدها وهياها باسماء أصحابها ، وجنسياتهم . ثم عرضها عليهم ، واحدا واحدا فاستحسنوها ، وقاموا بتوجيهها شاكرين جهوده ، وهكذا يسجل التاريخ البطولة الادبية ، والحمية الوطنية لاخينا شهيد الوطنية « محمد حصار » .

وكتبت مجلة « المغرب » في الرباط ، لمديرها الاستاذ محمد ميسا ، تحت عنوان . **عيد العرش بسلا** ، في عددها 14 الصادر بتاريخ نونبر 1933 :

« كان العيد بمدينة سلا فوق كل ما كانت اللجنة تظنه قد يكون ؛ فتودى بالعيد في الاسواق ، وزينت المدينة بكل ما في وسعها، الاعلام المغربية مرفوعة بكل جهة . لم تطلع شمس يوم السبت 18 نونبر 1933 حتى كانت المدينة لابسة حلة العيد ، المدارس العطلة ، والدكاكين والمخازين كلها محلاة بالالوان المغربية : الاحمر والاخضر . على عادة المغاربة القديمة ، والناس يرتدون الجديد من ملابسهم ، يهنيء بعضهم البعض ، وقد اقامت الحرف نزعات ماخرة بالشوارع ، والاسواق، وفي الدكاكين ، وكان افخرها نزهة اقامها كبار تجار القيسارية في سوقهم بتكريم الشبيبة الوطنية بين الحرير والوشي والرايات المغربية ، والجميع يترنم بنشيد الاسناذ القرى في ذكرى عيد الجلوس السلطاني . وكان المنظر جميلا للغاية ، واجمل ما فيه الشيوخ ينشدون مع الشباب بحماسة قوية :

انما الملك منا انما الشعب الشباب »

وكتبت جريدة « عمل الشعب » الغراء التي كانت تصدر بالفرنسية بفاس لمديرها الاستاذ محمد حسن الوزاني

« فلقد استدعى الشبيبة الوطنية بفاس للتجمع في بستان ابي الجنون ، قهوة « جنان السبيل » ، ورغم تهاطل الامطار ، وعصف الرياح ، امتلات رحاب جنان السبيل بالشباب المطربش والمعمم ، واستعيرت المقاعد بكثير من مقاهي اخرى ، لكثرة الواردين ، وبقي عدد عديد وقوفا ، وكان الخدام يسقون الحاضرين ، الشاى والقهوة ، على حساب صندوق « عمل الشعب » الفيحاء والكل يحمل الوية صغيرة « راية المغرب » يلوحون بها وينشدون النشيد الرسمي الملكي لذلك اليوم الخالد ، لنشئه الاستاذ محمد القرى » .

وللتاريخ أسجل النشيد الذي أنشئ لهذه المناسبة السعيدة

أيها الشبان هبوا انكم روح النشاط .
ولتحيوا في سرور وابتهاج واغتباط .
ملكا يحيي البلاد ملكا روح الترقي .
منه يسرى للشباب فيقوى فيه عزما .
مدينا كل الصعاب فيرى مندفعا في .
قوة الاسد الغضاب قصد اعلاء البلاد .

أيها الشباب هبوا

هنئوا بالعيد سلطا ن البلاد المغربية .
انه عيد جلوس الـ ملك الذات الابيه .
فوق عرش الملك ارثا عن صناديد الحمية .

عيد شبان البلاد .

أيها الشبان هبوا

انه عيد عظيم انه عيد الملك
سيد الشبان انا منك نعتز بك .
فامدد العون الينا كي رقيا نمتلك .

انت من نرجو البلاد .

أيها الشبان هبوا

اننا الشبان نزهى ان يكون الملك منا .
وهو عنوان لان الملك المنصور معنى .
بقواه وايادبـ ـه وفي ذلك معنى .

اننا روح البلاد
أيها الشبان هبوا

ملك الاوطان من هـ ذا الشباب المستطاب.
وشباب الشعب منسو ب الى ذاك الجناب .
فلتقولوا في افتخار انما الشعب الشباب .
وهو ربان البلاد :

كما احتفلت مدينة مراكش بهذا العيد بشكل بديع حيث جمع جمهور عظيم من تجارها ووطنييها مالا لا يستهان به ، اشتروا به كساوى وأطعمه وزعت على أبناء **الجمعية الخيرية الاسلامية والضعاف والمحتاجين**، وأقامت على شرفهم حفلة زاهية . أطعمت فيها وكست جمهورا عظيما ، وأظهرت من المحبة والغبطة والطاعة والولاء الى صاحب العرش ما خلده التاريخ بمداد الاعجاب والتقدير والتكريم

كما نشرت مجلة السلام الغراء التي تصدر بتطوان لمديرها الاستاذ محمد داوود تحت عنوان «**حفظا للتاريخ**» ، ما يلي :

«وصلتنا الصور متأخرة ، فلم نتمكن من نشرها في الجزء السابق ، وقد سرنا بنوع خاص ما قامت به اللجنة المراكشية ، من اطعام آلاف الضعفاء ،والمساكين، واكساء المئات منهم ، وهي مكرمة تستحق الثناء عليها ، وسنة حسنة جدا لو انسج على منوالها في الاعياد المقبلة بحول الله ، واقامة حفلات عيد العرش لم تعرف في هذا القطر قبل هذه السنة الا انها عادة ينبغي ان تتبع في كل سنة لما فيها من البرهان القاطع على اخلاص الامة والتفاف سائر طبقاتها حول سلطانها الذي هو رمز سيادتها ووحدتها ، وعلى تعلقها بعرش مملكتها وحافظ كيانها خصوصا اذا انضم ذلك الى نعيم التوسعة على المحتاجين واطعام المساكين الضعفاء» .

هذه نظرة مبسطة مما حصل في نشوء هذا العيد الوطني الذي قامت به طوائف المؤمنين بعظمة العرش المغربي ووحدة الامة والتماسك المتين **بين العرش والشعب** توضح بجلاء الداعين لاقامته ، والمساهمين في ابرازه من قريب أو بعيد ، وهو كما جاء عفويا ، وبارادة الشعب المؤمن بقدسية عرشه وسلطانه ، والملتف حول قائده وملكه ، والمتفاني في حبه وتقديره ، من أجل جهوده العظيمة ، ومواقفه الشريفة الخالدة التي برهن فيها جلالته على الوفاء لشعب ارتضاه وأحبه واصطفاه، وقدم في سبيله كل عزيز وغال .

وأمام هذا الموقف الايجابي الشجاع ، والبرهان القاطع ، والحجة القوية ، التي برهن بها الشعب المغربي عن حيويته وعبقريته ويقظته ، وسمو اعتباره، ووصوله لهدفه « **الشعب بالعرش والعرش بالشعب** » أرغم الحماة وأذنابهم ، على الخضوع والاعتراف رسميا بعيد العرش فأصدر الوزير الصدر ، اذ ذاك قراره الوزيري باتخاذ

Novembre 1934 — Troisième Année — السنة الثالثة — شعبان ١٣٥٣

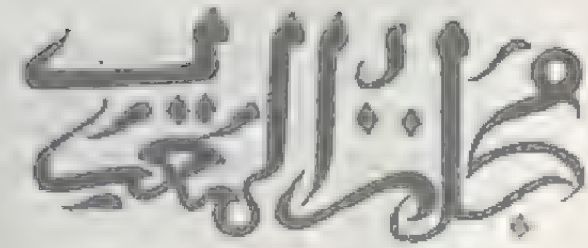

مجلة المغرب

MAJALLAT EL MAGHRIB

مديرها ورئيس تحريرها محمد الصالح مبشة — شقيقة جريدة أدبية

عيد العرش

صدر قرار وزيري باتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذي جلس فيه صاحب الجلالة الشريفة على عرش المغرب عيداً رسمياً . ولاهمية هذا القرار ننشر نصه باللغتين نقلا عن الجريدة الرسمية :

الحمد لله وحده

قرار وزيري

يؤسس بموجبه عيد لتذكار

يعلم من هذا الكتاب بوجود سيدنا أيده الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي :

الفصل الاول

يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيداً لتذكار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداء من هذه السنة فصاعدا .

الفصل الثاني

يقوم باشا كل مدينة من مدن الايالة الشريفة بتنظيم الافراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين بمناسبة فرح بفتح او حادث سار يحدث بذاتهم المنيفة أو تملكتهم الشريفة وتشتمل على :

أولا — تزيين المدن

ثانياً — الطرب في الاسواق

ثالثاً — تفريق الثياب والطعام على يد الجمعيات الخيرية

رابعاً — يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف .

الفصل الثالث

أما العاصمة التي يحل بها الجناب الشريف فان بعض أعضاء اللجنة البلدية أو الموظفين أو الاعيان يتوجه تحت رئاسة الباشا للقصر العالي لتقديم مراسم التهاني لجناب العالي وذلك بالنيابة عن أهالي المدينة .

الفصل الرابع

لما كان الغرض في تمام المحافظة على العوائد وكلما يحدث بسبب هذا العيد [illegible] بالحياة التجارية او الادارية في المملكة الشريفة يقرر بان افراح العيد لا

اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذي جلس فيه صاحب الجلالة ، محمد الخامس على عرش المغرب ، عيدا رسميا.

ويسعدني أن استهز هذه المناسبة السعيدة ، والذكرى الجيدة ، فأختم كلماتي هذه برفع التهاني لجلالة الملك الموفق ، قائد المسيرة الخضراء ، ومحرر بلاد الصحراء ، والراعي الامين لشعبه الوفي ، والسند المتين للعروبة والاسلام في الشرق والغرب **جلالة الحسن الثاني أيده الله ووفقه** .

الى جلالته نرفع التهاني بهذه الذكرى المجيدة ، مشفوعة بالولاء والاخلاص ، والطاعة والتقدير ، ان جلالته ليعد المثل الاعلى في السمو الانساني ، والعمل الدائب على جلب المصالح العليا للبلاد ، ونشر الامن والطمأنينة بكافة ربوعها الفيحاء ، مع الاسهام بالوافر الكثير، من الجهود الخالصة المخلصة ، في سائر ميادين الشرف والكرامة ، بالشرق والغرب ، من اجل صيانة العزة والكرامة ، لمغربنا ، ولكافة ربوع الامة العربية ، والاسلامية ، والرفع من شان الكل ، حياه الله ، واسعده بالجزاء من ربه ، واقر عينه بسمو ولي عهده ، ووارث سره ، سيدي محمد ، وشقيقه الامير مولاي رشيد ، وكافة الاسرة الملكية النبيلة .

« يمكنني أن أقول ان الشغل الشاغل لي في الصباح وفي المساء في الليل وفي النهار هو أن أكون دائما جديرا بثقة شعبي محببا لما معلقه على من آمال في مستوى المحبة التي يكنها لي ، حتى يمكنني أن أقوم بعون الله ورعايته وبالتفاف شعبي حولي بما يجب على أن أقوم به من واجبات على اختلاف أنواعها وابعادها » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

شمس المنابر

للشاعر الاستاذ وجيه فهمي صلاح

غرد فؤادي وحيي سيد النجبا ... واشمخ بلحنك مزهو الرؤى طربا
حيي الامام وكبر حين تذكره ... ما غرد الطير في اغصانه وصبا
العاهل الحسن الثاني بهمته ... سمت ديار وشعب للعلا وثبا
ابا المكارم حب الشعب قطبة ... شمس المنابر اسهابا ومقتضبا
سلوا محافل هذا العصر كم شهدت ... من فكره نيرات بدرت سحبا
سلوا المنابر في باريس كم طربت ... لعاهل ينثر العرفان والادبا
اضاء حول ضفاف السين مشعله ... في كفه يدعم الاسلام والعربا
هناك نالت فلسطين على يده ... ما عزز الفتح والتحرير والاربا

+ × +

يا ومضة العزم تسري في مشاعرنا ... لنجعل النصر في صحرائنا سببا
كي يورق الرمل مخضرا بوثبتنا ... ونزرع الحب والرمان والعنبا
يبني العيون رجال جل ما رسموا ... ليصبح الرمل في كثبانها ذهبا
لينتشي الشمل اشراقا بوحدتنا ... ونملأ الافق في افراحنا طربا
يا وحدة الصف تجني اليوم ما زرعت ... وتسترد لعز الدار ما نهبا
تيهي على المجد واستجلي شواهقه ... وعانقي النصر والاقدام والقضبا
المغرب الحر بالامجاد مؤتلق ... والعرش ينشر في انحائه الحدبا
والعرب تلثم عزما في اطالته ... والشرق ينثر في اجوائه الشهبا
حيا مليكا رفيع التاج نسبته ... لاكرم الخلق في هذا الورى نسبا
فرسانه في ربى الجولان ملحمة ... من البطولات الفت في الوغى نهبا
هشت دمشق لهم حب سما نغما ... فهيج اللحن في علبائها حلبا

تعيد سيف بني حمدان ممتشقا ... يرد عن قاسيون الغزو والكربا
ولمعت في ربى سيتا مدافعنا ... كالرعد تلقم اعداء الحمى عطبا
ترد للعرب الامجاد عزتهم ... وتفضح الزعم في صهيون والكذبا
وتحرق البغي اني كان مصدره ... امست لتيرانها اسرابه حطبا
يا قائد النصر قد عادت كرامتنا .. على يدك واذلت الذي صعبا
فغدر الجاحد الغدار وثبتنا ... وبات يحسبنا غير الذي حسبا
تلألأت في سماء الامجاد انجمنا ... وسيف غدر العدا بين الاكف نبا

+ × +

المجد للاطلس الجبار تنشده ... ملاحم الحرب في دنانها طربا
وتستعيد الى الاذهان ما حملت ... جيادنا من رجال ناوشوا السحبا
صالوا على البغي في ادهى شراسته ... واسترجعوا عن ثوب الاسد ما سلبا
هذي الشواطيء باسماعيلها عرفت ... من الكرامة ما احلولن وما عذبا
لما أتاها بروح النصر فانطلقت ... ترمي الدخيل ببحر موجه اضطخبا
وادي المخارن ما زال الحنين لها ... في كل قلب يهز العرق والعصبا
وطارق الشهم روح في جوارحنا ... يوم الجهاد تثور الاسد والنجبا
دسنا رؤوس الافاعي في تحررنا ... وكل افعى ستتبع رأسها الذنبا

+ × +

كم أشرقت في رباط الفتح موعظة ... من عاهل عبقري بالهدى وثبا
يثير درب العلا في وجه امتنا ... ويرسم النصر موعودا ومرتقبا
يا خير داع الى توحيد أمتنا ... ما مثلك اليوم سيط يجمع العربا
فاض الرباط حنينا يوم تدوتهم ... وكنت فيهم امامًا ماجدا وأبا
أنت عليك شفاء العرب قاطبة ... من القلوب ثناء عاطرا وجبا
لم لا وأنت الذي فرجت كربتها ... فاستيقظت تدحر الاحداث والكربا
فدم مليكي منارا في تألقنا ... ودام عرشك في أفراحنا سببا
وصان ربي ولي العهد سركم ... من قلبكم يستمد العطف والحدبا
ويشرب العلم صفوا من مناهلكم ... وينهل الدين صوبا ومحتسبا
وليبلغ المغرب المقدام منزلة ... فوق الثريا بكم ، وليدرك الاربا

نظرات سريعة حول

الإنعكاسات التاريخية والدولية لاسترجاع الصحراء

للأستاذ المهدي البرجالي

ترتبط وقائع العالم وتتفاعل فيما بينها على وجه تحتمه طبيعة الحياة الحضارية الحديثة ، المتميزة بتقلص المسافات وانهيار الحواجز ، وشموليه نطاق التجاوب بين الافكار والتشابك في المصالح ، ومن ثم ، فان اى تطور يحدث على صعيد بلد من البلدان الا وتنعكس عنه دلالات معينة على المستوى الدولي في نطاق جهوى أو قارى أو اعم من ذلك ، وربما كانت تلك الدلالات ذات قيمه نظريه فقط ، تتعلق باعتبارات التاريخ دون أن تهم الحاضر المعاش الا في حدود ضئيلة ، الا انها قد تكون في أحوال أخرى على العكس ، موصوله باهتمامات الحاضر،متأثرةبه ومؤثرة عليه ، سواء ذلك في النطاق المحلي الذى شهد منطلق الحدث المرتبطة به تلك الدلالات ، أو في النطاق الدولي عامة .

ومثل هذا التفاوت في أهمية الوقائع التي تفرزها حركة الحياة هنا وهناك ، محكوم طبعا بعدة عوامل ، من بينها مستوى اهمية البلد بالذات ، الذي كان مجالا لنشوء الحدث ، متمثل ذلك في حساسية موقعه أو تباعة سكانه ، او وفرة ممكناته ، أو طلائعية دوره أو ما الى مثل هذه المميزات مما يثرى قيمة المكانة التي يتبوؤها قطر من الاقطار ويثرى بالتبعية ـ قيمة المؤثرات المحلية أو الخارجية للاحداث التي تصدر بواعثها عن هذا القطر، أو تقع نتيجة للتفاعل بينه وبين تطورات العالم المختلفة.

والمغرب من بين مناطق العالم التي توفر لها قدر مهم من هذه المميزات (اهمية الموقع والممكنات ، ديناميه نشاط الانسان وخصوبة تقلباته) وذلك ما يلزم عنه ان يكون لتحركات هذا البلد في اتجاه استكمال شروط التحرر والنمو ، انعكاسات لها اعتبارها في مساق الفكر التاريخي ، من جانب ، وفي مضمون التفاعلات الدولية والعالمية الراهنة من جانب آخر .

ويعرف في مضمار التمثيل على ما ذكر ـ ما كان من صلة ظرفية ان لم تكن سببية بين استقلال المغرب وشمول الاستقلال منطقة المغرب العربي ثم غرب افريقيا، وهو مظهر واضح التعبير عن سعة الافق التاريخي والآني الذى تتم فيه التحركات والاحوال في حظيرة الحياة الدولية والعالمية المعاصرة

وقل مثل هذا ، عن احتلال المغرب حينما وقع احتلاله أوائل القرن الحاضر حيث ارتبطت عملية الاحتلال تلك ، بأشد بوادر الصراع بين الدول الاستعمارية ، واذ بلغت التناقضات بين القوى المتصارعة في هذا المجال حدا ، عجل بتفجير الحرب العالمية الاولى ، ثم دخول العالم فترة ترقب وتأهب لخوض الحرب العالمية الثانية ، التي أعقبها انهيار النظام الاستعمارى ، وتبلور الصورة الجديدة التي عليها عالم اليوم .

ان احتلال المغرب ثم تحرره ، حصلا كلاهما ـ كما نرى مما ذكر ـ في نطاق افق تاريخي من قبيل تلك الافاق التي يتحول فيها مسار العالم عبر وجهات جديدة، تفرضها حركية التاريخ ، ومعادلات القوى المحفوزة به هذه الحركية .

ومن غير مغالاة في القول ، يمكن التاكيد بان خط سير المغرب قد انطبع في كثير من معالمه ـ بمدلول هذه الحال ، حالة التلازم بين التطورات التاريخية الخاصة به ، وتطورات التاريخ في ابعاده الدولية والعالمية البارزة

وقد توالى هذا التلازم على مدى الدهر ، فكان مما تبلور عنه من وقائع التاريخ الكبرى : بقاء وجود العرب في الغرب الاوروبي طوال قرون تحت تاثير التدخل المغربي لحماية الاندلس الاسلامية . كما كان منه في صورة اخرى ، ما حصل من وقف الطلائع الاولى للتوسع الاوروبي عبر الشمال الافريقي وشمال الساحل الغربي للمحيط الاطلسي ، بعد ان تم للمغرب تحديد حركة التسربات البرتغالية عبر شواطئه انطلاقا من القرن الهجري العاشر ، وكان من ذلك في مثال ثالث ، استمرار التكافؤ في السيادة خلال القرون الاخيرة بين الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ، متمثلة في مغرب المولى اسماعيل والمولى محمد بن عبد الله ، وبين الضفة الشمالية (الضفة الاوروبية) للمنطقة المتوسطية .

ومما كان من هذا التلازم في عصرنا : اضطلاع المغرب انطلاقا من بداية الستينات ، بدور طلائعي في مسلسل التطورات التي ادت الى تكريس فكرة التضامن والتكافل بين الافارقة في صورة المنظمة الحالية للوحدة الافريقية .

ثم كان من ذلك ايضا : احتضان المغرب سنة 1969 لاول جمع دولي اسلامي ، انبثقت عنه مؤسسات عملية ومنتظمة لتاطير التضامن الاسلامي ، وترسيخ فاعليته على نطاق عالمي .

ان هذه النماذج لتنتمي ـ كما نرى ـ لعصور متباعدة ، الا انها تعكس جميعها مستوى متماثلا فيما تشير اليه من ملابسات مغربية في مجرى عديد من الوقائع والتطورات المهمة على صعيد التاريخ العالمي .

ومن منظور هذه الزاوية ، يستشف المرء عددا من الدلالات المتصلة بموضوع استرجاع المغرب لصحرائه ، بعضها موصول بالسياق التاريخي للملاحم التي خاضها الكيان المغربي حفاظا على حوزته المساسية ومرتكزاته الحضارية ، وبعضها الآخر متصل بالانعكاسات الدولية لهذا الحدث ، وما تتضمنه من آثار ايجابية على صعيد القضايا والمشكلات العالمية .

ولنتناول هذين القطاعين في الموضوع :

أولا : الحدث من حيث دلالاته التاريخية :

وضمن هذه الوجهة في النظر ، يمكن استبانة الموضوع من مناظير اساسية وهي :

1 ـ من منظور تاريخ الصراع حول الساحل الاطلسي المغربي .

2 ـ من منظور حركة تصفية الاستعمار في عالمنا المعاصر .

3 ـ من منظور التكامل الافريقي والعوامل الاجنبية المضادة له .

ولنلمح في العامة جد سريعة ـ هذه المعطيات الثلاثة ، على ضوء الحدث الذي أنجزه المغرب باسترجاعه صحرائه ، مركزين في هذا السياق على التفتحات التاريخية التي صنعها بتحقيقه هذا الانجاز .

1 ـ جانب العلاقة بين الحدث ، وبين مسلسل الصراع حول الشاطئ الاطلسي :

على الرغم من ان احتلال القرى الاجنبية لصحرائنا المستردة ، يرجع الى بضعة عقود فقط ، فان عموم الشاطئ الاطلسي المغربي الذي تشكل هذه الصحراء امتداده الجنوبي ، قد استمر ـ على مدى تاريخي طويل ، محط انظار القوسميين الاوربيين ومستهدفا رئيسيا من مستهدفاتهم في افريقيا ، منذ مطالع القرن السادس عشر ، وترجع اصول القصة كما يعرف تاريخيا ـ الى العهود المتاخرة من ملحمة الدفاع المغربي عن الاندلس ، حيث اخذ الايبريون ـ اسبانيين وبرتغاليين ـ يغيرون على السواحل المغربية للارتكاز فيها ، مستفيدين من انقلاب موازين القوى في العدوة الاندلسية لصالحهم ، وبالتالي ، تراجع القوة الرئيسية،

قوة المغرب ، التي كانت تحصرهم في نطاق معين داخل البر الايبيري ، وقد بدأت الاغارات الايبيرية على الساحل الاطلسي المغربي في وقت مبكر جدا حيث شهدت ـ سلا اثناء سنة 658 هجرية ، أي خلال عهد السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق ـ هجمة شرسة من قبل بعض البحارة الايبيريين ، كانت من اولى المحاولات التي بذلت بهذا الصدد ، وسجلت القرون التالية ، سلسلة طويلة من غمرات الصراع بين الايبيريين والمغرب حول الساحل الاطلسي سعيا من أحد الطرفين لانتزاع نمط ارتكاز في الساحل ، تتخذ منطلقات لمزيد من اكتساح أراضي الغير ، ودفاعا من الطرف الاخر ، عن المواقع المعرضة للاكتساح .

وتتضافر مختلف القرائن على تأكيد الاعتقاد بأن الحملات التي سنت على المغرب في هذا النطاق ، كانت تخضع لاستراتيجية محددة الاغراض والمواقع ؛ تستهدف من بين اساسي ما تستهدفه ـ النفوذ ـ عبر الساحل الاطلسي المغربي ـ الى أقصى ما يمكن من امتدادات هذا الساحل نحو الجنوب ، ومن المؤشرات التي كان من الممكن استبانة هذا الاتجاه منها :

أ ـ بروز الارهاصات الاولى للغزو الايبري للمغرب عبر الساحل الاطلسي ، وليس خلال الشاطيء المتوسطي (احداث سلاء سنة 658 هجرية التي أشير اليها من قبل) .

ب ـ تعهد التوسع الايبري خلال الساحل الاطلسي الى نقط جد متقدمة باتجاه الجنوب حتى مشارفة الاعالي قبل الصحراوية (نزول الايبريين بناحية اكادير سنة 875) .

ج ـ تقديم الغزو الايبري ـ في حملته الكبرى خلال العهد الوطاسي ـ المناطق الساحلية الجنوبية التي احتلها ، على بعض النقط المهمة في الشمال التي كانت هي كذلك مستهدفة في خطط هجوماته (مثل : نزول البرتغال في حصن مونتي بناحية اكادير سنة 875 هجرية قبل نزولهم بالعرائش سنة 890 هجرية) .

د ـ شدة تمسك الغزو الايبري أكثر ما وسعه بالمناطق التي تمكن منها في الجنوب المغربي ، كما يتجلى ذلك مثلا في تشبث البرتغال بمواقع احتلالهم في الجنوب طوال 72 سنة مع انهم جلوا عن مناطق أخرى بالشمال في فترات أقصر ، رغم ان مقاومتهم من طرف المغاربة ، كانت شديدة سواء في الشمال او في الجنوب.

لقد كان الجنوب المغربي ، حسبما نستشفه من هذا ـ مقصدا قديما من مقاصد التحرك التوسعي الاوروبي منذ انطلاقة ذلك التحرك قبل خمسة قرون خلت ، والجنوب طريق الصحراء بطبيعة الحال ، واقاصيه ، هي صميم الصحراء بالذات ، ثم هناك بعد ذلك الآفاق مفتوحة نحو افريقيا السوداء ، الارض البكر التي طالما حلم بها الاوروبيون قبل أن يتمكنوا من احتلالها

وهذه واحدة من ملابسات الغزو الاوروبي للصحراء حينما تطلع اليها نفس هؤلاء الايبريون اعتبارا من أواخر القرن الماضي ؛ أي بعد قرون من محاولاتهم الاولى اثناء القرن السادس عشر للتغلغل في الشاطيء الاطلسي المغربي ؛ حتى امتداداته الجنوبية .

وفي ارتباط بهذه الملابسات ، نستجلي معاني تاريخية قيمة من حدث تحرير الصحراء ، واسترجاع الوطن بتحريرها وحدته وتكامل كيانه .

2 ـ جانب العلاقة بين الحدث ، وحركة تصفية الاستعمار على الصعيد العالمي :

يعتبر المغرب من اخريات الدول التي تعرضت للاستعمار ، ومن اولى الاقطار التي تحررت منه في مضمون موجة التحرر التي شملت افريقيا وآسيا عقب الحرب العالمية الثانية ، الا اننا اذا وضعنا في الاعتبار التسلسلات الايبرية القديمة الى الشاطيء المغربي خلال القرن السادس عشر ، فاننا نرى ان المغرب بهذا الاعتبار ، كان من أقدم أهداف التوسع الاوروبي قبل أن يستفحل هذا التوسع في مجرى القرون الاخيرة .

انها مرحلة ازدواجية في علاقة المغرب بالاستعمار ، تتمثل في قدم هذه العلاقة من جانب ، (اعتبارا لما عاناه المغرب انطلاقا من القرن السادس عشر) وحداثتها من جانب آخر ، اذا حصرنا النظر في أمر الاحتلال الشامل للمغرب أوائل القرن الحاضر .

وكما هو ظاهر ، فان ظروف المغرب الوقعية والتاريخية ، قد فرضت عليه علاقة نوعية بالاستعمار على هذا الوجه ، تتشكل منها ظاهرة ذات طبيعة خاصة ، ولعل من ارتباطات هذه الظاهرة، ما كان من تجزؤ المغرب ـ تحت النظام الاستعماري ـ مناطق وجيوبا مختلفة ، ثم ما كان ـ بعد ذلك ـ من تمرحل التوقيت الذي انتزع فيه استقلاله ووحدة كيانه .

لقد عاصر المغرب ـ نتيجة ظروف علاقته بالاستعمار مختلف اطوار الصراع ضد التوسعية الاوروبية منذ انطلاقتها الاولى ، وشارك بفاعلية جد مؤثرة في توجيه استراتيجيات هذا الصراع ، وتكييف نتائجه ، وباسترجاع المغرب للصحراء ، يكون قد اد ى ـ فضلا عن الاعتبارات الوطنية للعملية ـ اسهاما قيما في سياق المرحلة الاخيرة للعمل على انهاء النظام الاستعماري العالمي ، وتصفية تركته .

وينم التاريخ الاستعماري لدولة الاحتلال التي انتزعت منها الصحراء ، عن هذه الملابسة الخاصة التي تكتسيها العملية التي انجزها المغرب ، فالصحراء التي وقع تحريرها ، ليست فقط فلذة كبد كيان قومي ارجعت لاصلها ، بل ان هذا الاسترجاع ، ليشكل مظرا لتهاوي بقايا امبراطورية استعمارية عتيقة ، ترجع جذورها الاولى الى بداية الاستعمار الحديث نفسه ، ويمثل النضال القومي الذي افضى الى استردادها ـ متوجا بحركة المسيرة الخضراء ـ صورة عن طول نفس الوطنية التي خاضت هذا النضال ، وعبقرية الصمود الذي مكنها من موالاة الصراع ، وتحمل مقتضياته طوال هذه الحقبة من بداية النظام الاستعماري الى ساعتنا هذه ، حيث يلفظ الاستعمار الحديث آخر انفاسه .

الحدث من منظور التكامل الافريقي ، والعوامل الاجنبية المضادة له :

ما برحت الصحراء تشكل ممرا او معبرا لحركة الرجال وتبادل المصالح التجارية ، والاطروحات الفكرية والحضارية والمنافع من كل نوع ، بين المغرب وغرب افريقيا ، الا ان ما انتهى اليه التدخل الاستعماري في المنطقة هو تحويل التفتح هذا ، فيما بين طرفي الصحراء الى حالة انغلاق وعرقلة استمرار التواصل الحر والكثيف بينهما على هذه الصورة .

وتوحي المقولات التي روج لها المستعمر زعما بان الصحراء كانت خالية من السكان قبل نزول المحتلين بها ـ يوحي ذلك بان الثوابت الاستعمارية كانت ذات طبيعة جذريه ، بحيث تتجه الى تخليد بقاء الوضع الاحتلالي بالصحراء الى ما لا نهاية ، ولو ان هذا حصل، فعلا ، لكان قد ادى اذن ، الى تكريس حالة الانعزال بين المغرب وجنوب الصحراء ، وخلق وضعية داخل المغرب الافريقي ، مناقضة للمنطق التاريخي والجغرافي بالمنطقة ومعززة للاحوال الشاذة من هذا القبيل في مناطق اخرى من العالم .

وقد تم تحرير الصحراء ، وبقدر ما تحرر المغرب ـ بهذا الانجاز ـ من حالة نجزئة تسلطية ، كان مفصولا بمقتضاها بعضه عن كله ، فان كافة القطاع الغربي الافريقي قد تحرر ـ في هذا المضمون ـ هو الآخر ـ من وطأة تدخل اجنبي ، كان يلقي ظلالا كثيفة على عامة المنطقة ، ظلالا تعترض السياق الطبيعي والتاريخي لتواصل طرفي المنطقة وتجاوبهما . وهذا ـ من منظور لتاريخ ـ حدث كبير في موضوعه وملابساته ، اذ انه بعكس نهاية سعيدة لقصة الصراع بين قوى التوسع التي ما فتئت تتداخل كحاجز عازل للمغرب عن افريقيا؛

وبين طاقة الصمود المغربي التي لم تتوان طوال الدهر عن رجرجة هذا التدخل وزحزحته ، الى حين التوصل ، لتصفيته واجتثاث جذوره .

هذه جملة من الدلالات التاريخية المرتبة من خلال الانجاز الذي توصل اليه المغرب بتحريره صحراءه واستكماله وحدته الترابية ، وهذه الدلالات ـ وان كانت جذورها ـ كما يلحظ ـ تتعمق في خلفيات التاريخ بعسافة غير قصيرة ، فانها تلتقي مع ذلك بعدة اعتبارات في السياسة الدولية الراهنة ، وتتشكل منها في هذا النطاق انعكاسات شتى على الصعيد الجهوي والافريقي والعربي ، وهذا ما يقودنا الى القطاع الثاني من الموضوع وهو : :

2) الانعكاسات الدولية للحدث

ونتطرق الى هذه الانعكاسات من خلال ثلاثة مواضيع هي :

أ ـ موضوع انشطة التخريب الدولية

ب ـ موضوع الاطروحات الانفصالية ، والتحركات الهدامة الوافدة في هذا النطاق .

ج ـ موضوع المناورات المستمرة لبلغنة افريقيا ، وضمنت بعض الكيانات منها

لقد فرض السياق العالمي في اطواره المعقدة الحالية ، أن يضطلع نضال المغرب لتحرير صحرائه بجهتين مزدوجتين ، تتمثل احداهما في قوة الاحتلال ، وتتشكل الثانية من مجموعة التيارات التخريبية الموحدة ـ رغم تباين مشاربها وحوافزها ـ حول العمل على عرقلة جمع الشمل المغربي وتأييد تجزئته .

وكان استرداد المغرب للصحراء ـ فضلا عن منطوياته الوطنية ـ ذا انعكاسات مهمة على صعيد الامن الدولي ، فيما يهم ضرورات هذا الامن ، من تحجيم انشطة التخريب والانفصال والتفتيت ، وتقليص المجال الذي تجري فيه هذه الانشطة بأكثر ما يمكن .

وعده بعض المؤثرات في الموضوع .

انشطة التخريب الدولية

هناك حقيقة يمكن ان تكون محط اتفاق الآن بين كافة الملاحظين ، وهي ان استرجاع المغرب لصحرائه ، قد وضع حدا لاحتمالات واسعة للتخريب الدولي في عموم قطاع شمال المغرب الافريقي ، فضلا عما وضعه من حد للوجود الاستعماري التقليدي ، الذي كان جاثما على الجنوب الصحراوي المغربي .

ومنطقة شمال الغرب الافريقي ، كما يعلم ـ من بين المناطق المرموقة في تعيين المواقع الستراتيجية في العالم ، وتقييم النقط الحساسة ضمن خطوط الاتصالات العالمية ، الا ان المنطقة ـ رغم ما هي عليه من هذه الاهمية قد ظلت لامد غير يسير ، بمنأى عن متناول انشطة التخريب الدولية ، التي اتجهت الى قطاعات اخرى في افريقيا ، اقل مناعة ازاء التسللات الخارجية ، واكثر ثغرات فكرية ونفسية وسياسية وتنظيمية ، لتسريب التخريب المرتبط باهداف هذه التسللات ، وتوسيع عملياته .

وما فتئت حصانة منطقة شمال الغرب الافريقي مرتكزة على ارضية صلبة من التماسك الاجتماعي لسكانها ، ومتانة جذور قيمهم التاريخية والحضارية ، وقوة ارتباطهم بمثلهم ، وانماط حياتهم المتميزة ، الا ان وجود الوضع الدخيل الذي كان قائما في الصحراء ـ لم يكن من شأنه ـ لو استمر وقتا اطول ـ الا ان يقلب موازين الاستقرار الدولي ، المخيم آنئذ على الناحية ، وينتج منافذ شاسعة وغير محدودة ، لتطلع قوى مختلفة وغير مراقبة ، للتدخل في عين المكان ، واتخاذه موطىء قدم لممارسة مناهج التخريب التي تستهدف السيادة المغربية اولا ، ومنطقة شمال الغرب الافريقي عامة ، مرتبطة في ذلك ، بجهات مختلفة ومعقدة النوايا في المضمار الدولي والعالمي .

وواضح أن المناورس التي كان من الجائز ان تتخذها مسارات التخريب في المنطقة (عناوين اليمين او اليسار او ما اليهما) لم يكن من الضروري ، ان تكون هي موطن الاهمية في تلك الاحتمالات التدخلية ، وانما مناط الامر هو في تلك التدخلات نفسها ، التي كانت ستنطوي بالضرورة ـ على خطورة متناهية ، تقفز بالمنطقة جمعاء ، منطقة شمال الغرب الافريقي ومجاوراتها ، الى هوة التعقيدات الصراعية ، وما يرتبط بها من مواكب العنف والتخريب ، مما تعاني منه عدة مناطق في العالم اليوم .

التحركات الانفصالية

اعتمدت الحركة العربية الاسلامية الحديثة في تأصيلاتها الفكرية على مبدأ التجمع والترصيص ، كمبدأ منطقي وحتمي اولا ، ثم كأساس معتمد ثانيا في مواجهة خطة التفتيت والتعديد ، التي تركز عليها تنظيرات في المذهب الاستعماري ، من اهم ما تنبني عليه الخطوط العكرية والعلمية لهذا المذهب .

وعلى الرغم من أنه مضى امد له اعتباره على شمول الاستقلال للعالم العربي والاسلامي ، فان المواجهة في هذا الموقع بالاخص ، موقع التصادم بين مبدأ التجمع ومبدأ التفتيت ، ما تزال قائمة في اكثر من قطر عربي او اسلامي ، تغذيها ـ فضلا عن بعض الروافد التقليدية ـ روافد أخرى موصولة بقوى توسعية عالمية جديدة ، وبجهات مختلفة الحوافز ، فيما تتساق اليه من اصطناع الانفصالات الاعتباطية في المنطقة العربية الاسلامية .

لقد عرف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية في وقت مبكر (في خلال الاربعينات بالذات) تحركات في هذا الاتجاه على حساب بعض الكيانات الاسلامية ، بآسيا ، الا أن العقود التالية ، شهدت استئصالا قويا لهذه التحركات ، استوعبت ما بين الخليج والاطلسي ، وكان المغرب آخر الاهداف في هذا المجال ، حينما خلص الى خوض المعركه الحاسمة في ملحمة استرجاعه لصحرائه .

وهناك ملاحظة بارزة بهذا الشأن ، وهي أن مختلف الحركات الانفصالية التي توالت في المحيط العربي ، قد آلت الى اخفاق ، رغم كل ما يسندها من خلفيات دولية متسعة ، ومرجع الامر في هذا المجال الى الحصانة القطرية للفكر العربي ضد مثل هذه التحركات التي تصطدم دائما - كلما بدرت في قطر أو آخر - بصرح تاريخ اجتماعي عريق وبمفاهيم واقتناعات متجذرة في أعماق الوجدان العربي ، بعيدا عن متناول التأثيرات السطحية الملقى بها من خارج البيئة العربية .

وقد كان نجاح المغرب في توحيد شطه بصحرائه ، معلمة جد هامة في هذا السبيل ، نحو مزيد من تجذر المناعة عند العرب ضد الانفصالات ، وازدياد ترسخ العوامل المتضافرة على تعميق التلاحم والتكامل ، داخل الكيانات العربية .

التوسع عن طريق التجزئة في افريقيا

مثلما تتوفر للعالم العربي منظمة اقليمية لتنسيق التضامن والتعاون بين وحداته ، هي الجامعة العربية ، تقوم في النطاق الافريقي منظمة الوحدة الافريقية ، مرتكزة في الجوهر على نفس الاهداف والمبادىء .

ويعكس وجود المنظمتين ، الاتجاه الاساسي في المحيط العربي ، أو في المحيط الافريقي نحو الوحدة في شكلها التضامني أو التعاوني ، وما يوجبه الحال - بحكم هذا - من تناسق في المصالح والاهداف بين الاطراف المتضامنة أو المتعاونة .

الا أن ثمت بعض النزعات المحدودة جدا ، التي تحاول أن تضع التضامن والتعاون الافريقي في غير اطاره الطبيعي ، المحكوم بالاعتبارات البيئية والموضوعية الافريقية ، وتطرح بديلا عن هذا الخط الواقع خطا آخر يرتبط بمفاهيم « الشوفينية » و « النوغماتية » المستمدة من مختلف المستوردات الفكرية .

ان مثل هذه النزعات - المعزولة في الواقع داخل النطاق الافريقي - قد لا تتحرج عن استعمال أي أسلوب يمكنها استعماله لاصطناع مجال ما ، لاطروحاتها وممارساتها السياسية بما في ذلك الترويج للدعاوي التجزيئية والاقليمية على حساب وحدة الكيانات الموحدة بالفطرة ، ومثل هذه الدعاوى ، التي تنتقصد - في العمق - الاخلال بالبنيات الاجتماعية والسياسية القائمة على منطق الطبيعة والتاريخ وواقع الحياة ، انما يؤول منطقها - في نهاية التحليل - الى محاولة التمكن من اعادة تشكيل البنيات المجزاة ، وفقا للمصالح الضيقة الخاصة بالجهات الدولية ، التي تروج لمثل هذه التحركات داخل البيئة الافريقية .

ومنذ أن أخذت الاقطار الافريقية ترقى الى الاستقلال ، كان من أبرز المعضلات التي واجهتها هذه المعضلة بالذات ، المتمثلة في سعي بعض الجهات الدولية الى تكريس التجزئات الاستعمارية بالقارة ، بل والسعي لاصطناع تجزئات أخرى ، تضاعف من بعثرة الكيانات القومية الافريقية ، وشرذمة مظاهر وحدتها .

وعبر « زائير » و « نيجيريا » وغيرهما كثير ، كانت التجزئة هذه قد ذر قرنها لتفرق الاقطار المستهدفة لها في خضم اقتتالات داخلية ، تطول مدتها أو تقصر ، الا أن الظاهرة الملحوظة ، انه سواء في «كاطانغا» أو فيما دعي بـ « بيافرا » ، أو في حالات غيرهما ، فان مثل هذه التشنجات المصطنعة لخلخلة الكيانات الافريقية ، كانت كثيرا ما تنتهي الى لا شيء ، لكنها قد تترك - ضمن نطاق معين - شوائب في أفق العلاقات الافريقية ، تكون القارة حقا في غنى عنها ، وان كانت تلك الشوائب سرعان ما تتلاشى بعد حين ، لتفسح المجال للوضع الطبيعي العادي في الصلات الانسانية .

ان الكثير من المحاولات التجزيئية هذه ، تعود - في جزء اساسي منها - الى سياسة بعض القوى الدولية التي تتبنى في القارة نهجا معينا ، قوامه السعي لاشباع تطلعاتها التوسعية عن طريق العمل على تقطيع أوصال أقطار أخرى ، وضم ما يمكن ضمه من الاجزاء المفصولة عن الوطن الاصلي ، أو بوضعه بالاقل - موضع التبعية السياسية أو الاقتصادية للدولة المتوسعة .

لقد خلف الاستعمار الاوروبي في افريقيا ، تركة ثقيلة من المشاكل المتعلقة بالحدود بين عدد من أقطار القارة ، على أنه لا يستعصي على الافارقة التوصل الى

تصفيه هذه المشاكل المتخلفة عن العهد الاستعماري ، مثلما تمكنوا من تصفية ذلك العهد نفسه .

اما العمل على تجزئه اقطار افريقية مستقلة ، وفصل اجزاء منها لاعطائها شكل استقلال مرحلي ، تمهيدا لالحاقها بكيان آخر غير كيانها الاصلي ، فهذه مسالة اخرى ، تتجاوز كل ما خلفه النظام الاستعماري المباد من مشكلات ترابية .

وقد كان اخفاق سياسة التجزئة من هذا القبيل في « رابير » و « نيجيريا » عاملا حاسما في وقف المسلسل، الذي كان من شانه أن يؤدي الى احتمالات جدية في النيل من وحدة كيانات افريقية اخرى في منطقة خليج غينيا ، وفي الجزء الاوسط من افريقيا .

وكذلك الحال في استرداد المغرب لصحرائه ، فيما لهذا الانجاز من انعكاسات حتمية على استقرار الكيانات بالغرب الافريقي،وبالتالي تعزيز امن المنطقةوسلامتها.

أضواء على ديوان :

العرشيات

للأستاذ
عبد الهادي المريني

الشعر المغربي الحديث يتعدد مضمونه بتعدد التطورات الوطنية والاجتماعية والفكرية التي تبرز بالمغرب من حين لاخر ويتجاوب شعراؤه مع جميع الاحداث السياسية والانسانية التي يعيشها المغرب كل فريق منهم حسب عمق تفكيره ودقة تعبيره ومتانة اسلوبه وانارة صياغته وشكلية قالب قريضه .

وابرز الاشعار في دواوين الشعر الحديث هو الشعر الوطني الذي يتحدث عن الامجاد الوطنية ويتغنى بالبطولات المغربية الخالدة ـ في ميدان الاستشهاد والفداء من أجل العزة والوحدة والكرامة ـ ويدعو الى نهضة شاملة في الميادين الاجتماعية والثقافية .

وتعد « العرشيات » دائرة رحى هذا الشعر الوطني الاصيل ، فقد كان شعراء عهد « الحماية » وشعراء صدر الاستقلال يعربون عن عواطف الاخلاص والوفاء والولاء للعرش كلما اشرقت شمس عيد العرش على هذه البلاد. فقد كان حلول هذه الذكرى يثير قريحتهم الشعرية ويذكي حميتها للتعبير عن مكنونات انفسهم ولبلورة احاسيسهم نحو امجاد هذا العرش ومفاخر صاحب العرش . فجاءت قصائد عيد العرش طافحة بالامال والاماني و « فيضا » من عواطف الولاء والتاييد .

وفي هذه الفترة الحاسمة من تاريخ المغرب الحديث جرت العادة أن تجمع القصائد الشعرية التي انشدت في مدح عاهل المملكة في ديوان تخليدا للامجاد والمفاخر التي حققها السلطان العلوي ، من ذلك ان المؤرخ الكبير المولى عبد الرحمان بن زيدان العلوي قام بجمع القصائد التي نظمها الشعراء في السلطان المقدس مولاي يوسف رحمه الله في ديوان سماه : « اليمن الوافي في مدح الجناب اليوسفي » .

وفي عهد الملك المقدس محمد الخامس رضوان الله عليه جمع العلامة الاستاذ السيد عبد السلام الفاسي « العرشيات » في ديوان سماه : « ديوان العرش » (طبعت السلسلة الاولى منه في سنة 1948) .

وقد قام بعض الشعراء أنفسهم باخراج قصائدهم التي مجدوا فيها العرش العلوي ضمن دواوينهم الشعرية : فقد اصدر الوزير الفقيه المعمري الزواوي رحمه الله ديوانا شعريا سماه : « حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرش العلوي » ويضم هذا الديوان قصائد في مدح السلطانين المقدسين مولاي يوسف ومحمد الخامس ـ تغمدهما الله برحمته ورضوانه . وجلالة الملك الحسن الثاني ـ اطال الله عمره ـ . وقد خلد هذا الديوان عدة احداث تاريخية عاشها البلاط الملكي في عهد الملوك الثلاثة .

وتقرأ للشاعر السيد ادريس الجاي في ديوانه « السوانح » قصائد مديحه في السلطان المقدس محمد الخامس وخلفه الصالح المصلح والتي سماها

جمال عبد الناصر
طبع ونشر وزارة الدولة للإعلام

« الحماسيات » وسار على نفس المنهاج – فيما بعد – الشاعر الكبير الاستاذ مفدى زكرياء الذى اخرج ديوانه في جزأين سماه : « من وحي الاطلس » ضمنه قصائده الرائعة التي انشدها في هذا المضمار وانطلقت « تتكلم بالامجاد » .

وعند ما بدأت مسيرة مغرب الحسن الثاني تخطو خطواتها العملاقة في مجالات تركيز السيادة المغربية والوحدة الوطنية ، ودعم النهضة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وتعزيز مركز المغرب في المؤتمرات والتجمعات الدولية سار شعراؤنا في تيار الموكب الزاحف تستأثر هممهم بجميع الامجاد التي يحققها المغرب ملكا وشعبا في مختلف المجالات ، وجاءت اشعارهم صورة ناطقة وضاءة لملحمة الحسن الثاني وشعبه الابي في المغرب الجديد .

فقمنا بجمع شتات هذه القصائد والاشعار المنشورة هنا وهناك ، المحفوظة منها في الدواوين السالفة الذكر او بين دفات الصحف والمجلات . فكان ديوان « الحسنيات » .

ولغزارة القصائد والاشعار التي انشدت في مدح الجناب الشريف لم يكن « الحسنيات » « ديوانا » لمجموعها وانما جاء كباقة شعر – ستتلوها باقات اخرى بحول الله – لحلي القصائد التي جادت بها قرائح شعرائنا ليس فحسب كلما حلت ذكرى عيد العرش المجيد بل في جميع المناسبات التي تبرز فيها للوجود مشروع جبار او حدث هام في الميدانين السياسي او الاقتصادي

وعندما يتغنى شعراء ديوان « الحسنيات » بالحدث الجلل ويقدموه الينا في احمل صورة وابدع خيال يتوجون قصائدهم بالتعبير عن مشاعر النبل والاكرام نحو جلالة الملك « المطبوع على كامل الشمائل وحسناها المخصوص من المقامات باحسنها واسناها » . اذ ان كل ما يحقق في هذا البلد الامين من منجزات جبارة واعمال بارة هي في اول امرها من بنات فكره ومن وحي عبقريته.

وبذلك يدون شعراؤنا الحدث الهام في اطار شعري جميل ويثيرون بذلك الحمية الوطنية في نفوس شبابنا لكي يتحمسوا لهذا الحدث ويتفهموا ابعاده ، وان من الشعر لحكمة ! .

فنجد شعراءنا في « الحسنيات » يتحدثون – بلغة الشعر – عن المملكة الدستورية وعن ذكريات « 20 عشت » وما توحي به من معاني سامية ، وعن دور العرش في اجلاء الجيوش الاجنبية عن المغرب وعن الاصلاح الفلاحي والزراعي ، وعن حركة بناء السدود وثمارها ، وعن النهضة العلمية والفكرية ، وعن الاعمال الجبارة والبطولية التي تقوم بها قواتنا المسلحة الملكية في الداخل والخارج ، وعن حماية الدين ورفع رايته ، وعن المؤتمرات العربية والاسلامية والافريقية التي حضنها المغرب ورعاها عاهله المفدى ، وعن معركة الصحراء الخالدة ومسيرتها الظافرة .. الى غير ذلك مما لست اذكره ، فقل « خيرا » ولا تسأل عن الخير!

هذي وتلك وهذي كيف احصرها
الفضل عم فلا يوفيه تبيان

فجاء ديوان « الحسنيات » سجلا تاريخيا لاحداث هامة وتطورات ثورية عاشها المغرب الحديث وصورة ناطقة لتحديات الحسن الثاني وشعبه الوفي ضد الجهل والفقر والمرض والحروب وجميع انواع التخلف . كما اعطى – من خلال اشعاره – صورة اخرى واضحة عن الشعر المغربي الحديث في مجموعه وعن القصيدة المغربية في مضمونها وشكلها .

ولما كانت اشعار ديوان « الحسنيات » وليدة اهتزاز نابع من اعماق القلب ليقع في القلب دون احتداء او رغبة في النوال كانت اشعار الحقيقة والواقع لا اشعار الاحلام والخيال . اذ كان هدف مبدعيها الاسمى هو مشاركة الفكر المغربي في تمجيد ما يحققه « المغرب الجديد » ملكا وشعبا – في مسيرة التنمية والنماء – لاجل تشييد معالم الرقي والاستقرار وتيسير اسباب النمو والازدهار .

وجزى الله عنا شعراءنا خيرا .

ابن الونان والأدب

في عهد السلطان السلفي محمد الثالث

1187هـ = 1773م

للأستاذ عبد الله الجراري

هو الفقيه الاديب ابو العباس احمد بن محمد ابن الونان الحميري النسب التواتي الاصل الفاسي الدار والمولد والمنشأ .

كان سلفه بفاس يدعون اولاد الونان لا يعرفون الا بذلك ، والمولى محمد بن عبد الله الممدوح بهذه القصيدة كنى والد الناظم بابي الشمقمق (1) تعلقت به هذه الكنية واصبحت علما عليه لا يدعى الا بها اذ كان نديم السلطان ابن عبد الله (2) ، واذ تعذر على الشاعر الوصول الى ممدوحه لمكان الحجابة المضروبة اتخذ شارة كرابة وعلاكدية ونادى بالمفرد الرجزي المشطور :

(يا سيدي سبط النبي ابو الشمقمق ابني)

هناك عرفه وامر باحضاره فحضر وانشده القصيدة فوقعت منه موقعها واجزل صلته ، ورفع منزلته .

كان شاعرا ماهرا ، وفحلا هادرا ، ذا وجد واجادة ، ومريحة ومادة ، وكان عارفا بايام العرب وانسابها ، والمغازي والسير والتواريخ آخذا لها عن اربابها . وقد اجاد والده تربيته وتعليمه الى أن أصبح كما ترى .

اخذ عن جماعة من العلماء كالعلامة ابي عبد الله جسوس ، وابي حفص الفاسي ، والشيخ ابي عبد الله محمد التاودي ابن سودة ، والعلامة محمد بن الحسن بناني وغيرهم ، واخذ الشعر والادب عن والده .

ومن شعره الدال على شغوفه وترفعه عن اخذ الزكوات قوله :

اما الزكاة فان النفس تانف ان
يلوث الكف من اوساخها تنص

كأن نسبة اموال البرية لي
دون النصاب من الاموال او وقص

واكره الدرهم الفضي أنظره
حتى كأن بياض الفضة البرص

ويقول عن نفسه في آخر القصيدة :

احق من حلي بالاستاذ والشيـ
ـخ الفقيه العالم المحقق

وبالمحدث الشهير والاديـ
ـب والمجيد والبليغ المفلق

واعلم الناس بدون مرية
بيان من في مغربا ومشرق

والشعر والتاريخ والامثال والا
نساب والآثار سل تصدق

---

(1) تشبيها له بالشاعر الكوفي الماجن الذي نقرأ اخباره الظريفة في الاغاني ، والعقد الفريد ، والكامل وغيرها من كتب الادب .

(2) كان ابوه شديد الصمم سريع الفهم حتى كأنه كما قال الشاعر :

« تشير له بلحظك من بعيد فيفهم طرفه عنك الاشارة »

والارجوزة القافية هي اعظم آثاره ، وعدد ابياتها 275 وتنقسم الى ثمانية اغراض شعرية :

1 / النسيب

2 / التغزل بصفات محبوبته

3 / الحماسة والفخر

4 / مخاطبة الحسود

5 / الحكم والامثال والوصايا .

6 / مدح وشعر .

7 / مدح السلطان السلفى العالم .

8 / مدح الارجوزة وتحدى الشعراء بان يأتوا بمثلها .

وطبعت مجردة طبعة حجرية ضمن مجموعة من المتون العلمية عام 1315 .

واليكم ابياتا من اولها قال :

مهلا على رسلك حادى الاينق ... ولا تكلفها بما لم تطق

فطالما كلفتها وسقتها ... سوق فتى من حالها لم يشفق

ولم تزل ترمي بها يد النوى ... بكل فج وفلاة سملق

وما انثلت تذرع كل فدفد ... اذرعها وكل قاع قرق

وكل ابطح واجرع وجز ... ع وصريمة وكل ابرق

مجاهل تحارفيهن القطا ... لادمنة لارسم دارقد بقى

ليس بها غير السوافى والحوا ... صب الحراجيج وكل زحلق

والمرخ والعفار والعضاه والـ ... ـبشام والاثل ونبت الخربق

والرمث والخلة والسعدان والـ ... ـسنعرى وسب وسمسق

وعشر ونشم واسحل ... مع ثمام وبها رمونق

والسمع واليعقوب والقشة والسـ ... ـيد السبنتي والقطا وجورق

والليل والنهار والرئال والـ ... ـهيثم مع عكرمة وخرنق

ولم تزل تقطع جلباب الدجى ... بجلم الايدى وسيف العنق

فما استراحت من عبور جعفر ... ومن صعود بصعيد زلق

الا وفى خضخاض دمع عينها ... خاضت وغابت بسراب مطبق

كأنما رقراقة بحر طما ... والنوق امواج عليه ترتقى

وكل هودج على اقتابها ... مثل سفين ماخر او زورق

مرت بها هوج الرياح فهي فى ... تفرق حينا وحينا تلتقي

وكم بسوط الحدو سقت سوقها ... لسوق مكر سوق من لم يتق

حتى غدت خوصا عجافا ضمرا ... اعناقها تشكو طويل العنق

مرثومة الايدى شكت فرط الوجا ... لكنها تشكو لغير مشفق

قد ذهبت منها المحاسن باد ... مان السرى وقلة الترفق

ولما احتوته من آداب رفيع ، وامثال وحكم لها قيمتها اللغوية والادبية والاجتماعية تناولتها اقلام جمهرة من الشيوخ والاعلام في مقدمتهم شيخ الجماعة الشاعر الكبير المرحوم محمد المكي البطاوري الرباطي (1) فكتب عنها شرحا مسهبا يقع في مجلدين بيد انه وياللاسف والى حد الساعة لم يرح نسيم الطبع فيعم نفعه حيث يكون كديوان ادبي هام يرجع اليه الادباء خاصة الجيل الصاعد سماه « اقتطاف زهرات الافنان مندوحة قافية ابن الونان » وكتب عنها العلامة الاديب المؤرخ المرحوم ابو العباس احمد بن خالد الناصري صاحب : « كتاب الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى » بما اسماه : « زهرات الافنان من حديقة ابن الونان » (2) .

وممن كتبوا عنها استاذنا المحقق الواعية ابو عبد الله محمد بن عبد السلام السائح وبشرحه الخطي درسنا عليه بعضها (3) .

وكتب عليها كذلك الاستاذ المطلع الاخ السيد عبد الله كنون فكان ما كتبه عنها شرحا مختصرا ابان ما احتوته من الفاظ قد تكون احيانا وحشية (4) .

ولمح لحياته الاديب المرحوم ابو العباس احمد النميشي في كتيبه « تاريخ الشعر والشعراء بفاس (5) .

وطبعا تعرض هؤلاء الشراح لنتفة من حياة الشاعر ابن الونان ، كما عرض له استاذنا ابو عبد الله السائح المذكور في كتابه « المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية » (6) واتى كذلك بنبذة منها في كتابه « سوق المهر الى قافية ابن عمرو » (7) .

واشار لحياته الاديبان : محمد الطيب محمد النادي عبد النافع ، وابراهيم عبد الرحيم يوسف » في كتابهما « تاريخ الادب والنصوص الادبية للسنة السادسة الثانوية » ناقلين عن كتاب « المنتخبات العبقرية المشار اليه آنفا غير أن الكاتبين نسيا (اثناء الترجمة) ابياتا للشيخ محمد السائح وهي (أحق من حلى بالاستاذ والشيخ الفقيه العالم المحقق) الى آخر الابيات الاربعة وقد يكون هذا من عدم الاطلاع على مجموع القافية والبعد عن الاتصال بابياتها بل زادا قائلين : ولا نحب أن نذهب مذهب هذا القائل كتعقيب عليه وهو في مأمن من قولها ان هي الا للمترجم ابن الونان :

ومن لطيف النكت ان يقال :

« حسبتهم سهاما صائبات
فكانوها ولكن في فؤادي »

والموضوع هذا ثري فياض لمن يستبعه واذا كان من مقول ابن الونان :

من كان يرجو من سواي مالها
رجا من القربة رشح العرق

كان ذلك من حوافز العلامة الاديب الكبير محمد بن محمد بن التهامي بن عمرو الرباطي المتوفى بالحجاز سنة 1243 لمعارضتها بأخرى رائعة (ولا بدع وهي في مدح المصطفى صلوات الله عليه) يقول في مطلعها :

مسحت في الادلاج كل خفيق
يراء سبسب يباب سملق

---

(1) توفي سنة 1355 هـ
(2) توفي سنة 1315 هـ طبع طبعتين الاولى بمصر والثانية بدار الكتاب بالدار البيضاء على يد ولديه الاستاذين جعفر ومحمد .
(3) ويظهر ان الشرح لم يتم . توفي سنة 1367
(4) طبع بمطبعة مصطفى محمد بمصر سنة 1354
(5) طبع سنة 1343 بمطبعة اندري وهو عبارة عن مسامرة القاها بنادي المسامرات من المدرسة الثانوية بفاس سنة 1343 — 1924 .
(6) طبع في دار المطبعة الرسمية برباط الفتح سنة 1920 .
(7) طبع بالمطبعة الاقتصادية بالرباط سنة 1357 — 1938 .

ومنهـــا :

يـــا اكـــرم الخلـــق على اللـــه ويـــا
شـــمـــس الضحـــى فى مغـــرب ومشرق

وهى التى اعتنى بشرحها شيخنا العلامة الصالح الملمح اليه سابقا ، كما شرحهـــا شيخنـــا المحدث الكبير محمد المدنى بن الحسنى (1) بما اسماه : « الفتح القدسي على قافية الاوسى » (2) .

ومن الغريب ان المعارض ابن عمرو شارك ابن الونان فى نسبه ويلزم من ذلك المشاركة له فى افتخاره بعلوك اليمن ومآثرهم من الآثار ، وبالانتصار وما كان لهم من المشاهد والمواقف مـــع الرســـول صلى الله عليه وآله وسلم . قال :

ســـل ابـــن خلـــدون عابنـــا فلـــنـــا
بـــيـــمـــن مـــآثـــر لم تـــمـــحـــق

وســـل سليمـــان الكـــلاعي كـــم لـــنـــا
من خـــيـــر بـــخـــيـــبر واســـخـــاق

وهـــذه مزاحمته فى موجوده وجـــدوده ، وفى محصوله واصولـــه ، وهذا من غريـــب الاتفـــاق . والميدان الادبي فى هذه الموضوعات فسيح لمـــن تتراه ، ويكفي من القلادة ما احاط بالجيد » .

ولا بدع ان ينطلق ابن الونان ومن نحا منحاه من الادباء معارضة او شرحا فى عهد دولتنا العلوية المنيفة وهى الدولة التي اضحت منذ اعتلائها على العرش المغربي تساند كل قطاعاته ومرافقه تثقيفا وادبا واقتصادا واجتماعا لا تفتأ تواصل خطواتها ومسيراتها دون كلالة وملالة ان هو الا الســـعي قدما نحو بعث الاصالة والتجديد لانماطها المختلفة، ولا عجب ونحن نرى ونبصر بين الفينـــة والفينـــة ما يطالع به علينا الحسن الثاني من آيات مدهشـــة ومبتكرات تضرب فى الغرابة والندرة وما يعجـــز عن تسطيره القـــلم .

وبالتالى يتـــرك السن القـــادة والمفكرين فى الشرق والغرب مشدوهين مندهشين من وقفاتـــه الحاسمـــة حول ما يطـــرح بين يديـــه من مشاكل عالمية سياسيا واقتصاديا طالما انتظرت حلـــولا تطمئن لها الآراء والافكار عن اقتناع واكتفاء الى ان يفاجئنا الحسن فى فجاءة بمـــا أوتيـــه من طاقات وقدرات خلاقة ينكشف لها الغطاء ويحـــل الغامض نكانه كان واياه على ميعـــاد .

ولا نذهب بعيدا فهو ذا عيد عرشه المجيـــد وذكراه الخالدة الذى عودنا فيه ان يعتلى منصـــة العز والخطابة فيؤثر على شعبه الـــوفي المتعطش كلماته ما تثـــور الافكار .

ذلك ما يجعله وعن صدق من اقطاب القـــرن دون منازع . فليهنأ الحسن البطل فى ذكـــــراه وما شـــاء الله محفوظا فى ولى عهـــده سمو الامير سيدى محمد وسنوه المولى رشيد وباقى الاسرة .

---

(1) توفى سنة 1378 — 1959 ترظه له جماعة من العلماء . والكاتب خص الاستاذ المرحوم المدنى ابـــن الحسنى بتاليف سيصدر قريبا بحول الله .
(2) فـــرغ من تاليفـــه سنة 1322 .

الدّولة العلوية
وعنايتها بالحديث الشريف

للأستاذ يوسف الكتاني

الدولة المغربية دولة اسلاميه تقوم على أساس ديني منذ قامت وتاسست على يد مؤسسها المولى ادريس بن عبد الله حيث فتح المغرب باسم الاسلام وأقام دولته على الاسلام وقد استمر الامر كذلك حيث ظلت الدولة المغربية قائمة على الكتاب والسنة على توالي الدول والعصور .

ولذلك نجد الدولة العلوية قامت على اساس الدين وحكمت المغرب باسم الاسلام استمرارا لما كان عليه الحال منذ ادريس الفاتح الى المولى الشريف الذى اشتهر بين الناس بالفضيلة والدين والجهاد في سبيل رب العالمين قبل أن يعلن تاسيس دولته ورفع رايته .

ولم يكد يستقر الامر للدولة العلوية ويستتب امنها ونظامها حتى سارعت الى ارساء قواعد الحكم ونظام الملك على اساس الكتاب والسنة باعتبارهما الاصلين العظيمين الخالدين من اصول الاسلام .

لقد قام نظام الدوله على عهد العلويين على اساس العقيدة الاسلامية الصحيحة وعلى مذهب أهل السنة البعيد عن الاهواء والفرق والاحزاب حيث سارت أمور الدولة وشؤونها على اساس الكتاب الكريم وهدى السنة النبوية الشريفة وظهر ذلك واضحا في أنظمتها وتشريعاتها وسياستها وجميع خططها .

ولم تقتصر عناية الدولة العلوية على تاسيس الدولة وتسيير شؤون المملكه على هدى الاسلام وتعاليمه بل تعدى ذلك الى عنايه الملوك العلويين وشدة اهتمامهم بنشر السنة واحياء ما اندثر منها وبرز هذا الاهتمام والنشاط في احياء عادة تنظيم الدروس التفسيرية والحديثية حيث كانت تعقد المجالس والحلقات سواء بالقصر الملكي وبرئاسة الملك او في مختلف المساجد الكبرى والجامعات الشهيرة كالقرويين وابن يوسف أو في الزوايا الكبيرة ومختلف الاضرحة خاصة في شهور رجب وشعبان ورمضان .

ولقد كان يحضر هذه المجالس العلماء والاعيان وكبار رجال الدوله فتسرد الاحاديث بصوت رخيم جميل حسن وتفتح المناقشات في حديث من الاحاديث المسرودة لتدلي كل عالم برايه وغالبا ما كان الملك يتدخل ليدلي برايه في الدروس الحديثية التي كانت تعقد في حضرته.

كما ظهر هذا الاهتمام والنشاط في نشر كتب السنة وطبعها والعمل على اذاعتها بين الناس وفي اصدار مراسيم وظهائر تدعو المواطنين الى التمسك بالسنة وتعاليمها ونبذ البدع والخرافات لمخارجه عن الدين .

ففي عهد المولى الرشيد بلغ الاهتمام بالسنة وكتبها ومدارسها مداه حيث أسست المدارس لتعليم الكتاب والسنة وانتشرت الخزائن في أنحاء البلاد وعمت المجالس الحديثية الارجاء ، حيث كان يحضر المولى الرشيد بنفسه ويجمع لها العلماء ويشاركهم المناقشة والمناظرة .

اما المولى اسماعيل العظيم فقد كان اكثر شغفا بالحديث والمحدثين الذين كان يستقدمهم من اطراف المغرب وغيره وكان يكرمهم ويبالغ في اكرامهم اثر كل مجلس حتى انه كان يصب الماء على ايدي العلماء ويقوم بتوزيع الجوائز عليهم في احتفالات كان يقيمها لهم بالقصر الملكي بمكناس وبعضها

وقد كانت لديه نسخة ممتازة من صحيح البخاري كتب عليها اسم العبيد الذين اتخذ منهم جيشا وبطانة وقد عقد معهم العهد والميثاق على هذه النسخة واقسم معهم قسما تاريخيا تضمن تعلقه بالسنة والعمل بها واتخاذها اساسا لحكمه ونظامه وهذا نص القسم صحح عند البخاري كما سماعه بنفسه

« انا وانتم عبيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه الخروج في هذا الكتاب فكل ما امر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل » فعاهدوه على ذلك وامرهم بالاحتفاظ بهذه النسخة وان يحملوها عند ركوبهم ويقدموها امام خروجهم ومن ثم سموا عبيد البخاري وسرى عليهم لقب البواخر الى الآن .

أما سعدي محمد بن عبد الله فقد كان عالما محدثا حافظا حيث أقبل بشغف كبير على الحديث واعله فنظم مجالس الحديث وعين لها اوقاتا مخصوصة واستجلب من الشرق مساند الائمة الثلاثة واشتغل هو نفسه بدراسة الحديث والتأليف فيه فقد الف الفتوحات الكبرى والصغرى وكتاب الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد كما كلف ثلاثة من العلماء بشرح مشارق الانوار للقاضي عياض وهم الشيوخ العلماء التاودي بن سوده وعبد القادر بوخريص وادريس العراقي

وقد بلغ الشيخ التاودي بن سودة في عهده ما لم يبلغه اي محدث غيره من النفوذ والشغوف لديه وهو صاحب كتاب زاد السارى لمطالع البخارى وكتاب شرح صحيح البخارى .

وكذلك استمرت العناية والاهتمام بالحديث والمحدثين على عهد السلطان سليمان حيث نبغ في عهده ثلة كبيرة من العلماء نذكر منهم الشيخ الطيب بن كيران والشيخ ابو الفيض حمدون بن الحاج صاحب كتاب نفحة المسك الدارى لقارى صحيح البخارى وكتاب رياض الورد والشيخ عبد القادر بنشقرون والشيخ محمد بنيس.

ومن مظاهر عناية هذا الملك العظيم بكتب السنة انه سمع بوجود اصل ابي علي الصدفي بطرابلس الغرب عند بعض الناس وذلك بواسطة المحدث الحافظ ابو عبد الله الناصري الذي خرجه من مغيبة ضياع هذا الاصل العظيم ناهيك بالامر عظيما بالغا وشغل في بعثه عن ما هو مهم اكثر من هذا لكنه مثال سار به

وفي عهد سعدي محمد بن عبد الرحمان استمرت العناية بالحديث وعلمه وكان السلطان يصطحبه معه في اسفاره ورحلاته بنسخة ابن سعادة ولا تكاد تفارقه

وعند ما فقد من خزانته الغروبين الجزء الاول منه اهتم للامر وكلف من يبحث عن الجزء المفقود واخيرا لم يحصل على الجزء المفقود بل حصل على جزء آخر بدل وكلف خطاطا ماهرا بذلك واصدر امرا بان يعمل منه

هذا كان الجامع الصحيح للامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الشيخ بخط الحافظ الخطيب ابي عمران موسى بن سعادة مخطوطا بخزانة القرويين ـ عمره الله ـ وضاع من الخمس الاول وبحث عنه اسعد الشحت ثم بعد اعوام بالنسخ آخر بدله من نسخة معروضة بفاس بالنسخة من الاصل المذكور وهو هذا المكتوب عليه والحقناه بباقي اجزاء الاصل المذكور فمن بدل او غير فالله حسيبه وولي الانتقام منه والسلام في عشرى جمادى الاول عام 1223 . »

وكذلك استمر الامر على عهد السلطان الحسن الاول حيث رادت العناية بالحديث والمحدثين واستمرت عادة المجالس الحديثية وظل السلطان يحضرها بنفسه ويستدعي لها العلماء من كل حدب وصوب حتى انه لما بنى قصره بالرباط كانت اول حفلة اقامها لدخوله هي مجلس قراءة صحيح البخاري بمحضر العلماء والوزراء ورجال الدولة وقد كان عمل المولى الحسن استمر على ستة وثلاثين درسا خلال الاشهر الثلاثة من كل عام وهي رجب وشعبان ورمضان وذلك طوال مدة ملكه وكانت هذه المجالس الحديثية قائمة مستمرة بقصبة حاضرا ومسافرا وفي ذلك يقول ابن زيدان في الاتحاف :

«وعلى هذا كان العمل جاريا من لدن الدولة الرشيدية الى اواسط الدولة اليوسفية ، وكان من العادة تقديم الطعام للعلماء اثر انتهاء الدرس وفي الختام تلقى القصائد تمجيدا او تعظيما للمناسبة وفي عهد المولى الحسن اجزلت لهم العطايا والهدايا وزيدت لهم في المبرات » .

وفي عهد المولى عبد الحفيظ زادت العناية بالحديث وأهله لكون هذا السلطان كان عالما شغوفا بكتب الحديث وبعلوم السنة واستمر يعقد المجالس والمناظرات ويشارك فيها بنفسه وقد ظهر في عهده محدثون كبار كالشيخ احمد بن الخياط الزكاري والشيخ عبد الكبير الكتاني صاحب كتاب حواش على البخاري والعلامة البطاوري الرباطي وجدنا الشيخ ابو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني وعمنا الحافظ محمد بن جعفر الكتاني . ومن شدة عنايته بالحديث ونشره في الافاق أنشأ قراءة صحيح البخاري بالضريح الادريسي شروق كل يوم وعين لذلك العلماء أمثال القاضي عبد السلام الهواري ومولاي جعفر الكتاني وغيرهما .

وعندما تأسست مطبعة فاس أصدر أمره بتقديم طبع كتب الحديث فطبعت حواش الشيخ التاودي بن سودة وابن زكري على البخاري والنظم المتناثر لسيدي محمد بن جعفر الكتاني وغير ذلك من كتب الحديث .

وفي عهد محمد الخامس ظلت العناية بالحديث قائمة مسترسلة كما استمرت المجالس الحديثية الا انها اقتصرت على شهر رمضان عند صلاة الفجر وكان يرأس هذه المجالس السلطان ويستدعي لها كبار العلماء والمحدثين امثال الشيخ المدني بن الحسني صاحب كتاب مفتاح الصحيحين وكتاب تقدمة الزعيم الحجيل محمد بن اسماعيل والعلامة محمد الحجوي والعلامة السائح وغيرهم .

وفي عهد الحسن الثاني العظيم ازدهرت السنة وعلومها وزادت العناية بالحديث ولم تبق المجالس الحديثية مقتصرة على شهر رمضان بل تعدتها الى بقية الشهور حيث أصبح الملك يعقد مجلسا حديثيا شهريا وفي مختلف بلاد المملكة وقد أضفى على هذه المجالس مهابة وجلالة حيث استقدم لها العلماء من مختلف أقطار العالم الاسلامي وهو أول ملوك الدولة العلوية الذي اختص بدرس حديثي مستقل عن العلماء يلقيه بنفسه شأنه في ذلك شأن العلماء .

وقد أكدت هذه الدروس عظمة هذا الملك ومراميه البعيدة كما زاد في أهمية هذه المجالس وروعتها نقلها بمختلف وسائل الاعلام لتكون الفائدة أعم والاثر أشمل.

ومن رعاية الحسن الثاني للحديث وأهله تأسيسه لدار الحديث الحسنية لتكون معهدا عاليا لتدريس السنة وعلومها ولتخريج أفواج من العلماء يحيون سنة رسول الله ويعملون على نشرها وخدمتها وقد كتب الله لي شرف الانتساب اليها والتخرج في أول أفواجها .

وقد أثمرت هذه الدار الكريمة بعد ما أصبحت احدى معالم بلادنا وانتشر ذكرها في شتى بلاد الاسلام حيث تخرج من ربوعها أزيد من مائة وخمسين عالما متخصصا في القرآن وعلومه والسنة وعلومها كما ملأ خريجوها مختلف كلياتنا وجامعاتنا يشنون فيها المعرفة ويفقهون الاجيال الصاعدة بلغتهم ودينهم وتراثهم الاصيل الا ان هذه الدار في مسيس الحاجة الى مزيد الرعاية والعناية وتدعيم جهازها الاداري والتعليمي باطر ممتازة ورعاية خاصة .

وفي هذا العهد الحسني ازدادت العناية والاهتمام بنشر التراث واحياء كتب السنة حيث قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بطبع كتب التفسير والحديث وتحقيقها ونشرها وما زال النشاط متواليا ومن هذه الكتب القيمة المنشورة المحققة كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض وكتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد لابن عبد البر وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد لعياض والصوارم والاسنة في الذب عن السنة للشيخ المرحوم محمد بن أبي مدين الشنجيطي وكتاب أربعون حديثا في اصطناع المعروف لابن محمد عبد القوي المنذري ومعجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الاقصى للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله الى غير ذلك مما نشر وحقق برعاية الوزارة المذكورة .

ومن مميزات هذا العهد الحسني ان جلالة الملك أخذ يركز في جميع خطبه وندواته وتوجيهاته الى الامة على الكتاب والسنة ويتخذهما نبراسا وموجها وأساسا في جميع الاوامر والاعمال التي يصدر عنها ، وناهيك بمعجزة القرن وحدث العصر المسيرة الخضراء فقد اقتبسها من حادث الحديبية ويكفيها فخرا ان شعارها وسلاحها ورمزها كان كتاب الله دستورنا الخالد

واني لارجو الله ان يطيل عمر جلالته ويفسح له في وقته ويزيد مدده وينجح عمله حتى يتابع الدروس الحديثية الشهرية التي سنها في مختلف مدن المملكة وذلك لما فيه من الخير العميم والفائدة المرجوة للاجيال الشابة المتعطشة الى معرفة دينها وتراثها وأصالتها انه سميع مجيب .

زقاق بعنابة

الشريفة

للأستاذ أحمد رياد

كان هذا هو اسمها بالعلبة بالاصطلاح النحوي ، ومن الكتبي ما يغلب ويطغى على التسميات ، وكان اهل الحي كلهم ينادونها بهذا الاسم ويحدثون به عنها ، وما ما اكثر ما كان يتحدث سكان الحي عن صولات الشريفة وجولاتها ، وبطولاتها كذلك

اما اسمها الاصلي فهو فاطمة ، وذلك اعتمادا على الروايات المتصلة في صك « الشجرة » التي تدلي بها كلما دعا الداعي او جادل المرتاب او شكك المشككون صراحة او تلميحا في نسبها الشريف ، وهي ادرى بنسبها من اسمها وجدها ، ورويا من اصل الشجرة التي بيد الشيخ ابن تجرة أعضاء جامعة في التاريخ وفروعه ممتدة عبر حقبه المتوالية ، ومن ذكر في عدد الحسنة فعليه بمراجعة « تاريخ الانساب المغربي » وهو كتاب لم يكن أهل الحي بالطبع معرفون عنه شيئا ، ذلك ان علم الانساب يعتبر من علوم التخصص والاختصاص او ان الشريفة كانت تستدل به كوثيقة ثانية مع الصك الاخر الذي يتكون منه سجوة نسبها .

وما كان لاحد ان يجادلها في انتمائها العائلي ، وهو ثابت في كتاب « الانساب » وتاريخها بالمغرب !!

كانت الشريفة تتوفر على لسان سليط وفصيح في نفس الوقت بينما كانت قامتها القارعة والعامرة وعيناها الموقدتان تفرض كلها على الناظر والسامع والمتحدثة نوعا غريبا من الهيبة والاحترام .

كانت تقتحم بيوت الحي بدون استئذان ، وتحضر كافة اعراسه وحفلاته ومناسباته بدون دعوة ، بل ان ذوي المنازل واصحاب الحفلات والمآتم كانوا يعتزون بزيارة الشريفة لهم ويعتبرونها تشريفا لحفلاتهم ومناسباتهم

كما ان صوتها الجوهري لم يكن ليختفي على احد من اصحاب السوق البلدي ورواده ، اذ بمجرد ما تضع قدماها في باب الاوبرد الجزار ينعسني قولته الروتينية: عد عي « لشريفة » ولكان أذنيه تتمتعان بحساسية مرهفة في التقاط ذبذبة صوت الشريفة حيثما تبتدئ في الدخول الى السوق البلدي بتحية بائع التمناع المسمى التمرود ، ولا يدري احد لماذا غلب هذا اللقب على صاحبنا بائع التمناع بنفس الغلبة التي تفوق بها لقب « الشريفة » على السيدة فاطمة ، ولئن كان لقب « الشريفة » لا يحمل سرا من اسباب نزوله فان لقب التمرود كان بالنسبة لعلال بائع التمناع ، ينطوي على سر مكنون كان يرفض وباصرار أن يبوح به لاي احد .

وبلغت السلطة التي كانت الشريفة تتوفر عليها الى الحد الذي كان يجعل معدم الحي ومقدم السوق والمحتسب نفسه ينظرون اليها بشيء غير قليل من الهيبة والاحترام والتقدير ، وقد تكون مرد هذه النظرة الى حسبها ونسبها ومركزها الاجتماعي ، الا انه يكاد يكون من المؤكد انهم كانوا يحسنون سلاطة لسانها وتأثيره في نفسيات الجماهير ، وبالاضافة الى كل هذه المميزات

والمعطيات فان « الشريفة » كانت مصدر احتكام للنزاعات ووسيطا موفقا في حل الخلافات وسفيرا ، موفقا في اداء المهمات . وبايجاز واختصار فان « الشريفة » كانت عبارة عن « انثى في زي ذكر » ، بلغة ابي نواس ولكنها انثى مترجلة ومن النوع الرصين في مادة الرجولة . وتنوح كل هذه الخصال في « الشريفة » بروحها الوطنية وحماسها المندفع في كل الاحيان . ومن ثم فان الحركة الوطنية كانت تعتمد عليها في اداء المهمات الصعبة التي لم تكن تتردد في القيام بها . بل انها كانت تغضب وتثور اذا وقع نسيان فبالاحرى اهمال لدورها في مختلف المناسبات الوطنية .

والواقع ان نشاطها في هذا الميدان كان فياضا وتلقائيا ومندفعا في كل الاحيان ، فهي السباقة الى اذاعة التعليمات الشفوية عبر الحي وفيما جاوره ، وحصتها في جمع التبرعات من النساء والرجال على السواء تتميز بالتحدي والاعجاز . فقلما كان هناك رقم قياسي يحطم يحطم رقمها ، ولها على النسوة على اختلاف مرافقهن الاجتماعية تأثيرا لا يقل عن تأثير التنويم المغناطيسي . فقولها الحق ، ورأيها الفاصل ، واقتراحها هو الوجيه . ولئن صح أن توصف سلاطة اللسان بسيمة البلاغة فان « الشريفة » كانت فصيحة وبليغة بمقاييس سحبان وائل .

واكثر ما كان يشتد نشاطها في مناسبات عيد العرش حيث انها تستعد لاعراسه قبل ايام ، فهي في لجان جمع التبرعات والزينة ، وفي توضيب الحفلات واعداد ما لذ وما طاب من حلويات وغريبة وكعب الغزال .

وكانت هي الوحيدة التي تمثل في جميع الحفلات وعلى مختلف المستويات بما في ذلك الحفلة الرسمية ، التي كان « يشرفها » الباشا والمراقب او من ينوب عنهما .

وانصافا للشريفة فان كل صعب كان يهون لديها ، واحيانا كانت تسمح لنفسها بان تجري حوارا « مع السلطة » بواسطة محتسب المدينة الذي كان يعتبر بالنسبة لهذه السلطة ولرجال الحركة الوطنية هو هامرشولود بلغة الامس ، وفالدهايم بلغة اليوم ، كان رحمه الله نشيطا لينا يتمتع بنفس طويل ويجتهد في كل ازمة أن يكون خيطا أبيضا كلما ناء ليل الازمة بكلله على الساحة في الحي وفي المدينة بوجه عام ، وكثيرا ما كان يقع كذلك ولو على فترات متقاطعة .

ومنذ سنة 1946 وانا أتتبع نشاط « الشريفة » تارة بعجب وفي احايين اخرى باعجاب ، ومن المعروف ان هذه السنة في ذلك العهد كانت تعد سنة « انفتاح » و « تفتح » في الجو السياسي ، حيث اطلق سراح الصحف ودب نشاط متزايد في الحركة الوطنية ، بعد ملاحم سنة 1944 ، ومعنى هذا ان النشاط والحيوية والحماس وكل ما تعرفت عليه في سيرة الشريفة وسلوكها كان بعد هذا التاريخ .

وهذا ما كان يدفعني احيانا الى التساؤل : ترى كيف سيكون موقف « الشريفة » يوم ان يتغير الطقس السياسي ، ويرتد الى رداءته كما عودنا ذلك منه سنة 1930 .

فهل سيطل على نشاطها في ساعات العسر التي كنا نعتقد انها قادمة لا محالة في يوم لا ريب فيه ، اذ الجو السياسي ما كان « ينفتح » حينا الا لينغلق احيانا

وحلت سنة 1951 لتجيبني على هذا السؤال فلقد كانت سنة صعبة اخذ « الطقس السياسي » يعود فيها الى رداءته كما كانت تتنبأ بذلك ارصادنا الجوية وجاءت مناسبة عيد العرش لتكون جوابا بالنسبة لتساؤلي . وسنة امتحان « للشريفة » ذلك أن الاحتفال بعيد العرش في هذه السنة كان يجري في جو مشحون بالانواء التي تسبق الرعد والبرق في احوال طقس الطبيعة ، فدوائر الاقامة العامة كانت منشغلة بتدبير مؤامرة لم يكن احد يعرف جوهرها وصنفها وان كنا نعتقد انها على العموم ترمي الى اغلاق باب الانفتاح « والفتح » وربما بسلاسل واقفال لا يرجى لها انفتاح ، وكان بونيفاس عاكفا على تأليف مسرحيته ، واخراجها . وهي مسرحيات فيها من البلبلة ما يضحك ، وذلك تمهيدا لازمة سنة 1952 وسنة 1953 وما ولاها بعد ذلك من حلقات في مسلسل ذلك الصراع الدائم .

وتطلعت من جديد الى « الشريفة » واخذت عن عمد وسالف اصرار اتتبع نشاطها في هذه السنة الصعبة ، لارى هل هو في انخفاض أو مستقر على اقل تقدير . وبكل تأكيد فانني لم استغرب لتصاعده في هذا الظرف الدقيق . فالشريفة كانت تعمل في الميدان الوطني بايمان ووعي عميقين ، ويتجلى ذلك في تحديها لانواع المضايقات والمطاردات التي اخذت تتوالى عليها بدون انقطاع من طرف « دوائر السلطة » وحتى مقدم الحي الذي كان

بهايها او بتهيبها أخذ يرفع صوته ويحذرها من حالة « الوقت الحالك » .

أما سيادة المحتسب فان دوره أصبح أكثر تعقيدا واشد دقة مما كان عليه من ذي قبل ، ذلك أن حجم الازمة كان ينمو ويتعمق ـ ان صح هذا التصريف ـ على حجم « الوساطة» كما ان حكاية الخيط الابيض اصبحت حكاية سائبة . ومع ان المسؤولين الوطنيين كانوا يتحركون جيدا أبعاد الازمة ويتسلحون بضبط الاعصاب ورباطة الجاش فان « الشريفة » لم تكن على استعداد لذلك الامر الذي تسبب لها في العديد من المشاكل وخصوصا في الايام الاولى من شهر نوفمبر من سنة 1951 وبلغت تلك المشاكل ذروتها يوم وجهت اليها الدعوة لحفلة الشاي الذي ابلغها ملخه أن « هؤلاء الناس » مستاءون من سلوكها لانها تتدخل فيما لا يعنيها وحتى في الاحياء المعدة عن حيها ، ثم انها الى هذا وذاك تغتاب « رجال السليط الذي انطلق بفصاحته المعهودة ليرد على كل ما يجري وما يدور في المدينة في السر والعلنية ، وحاول خليفة الباشا بعد ذلك ان يقنعها بأسلوب الوعظ والارشاد مبررا ذلك برداءة الطقس السياسي «رخيبوبة» الوقت ، ملوحا في نفس الوقت وملمحا بان «هؤلاء الناس» وهو يعني المراقب الفرنسي يبدو في أعينهم انها «معولون على حزبيته» وسرعان ما انفجرت « الشريفة » بلسانها السليط الذي انطلق بفصاحته المعهودة ليرد على الخليفة كان على بينة تامة من جراتها واقدامها ، أهذا كل ما في الامر ، فليكن فاننا مستعدون ، ومع ان الخليفة كان على بينة تامة من جراتها واقدامها فان المشهد الذي ظهرت به امامه قد بدا له جديدا كل الجدة ، فراح يستعطفها ويطلب منها ان تخفض من صوتها على الاقل ، الا انه ولكأنه كان يطلب منها المزيد، ويروى المخزني الذي شاهد هذا اللقاء انه لم يسبق له ان رأى «الشريفة»في«جذبة»كتلك : نزعت عنها الشال الابيض من عنقها واخذ « تقب جلابتها » بتحسر رويدا رويدا الى الوراء بينما الكلمات كانت تتنزى من فمها ولكأنها تقرأ شيئا مكتوبا ومضبوطا. ولم يخرج الخليفة من هذه « الورطة » الا بطلب النجدة من سيادة المحتسب، الذي كان على كل حال يتمتع أكثر من غيره من ذوي السلطة بنفس أوسع وبشيء لا ينبغي اغفاله من الدهاء والذكاء .

وخرجت « الشريفة » مع المحتسب والشال الابيض في يدها في حين ان المخازنية الذين أبلغهم شيطانهم الذي كان يسترق السمع ، كانوا يتهامسون فيما بينهم : ها هي الشريفة وبدون شعور اخذوا يحبونها بعبارات هي وان كانت مترادفة فانها كانت اعرابا عن التقدير والاعجاب .

ولم تفتر الشريفة عن نشاطها كما انها رفضت التخفيض من حدته رغما عن النصح الذي قدمه اليها مسؤولون وطنيون ومن نصح كان مضمونه ومدلوله تعليمات ، الا ان « الشريفة » ـ وكما احسست انا شخصيا ذلك ـ قررت أن تجتاز هذا الامتحان ، وبتفوق ، ولكانها كانت تشعر بان أمثالي المعجبين بها ومن الفضوليين ايضا ، كانوا يضعون علامات استفهام حول نشاطها في ساعات العسر .

ونجحت « الشريفة » في تحديانها للسلطة من مقدم الحومة في الاسفل الى المراقب في الاعلى ، فدابت على نشاطها ونظمت حفلات وشاركت في اخرى ، وكانت عاصفاتها اصدع وأعلى ، وبا ما عرضت بمقدم الحي الذي كان يجسم في عينها سلطة « أولئك الناس » الذين قررت ان تذهب الى ابعد حد في تحديهم .

ومر عيد العرش لتلك السنة كاروع واخلد ما كانت ذكرياته فيما مضى من السنوات ، وزادت هذه الروعة من حقد الحاقدين في ادارة الشؤون السياسية بالاقامة العامة بعد ما اجمعت التقارير السرية الواردة من مختلف الاطراف والانحاء على أن القضية اصبحت قضية عرش وشعب ، لا انفصام لهما بوسائل الترهيب والتخويف ، ومن ثم فان الوضع اصبح يتطلب ما كان يسميه « فقهاء السياسة في ذلك العهد » بالحل العملي .

وحلت سنة 1953 لتزيد في تقريب الشعلة التي الفتيل في اشكال شتى من انواع الارهاب والاضطهاد والحس والمناورات الى ان انفجر الوضع في شهر دجنبر من سنة 1952 لتكون ملحمة هذه السنة معجمة وارعاصا لثورة الملك والشعب في أغسطس من سنة 1953 ، وغابت عني اخبار « الشريفة » ولم اعد أعرف بالضبط موقفها في خريطة الاحداث الى أن زارني في يوم من أيام شهر فبراير من سنة 1954 بمدينة تطوان شخص لم اتعرف

عليه في أول الامر ، الا انه اخذ يذكرني وبعد حين عرفت انه بائع النعناع علال الذى كان يسميه بائعو السوق البلدى ورواده بالنمرود . وبعد ما قص علي قصته واشتراطه في سلك الفدائيين وتورطه في قضية من ملاحم الفداء استعجلته بالسؤال عن « الشريفة » وما آل اليه أمرها فاخبرني بأنه اتصل بها قبل محبته بيوم واحد وانه اهي التي زودته بالمال وبكلمة « السر » وانها تقوم بمهمة الاتصال بين شبكات مختلفة للفدائيين بمحبة مكناس .

ويومئذ علمت سر تسميته هو بالنمرود وآمنت بأنها هي هي ، كما عرفتها متاضلة وصامدة ، وانها في جميع الحالات والظروف والمواقف : « الشريفة » .

فلسفة التربية عند جلالة الملك الحسن الثاني :

التعليم أساس الحضارة

د/ إسماعيل محمد حمزة

يقول الرسول عليه السلام : « من مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة » . ويقول الحسن بن علي : « لان يتعلم الرجل بابا من العلم فيعمل به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها الى آخرها له ، فوضعها في الآخرة » ويقول ابن سينا : « انما النفس كالزجاجة والعلم سراج ، وحكمة الله زيت » . ويقول سوفوكلس : « المعرفة هي أحسن الاشياء التي تتألف منها سعادتنا » ، ذلك أن التربية هي تغذية الشعور الفضيل وانماؤه في نفس الانسان ، وان التعليم أحسن شيء في أحسن انسان ، فان التعليم هو الاستعداد الكامل للحياة ، وهو تقوية الاستعدادات الادبية في الجنس البشري ، ومؤايدة الطاقة العقلية التي أودعها الله فيه وجعلها نورا روحانيا في النفوس لندرك به ما لا يمكن ادراكه بالحواس . وهو بعبارة أخرى تغيير في السلوك يكتسب من خلال الخبرات ، ومن أهم وظائفه ايجاد تلك الخبرات وخلق المواقف التي تساعد المتعلم أن يعدل سلوكه باتجاه هدف أو أهداف مرغوب فيها ومتفق عليها، حتى انهم لينذهبون الى القول بان العقل سمي عقلا ، لانه يعقل صاحبه حتى لا يقع في مكروه أو يزل في الحظر الرطب ، أو يلقي بنفسه الى التهلكة ، أو يبوك أمره بين عكاس ومكاس فيظل حائرا ، يؤيد ذلك ما روى عن الرسول عليه السلام : « ما كسب احد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى ويرده عن ردى » ، فالقوى العقلية لا تنمو الا بالتعليم ، ولا تزكو الا بالتهذيب ، ولا تكبر الا بالتعهد والتشذيب. بل ان العقل هو العلم نفسه، يقول الراغب الاصفهاني « العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل (1) ، فالعقل يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ ، وبه يكون الحظ ، ويؤنس الغربة ، وينفي الفاقة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله ، وتمام العقل بسعة العلم ، والعقل درجات ، فاذا كان المرء في أول درجته سمي أديبا ، ثم أريبا ، ثم لبيبا ، ثم عاقلا ، كما ان الرجل اذا دخل في حد الدهاء قيل له : شيطان ، فاذا عتا في الطغيان قيل : مارد ، فاذا زاد على ذلك قيل : عبقري فاذا جمع الى خبثه شدة شر قيل : عفريت (2) .

والقوة المتهيئة لقبول العلم هي العقل الغريزي المطبوع ، وموضعه من باطن الانسان بموضع عروق الشجرة من الارض ، ويشترك فيه جميع العقلاء ، والمستفاد من العقل هو التجريبي المسموع ، وهو من ظاهر الانسان كتجلي ثمرة الشجرة من فروعها ، وبه ينجم العلم المستفاد بكثرة التجارب والوقائع ، وعليه يعيش العلماء والباحثون ، ولا ينفع الا بتثويره واستعماله . ولعل القدماء المسلمين كانوا أعرف الناس بمراحل تعلم العلم وطرق تلقيه ، ولفادة الناس به . عن يحيى بن اليمان قال : سمعت سفيان يقول : « أول العلم الانصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم النشر (3) .

(1) معجم مفردات الفاظ القرآن للعلامة الراغب الاصفهاني ـ ص 354 .

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابي حاتم محمد بن حبان البستي ـ ص. 18 .

(3) المصدر السابق ـ ص. 34 .

وبتعهد القوى الادبية والعقلية والطبيعية ، وبتثقيفها تتجمع الوسائل الموصلة الى التعلم ، ويتم ذلك بطريق الكتاب ، أو المعاهد ، أو المدارس ، أو الزوايا ، أو غير ذلك من الوسائط . لذلك تعتبر المدرسة دارا للتربية والتهذيب واصلاح شؤون الناس ، بما يتلقاه المتعلمون فيها من المعارف ، وما يكتسبونه فيها من خبرات ، تجعلهم مستعدين لتحمل الامانة والاضطلاع بالمسؤولية خدمة للوطن ولاعلاء شأنه ، وتقويما لما اعوج من اخلاق الناس وفسد من عاداتهم . والمواطنة الصالحة ، لا يقوم لها ساق ، ولا تنهض لها حجة الا بالتعليم والتربية السليمة القويمة التي هي مناط عوامل التقدم الاجتماعي ، والسير به في مدارج الكمال ، مع مراعاة الجوانب المختلفة لانسانية الانسان ، وتعهدها بالزكاء الطيب ، والانبات الحسن . والتقدم الاجتماعي لا يتم الا اذا أنبع من المجتمع نفسه ، تعضده التراث والقيم ، يقول رائد النهضة المغربية جلالة الملك الحسن الثاني : « **ان الاصيل يمكنه أن يتمتع بجميع الصفات، الماضي منها والحاضر ، اعتبارا من أن مخططنا الاقتصادي والاجتماعي لا يمكنه أن يعطي نتائجه ولا يمكن أن يدر علينا الخير اذا كانت تلك المخططات في مجتمع يتنكر للبيئة المغربية وللاصالة المغربية** (4) .

ولقد أصبح التعليم في عالم اليوم من اهم المشروعات لدى الامم ، ومن أسبقها في كل تحركاتها ، ولا ادل على ذلك من الاهتمام المتزايد الذي توليه الدول على اختلاف شرعها ومناهجها ، لتطوير نظمها التعليمية وزيادة كفاءتها « فقد تأكدت اهمية التعليم في تحقيق أمن الشعوب وعزها وسلامتها وتقدمها ورفاهيتها (5) » . فبالتعليم يعم الرخاء ، وتتهذب الاخلاق ، وبه يتم تواجد العلم والعلماء « ومن ثمراته تلك الانقلابات الحيوية التي نجدها في عالم الطب ، والزراعة ، والكيمياء ، والميكانيك ، والكهرباء ، والطاقات المختلفة. فالامم التي كانت في فقر مدقع من جراء ضعف أراضيها في قوة الانبات ، وصناعاتها متأخرة من جراء قلة مواد الخام والخبرة الفنية ، فبفضل تطبيق العلم على العمل بدلت معالم أراضيها من ضعف في الانبات الى قوة فائقة في ذلك ، فأوجدت لها منبعا جديدا للخامات الصناعية وسوقا للمنتوجات (6) .

ان المعرفة صارت جزءا من كيان عالم اليوم وجزءا لا يتجزأ من شخصية الانسان المعاصر الذي يتميز بانه يظل طوال ايام حياته يتلقى المزيد من المعارف الجديدة، بل ان يطلب المعارف بغية كل عصر وكل انسان ، ولقد رصد الناس هذه الظاهرة حتى في القديم ، قيل لعمرو بن العلاء : « هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ » فقال : « ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم».

والانسان ما يفتأ منذ أن برز الى الدنيا وتخطى مرحلة الطفولة البشرية ، يعني بتعليم ابنائه ، وتربية فلذات اكباده ، حسب مدركات العصور والمجتمعات ، لان الانسان هو المخلوق الوحيد الذي لا تنمو قواه المعنوية الا بفعل مميز يتأثر به ، ويظهر مفعوله فيه . بخلاف الحيوان الذي يجعل همته في جسمه ، بل في اشباع بطنه وفرجه ، وذلك ما يسمى بالبهيمية ، ولعل نمو القوى المعنوية لدى الانسان هو الفارق الوحيد أيضا بين العجماوات وبني الانسان ، وهذا الاخير ، وان كان له نصيب مما للحيوان ، فقد خصه الله بالتمييز ، والعقل ، والتبصير ، وعدم الاندفاع ، وضبط النفس ، لما أودعه فيه من عنصر روحي يربأ به أن يخضع لدوافعه الفطرية وينساق لها في صورتها الهمجية ، فيترفع عن ذاته الدنيا ، ويسمو بذلك على غيره من المخلوقات ، « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (7) » .

والانسان بفضل المبدأ الروحي الذي ينفرد به يحول شهواته البيولوجية الحيوانية الى رغبات وغايات يتجه الى تحقيقها شاعرا واعيا ، وهو اذ يضيق بواقعه يتطلع الى ما ينبغي أن يكون ، فان كانه مد بصره الى ما هو أسمى منه وجد في بلوغه ، وصار في سعيه المتواصل يستهدف الكمال الاخلاقي باثباته انه الانسان الذي يتميز دون غيره بقابليه التعلم والتعليم في أوسع معانيهما ، وأغراضهما ، ووسائلهما ، وينفرد بالتأمل

---

(4) انبعاث أمة ، ج . 18 ــ ص . 19 ــ خطاب القاه جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة اجتماع لجنة اصلاح التعليم الاصيل ، 10 يناير 1973 ــ 5 ذي الحجة 1392 .

(5) التعليم العام في البلاد العربية ، تأليف الدكتور محمد منير مرسي ــ ص. 3 .

(6) مجلة اللسان العربي ــ مج 7 ص. 59 ج. 1 سبتمبر 1970 ــ ذو القعدة 1389 .

(7) سورة الاسراء ــ الآية 70

العقلي فيتسنى له أن يعزل واقعه ويباشر النظر فيه ، ثم ينزع بمحض ارادته الى تغيير ما ينبغي تغييره ، وذلك هو مجرى التعليم وميدانه ، فيوجه مطامحه ورغباته الى ما يعود عليه بالنفع المادي او المعنوي ، أو كليهما . ولقد أخبر الله عن الانسان وقال انه « علم الانسان ما لم يعلم » (8) وخصه بتعليم الاشياء ولم يكن منها نصيب لغيره حتى في صفوف الملائكة . يقول تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون . هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم . » واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »(9)

والتعليم في بادىء امره ، وفي سالف العصور يكاد ينطلق من منطلق واحد عند جميع الامم ، وهو وان اختلفت أهدافه ومراميه ، أو تفرعت فروعه واصوله وتشعبت مقاصده ، فانه لا يعدو أن يكون مصدره الدين ، مطلق الدين ، لان الدين كان في نظر الناس في طويل الازمان والآباد اهم شيء للهيئة الاجتماعية ، لكونه وضعا الهيا ينظم حياة البشر ، وينير سبيلها ، ويمكن اجمال مسالك التعليم عند بعض الامم بغض النظر عن موقعها الجغرافي في النواحي التالية :

الضحاء الاولى : كان التعليم في أقدم الاجيال تهيمن عليه الجمعيات الدينية ويسيره الكهنة الذين يعتبرون المؤسسين الاول لمجال التعليم ، ومن الكهنة كان المستنيرون في البلاد ، ففيهم كان الحكيم ، والحاكم ، والقاضي ، والطبيب ، والفلكي ، والمهندس . وبلغ ارتباط التعليم بالكهنوت واثر الثاني في الاول حدا جعل كلمة « التعليم » تنصرف في أذهان الاقدمين ، والآباء الاولين الى الكهنة ، ولذلك نعى القرآن على الربانيين والاحبار اخلالهم بالمسؤولية ، ونبذهم تعليم الامة ، وترك تهيهم اقوامهم عن الاثم . وهذا ما يؤيد النظرية القائلة بأن التعليم حتى عند الوثنيين كان يصدر عن منظور الهي يعقل ولا يحس . يقول تعالى مشيرا الى نقمة اهل الكتاب على المؤمنين ، والى اخلال الربانيين والاحبار بمسؤولياتهم نحو تعليم طبقات الامة : « قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وأن اكثركم فاسقون ، قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل ، واذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله اعلم بما كانوا يكتمون ، وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون » (10) .

والقدماء كانوا يعتقدون ان الكهنة متضلعون من العلم عن طريق التعليم الذي كانوا يتلقونه في زعمهم عن الاله عند اهل الكتاب ، وعن الآلهة عند الفتشيين والوثنيين . وكان ينسب الى الكهان التنبؤ بالغيب والاخبار بالمستقبل ، ولعلنا نلم بعض ذلك من كتاب الله الخالد وهو ينفي الكهنوت والجنون عن الرسول الكريم . يقول تعالى : « فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » (11) « فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون» (12) .

ونفى العرب ان يكون الرسول أميا ، وقالوا انما يعلمه بشر . فقد ذكر المفسرون ان غلام الناكه بن

---

(8) سورة العلق ـ الآية 5 .
(9) سورة البقرة ـ الآيات 28 ـ 33 .
(10) سورة المائدة ـ الآيات 59 ـ 63 .
(11) سورة الطور ـ الآية 29 .
(12) سورة الحاقة ـ الآيات 38 ـ 42 .

المغيرة ، واسمه جبر كان نصرانيا فاسلم ، وكان العرب اذا سمعوا من الرسول ما مضى وما هو آت ، مع انه أمي لا يقرأ قالوا انما يتلقى ذلك من انسان اعجمي ، فعند الله قولهم وحض حجتهم واراهم ان القرآن كلام لا يستطيع الانس والجن أن يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها : « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون ، قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين » (13) .

وبهذه الضروب وأمثالها من الدعاية جعلت قريش تحارب محمدا فرجو أن تبلغ بها منه اكثر مما بلغ منه الاذى ومن اتبعه العذاب ، على ان قوة الحق في الصورة الواضحة البسيطة التي صور فيها على لسان محمد كانت تعلو على ما يقولون، وما تفتأ لذلك تزداد كل يوم بين العرب انتشارا، قدم الطفيل بن عمرو والدوسي مكة، وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فمشت اليه قريش تحذره محمدا وان قوله كالسحر ، يفرق بين المرء واهله ، بل بين المرء ونفسه ، وانهم يخشون عليه وعلى قومه مثل ما اصابهم بمكة ، وان الخير في الا يكلمه ولا يستمع اليه ، وذهب الطفيل يوما الى الكعبة، وكان محمد هناك ، فسمع بعض قوله ماذا هو كلام حسن ، فقال في نفسه : « واثكل امي ! والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن اسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ ! فان كان حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته » ، واتبع محمدا الى بيته واظهره على امره وما دار بنفسه ، فعرض محمد عليه الاسلام وتلا عليه القرآن ، فاسلم وشهد شهادة الحق ورجع الى قومه يدعوهم الى الاسلام ، فلباه بعضهم وابطا بعض ، وما زال الطفيل بهم يدعوهم سنين متعاقبة حتى أسلم اكثرهم ، وانضموا الى النبي بعد فتح مكة وبعد أن بدا النظام السياسي يأخذ في الاسلام صورة معينة » (14) .

المنحاة الثانية : ازدهر التعليم عند الهنود القدماء ازدهارا كبيرا حتى ليرى بعض الباحثين ان الهنود القدماء كانوا اكثر الامم علما واوسعها ثقافة ، « وربما لم توجد في تاريخ البشرية عقلية مثل عقلية الهنود القدماء ، مزجت العلم بالخرافة ، وقرنت الواقع بالخيال ، واعتمدت الى حد كبير في شرح ادق حقائق العلم الجافة على الاساطير (15) » ورغم ما استقر في اذهان الناس ، من أن الهند بلد التعاويذ والشعوذات، وربة الخيال والسحر ، فانها كانت منارات العلم وميدانا للبحث مع عمق ودقة وثاقب نظر .

على أن التعليم عند الهنود القدماء كان يكاد ينحصر كلية في يد البراهمة ، وهم أصحاب الرتبة الاولى من عبدة « برهم » وهو أكبر آلهتهم ، وقد احتكروا قراءة كتب « الفيدا » المقدسة ، واستأثروا بتفسيرها ، ولم يسمح لغيرهم بذلك ، لان « الفيدا » مصاغ بلغة سنسكريتية راقية لا يفهمها عامة الهنود، وباسلوب فلسفي عميق جدا يعلو على كثير من مداركهم، والهندليس هو بلد الغيبيات والروحانيات كما هو دارج في عرف كثير من الناس ، وانما هو بلد له ما له في تاريخ الحضارة والفكر الانسانيين ، يقول ماكس مولر « لن ابدأ بقولي ان التراث السنسكريتي في مثل عظمة تراث اليونان ، ولماذا نلجأ دائما الى المقارنة ؟ ان دراسة التراث اليوناني لها هدفها الخاص ، وكذلك دراسة التراث الهندي،ولكني مقتنع-وارجو ان أوفق في اقتناعك أيضا - ان التراث السانسكريتي حينما يدرس بروح صادقة مليء باهتمامات الانسانية ، وبالدروس التي قد نفتقدها حتى في التراث اليوناني » (16) .

المنحاة الثالثة : كان التعليم في مصر الفرعونية راقيا جدا ، حتى ان بعض الباحثين يقولون ان اليونان اخذوا دروسهم الاولى في العلم والفلسفة عن الفراعنة ، وبعد دراسة مستفيضة في نشأة الحضارات القديمة ، قال الاستاذ و. ج. بري « ... ان معلوماتنا تؤكد ان مصر هي مهبط الوحي الحضاري؟ ، فمنذ أقدم العصور يجدوا الصانع المصري صبورا شديد العناية ، في يده

(12) سورة النحل - الآيات 101 - 103 .
(14) حياة محمد ، بقلم محمد حسين هيكل ، ص. 172 .
(15) البحث اللغوي عند الهنود ، تأليف الدكتور أحمد مختار عمر ، ص. 13 .
(16) المرجع السابق ، ص. 11 .

وتفكيره دقة لا مثيل لها .. اذا تناول مادة من المواد أصبحت طوع بنانه ، وسيطر عليها بسيطرة لم يبزه فيها احد في اى بلد آخر ... » و « قد شهد اليونان للفراعنة بأنهم كانوا المصدر الاول لما يعرف بالحضارة اليونانية ، كما اعطت الحضارة القبطية للعالم نظاما في النسك والرهبنة كان عاملا هاما في تطور الفكر المسيحي» (17) و « من الثابت مثلا أن معظم علماء الاغريق ، ومنهم أرشميدس ، وفيثاغورس ، قد زاروا الاسكندرية ، حوالي 300 — 200 ق. م. وكان تعليم الحساب في مصر الفرعونية متعة وتسرية ، لان معلميها كانوا يوزعون على تلاميذهم ثمارا وازهارا يطلبون منهم توزيعها على افراد يزيدون عنها تارة في العدد ، ويقولون عنها تارة اخرى، وبهذه الوسائل التجريبية استطاع الموظفون التدريب على حل مشاكل توزيع الاغذية في الجيش والاجور على العمال في المشروعات الضخمة (18) ولعل القرآن يدل بما كان لمصر الفرعونية من حضارة ولما وصلت اليه من تقدم ، حتى ان فرعون موسى افتخر بها وقال « أليس لي ملك مصر ؟ » ورفع صوته بذلك بنفسه فيما بين قومه لتنتشر مقالته في جميع القبط ويعظم في نفوسهم مخافة أن يؤمنوا بموسى عليه السلام ويتركوه : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين ، فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها ، وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون. وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك انتا لمهتدون ، فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي ؟ ! أفلا تبصرون » (19)

المنحاة الرابعة : كان التعليم عند اليونان يقسمونه عادة الى ثلاثة اقسام :

الاول : القراءة والكتابة والحساب ، اما القراءة فانها عملية لازمة لتحصيل الافكار ، ووسيلة عظمى ، وغاية قصوى ، هامة كل الاهمية في اكتساب الخبرات ، واثر التجارب ، واحصاب المعلومات العقلية ، واما الكتابة ، فهي الترجمة عما في الضمير ، وتصوير الافكار برموز تسميها الالفباء ، وبها يتم تخليد نتاج العقل البشرى في بطون الكتب ، ولها ما لها في تعويد الطفل الانتباه ، والضبط ، وقوة الملاحظة ، والاتصال المكين بغيره من الناس ، واما الحساب ، فأثره غير خاف حتى على الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ، فالحساب يحلو العمل ، ويحصفه ويزكيه وينميه ، ويلزمه الوقوف عند حد معين في قضية معينة ، وبه يزول الارتباك والاوشوشه ، ويضبط سير المعاملات بين الناس ، ويعلم الاقتصاد والتوفير ، واستغلال المال والمتاج استغلالا حسنا :

لم يضع فقط درهم بحساب
والوف بلا حساب تضيع

الثاني : الموسيقى والادب والصناعة ، أما الموسيقى فمعناها تطهير للنفس ، وجلاء للفؤاد ، وصقل للعواطف وغسل المشاعر ، والغناء ربيع القلوب كما يقال ، واما الادب فهو كل رياضة محمودة عقلية كانت ام ذوقية ، وبفضله يمكن الاحتراز عن الخلل في الكلام لفظا أو كتابة ، زيادة على ما فيه من ترقية ذوق الشعوب ، وارهاف احاسيسها ! وتلطيف مشاعرها ، وايقاظها على الحق والخير والجمال . واما الصناعة فلانها مورد الرزق ومصدره ، وهي أصل الارتزاق ، والذى يحيا من غير صناعة يفقد كل المهارات ولا يقدر على شيء اذا حزبته الامور ، ويظل عالة على غيره من الناس ، ووصمة عار في جبين أهله وقبيله ومجتمعه .

الثالث : الرياضة البدنية ، ولا سكر فضلها في اكتساب الجمال ورشاقة القوام ، وصفاء القد ، وتمتين الصحة ، وتخليص الجسد من الزوائد والاعشاب ، وحفظ القوة الطبيعية للانسان .

كان على الصبي اليوناني أن يتعلم الشعر ، ويحفظ قطعا طويلة منتخبة منه حتى يستطير عن ظهر قلب ، وكان تعليم الاولاد يبدأ في البيت على يد الامهات اللائي كن يعلمن أولادهن ذكورهم والاناث ، حتى اذا ناهز الذكور سن الثامنة صرفوهم الى معلم أولاد وكان يصحبهم الى المدرسة ولا ينزل عن بصره أبدا ويظل التلميذ على ذلك الحين في المدرسة

(17) فضل الحضارة المصرية على العلوم ، تأليف الدكتور مختار رسمي ناشد — ص. 4 .
(18) المرجع السابق . ص. 13 ، 20 .
(19) سورة الزخرف — الآيات 46 ، 51 .

الى ان يبلغ السنة السادسة عشرة او قريبا من الثامنة عشرة فيصير الى معلمين من رتبة ارقى واكثر علما ، واوسع خبرة . وكان على كل يوناني ان يعلم ولده السباحة والقراءة ، والا تحلل الولد من النفقه على ابيه واعالته اذا عرم وشاخ .

المرحلة الخامسة . تنشأ الايرانيون المدعاء اولادهم تنشئة خاصة تختلف اختلافا كبيرا عن تنشئة ابناء الاقوام الآخرين . والعلة في ذلك هو تعصبهم لدينهم وجعلهم اياه اساسا لحركاتهم وسكناتهم، ومسار مجتمعهم وآدابهم ، وتبعا لذلك ، فالاباء انفسهم الذين كانوا يعلمون ابناءهم منذ صباهم تاريخ الامة اليهودية ، وقوانين الشريعة الموسوية . أما البنات عندهم لكن يتلقين تعليما في فن الغناء ، والطرب ، والضرب بالالات ، والعزف الموسيقي ، والرقص في الحفلات . وربما كانت امثال سليمان بن داود الذين يقرنون اسمه بالحكمة ، من درر وغرر ما يؤثر عنهم في التعليم ، خاصة في التربية الخلقية ، ومن اقواله : « يسمع الحكيم فيزداد فائدة والفطين يكتسب درية للتفطين للمثل والاحجية ، لكلمات الحكماء والغازهم ، مخافة الرب راس العلم والحكمة والتاديب يستهين بهما السفهاء ، اسمع يا بني تاديب ابيك ولا تنبذ شريعة امك ، فانهما اكليل نعمة لراسك واطواق لعنقك » ، « اسمعوا ايها البنون تاديب الاب وأصغوا الى معرفة الفطنة ، فاني منحتكم تعليما صالحا فلا تهملوا شريعتي ، اني كنت ابنا لابي غضا ، ووحيدا لدى امي ، وكان يعلمني ويقول لي ليحرز قلبك كلامي ، احفظ وصاياي فتحيا ، اكتسب الحكمة ، اكتسب الفطنة ، لا تنس ولا تمل عن اقوال فمي » ، « السفه متاصل في قلب الصبي لكن عصا ضربته بالعصا لا يموت » ، « يا بني لا ترذل تاديب الرب التاديب تنفيه » ، « لا تقصر في تاديب الصبي انك ان ولا تسام توبيخه ، فان الذي يحبه الرب يؤدبه ويرتضي به كاب بابنه » ، « الكلام المنطوق به في اوانه تفاح من ذهب في سلال من فضة » . « الموبخ الحكيم لاذن الواعيه قرص من ذهب وحلى من نضار » (20) . فسليمان عليه السلام كان مقرونا عندهم بالحكمة ، ولذلك كانوا يحفظون امثاله واقواله ، ويبلغ من قيمتها عندهم أن ادرجوها في كتابهم المقدس ، وكان اولاد اليهود يتلقون دروسا في « المشنا » ، وهو عندهم مجموعة التقاليد ، ويسمونه الشريعة الشفوية ، وقد ظل متداولا بين الربانيين الى أواخر القرن الثاني الميلادي ، كما كانوا يتلقون دروسا في « الغمارا » وهو عندهم تفسير لكتاب الشريعة الشفوية المذكور .

المرحلة السادسة : عرف عن التعليم عند الفرس القدماء انه كان طبقيا متفاوتا فقد كان ساذجا اولا لعموم الامة ، وعاليا وجيشيا للمجوس ، وعسكريا وسياسيا للجنود . وكان تعليم صبيانهم يبدأ من السنة الخامسة الى السنة العشرين ، ولم يكن متعلم التلميذ خلال تلك الفترة الا ثلاثة أمور فقط ، هي ركوب الخيل ، والرماية بالقوس ، والصدق في الكلام .

على أن التعليم العالي اللائق يكاد ينحصر عندهم في المجوس ، وهؤلاء فئة من الكهنة كان لهم دور خطير في الديانة الايرانية القديمة ، لاسيما في العهد الساساني. واطلق هذا الاسم على حكماء البلاد ، ومنجميها ، وعلمائها ، وقضاتها ، ومعبري احلامها لقد كانوا طبقة كهنوتية مغلقة كثيرة ، تشكل احدى القبائل الماديه الست . ولما اخضع الفرس الماديين لم يفقد المجوس نفوذهم ، بل تمردوا فتكبدوا مجزرة رهيبة استردوا بعدها عيضتهم ، ولم يمض وقت حتى رجع اليهم ما كان لهم من نفوذ . كان المجوس يعبدون الهواء ، والارض ، والماء ، لاسيما النار التي كانوا يقيمون لها شعائر فوق السقوف حيث كانوا يرعون لهيبها المقدس ليل نهار ، ولم يكونوا يحرقون جثث الموتى ، أو يحفرونها ، او يلقونها في الماء ، أو يعرضونها لتتحلل في الهواء الطلق ، وانما كانوا يتركونها للحيوانات وللطيور الجارحة . وكانوا يبتلعون بروجا يسمونها بروج الصمت ، مزودة في القمة بقضبان مستعرضة ، كانت النسور والغربان تحط عليها قائمة باعمالها المشؤومة ، في زعمهم ، وكانوا يرتدون اسكيما كهنوتيا قوامه كساء ابيض ، وعمرة كبيرة من اللبد عليها قطعتان تستران الخدين . وكانوا يقولون انهم وسطاء بين الله والناس ،

---

(20) سفر الامثال في اماكن متفرقة .

(21) Nouveau Dictionnaire Biblique - Art. Mages

يقول هذا المعجم : ان لفظة Mages من اليونانية واخذته هذه عن الاوستية القديمة ، ولفظة فيها Magav ، ومعناها « العظيم » او « الكبير »

ويقدمون القرابين المقدسة ويعبرون الاحلام ، ويتفالون ، وكانوا يدعون القدرة على التنبؤ بالمستقبل ، وكانوا لا يتوانون في قتل الحيوانات التي يعتقدون انها متحدرة من المخلوقات الشريرة (21) .

المنحاة السابعة : سار التعليم عند الرومان مساره عند اليونان اول امره في طرقه واكثر اموره ، والتعليم عند الرومان كان دنيويا محضا ، وكان كثير من شبانهم يسافرون يسافرون الى اثينا لتلقي العلم هناك في اكاديمية بها مدرسون ، وقد بنى قسطنطين في القسطنطينية مدرسة مشهورة جدا ، ثم اعاد تنظيمها تيودوسيوس الصغير . وكانت البنات كثيرا ما يتعلمن باعتنا، في المدة الاخيرة من الامبراطورية الرومانيه ، ثم اصبح لهن مدارس خاصة بعد ذلك غير ان الرياضة البدنية كان لها نصيب الاسد في التعليم الروماني حتى انهم كانوا يسمون معلم المدرسة بمعلم الالعاب (22) وربما فعلوا ذلك لما يراه رجال التربية حتى اليوم من فوائد لتنظيم حركة الجسم ويحمل هذه الفوائد فيما يلي

1 ـ انها تكسب الجسم مرونة ، فحركتنا اليومية العادية ليست واسعة النطاق ولا تتناسب في مداها مع طول العضلات او مدى حركة المفصل ، والحركة ذات المدى غير الكامل تقلل من قدرة العضلات على الوصول للحد الاقصى فتضعف من مرونة المفصل الذي تعمل عليه

2 ـ انها تساعد على اكتساب الرشاقة والخفة ، وتزيد من قوة الانسان وقدرته على التحمل ،

3 ـ تساعد على ترقية التوافق العضلي العصبي اللازم في حركات التوازن وفي سرعة الحركة .

4 ـ تنشيط الدورة الدموية والتنفسية ، وتساعد على انتظام عمل الاجزاء الداخلية بالجسم (23) .

المنحاة الثامنة : لم يكن المسيحيون الاولون قادرين على اقامة مدارس لتعليم اولادهم ، فكانوا يعلمونهم في البيت او يرسلونهم الى مدارس وطنية ، وزعى مدرسه في القرن الثاني الميلادي مدرسة الاسكندرية حيث كان يعلم جماهير من الوثنيين واليهود والمسيحيين ، وانشئت مدارس غيرها في تيسارية ، وانطاكية ، واثينا وغيرها ، واما في الغرب فكانت المدارس اللاتينية لم تزل ماشية في أعظم المدن كقرطاجنة وروما وميلانو وتريف ، ومرسيليا ، وليون في القرن الخامس . ولقلة المدارس المسيحية كان علماء الكنيسة كثيرا ما يجمعون حولهم الشبان القاصدين الدخول في الخدمة الدينية ، ويعلمونهم شفاها ما يقتضيه الحال من تعاليم . وفي اوائل القرن الخامس وجد التعليم ملجأ في الاديره التي كانت قد انشئت في الشرق بقصد الانفراد والتامل ، وفي الغرب بقصد السكينه والاتحاد في وسط اضطرابات الهيئة الاجتماعية وكان العقل الانساني في اوربا في ادنى درجاته في القرن التاسع ثم بدا يتقدم في ايام شارلمان قبل نهاية القرن التالي الذي ولى الخمول عقول اهله ، فالظلام العقلي استانف مسيره من جديد في القرن العاشر في اوربا فسحقه ولما كان التعليم في ذلك العصر على الاكثر بلغة ميتة في كل بلدانها لم يصل الى عامة الشعب ولو خط من ضيائه ، وقدرت صناعة الكتابة بين العوام حتى اعلاهم درجة ، ولذلك سميت بصناعة الاكليروس (24) .

المنحاة التاسعة : يظهر ان التعليم عند العرب والتربية فرع منه ، كان يغلب عليه الطابع الشخصي الانساني ، ويظهر انه لم يكونوا يكتبون ما يعلمونه الا نادرا ، واغلب التعليم عندهم نصائح يقدمونها ، وامثال يضربونها بعضهم للبعض ، ولذلك يقال ان العرب ارهف خلق الله احساسا ، واشدهم تاثرا بالكلمة وبسحرها ، غير أن ذلك لا ينفي ان يكون العرب عارفين بالكتابة والقراءة ، كما ذهب اليه بعض الباحثين قديما وحديثا ، وان كتابا كالقرآن لا يمكن أن يفهمه الانسان الساذج او المتاخر عقلا ، ولو فرضنا جدلا انهم كانوا لا يكتبون ولا يقرأون ، فان عبقريتهم في الفهم عوضتهم كثيرا مما يفهمه الناس عن طريق الكتابة والقراءة .

---

(22) دائرة معارف بطرس البستاني ـ مادة تعليم

(23) الطريق الى الرشاقة ـ تاليف فريد حسن ، ص. 49 .

(24) دائرة معارف بطرس البستاني ـ مادة تعليم

عرف العرب سداد الرأى وبعد النظر ، وأثرت عنهم وصايا في منتهى الروعة وهي وصايا تصور افادتهم من خبراتهم وتجاربهم في الحياة ، والحياة اصلا ، هي أعظم معلم ، وأرحب مدرسة ، والزمن أدق حسيب ، وانى اورد هنا نصوصا تتحدث عن نفسها ، وتصور منظور العرب في الحياة وطرقهم في معاشرة الغير ، ونظرتهم البعيدة الى الامور :

النص الاول : نرى لأمامة بنت الحارث لابنتها ام اياس ، وهي وصية من أم حكيمة واعية ارادت ان تزود ابنتها العروس بأثمن ما جمعته من تجارب السنين ، لتضمن لها السعادة في بيتها الجديد ، وهذه الوصية ان دلت على شيء ، فعلى رجاحة عقل المرأة ، وبعد نظرها وحكمتها ، في تدبير البيت ، وراحة الزوج ، ونص الوصية :

« اى بنية : ان الوصية لو تركت لفضل ادب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى ابويها ، وشدة حاجتهما اليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

اى بنية : انك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ، الى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفيه ، فاصبح بملكه عليك رقيبا وملكا ، فكوني له امة يكون لك عبدا وشيكا .

يا بنية : احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا : الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا طيب ريح ، والكحل احسن الكحل ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه. فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والارعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفشي له سرا ، ولا تعصي له أمرا ، فانك ان افشيت سره لم تأمني غدره ، وان عصيت أمره أو غرت صدره ، ثم اتقي بعد ذلك الفرح أمامه ان كان ترحا ، والاكتئاب عنده ان كان فرحا ، فان الخصلة الاولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني اشد ما تكونين له اعظاما، يكن اشد ما يكون لك اكراما ، واشد ما تكونين له موافقة ، يكون اطول ما يكون لك مرافقة ، واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما احببت او كرهت ، والله يخير لك ، . اهـ .

النص الثاني : نشرى ايضا ، وهو لدى الاصبغ العدواني ، دنا موته فاوصى ابنه أسيدا بوصية جمع فيها كل تجاربه في الحياة ، وما افاده منها ، وقد جمعت هذه الوصية من الصفات والمكارم ما يضمن للمتمسك بها السيادة في حياته ، وحب الناس له ، ونص الوصية:

« يا بني ان ابك قد فاني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، واني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك ما بلغته ، فاحفظ عني : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك وأعزز جارك ، واعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، واسرع لنهضة في الصريخ ، فان لك أجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك»

النص الثالث : نشرى يذكر صاحبه فيه انه علم ابنه الرماية ، ونظم القوافي والفتوة ، بعد ان رباه . الا ان الابن تنكر لكل ذلك ، وشق عصا طاعة والده ، وترك الشفقة عليه ، والاحسان اليه ، واستخف به ، وجازاه بالخبر شرا ، وبالحدب تبرما وتذمرا ، فمحا بذلك صحائف ما قدمه اليه والده من جميل واسداه اليه من معروف وأبلغه من العلم والتربية :

ما عجبا لمن ربيت طفلا
ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي
فلما قال قافية هجاني

اعلمه الفتوة كل وقت
فلما طر شاربه جفاني

المنحاة العاشرة : الاسلام وهو تاج الاديان وختام مسكها ، واول ما نزل من كتاب المسلمين دعوة صريحة الى التعلم والقراءة ، والتعليم ، وكان الرسول اول معلم للمسلمين وفقا للقانون الالهي الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حتى تغلغلت تعاليم هذا القانون في النفوس ، وسرت في جميع مناحي حياة اصحابه ، فاتفقت العواطف ، وارتأب الصداع ، واجتمع الشمل ، والتأم الشعث ، واخذ الدين الحنيف بتلابيب القلوب واستصلح ما فسد منها ، وقد ادرك المسلمون للوهلة الاولى ما للتربية والتعليم من فوائد اجتماعية كثيرة ، مادية ومعنوية ، حتى ان اخوان الصفاء قالوا ان العلم « يكسب صاحبه عشر خصال محمودة ، اولها الشرف وان كان دنيا ، والعز وان كان مهينا ، والغنى وان كان فقيرا ، والقوة وان كان ضعيفا ، والنبل وان كان حقيرا ، والقرب وان كان بعيدا ، والجود وان كان بخيلا ، والحياء وان كان صلفا ، والمهابة وان كان وضيعا ، والسلامة وان كان سفيها » .

ان الاسلام في حد ذاته مجد العلم ورفع من شأن العلماء ، وجعل خشية الله مقصورة عليهم « انما يخشى الله من عباده العلماء » (25) ، « يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير »(26) وجعل عبادة الله بغير علم كعبادة الاصنام ، ومثل الذين كفروا في دعائهم الآلهة الجماد كمثل الصائح في جوف الليل فيجيبه الصدى ، فهو يصيح بما لا يسمع ، ويجيبه ما لا حقيقة فيه ، ولا منتفع . « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء . صم بكم عمي فهم لا يعقلون » قال قطرب : المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم ، يعني الاصنام كمثل الراعي اذ نعق بغنمه وهو لا يدرى أين هي ، قال الاخطل يهجو جريرا :

انعق بضانك يا جرير فانما
منيك نفسك في الخلاء ضلالا

ولم يكن جرير راعي ضان ، وانما اراد الاخطل ان بني كلب يعيرون برعي الضان وجرير منهم ، فهو في جهلهم . والعرب تضرب المثل براعي الغنم في الجهل ويقولون : « اجهل من راعي ضان » .

وقد امر الرسول بتعلم العلم ونوه بتعليمه ، واوصى بالصبر عليه مهما شق ، حتى لو كان في الصين يقول عليه السلام : « تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ، لانه معالم الحلال والحرام ، وبيان سبيل الجنة ، والمؤنس في الوحشة ، والمحدث في الخلوة ، والجليس في الوحدة ، والصاحب في الغربة ، والدليل على السراء ، والمعين على الضراء ، والزين عند الاخلاء ، والسلاح على الاعداء ، وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار في الدرجات العلى ، ومجالسة الملوك في الدنيا ، ومرافقة الابرار في الآخرة ، والفكر في العلم يعدل الصيام ، ومذكراته تعدل القيام ، وبالعلم توصل الارحام ، وتعرف الاحكام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، وبالعلم يعرف الله ويوحد ، وبالعلم يطاع الله ويعبد » (29) .

---

(26) سورة المجادلة ــ الآية 11 ، و «المجالس» في الآية بصيغة الجمع في قراءة حفص ، وهي « المجلس » بصيغة المفرد ، في قراءة ورش ، يقول القرطبي : « قرأ السلمي وزرين وعاصم « في المجالس » وقرأ قتادة وداود بن أبي هند والحسن باختلاف عنه « اذا قيل لكم تفاسحوا » الباقون « تفسحوا في المجلس » . فمن جمع فلأن قوله : « تفسحوا في المجالس » ينبيء أن لكل واحد مجلسا ، وكذلك ان اريد به الحرب ، وكذلك يجوز ان يراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع لان لكل جالس مجلسا ، وكذلك يجوز أن اريد بالمجلس المفرد مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجوز ان يراد به الجمع على مذهب الجنس ، كقولهم : كثر الدينار والدرهم .

(27) سورة البقرة ــ الآية 171 .

(28) الجامع لاحكام القرآن لابى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي ــ ج. 2 ص. 214 .

(29) المستطرف في كل فن مستظرف ، تأليف شهاب الدين محمد بن احمد أبي الفتح الابشيهي ، ج. 1 ص. 19 .

ولقد بنى الرسول المسجد بالكمبة بعد هجرته ، وكان اول ما قام به بعد ذلك هو انه خص به ركنا للتعليم ، وعين معلمين لتعليم الكتابة ، يذكر رواة السيرة منهم عبد الله بن سعيد بن العاص ، وعبادة بن الصامت ... ولقد ارسل معاذ من جبل معلما لاعمال البلدين : اليمن وحضرموت ، وكان معاذ معلما يتنقل في عمالة كل عامل ، ومن اللطف ما روى عن النبي الامي انه لما اسلس الاسارى في بدر ، طلب الفداء من كل واحد منهم ، وجعل فداء من يعرف الكتابة منهم تعليمها لعشرة غلمان من المسلمين ، « ولما انتشر الاسلام في ربوع اليمن ، اوفد النبي معاذا الى اهله يعلمهم ويفقههم واوصاه قائلا : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وانك ستقوم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له » ، وذهب معاذ ومعه طائفة من المسلمين الاولين ومن الحياة يعلمون الناس ويقضون بينهم بقضاء الله ورسوله » (30)

على ان التعليم في الاسلام ينشد الدين والدنيا معا . فهو لا يميل الى الاول لتترك الثانية ، ولا يرجح الثانية ليتحلل من الاول ، بل هو توفيق بين الاثنين، وجامع للحسنيين ، فهو ليس رهبانيا ولا كهنوتيا ، كما كان حاله عند بعض الامم التي سبقت الاشارة الى بعضها قبل قليل ، وهو ليس ماديا بحتا كما هو في منهج الملاحدة ، انه تعليم يبتغي السعادة في الدارين باعداد النشء وتربيته روحا وجسدا وعقلا ليكون اهلا لعمارة هذه الدنيا ، ومستأهلا للفوز برضاء الله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . ولذلك يقول الرسول : « ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه ، فالدنيا قنطرة الآخرة . ولقد اوتي قارون من متاع الدنيا وزينتها شيئا كثيرا فتجبر وطغى ، ولمسه الغرور ، ولم تعصمه دنياه ولا مباهجها من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ، ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه ، لانه لم يكن متوازنا في تصرفه نحو دنياه واخراه . ولما مات الموت صاح منه الجميع : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة ، اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغي الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين ، قال انما اوتيته على علم عندي ، أو لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (31) وتصيب الانسان من دنياه هو عمره وما قضاه فيه من صالح الاعمال الذي يعود عليه وعلى غيره من ابناء البشر بالخير والمنفعة ، ولقد اصاب عمر من الخطاب كبد الحقيقة حين قال « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ،

ولقد ظل التعليم منتشرا في البلاد الاسلامية قرونا طويلة ، قبل انحطاط المسلمين ، وتدهورهم عندما اجتاحهم التتار والمغول بقيادة هولاكو على بغداد سنة 1258 م وانهارت بذلك الخلافة العباسية ، وسقطت بعدها الاندلس ، وتفككت اوصال العالم الاسلامي وانهارت وحدته التي استمرت ستة قرون، وافل نجم العالم الاسلامي بعد علوه وسطوع نوره (32)، وقد كان كل جهد يبذل بعد القرن الخامس الهجري ، اما في سبيل الشرح ، واما في سبيل التعليق ، واما في سبيل التحقيق والتصويب ، اما العمل المبتكر ، والذهن المبدع فقد تقضى عليهما طهور العنصر التركي على مسرح السياسة ، واستبداده بأمر الخلافة ، وضيق افقه في الفكر ، وقلة حماسه للعلم ، وتلك ظاهرة ظلت تتضح في العالم العربي والاسلامي ، يوما بعد آخر ، وتستشري باطراد ، حتى انتهت اخر

(30) حياة محمد ، ص، 485

(31)سورة القصص ـ الآيات 76 ـ 78 .

(32) يقول الاستاذ انور الجندي « كان للمغرب دوره الضخم في مجال العلم والثقافة والفكر ، وامانته لذلك واضحة في دور جامعتيه الزيتونة (تونس) والقرويين (فاس) ثم امتداده الثقافي الى الاندلس وجامعاتها في قرطبة واشبيلية ـ وقد جاء الاستيلاء العثماني حوالي 1573 م. على ليبيا وتونس فالجزائر . اما المغرب الأقصى فقد تحفز على القوات الغازية وظل محتفظا باستقلاله ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ص، 12 .

الامر بما سموه اقفال باب الاجتهاد ، وقد كان معنى ذلك اضفاء الشرعية على التقليد ، والتماس النجاة في ظل اعواده اليابسة التي غرسها الشؤم في صحراء الجهل ونبابه (33) ، ولعل المغرب هو البلد العربي الاوحد الذى لم يقع في قبضة الاحتلال التركي ، ولذلك ظل له طابع مميز ، يظهر في اصالته ، وتمسكه بالتراث ، « ويرجع المؤرخون سر حفظ القرويين من الضياع في الطب والفلك والتشريع حتى الموسيقى ، وبنائها عدة قرون تؤدى رسالتها التي لم تتخلف عنها ولم تتوقف قط ، كما حدث للازهر مثلا ـ يرجعونه الى عدم احتلال العثمانيين للمغرب ، فالمغرب هو القطر العربي الوحيد الذى لم يتمكن تركيا من احتلاله (34) » .

والاقبال على العلم والتعليم معروف لدى المغاربه منذ وقت بعيد ، ومنذ الفتح الاسلامي والمغرب رافع لواء العلم ، حفي بالعلماء والمتعلمين ، سادن لكل فكر مبدع خلاق ، حريص على الكتب وخزائنها ، يقول صاحب كتاب « المعجزة المغربية » : « ان مولاى اسماعيل عنى بالمعرفة عناية دلت عليها مكتبته ، ويسمونها بالمغرب الخزانة حتى اليوم ، ذلك انه جمع فيها اربعة عشر الف مجلد قبل وفاته ، فلما آلت الى ابنه من بعده ، وزع هذه المجلدات على مكتبات المساجد المغربية (35) ويقول جلالة الملك الحسن الثاني باسط الوية الثقافة ، ومفجر مناهل العرفان في مغربنا الحبيب : « **لما دلفت الى المغاربة « من المشرق ثقافة الاسلام وعلوم العربية، ومعارف الامم المتقدمة،استوعبوها واتقنوها وتناولوها بآرائهم وافهامهم فاكملوا ناقصها واوضحوا غامضها ، وفصلوا مجملها وهذبوا حواشيها ، وزادوا ببحثهم وجدالهم وتخيلهم وافتراضهم ، في غناها وثروتها ، ولم يكتفوا بذلك ، بل اضفوا عليها من حلتهم وطبعوها بطابعهم حتى اصبحت لهم مدارس مذكورة ، ومذاهب مأثورة في علوم الدين ، وفنون اللغة ، والمنطق ، والفلسفة ، والطب ، والرياضيات ، والتاريخ ، والفنون الشعبية ، وحتى صارت جامعات فاس ومراكش وسبتة ومعاهد الاندلس التي عاشت طيلة عصورها الاسلامية تحت حكم المغرب، او في كنفه ، تضاهي جامعات اقطار الشرق العربي** ومعاهد (36) » .

ولقد ظل المغرب ملاذا للعلم والعلماء ، وكانت الكتاتيب منتشرة فيه ، وكان بامكان من اتموا دراستهم بالكتاب أن يلتحقوا بالمعاهد الاسلامية المغربية في فاس ومراكش وتطوان وغيرها حيث كان يدرس القرآن ، والشريعة ، والفلسفة الاسلامية ، والمنطق ، والفلك . ولم يسمح للكتاتيب بعد الحماية الا بالتعليم الديني فقط . وحظرت سلطات الاحتلال تعليم الحساب والمواد العلميه ، وكان يغلق اى كتاب يخالف ذلك على الفور (37). وقد أوضح بعض الكتاب السياسة التعليمية التي انتهجتها الحماية فقال : « ان التعليم في عهد الحمايه يسير طبقا لمبادىء استعمارية تتلخص في العمل على تكوين طبقه صغيرة من الموظفين ذوى الفاعلية المحدودة يصلحون لان يكونوا ادوات ولكنهم لا يصلحون للتفكير ، وذلك لكي يكونوا مساعدين في الادارات المختلفة التي لا يمكن ان يستغنى عنهم فيها ، ويجب أن تكون الثقافة التي يتلقاها الطلبة في المدارس محددة ، كي لا ينقلب من تلقاها الى مخلوق مفكر يحسن فهم الحياة على حقيقتها . ويجب الا تخلو هذه الثقافه من اللغه العربيه الا بمقدار ضئيل لا يشترط اى حد لضآلته ، كما تخلو من كل ما من شانه ان يخلق العزة القومية ، أو يبعث على التفكير فيها من تاريخ وأدب . ويجب أن يكون الطالب ملما بامجاد فرنسا بصورة تثير الدهشة ولكنها لا تثير التفكير ، ولا بأس من التعليم الصناعى لانه عامل من عوامل الثروة (38) » .

---

(33) اللغة العربيه معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ، ص. 11 .

(34) الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا لانور الجندى ص. 138

(35) المعجزة المغربية لاحمد عسه ، ص. 92 .

(36) انبعاث أمة ـ ج. 10 ، ص. 90 من خطاب القاه جلالة الملك بالجامعة المصرية عند ما قلد جلالته الدكتوراه الفخرية ، الاحد 11 ذو القعدة 1384 ـ 14 مارس 1960 .

(37) التعليم العام في البلاد العربية تاليف الدكتور محمد منير مرسي ص. 339 ، وهو ينقل عن ساطع الحصرى ـ حولية الثقافة العربية ـ الحولية الثانية 1951 ص. 593 .

(38) المعجزة المغربية لاحمد عسه ، ص. 672 ، وهو ينقل عن الاستاذ ابن جلون في كتابه الذى نشره بالقاهرة عام 1949 ، تحت اسم « هذه مراكش » .

غير ان حركة وطنية قامت على يد محمد الخامس، طيب الله ثراه ، قبل توليه العرش لانشاء مدارس ذات طابع قومي لابناء المغرب ، واصبحت هذه المدارس محور الحركة القومية والصراع من أجل الاستقلال . الامر الذى ادى بسلطات الاحتلال الى محاربتها ولكن دون جدوى ، فلما لبث فجر الاستقلال ان اسفر واشرقت الارض بنور صبحه ، وشكلت لجان بعد ذلك ، الواحدة تلو الأخرى ، وعلى حسب ما يتطلبه الاصلاح الدائم المستمر ، حتى نشع التعليم في بلادنا نشرا لا يكدر قيمته الا الخصم اللدود . « فقد أصبحت كل كرة من كرات التعليم مكونة حول نواة صلبة ، تسير بسرعة وفق المخططات الخماسية المتعاقبة ، متعقبة الغرب تباعا لا كل ما يحتاج اليه في كل قطاع فحسب ، بل لتمكن المغرب من معونة دول القارة الافريقية السوداء

(39) المرجع السابق ، ص. 576 .

في ميادين تكوين ما ينقصها من خبرات فنية كذلك ، مجاوبا مع شعور المغرب بأن له رسالات سامية ، من بينها رسالة الاسهام بجعل افريقيا قارة المستقبل (39)»

وبعد ، فالتعليم أس الحضارات . واكسيرها الذى يضمن لها البقاء ، وعليه تنعكس وجوه صحاف الامم ، وبه تخلد امجادها ، وتفرض نفسها على التاريخ وتتوثق عراها ، وتضرب في حفل التقدم بنصيب ، وقد آن للمغرب أن يعيد سيرته الأولى فيحمل لواء العلم ، ويرفع راية الثقافة ، وينشر نور العرفان ، ويلعب دوره في الحاضر والمستقبل كما فعل في الماضي :

عز الشعوب بعلم تستقل به
ما عز شعب عليه العلم قد هانا

ملحمة العرش

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

انت بدر على البلاد اطلا ... فاضاء الوجود لما تجلى ،
انت من دوحة الرسول ، ويكفى ... ذاك فخرا لنا وعزا ونبلا
انجبتك الفحول من خير ينبو ... ع ، فاكرم بالفحل ينجب فحلا !
والاسود التى بها نزع الضيـ ... ـم لقد انجبت على العز شبلا
وابوك العظيم دل على الخيـ ... ـر ، وما مات من على الخير دلا
وبه صارت البلاد حريما (1) ... آمنا يرفض الدخيل المحلا (2)
واستجاب الرحمن منه دعاء ، ... وهو قلب من شعبه حين صلى
نحن بالعرش فى الوجود نباهى ، ... فهو منا حياتنا ليس الا
انت تاج من الذهب الابـ ... ـريز ، اكرم بالتاج فرعا واصلا !
عرشك اليوم فى القلوب ، فمرحى ... لحبيب يمتاز فيها محلا !
انت عنوان نهضة الوطن الغا ... لى ، تصون البلاد قولا وفعلا
عهدك الزاهر استقام به الامـ ... ـر ، فبشرى اذ الرعية جذلى !
انه العيد ، عيد عرشك ، والدهـ ... ـر ، جميعا اقام للعرش حفلا
اينما كنت ترقص الروح نشوى ، ... حيث تهديك اقحوانا وفلا (3)
وتناديك السن العشق طرا : ... « مرحبا بالمليك ، اهلا وسهلا !! » ،

---

(1) **الحريم** : موضع حول قصر الملك متسع تلزم حمايته — كل موضع يجب حمايته — كل ما يلزم الدفاع عنه .
(2) **المحل** (بضم الميم وكسر الحاء) : المنهك للحرمات ، ومن لا عهد له — **الدخيل** : من دخل فى قوم وانتسب اليهم وليس منهم .
(3) **الاقحوان** : نبات أوراق زهره مفتحة صغيرة يشبهون بها الانسان ، أصله من الشرق الاقصى ، وهو من أجمل أزهار الحدائق بألوانه وأشكاله المتعددة ، يزهر فى أواخر الشتاء والخريف — **الفل** : نبات من الفئة الياسمينية ذكى الرائحة نقى البياض ، ويقال له أيضا الياسمين الرنيقة

كيف ننسى (فروسية القر ـــ ن) ، وفيها رايت للسبق خيـــلا ؟
والزغاريد هـــا هناك ، واجـــوا ق ، ورقص ، والناى جانس طبلا ؟
كيـــف ننسى من البطولة (كاس الـــ ـــعرش) وانت من كان للنصر اهلا ؟

— * —

يا عظيم الاخلاق ، يـــا حامى الاســـ ـــلام ، انـــت المناقب الغر تتلـــى
كـــل مـــا فيك يـــا مليكى جليـــل واياديـــك تغمـــر الناس فضـــلا
والقريض الجميـــل فى (الحسن الثا نـــى) بهى الرؤى ، واغلى واحلى !
فهـــو عنـــوان فطنـــة ونبـــوغ منـــذ أن كـــان كالبراعـــم طفـــلا
كلمـــا غـــرد الفـــؤاد بشعـــر صـــادق ، زادت الـــروح بـــذلا
يصعـــد المخلصون للشـــرف العـــا لـــى ، وقـــدر المليك فى المجد اعلى
نحـــن فى المغرب العريق نحب الـــ ـــعرش حبا يروق روحـــا وشكـــلا
والمليـــك المحبوب نجعـــل منـــه والـــدا او اخـــا عطوفـــا وحـــلا
قـــد حملنـــا مسؤوليـــة الجبـــ ـــل ، ولكن قـــد كان اعظم حمـــلا
نحـــن حرب على التخلـــف طـــرا ، كيف يبقى بؤســـا وسقمـــا وجهلا ؟ !
ليس منـــا مـــن كـــان غرا جهولا ! ليس منـــا من كان عضوا اشـــلا !
ويـــد اللـــه فى الجماعـــة ســـر ، اكثـــر الفـــرد جهـــده ام اقـــلا
نحن عـــزم وهمـــة ومضـــاء ، وعـــن الواجبـــات لا نتخلـــى
ليس منـــا مـــن لـــم يدن بوفـــاء وولاء بـــه الجميـــع تخلـــى
وحـــد العـــرش شملنـــا حولـــه دو مـــا ، فمرحى للعرش يجمع شملا !
تضحيـــات فى اثرهـــا تضحيـــات ، ونفوس لـــم تـــدر شحـــا وبخـــلا
قـــد عشقنـــا اوطاننـــا ، فحكينـــا فى خلايـــا الرضـــاب والشهد نحـــلا
انـــت يعسوبنا (4) ، ونحن حواليـــ ـــك اجتمعنا جندا امينـــا ، وئولا (5)
حينـــا راق فى رقيـــق المعانـــى : اين منا غرام (قيس) و (ليلى) !؟ (6)
دابنـــا فى الغـــرام صدق ، وانـــا مـــا خشينا فى الحب لوما وعذلا (7)

— * —

(4) اليعسوب : فى الاصل ملكة النحل واميرتها . ويطلق على الرئيس الكبير . يقال : هو يعسوب قومه اى رئيسهم وكبيرهم .
(5) الئول او الخشرم : جماعة النحل ، لا واحد له من لفظه .
(6) قيس وليلى : اسمهما فى الحب مشهوره . يضرب بهما المثل فى الاخلاص والوفاء . راجع مسرحية (مجنون ليلى) لامير الشعراء المرحوم احمد شوقى فى هذا الموضوع . — (4) العذل : بفتح العين وسكون الذال المعجمة) : اللوم .
(7) ان فى هذا البيت اشارة الى ظهور صورة صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس — قدس الله روحه — فوق القمر ايام المحنة والسعى . وفى ذلك دليل واضح على شدة تعلق الشعب المغربى النبيل برائد نهضته . والحبيب يرى محبوبه ظاهرا فى كل شىء ، واجمل من كل جميل .. بل ان روعة الصورة تظهر اكثر فى الاطار البديع .

قـد غزا الشعر روعة القمر العـا ـلـى قديمـا ، وبالخيـال تسلـى
ونرى الآن فيـه معجـزة العلـ ـم ، فاسراره غـدت تتجلـى
انمـا البـدر فوقـه ظهـر البـد ر ، فصارت آيـاته الفـر تتلى (8)
رايـة (المغرب) استقرت وحيت فوقـه العاهـل العظيم الاجلا (9)

**

فى (الرباط) استقام (مؤتمر القـ ـمة) ، مرحى ! اذ يجمع الله شملا !
اضرموا النار فى (المسجد الاقـ ـصى) ، فيا ويلهم ! انسكت ؟ كلا !
وارى دولـة العروبـة والاسـ ـلام قامـت للجـد قولا وفعـلا
تستجيب النـداء (الحسـن الثـا نـى) الذى ازداد فى المحافل فضلا
وارى فى (منظمـة الوحـ ـدة) (صهيون) ، استحـال الاذلا

— * —

الف بشرى للرائد (الحسن الثـا نـى) ، فهذى محاسن منه تملى
سمعة فـاح فى الوجود شذاهـا ، وجـلال بسـه الجمـال تجلـى
ووفـود الاخـوان فى الوطن الاكـ ـبر الفـوا حبـا صميمـا واهـلا
نحن احرى الورى بتوحيـد صـف وايمانـا نكـون بالفـوز اولـى
عرشنـا فى نظامـه يبهـر العـا لـم ، اذ صار بالحصافة مولـى
لـو تجوب الاقطار طـرا لما شـا هدت قطعـا للمغرب الحر مثـلا !
انمـا فى (مسيرة الفتح) هـدى بكتـاب وسنـة لـن نضـلا
انمـا امـة علـى العدل قامـت تتحـدى المستعمـر المستفـلا
وفلسطين قدسها ، المسجد الاقـ ـصى ، سيفدو محررا مستقلا !
انما المسلمون فى الديـن والدنـ ـيا كيان ، وعزة لن تذلا ! (10)
ظهـر الحـق ، واقتـرب الفتـ ـح ، وقلب الاعداء فى الهول زلا (11)
وجنـود الرحمان دابهـم النصـ ـر ، فمهلا ، سيطلع الفجر ، مهلا !
يـا مليكى ، انت المرجى لشعب ، ولانت الكريم ، تحـمل كـلا (12)
ونبـى السلام والخير ، قد كنـ ـت لـه ، باعث الفضائل ، نجـلا

---

9) فى هذا البيت اشارة الى أن الرواد الثلاثة الذين وصلوا الى القمر على متن السفينة الفضائية أبولو 11 ، كانوا قد حملوا معهم أعلام بضع وثلاثين دولة ، من بينها راية المغرب وهذا الحبيب . وقد رفعوها على سطح الكوكب المنير ، ولا شك أن الوصول الى القمر فيه معجزة وانتصار للانسانية جمعاء .

10) جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ، والله معكم » — « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » كما جاء فى الحديث الشريف : « المسلمون يسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم » .

11) زل قلب الاعداء أى انخلع وذهب خوفا وذعرا وفزعا .

12) تحمل الكل (بفتح الكاف) : تعين الضعيف وتعيل الملهوف ، وتساعد المحتاج . وقد جاءت هذه العبارة فيما خاطبت به أم المؤمنين سيدتنا خديجة بنت خويلد ، حين طمأنت الرسول — ص — قائلة : « والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر » .

انما عبدك السعيد علينا ... بالهنا والسلام واليمن حلا
فلقد أيدتك كل البرايا ، ... واجتباك الرحمان عز وجلا
لحمة الشعب كنت انت سداها ، ... الف بشرى، اذ يصبح الحب نولا (13)
انت كالمزن رحمة ، وعلى تا ... ج الزهور البيضاء تنزل طلا (14)
أنت كالواحة الظليلة ضمت ... فى ابتهاج ماء نميرا ونخلا (15)
انت فى منتهى المهارة اعدد ... ت لحسم الادواء حقا ومصلا (16)
انت وحدتنا ، وعرشك فينا ، ... من صدور الاضداد ينزع غلا (17)
انت من منبع البطولة صمصا ... م ، تباهى به مضاد ونصلا (18)
(حسن) انت فى البناء ، وفى البعـ ... ـث ، فلق عنك الروائع قولا
يحفظ الدهر من مآثرك الغـ ... ـر وعلياك فى الخلود سجلا
انت برهاننا العظيم بك الدهـ ... ـر على نهضة البلاد استدلا
حسنات فى اثرها حسنات : ... لست احصى لصانع الفضل فضلا !
وشموع بكل بشر اضاءت ، ... وكؤوس من المحبة ثملا
والملايين ها هنا كلها عشـ ... ـق لمن فى قلوبها قد تجلى ! !
أنت طغراء مجدنا ، وكتاب ... سطر الخالد آيه مستهلا
جدك المصطفى قرب من اللـ ... ـه الذى نوره « دنا فتدلى » (19)
كيف لا نعشق الذى باجتهاد ... بز اهل الذكاء عملا ونقلا ؟
كيف لا نعشق الذى بآصطبار ، ... وثبات ، يسمو بنا حين نبلى ؟
كيف لا نعشق الذى فى حمانا ... لم يحذر غاصبا ولا مستغلا ؟
كيف لا نعشق الذى كان للـ ... ـه ، وأحيا فى الدين فرضا ونفلا ؟
وأرى العاشقين فى الكون كانوا ... للتصافى ، وللاخوة رسلا
انما الحب جنة ، ويفسر الـ ... ـحب تعسى الرياض صخرا ورملا

---

13) السول : حاشية الحبك أو النسج ... وينسب سبباً ...
14) المزن : السحاب ، شبهه من الغيث والمطر ... الفضل ... المتعجب ، الذى ... وقد ورد هذه الكلمة فى قوله تعالى : ... من نسج عنكبوت وأضعف مثل ...
15) الواحة : الارض المنخفضة فى الصحراء ... والنخل شاعرنا مجموعة من مفاخر فى القرآن الكريم ، فى قوله : نخلة (منها فاكهة ونخل ورمان) ... ونخلة لا أصل فاكهة ... ، والنخل فاكهة وسوء
16) المصل فى الطب اسم يطلق على أنواع من الادوية ... يستعمل لمحق فى الجسم مكافحة الامراض ، له التوقيه منها ...
17) الغل : بكسر الغين ، هو الحقد والضغن والعداوة والشحناء فى الصدر ... وقد وصف الله المؤمنين بعدله ... وتبرأ منه فى ... من ...
18) الصمصام أو الصمصامة : السيف الصارم
19) فى هذا البيت اشارة الى قوله عز وجل : والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ذو مرة ، فاستوى وهو بالافق الاعلا ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما اوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ... وفى هذه الآيات الكريمة ، دلالة واضحة على مكانة الاسلام والقرآن والنبى العظيم الذى يحظى به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ... ليلة الاسراء والمعراج ، وحلا ، ووقارا واطمئنانا ... عليه لا يكون كذلك سيد الانبياء ... المحبوب ... بحسن المصير ... ، ومهو ... المؤمنين ، وحامى حمى الملة والدين ، وطليعة ... العالمين ، ... به الدين ... ، وأسعد الناس

انما الحب جنة ، ويغير الـ ـحب ، هذا الورى جهنم يصلى
وهو سر الجلال فى الشعر ، لولا ـه ، لكان القريض أبتر ضحلا (20)
كل سؤل به تحقق ، هيها ـت اخى ، أن يخيب الحب سؤلا !
قد عرفنا فى الحب نبع حياة ، فنسينا هما وغما وويلا
زال عنا الشقاء ، والحب نلنا فى ذراه كل السعادة نيلا
انما العرش كنزنا نفتديه ، وهو اسنى من الكنوز واغلى
اننا أسعد الشعوب لانا قد شددنا باسعد الناس حبلا !
ولاهل الاحسان والفضل والاصـ ـلاح دوما قد مالت الروح ميلا
والوفاء الاصيل فى الوطن المحـ ـبوب ، يحيى من البطوله فصلا
كيف ينسى جهاد عرش وشعب محضاه الوفاء حتى استقلا ؟
كيف ينسى من فى الكفاح تفانى ، وحمى مجده ، وكسر غلا ؟
كيف ينسى من ليس يرضى له بيـ ـن شعوب الانام خسفا وذلا ؟
وفلول المستعمرين اضمحلت ، وزمان المستضعفين تولى
وغداة الخريف فى (المسجد الاقـ ـصى) بعثت الندا يوحد شملا (21)
فى (الرباط) استقام (مؤتمر الاسـ ـلام) حقا، والفصل اصبح وصلا(22)
انها نخوة العروبة ما هاـ ـنت، ولا استسلمت صغارا وذلا(23)
قد طغى الغاصبون ، والقبلة الاو ـلى استغاثت بما تعانيه خجلى (24)
لا يغرنك ما تراه فمهلا ، ولعل الخلاص آت ، لعلا ،
فانتظر صولة الحقيقة ، فالدنـ ـيا ـ كما قيل ـ بالعجائب حبلى !
هذه اسرة لقد اصبح الاسـ ـلام فيها روحا ونورا وظلا
ها هنا ، او هناك نفحة خير تتجلى فى الباس قولا وفعلا
تلك اصداؤنا بكل مجال تخلق المعجزات روحا وشكلا
ان (افريقيا) راتك زعيما ، وصباحا من السلام مطلا
ومضى عهد الانفصال كحلم مرعب لاح لحظة واضمحلا

20. الضحل (بفتح الضاد وتسكين الحاء) : القليل الرقيق الذى لا عمق له .
21. وقعت تلك الجريمة النكراء يوم 21 اغسطس 1969 على يد الصهيونى الاثيم ، روهان ، الاوسترالى الاصل ، وزيادة فى النكاية فقد برأه حكام صهيون ، بعد محاكمته الصورية ، الى لم تكن سوى مهزلة .
22. فى هذا البيت اشارة الى مؤتمر القمة الاسلامى الذى كان قد انعقد بفندق هيلتون بالرباط بدعوة كريمة من جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله ، من 22 الى 25 سبتمبر 1969 . وقد نجح ذلك المؤتمر التاريخى نجاحا باهرا ، وأسفر عن توصيات وقرارات بالغة الاهمية .
23. فى هذا البيت اشارة الى مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية الذى انعقد بالرباط من 20 الى 22 دجنبر 1969 ، والى مؤتمر القمة العربى السابع المنعقد بالرباط من 26 الى 29 أكتوبر 1974 فى أعقاب الانتصارات العربية الباهرة فى سيناء والجولان ، وتحطيم خط بارليف .
24. فى هذا البيت اشارة الى الجرائم الفظيعة التى يرتكبها الصهاينة فى الاراضى المحتلة ، والعمل على تهويد مدينة القدس ، وتشييد هيكل سليمان على انقاض المسجد الاعظم .

لا (كنانفا) ، ولا (بياغرا) فقد ولـ ـى من اشتط واستبد وزلا
ان (ايفني)،(الصحراء) بالعدل للاصـ ـل لقد عادتا ، فاهلا وسهلا !!
الف مرحى (للساقية الحمـ ـراء والوادى : فيهما الحق تجلى !
قد اعاد التاريخ خير عهود ، باعثا نخوة ومجدا وتبلا
و (العيون) الفيحاء ملء عيون ! ترفض الطامعين ! تصرخ : لا ! لا !
انها بيعة ومحض ولاء ، للامام الذى ارتضيناه مولى
لستانسى (خطرى) و(ولد البشير) الا مخلصين : الفروع تتبع اصلا !!
ان ايماننا حسام صقيل ، لم يكن فى جهاده ليفلا
يؤخذ الحق فى الحياة غلابا ، ولاحرارنا المقام المعلى !
كلمات الفداء بالحق علنا ، وتفسوس الاعداء فى الخزى سفلى
هم ارادوا اقطاع جزء بتقريـ ـر مصير يرونه مستقلا :
زمفروا جوهر الحقيقة والتا ريخ ، اذ صار ما يرون معلا
ليس من مطمع بحبة رمل ابدا ! فالحمى لهم لم يحلا !
لم يكن من اعاد ماء لمجراه ، بحق الجوار ، صار مخلا !
اننا اذكياء فى الروع حقا ، ما ردنا بالنقل حاشا ! وكلا !
ان (لاهاى) — (مجلس الامن) كانا ارشدانا من العدالة سبلا
ليس من رام فى البلاد ممرا ، مثل من رامها حمى ومصلى !!
شاهد الكون فى مسيرتنا الخضـ ـراء صدقا ، فارسل الحق رسلا !
وبصحرائنا ، كما تروم المعالى ، قد اقمنا امنا وسلما وعدلا !

— * —

يا مليكى يا مشعل النور ، قد كنـ ـت لسانا جم الفصاحة جزلا
لست تنسى من الثقافة ابنا ء (فلسطين) من حياضك تهلى
و (اليونيسكو) قامت بمراكش الحمـ ـراء تعصى عن الضمائر جهلا (25)
نحن بالضاد قد كسبنا المعالى ، وعن الضاد نحن لا نتخلى
فيها انزل الكتاب مبينا ، وبانشرافها السلام تحلى
تخطىء الظن (صهيون) ، فالامـ ـر الذى تبتغيه لم يك سهلا

(25) جاء فى الحساب الذى وجهه صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى أعده الله الى أشغال المؤتمر الثالث ل ا ا التربية والتعليم العرب المنعقد بمراكش ، ذلك المؤتمر الذى أمهى أشغاله يوم السبت 12 ذى القعدة 1389 هـ الموافق 20 يناير 1970 ، أنه بعد اطلاع نظر بعثة من جوانحن جزء ، متشبعين بالروح العربية وبحضارتها ، مثل تكون عربية فعلا للأبد ، وعلاوة على تعريبه وتعميمه الكامل الذى يتعين الله هذا الأخير فى جميع ميادين الأنشطة المعممة من الحيوان ، وهو أقرب للتصور بصناعة الكفاية المسيرة على التعبير وفيها كل البداء التكرر مرجعها كلمة التعريب العربية والصورة الدولية ، ويقوم كل عمل فى صالح قضية الشعب الفلسطينى .

وانطلاق الشعوب فيه مضاء ... يتحدى من بالسلاح تولى
اننا امة مدى الدهر بفظى ، ... لم تكن قط فى المسيرة كسلى
ان تاريخنا شهيد بأنا ... قد ملأنا الازمان حولا وطولا
نحن قوم لا نرتضى منذ كنا ... فى اكتمال الحقوق غبنا وختلا
وطنى سيد على كل حال : ... كان دوما راسا ، ولم يك ذيلا !
جعل الجد فى الحياة شعارا ... حين ظن الدخيل فى الامر هزلا (26)
شعبنا يهتدى بأقوم دين ، ... ضل فيه الدخيل لما اضلا (27)
وهو فى ظل عرشه فى امان ... لم يكن ناقصا ، ولا خاف هولا
لم يضع حقنا ، فنحن ذووه ، ... صوتنا فى طلابه لن يملا
وبفضل المليك نلنا المعالى ... حيث صرنا بها احق واولى !

— * —

يا سليل الاباة ، ها انت فينا ... تسحث الخطى نهارا وليلا
خلد الدهر منك سعيا حميدا ، ... واياديك ها هنا ليس تبلى
يسعد الشعب أن تكون له فى ... صالحات الاعمال تاجا ومولى
كلما انهت السواعد شغلا ، ... بدات فى البناء والبعث شغلا
كل ركن تبنى به مصنعا ضخـ ... ـما ، وتحيى به لشعبك حفلا
كلنا نحتفى (بمليون هكتا ... ر) ، ونسعى للخير قولا وفعلا
والسدود التى تشيدها تحـ ... ـمل للشعب نهضة منك مثلى
ورخاء نعمنا ، وازدهارا ، ... وجلاء لكل نفس ، وصقلا
مثلما قد سقيت فينا غراسا ... ليروق الجنى ، وتنشر ظلا ،
قمت تسقى العقول كوثر علم ، ... ترينا من المكارم سبلا
وتقود البلاد للمجد والفخـ ... ـر ، وتحيى بها نظاما وعدلا
ان (دار الحديث) و (المصحف) الاقـ ... ـدس ، نور على الوجود تجلى
ودروس الاسلام، تحت اشرافك السا ... ـمى ، حديث به فؤادك ادلى
انت فوق الجميع فى دقة البحـ ... ـث ، وقد كنت بالامانة اولى
فضلك اليوم يغمر الشعب طرا : ... لست تنسى شابا وشيخا وكهلا

---

(26) فى هذا البيت اشارة على سبيل المثال ، الى ان مقاومة الاستعمار فى المغرب ، دامت 24 سنة ، بعد امضاء عقد الحماية فى 30 مارس 1912 ، فلم تضع الحرب أوزارها الا سنة 1936 ، وسميت تلك الفترة تضليلا ، بحركة « التهدئة » .

(27) اشارة الى فشل جميع الحملات التبشيرية فى بلد مؤمن أصيل ، لا يبتغى غير الاسلام دينا . فقد خسر الاستعمار خسرانا مبينا فى فرض الظهير البربرى سنة 1930 على المغاربة الذين رفضوا رفضا بات النعرة القبلية ، والتفريق بين المغرب واخوانهم البربر . كما رفضوا فكرة المغرب النافع ، والمغرب غير النافع . ولم تكن ثقافة الاستعمار ، لتنسى المغاربة لغتهم العربية ، التى هى لغة دينهم الاسلام ، وسجل حضارتهم وأمجادهم عبر العصور والاجيال . فقد خسر الدخيل من حيث أراد الربح . وقد ضل من حيث أراد تضليل الناس .

والكتائب فى حماها نرى الاطـ ـفال يصغون للهداية تتلى (28)
و (أتحاد النساء) يحمى حقوقا للواتى نلن المقام المعلى (29)
نصفنا ، هن ، فى الحياة عليهـ ـن اعتماد الاجبال روحا وشكلا
شكر الله سعى عاهلنا الفـ ـذ ، ومرحى لخطة منه مثلى !
انت هذبتنا وكونت منا للامور الجسام روحا وعقلا
والرياضات تحفظ الجسم حفظا ، وبها ندرك المقام الاجلا
كل صعب بهمة الملك الشهـ ـم ، وجدناه بالمحبة سهلا
لم يكن قانعا ببعض المزايا ، بل حبانا من الفضائل كلا !
الف مرحى لمن حبانا كنوزا حيث نمى من ثورة الشعب دخلا
وقضايا البلاد فى ذهنه الثا ـقب تلقى رغم المصاعب حلا
انت شمس، والشمس من حولها ضو ء النجوم اخفى بها واضمحلا
بآصطبار وحكمة وأناة . كنت للحق والامانة اهلا
سدت فى حاضر ، وسدت بماض ، وبنيت ، تريد للمجد وصلا !
دولة المغرب العزيز استقرت واستمرت ما دمت بالحق قيلا (30)
شهد الشعب يوم حققت نصرا وجلاء ، فيك الشجاع المجلى (31)
انت كل الامان ، ما خاف شعب فى حمى عرشك المجيد استظلا
فلتدم يا حبيب شعب وفى قد فداه فؤاده ، وتملى (32)
حفظ الله للبلاد زعيما علويا ، له المكارم تملى
ورعى الله بيننا ولى العهـ ـد ، فمنه بدر السعود اهلا

---

(28) انطلقت حملة الكتائب القرآنية فى مستهل الموسم الدراسى لسنة 68 — 1969 . وقد أعلن جلالة الملك أعزه الله المثال الحسن لشعبه الوفى من ملذات كبده ، يتقدمهم صاحب السمو الملكى ولى العهد المحبوب الامير الجليل سيدى محمد — حفظه الله وأصلحه ورعاه —

(29) أنشىء الاتحاد النسوى يوم الاربعاء 10 شوال 1388 هـ الموافق 8 يناير 1969 .

(30) القيل (بفتح القاف وسكون الياء) : الوئيس . وكانت تطلق هذه اللفظة على الملك من ملوك حمير (بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء) يتقبل من قبله من ملوكهم أى يتسمهم .

(31) المجلى (بتشديد اللام) : السابق فى الميدان .

(32) تملى (بفتح الميم وتشديد اللام) عمره أى طال واستمتع به . وتملى حبيبه اذا تمتع به طويلا .

جلالة الملك الحسن الثاني يقتبس من السيرة النبوية الشريفة

كيف استلهم جلالة الملك المسيرة الخضراء من كتاب "حياة محمد"

للأستاذ محمد عبدون كشك

كان الملك يعيش سيرة رسول الله ، وقد اختزل الزمن في ذاكرته ، فربط بين الحديبية ، وعمرة القضاء ، وانفتح معا .. كان مؤمنا انه سيدخل الصحراء ، وبقدر ما كان يفكر في سلامة رعاياه المغاربة الذين سيتوجهون الى الصحراء في المسيرة الخضراء كان مشغول البال بنفس الدرجة على رعاياه المغاربة داخل الصحراء . لقد اتخذ كل الاحتياطات التي تكفي سلامة الذاهبين للصحراء ، والحمد لله لم يصب احد بسوء ، كما لو كان الامر قد تم بمعجزة او سلسلة معجزات .. تحدث الفوانين الطبيعية كلها .. ثلاثمائة وخمسون الف مواطن تنقلهم القطارات ، فلا ينقلب قطار ولا يصطدم ، ولا يحتك بقطار آخر فيصاب الركاب المطمئن برؤوسهم ، مخرجين اجسادهم للهتاف ، ثم عشرة آلاف شاحنة تنقلهم فلا تتعطل واحدة من كل الف او تتحطم فتسد الطريق .. ان سيارات الجيش الروسي او الامريكي ليست بهذه الكفاءة الطيبة

ثم يتجمعون اكثر من ثلاثة اسابيع فلا يقع وباء او حتى حالات وفاة ملفتة للنظر او امراض بسبب الحر والعواصف وتغيير البيئة . ومع ذلك فان الحسن لم يركن لقانون البركة وحده . بل اتخذ جميع الاحتياطات ابتداء من القوات المسلحة التي كانت مستعدة لرد العدوان اذا ما وقع اعتداء على مواطن مغربي .. الى البعثة الطبية التي كانت تراسها شقيقة الملك ..

ولكن ماذا عن رعاياه في الصحراء ؟ ..

انهم مواطنون يحمل مسؤوليتهم . وكانوا في أسر المستعمر ، وخضعوا للارهاب والترغيب ، وقد رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما أكرهت عليه .. واللحظة الحاسمة تقترب والذين اقترفوا الخطأ اذا ما يأسوا من التوبه ، فمادوا فيه ، والقوى المصرة على فصل الصحراء تلعب على مخاوف هؤلاء الذين تورطوا في المخططات الانفصالية سواء بالتعاون المكشوف مع السلطة الاسبانية او بخدمة هذه المخططات باسم العمل الثوري..

المحركون يهمسون لهم ان السلطة المغربية اذا دخلت الصحراء فلن تغفر لهم ما ارتكبوه ضدها ، وهذا الاحساس بالذنب والياس من الغفران ، قد يدفعهم الى ارتكاب خطأ أكبر هو التصدي للمسيرة او السلطة المغربية . وهو أمر لا يشكل خطورة في حد ذاته . بل يمكن التغلب عليه بسهولة ، لكن الامر لا يتعلق بالشعب كله في الصحراء المحررة ، وفي الصحراء المحتلة ، لا يريد ان يصاب مغربي واحد بشوكة يمكن ان ينزعها الملك ولو بيده ..

تذكر الحسن موقف جده عندما دخل مكة ..

ماذا تظنون اني فاعل بكم .. قالوا أخ كريم .. وابن أخ كريم .. » .

ولكن الملك الذي يهتدي بسنة الرسول مع الوعي الكامل بظروف الزمان ، يجب أن يقول كلمته هذه قبل ان يدخل العيون ، لكي يتيح الفرصة لأكبر عدد ممن رعاياه ، لكي يدخلوا في الطاعة قبل الفتح ..

وهكذا كان خطاب الملك يوم 23 اكتوبر 1975 أو بعد أسبوع واحد من اعلان المسيره ، والدنيا كلها منشغلة بالمسيرة ، وما يمكن أن ينتج عنها من احتمالات ، ما بين متشفق ومتربص .. يفاجيء الحسن الجميع من موقع علوي ملكي من موقع السيادة ، فيوجه الخطاب لرعاياه الاوفياء في الصحراء .. بل ويعلن العفو عن مغتيهم والاحسان لمحسنهم ..

اى ثقة بالله ..

واى يقين بالنصر ..

واى سمو فوق حسابات الاقزام وتهديداتهم ..

وأى يقين تبعثه هذه الكلمات في نفوس الجماهير الزاحفة الى الصحراء ؟

واى رعب تنزله بالذين ظلموا انفسهم ..

أى باب للرحمة وللوطنيه والعودة تفتحه امام الذين اخطأوا عن جهل أو جهالة ..

وفي هذا الخطاب تحدث الملك لاول مرة بصراحة عن الحديبية واستشهد بآيات سورة الفتح التي نزلت بعد عودة النبي صلوات الله عليه من الحديبية وعقده الصلح مع قريش .. واعلن الملك انه اقتبس من السورة الكريمة اسم العملية فسماها « عملية الفتح » .

ولا بد هنا لفهم الخلفيات الفكريه لعملية المسيرة في تفكير الملك ، من نقل بعض الفقرات التي لا شك في انها عاشت في وجدان الحسن الثاني عاما كاملا من اكتوبر 1974 الى اكتوبر 1975 (1) ... ولنحاول أن نفكر بما أوحته هذه العبارات لامير المؤمنين وهو يفكر في الحاجز الذى فرضه الاستعمار بين الصحراء ورعاياه الصحراويين المبعدين عن وطنهم ، عن بوجدور وانميون والساره ..

يقول الدكتور هيكل ، والمسلمون أثناء ذلك يذوقون الم الحرمان من أداء هذا الواجب الديني المفروض عليهم. كما كان مفروضا من قبل على آبائهم ، والمهاجرون منهم يذوقون الى جانب ذلك هما واصبا والما لذاعا : الم النفي وهم الحرمان من الوطن ومن اهلهم فيه ، وهؤلاء واولئك كانوا في ثقتهم بنصر الله ورسوله ونصره اياهم واعلاء دينهم على الدين كله ، يؤمنون بأن يوما قريبا لا بد آت يفتح الله لهم فيه أبواب مكة ليطوفوا بالبيت العتيق . واذا كانت السنة تمر تلو السنة ، فتتعاجل الغزوة الغزوة ، فان هذا اليوم الذى يؤمنون به لا ريب آت . وما اشدهم لهذا اليوم شوقا وما أشد ما يشاركهم محمد في شوقهم ويؤكد لهم أن هذا اليوم قريب ،

« والحق أن قريشا ظلموا محمدا واصحابه بمنعهم من زيارة الكعبة فلم يكن هذا البيت العتيق ملكا لقريش ولكنه كان ملكا للعرب جميعا . »

« **وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون** » (2) ، ولكن قريشا خافت ان جاء محمد ومن حوله المؤمنون بالله ، وهم من صميم اهل مكة ، ان ينطلق سواد الكبيبن بهم وان يشعروا بما في يقائهم بعيدين عن أهليهم وابنائهم من ظلم ، فيكون ذلك نواة حرب أهلية » . انقضت ست سنوات منذ الهجرة والمسلمون يتحرقون شوقا مريدون زيارة الكعبة ويريدون لحج والعمرة . وانهم لمجتمعون بالمسجد ذات صباح اذ أتياهم النبي بما الهم في رؤياه الصادقة : انهم سيدخلون المسجد الحرام ان شاء الله **آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون . فما كاد القوم يسمعون رؤيا رسول الله** حتى علا بحمد الله صوتهم . وحتى انتقل نبأ هذا الرؤيا الى سائر انحاء المدينة في سرعة البرق الخاطف . ولكن كيف يدخلون المسجد الحرام ؟ **أفيحاربون في سبيله ؟ أفيجلون قريشا عنه عنوة ؟ ! أ مترى تفتح قريش لهم طريقه مذعنة صاغرة ؟ !**

---

1) النص الكامل موجود في كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل وننصح بالرجوع اليه باعتباره كان الملهم للحسن الثاني بفكرة المسيرة !

2) سورة الانفال

« **كلا لا قتال ولا حرب بل أذن محمد في الناس** بالحج في شهر ذي القعدة (نفس الشهر بل لعل ذلك يفسر لماذا تاخرت المسيرة الى السادس من نوفمبر . فلم يعطها امير المؤمنين الامر **بالدخول الا يوم الخامس من نوفمبر الصادف اول ذي القعدة ، وهو نفس اليوم الذي امر فيه الرسول صلوات الله عليه المسلمين بالتحرك لدخول مكة عام الحديبية .**)

فتابع ما كتبه هيكل في كتابه « حياة محمد » .

« وارسل النبي رسله الى القبائل من غير المسلمين يدعوهم الى الاشتراك واياه في الخروج الى بيت الله آمنين غير مقاتلين ، وحرص محمد في نفس الوقت على ان يكون معه من غير المسلمين **اكبر عدد مستطاع وحكمته في ذلك ان تعلم العرب كلها انه خرج في شهر الحرام حاجا ولم يخرج غازيا فاذا اصرت قريش مع ذلك على مقاتلته أم نجد من يؤيدها في موقفها ولا من يعينها على قتاله** .. وما حسبي أن تقول قريش لقوم جاءوا محرمين ، لا سلاح معهم الا سيوفهم في غمودها . أذن محمد في الناس بالحج . وطلب الى القبائل من غير المسلمين الخروج معه **فاتبعه كثير من الاعراب . وخرج في أول ذي القعدة أحد الاشهر الحرام بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب** » .

« وبلغ قريش امر محمد ومن معه . انهم يسيرون اليهم حاجين **فامتلأت نفس قريش بالمخاوف وجعلوا يقلبون هذا الامر على وجوهه ويحسبونه حيلة اراد محمد أن يحتال بها على دخول مكة فقرروا الحيلولة دون ذلك ، بالغا ما بلغ الثمن الذي يدفعونه لتنفيذ قرارهم هذا .**

« اما محمد فتابع مسيرته حتى اذا كان بعسفان لقيه رجل من بني كعب سأله النبي عما يكون لديه من أخبار قريش ، فكان جوابه : قد سمعت بمسيرك فخرجوا ، **وقد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا** . » فقال رسول الله ما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة » (الوتين) « ثم وقف مفكرا انه لم يخرج غازيا ، وانما خرج محرما ، وهو لم يتخذ للحرب عدتها ، فلعله ان حارب فلم ينتصر جعلت قريش من ذلك موضع فخارها بل لعلها انما اوقدت ابن الوليد وعكرمة (قائدا الجيش) قصد ادراك هذه البغية حين علما انه لم يخرج مقاتلا . وبينما كان محمد يفكر كانت فرسان مكة تبدو على مرمى النظر ، يحل مرآها على أنه لا **سبيل للمسلمين** الى ادراك غايتهم الا ان يقتحموا الصفوف اقتحاما وان تدور معركة **تقف منها قريش مدافعة عن كرامتها وعن شرفها .. معركة لم يردها محمد ، وانما حملته قريش عليها حملا والزمته خوض غمارها الزاما .. ان المسلمين ممن معه لا تنقصهم الحمية** . وقد يكفيهم بسيوفهم اذا جردت من غمودها لدفع عدوان المعتدي ، لكنه يفوت بذلك قصده . **وقد يجعل لقريش عند العرب حجة عليه . وهو أبعد من هذا نظرا وأكثر حنكة وادق سياسة .. اذا..** نادى في الناس قائلا : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ وكذلك ظل مستقرا على رأيه على سلوك سياسة السلم التي رسم منذ خرج من المدينة ومنذ التزم الذهاب الى مكة . وخرج رجل يسلك بهم طريقا وعرا بين شعاب مضنية ، وجد المسلمون في سلوكها مشقة أي مشقة حتى افضت بهم الى الحديبية من اسفل مكة ، بركت ناقة النبي » .

وتوقفت المسيرة ..

« نزلوا ولكن قريشا بمكة ليهم بالمرصاد . وهي تؤثر الموت على ان يدخلها محمد عليهم عنوة .. وقف المعسكران يفكر كل في الخطة التي يتبعها . **اما محمد فظل على خطته التي رسم منذ اعد للعمرة عدتها . خطة السلم والجنوح عن القتال الا ان تهاجمه قريش او تغدر به وعندئذ لا يبقى من انتضاء السيف مفر** .. « لا تدعوني قريش الى خطة يسألونني **فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها** » . أما قريش فترددت ثم رأت أن توفد اليه من رجالها من يتعرف قوته من ناحية . ومن يصده عن دخول مكة من ناحية اخرى .

وامتنع كل الذين جاءوا بمشروعية تحرك المسلمين فعادوا بهذا الرأي الى مكه . وبدأ الخلاف في قريش فريق يطالب بالسماح له بدخول مكه وفريق يقول : والله لا يدخلها علينا عنوة ابدا . ولا تتحدث بذلك عنا العرب .. » بل بدأت عن قريش الاحابيش الذين كانت تعتمد عليهم في محاربة النبي ، لما رأوا من سلمية قدومه .. »

وآخر رسل قريش بهرته المسيرة المحمدية لا في عددها ولا في سلاحها بل في **طاعتهم وحبهم لرسول الله وتفانيهم في التعبير عن هذا الحب** وعاد يعبر عن ذلك بمعاصمه

« يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه . والنجاشي في ملكه . واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه . لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه . وانهم لن يسلموه لشيء ابدا فروا رايكم ».« وطالت المحادثات على النحو الذي قدمنا . ففكر محمد في أن رسل قريش ربما لم يكن لديهم من الاقدام ما يقنعون به قريشا بالرأي الذي يرى ((انعدام قيادة قادرة على البت)) فبعث من جانبه رسولا يبلغهم رايه . لكنهم عقروا جمل هذا الرسول وارادوا قتله . **وفيما هم يتبادلون الرسل يحاولون ان يصلوا الى اتفاق كان بعض السفهاء من قريش يخرجون ليلا يرمون عسكر النبي بالحجارة . فاخذوا اخذا وجيء بهم اليه .. أفتدرى ماذا صنع ؟ عفا عنهم وخلى سبيلهم تشبثا منه بخطة السلم، وبهتت قريش . وسقطت كل حجة لهم يريدون ان يزعموا بها ان محمدا يريد حربا ، وايقنوا أن كل اعتداء من جانبهم على محمد لن تنظر اليه العرب الا على انه غدر دنيء ، لمحمد الحق في ان يدفعه بكل ما اوتي من قوة ».**

ولعل هذا يفسر الاعلان المتكرر عن عدم الرغبة في محاربة الانسان . والامر بتحييتهم . واقتسام الطعام معهم ودعوتهم الى الخيام . الامر الذي صعب فهمه على البعض . من الذين حرموا من نعمتي العلم والايمان .. « ثم انه عليه السلام حاول ان يمتحن صبر قريش مرة اخرى بارسال رسول يفاوضهم ».

وهنا تصل المصادفة التاريخية الى واقعة مذهلة ، فالذي فاوض قريش هو صهر النبي .. سيدنا عثمان .. والذي فاوض الانسان هو صهر الملك السيد احمد عثمان او عصمان كما يكتبها الفارية !

وغاب سيدنا عثمان وكثرت التوقعات والتساؤلات .

« ولعل سادة قريش كانوا في هذه الاثناء **يبحثون مع عثمان عن صيغة توفق بين قسمهم الا يدخل محمد هذا العام مكة عنوة ، وبين حرص المسلمين على أن يطوفوا بالبيت العتيق ، ولعلهم قد انسوا الى عثمان وكانوا في هذه الاثناء يبحثون واياه عن تنظيم علاقاتهم بمحمد وتنظيم علاقات محمد بهم . »**

مهما يكن من الامر فقد قلق المسلمون بالحديبية على عثمان اشد القلق » .

وهنا تمت بيعة الرضوان :

« وقف تحت شجرة في هذا الوادي فبايعوه جميعا على ألا يفروا حتى الموت . بايعوه وكلهم ثابت الايمان قوى العزيمة ، ممتلىء حماسة للانتقام ممن غدر وقتل بايعوه بيعة الرضوان التي نزل فيها قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » (3)

« وتحدى للمسلمين جميعا أن الحرب آتية لا ريب فيها ، وحمل كل ينتظر يوم الظفر أو يوم الاستشهاد بنفس راضية وفؤاد مرتاح وقلب مطمئن » .

« وبقيت بيعة الرضوان كبيعة العقبة الكبرى ، علما في تاريخ المسلمين كان محمد يستريح الى ذكرها . **لما كشفت عنه من متانة الروابط بينه وبين اصحابه ، ولما دل عليه من مبلغ اقدامهم على خوض مخاطر الموت لا يخافون . ومن اقدم على مخاطر الموت خافه الموت وعنت له جبهة الحياة وكان من الفائزين . »**

«عاد عثمان فابلغ محمدا ما قالت قريش، فاذا هم بعدما حدث تركوه يدخل مكة تحدثت العرب بانهم انهزموا امامه فتضعضعت في نظر العرب مكانتهم ، وسقطت هيبتهم . لذلك هم يصرون على موقفهم منه هذا العام ابقاء على الهيبة واستبقاء لتلك المكانة » .

« فليفكر واياهم . وهذا موقفه وموقفهم ، لعلهم جميعا يجدون من هذا الموقف مخرجا . والا فليس الا الحرب يدخلونها طوعا او كرها بل انهم لها لكارهون » « واتصل الحديث وعادت المفاوضات بين الفريقين وجاء من قريش سهيل بن عمرو .. وقالوا له ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة ابدا » « وجرت محادثات طويلة للصلح وشروطه ، كانت تكاد تنقطع في بعض الاحيان . ثم يعيد اتصالها حرص الجانبين على النجاح . وكان المسلمون من حول النبي يسمعون أمر هذه المحادثات ويضيق بعضهم بأمرها

---

3) سورة الفتح آية 18 .

صبرا ، لتشدد سهيل في مسائل يتساهل النبي في قبولها . ولولا ثقة المسلمين المطلقة بينهم . ولولا ايمانهم به ، لما ارتضوا ما تم الاتفاق عليه .

ويقول هيكل في كتابه معلقا على الحيرة التي اصابت بعض المسلمين لما أمر النبي بالرجوع دون الوصول الى مكه « لم يبق للمسلمين الا ان يرجعوا الى المدينة في انتظار أن يعودوا الى مكة في العام المقبل . وقد كان اكثرهم يحتمل هذه الفكرة على مضض ولا يهونها على نفسه الا انها امر الرسول . فهم ليس لهم عادة بهزيمة ولا تسليم من قتال . وهم في ايمانهم بنصر الله رسوله ودينه لم يخالجهم ريبة في اقتحام مكة لو أن محمدا أمر باقتحامها . واقاموا بالحديبية أياما منهم من يتساءل في حكمة هذا العهد الذي عقد النبي ، ومنهم من تحدثه نفسه بالشك في حكمته ثم تحملوا وقفلوا راجعين وانهم لفي طريقهم بين مكة والمدينة اذ انزل الوحي على النبي بسورة الفتح . فتلا النبي على اصحابه قوله تعالى « **انا فتحنا لك فتحا مبينا ...**» الآيات.

لم يبق اذا ريب في ان عهد الحديبية فتح مبين ، وهو قد كان كذلك وقد اثبتت الايام أن هذا العهد حكمة سياسية وبعد نظر كان لها اكبر الاثر في مستقبل الاسلام وفي مستقبل العرب كله . فقد كانت هذه اول مرة اعترف قريش فيها بمحمد على انه ندها وعدلها فاعترفت بذلك بالدولة الاسلامية » .

ولكن اللحمة متصلة في تفكير الحسن ، وقد استطاع أن يوحد بين صلح الحديبية أو مسيرة الحمامة ، وبين عمرة القضاء التي تم بها دخول مكة سليما ثم فتح مكه وتوحيد جزيرة العرب ..

فلنقرأ ما كتبه هيكل وقراه الملك خلال فترة الراحة من جلسات مؤتمر القمة بالرباط ، ونحن نتابع خطوات المسيرة الخضراء ، وكيف كان الملك يهتدى بسيرة للرسول ، دون أن يغفل لحظة عن الظروف المعاصرة للمكان والزمان .. « نادى الرسول في الناس كي يتجهزوا للخروج الى عمرة القضاء بعد أن منعوا من قبل منها ، ومن المسير عليك ان تقدر كيف اقبل المسلمون يلبون هذا النداء ، ومنهم المهاجرون الذين تركوا مكة منذ سبع سنوات ، ومنهم الانصار ، وبهم الى زيارة البيت الحرام هوى . وتنفيذا لعهد الحديبية لم يحمل أحد من هؤلاء الرجال سلاحا الا سيفا في قراب لكن محمدا كان يخشى الغدر دائما . فجهز مائة فارس جعل على رأسهم محمد بن مسلمة وبعثهم طليعة له .. » « وسار المسلمون يحدوهم شغف أي شغف بالدخول الى ام القرى وان يرى البنعة التي ولد فيها ، والبيت الذي شب عن الطوق بين جدرانه ، والاصحاب الذين غادر ، وان يتنسم عرف هذا **الوطن المقدس** ، وان يلمس في **اجلال واعزاز ثرى القرية المباركة الميمونة** . »

ونستطيع ان نتصور هذا الجيش من المسلمين وعدتهم الفان يغذون سيرهم تطفر أمامهم قلوبهم وترقص جذلا افئدتهم ، فاذا اناخوا جعل كل منهم يقص على أصحابه آخر عهده بمكة وأيام طفولته بها ، أو يحدث عن أصدقائه بها ، نستطيع أن نتصور هذه المظاهر الفذة من نوعها ، يزجي سيرها الايمان **انك اذا لترى بعين بصيرتك اي طرب كان يستخف هؤلاء الذين حيل بينهم وبين هذا الفرض المقدس اذ يسيرون اليه ليدخلوا مكة آمنين ومحلقين ومقصرين لا يخافون .** »

« فلما انكشف البيت الحرام امامهم انفرجت شفاه المسلمين جميعا عن صوت واحد صادين : لبيك لبيك .. موجهين بالقلوب والارواح الى وجه الله ذى الجلال محيطين في هالة من رجاء واكبار بهذا الرسول الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . والحق انه كان مشهدا فذا من مشاهد التاريخ التي اهتزت لها ارجاؤه ، والتي جذبت الى الاسلام قلوب اشد المشركين صلابة في وثنيته وفي عناده . وعلى هذا المشهد الفذ كانت تقع عيون أهل مكة . وهذا الصوت المنبعث من القلوب بدوى لبيك لبيك ، كان يخترق آذانهم فيهز الظلوب هزا . »

ثم كيف امر الرسول المسلمين بالهرولة قائلا رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة .. وكانت قريش تحدث انهم في عسر وشدة وجهد فرأت ما يمحو من افئدتها كل وهم يرهن محمد واصحابه » .

اشاعات المرض والاوبئة والجوع والعاصفة الترابيه التي تبددت بدخول المتطوعين مهللين فرحين ، بل وقطعهم عشرين كيلومترا في ليلة واحدة ! ..

« واقام المسلمون بمكة الايام الثلاثة المفروضة في عهد الحديبية وقد انسحبت قريش الى رؤوس الجبال »

« فجلس المسلمون خلالها لا يصيبهم فيها اذى ولا يعترضهم أحد بسوء وكأنما هم جميعا من هذا البلد الامين . وقريش وسائر اهل مكة يطلون من منازلهم فوق السفوح على هذا المشهد الفذ في التاريخ ، ويرون رجالا هذه اخلاقهم .. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون أى أثر يترك هذا المنظر الذى سما بالانسان الى ما فوق اسمى مراتب الانسان من اليسير عليك أن تقدره حين تعلم أن محمدا عاد بعد ذلك بشهور ففتح مكة على رأس عشرة آلاف من المسلمين . »

ألا يجب الشكر على جيلنا للملك الحسن أن أتاح له فرصة رؤية صورة مقتبسة من ذلك المشهد الخالد ونفحة من عبق السيرة العطرة ؟ !

«وبلغ المسلمون المدينة : ومحمدا لا يشك في عظم ما تركت عمرة القضاء من اثر في نفوس قريش وفي نفوس أهل مكة جميعا ، ولا يشك فيما سينشأ عنها من آثار خطيرة ، « وأصبح فتح مكة ابوابها لمحمد امرا لا محل لريبة فيه . » « سواء أكانت المصادفة هي التي ساقت ذلك كله أم أن شيئا من الاتفاق قد وقع عليه، فالحالان تدلان على دقة محمد ومهارته في كسب أكبر موقعة في تاريخ الاسلام من غير حرب ومن غير اراقة دماء . »
« واذا كان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء،فان الله لا يؤتي النصر الا من أعد له عدته ، واحتاط لكل دقيقة وجليلة قد تقف في سبيله . »

ثم كان دخول مكة وقولة رسول الله : فاذهبوا فأنتم الطلقاء .

يعلق هيكل :

« ما اجمل العفو عند المقدرة ، ما اعظم هذه النفوس التي سمت كل السمو ، فارتفعت فوق الحقد وفوق الانتقام ، وانكرت كل عاطفة دنيا ، وبلغت من النبل فوق ما يبلغ الانسان ! هؤلاء قريش يعرف محمد منهم من ائتمروا به ليقتلوه ، ومن عذبوه واصحابه من قبل ذلك ، ومن قاتلوه في بدر وفي أحد ومن حصروه في غزوة الخندق ، ومن البوا عليه العرب جميعا ، ومن لو استطاعوا قتله وتمزيقه اربا اربا لما ونوا في ذلك لحظة! هؤلاء قريش في قبضة محمد وتحت قدميه ، المدججة بالسلاح ، تستطيع ان تبيد مكة واهلها في رجع البصر ! لكن محمدا لكن النبي ، لكن رسول الله ليس بالرجل الذى يعرف العداوة أو يريد لها أن تقوم بين الناس . وليس هو الجبار ولا بالمتكبر . لقد امكنه الله من عدوه ، فقدر فعفا . فضرب بذلك للعالم كله ولاجياله جميعا مثلا في البر والوفاء بالعهد وفي سمو النفس سموا لا يبلغه أحد . »

ونزلت الآية التى استهل بها أمير المؤمنين الحسن الثاني ، مسيرته : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ...

هذه هي الخلفية الفكرية التي وعاها أمير المؤمنين وهو يستوحي فكرة المسيرة ، ويخطط لها ، ثم وهو يصدر العفو عن الخاطئين وهو يفاوض الاسبان وهو يصدر قراره بسحب المسيرة ويخفف عن المؤمنين بقيادته وبحكمته الم هذا القرار بأن يبدأ بنفسه فيعود الى مراكش ..

فلنتابع الملحمة

قال الملك موجها خطابه الى : « رعايانا الاوفياء سكان اقليم الصحراء .

« أبيت اليوم الا أن اقتبس خطابي هذا الذى أوجهه مباشرة الى رعايانا ومواطنينا في الصحراء المغتصبة أبيت تفاؤلا وزيادة في الحجة ، الا أن أقتبس خطابي هذا من سورة الفتح .. »

2 ـ « انه يخاطب رعاياه ، كأمير للمؤمنين وكملك بيعته ما زالت في عنق سكان الاقليم .

وكمسير ومخطط للدبلوماسية والسياسة الخارجية المغربية .

وكجامع للشمل ورتق ما تفرق وللمصالحة بين جميع المواطنين . »

وعلى الاساس الاول .. الالتزام بالبيعة تلا قوله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » .

ثم يكشف أمير المؤمنين سر اختياره هذه البيعة بالذات بيعة الرضوان .. لان ذلك يعني أن البيعة « تقتضي التراضي .. فالروابط التي تربط بين الرعية والحاكم في الدولة الاسلامية :

« ليست تلك الاسس التي خلقها التاريخ صدفة ، بل هي قبل كل شيء ، ترابط وتعامل مبني على اعز ما هو في أنفسنا واقدس ما في أرواحنا وهو الايمان بالله وبرسوله والعمل بكتابه الحكيم » .

فهذا الترابط القائم على الاختيار الحر والارادة المشتركه .. والمستند الى العقيدة ، يقوم ويستمر « مهما حاول أن يشتت شملنا المستعمر »

« ثم يذكر جيل محمد الخامس ، وينبه الجيل الجديد الى الموقف الوطني الذي وقفه ابناء الصحراء عقب الاستقلال . عندما زغردت النساء وهتف الرجال هتافات الولاء وأطلق جيش التحرير بنادقه من أجل أن :

« يعم من الاستقلال ونعمة الكرامه وجمع الشمل ذلك الاقليم ما عم أخاه في الشمال »

هذه البيعة التي عبر الشعب الصحراوي عن تمسكه بها ، والتي عبر العرش العلوي عن التزامه بها « **هذه البيعة تلزمك وتلزمني وتضع على كاهلك وعلى كاهلي أعباء وواجبات شهدت بها محكمة العدل . »**

وهي بيعة لم تنفصم قط ، ولا سقطت من أي جانب لا من المبايعين ولا من المبايع

وما كان الاستعمار ليفهم بيعة الرضا والتراضي « **بل بقي شملنا مجتمعا ، وبقيت بيعتنا قائمة تلزمك وتلزمنا على السواء . »**

امير المؤمنين يعيش في عطر السيرة النبوية . فيتبع ذلك بقوله « وقال الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح : **« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون »**

ثم يحكي لهم قصة الحديبية . .

« كلكم يعلم بالحديبية وكلكم يعلم ما خططه النبي صلى الله عليه وسلم ، لمدة طويلة من أسابيع وشهور ، خطط ليدخل مكة فاتحا مسالما لا فاتحا محاربا ، وخطط لذلك ما خطط ورسم من الطرق ما رسم وجلب حوله اكثر ما يمكن من عطف ، واكثر ما يمكن من التحالف سواء مع القبائل أو مع العشائر ، وبعد ذلك وبعد سنه من كفاح سليم مرير ، من دبلوماسية نبوية عبقرية ، من جهد جهيد كلل الله مجهودات الجميع بان حقق الرؤيا وحقق الرؤيا والآمال ، والاماني ، وكتب لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة محلقا رأسه ومقصرا وغير خائف»

« وهذه هي مسيرتنا .. شعبي العزيز .. سنة كاملة ونحن نعمل ليل نهار حتى يمكننا أن نلتقي بك ـ شعبنا العزيز في الصحراء ، أن نلتقي بك في مسيرة غراء .. مسيرة مبنية على رؤى حققها الله تعالى ، ولندخلن صحراءنا ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين وغير خائفين . وسنلقاكم تنتظرون مستبشرين فرحين حتى نتعانق . »

ونلاحظ هنا أن الحسن قد جمع الواقعتين في خطوة واحدة .. الحديبية التي انتهت بدون دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، ثم عمرة القضاء التي تم فيها الدخول .. الذي اعقبه الفتح . .

كما أنه يشير هنا الى دخول الصحراء ويقول انها ستتم بناء على رؤية حققها الله ، وقد ذكرنا أنه لمح لذلك أو أنطقه الله بها في خطاب 20 اغسطس (عشت) قبل شهرين ، ولا احد يعرف طبعا اذا كان الملك قد رأى من آيات الله ما لا يذكره .. او أن الحجب قد كشفت لحظة كما صاح عمر : يا سارية الجبل .. أو هو استقراء المستقبل بفهم الواقع .. لست أدري ولا جدوى من الجدل حول هذا الامر ، ولا فائدة في استقصائه ، فامير المؤمنين لن يقول شيئا .. فظن خيرا ولا تسأل عن السبب .

على اية حال ان الايمان هو المعجزة .. ولسنا مطالبين باكثر من الايمان ..

بل يختصر امير المؤمنين الزمن ليصل الى فتح مكة ، وهو لا يزال يقتبس من سورة الفتح ، عن الخصائص الخلقية للمسلمين . الرحماء فيما بينهم . الاشداء على الكفار .. ليصل من ذلك الى أنه لا يكفي جمع الشمل بتوحيد الصحراء ، بل لا بد من « **السماح والتسامح والتعاضد والتآلف والتآخي نظرا لكون الامة الاسلامية كانت على فتح جديد ، فتح صفحات جديدة أخرى لبناء مجتمع آخر من نوع جديد في حياة العرب والمسلمين . »**

اى فتح كان يراه الحسن بعين المؤمن يوم الثالث والعشرين من اكتوبر والعالم الخارجي يبدو وكانه مجند ضـــده !! ..

واى فائد لا يستبشر بالفتح ، بعد الاسبوع الاول من المسيرة وقد لمس مدى حب وطاعة ، وصدق ايمان شعبه وتدفقه لتلبية أمره وتنفيذ خططه ... بل ان الايمان الحق بالفتح والنصر هو الذى يتجلى عندما يبدو للناس العاديين انهم يمرون بأحرج لحظة ، وان الدنيا قد ضاقت عليهم الخناق .. الم يكن رسول الله يعمل بيديه في حفر الخندق ، والمسلمون محاصرون ، لا يجدون وسيلة لحماية المدينة من تحالف الاحزاب ، وتآمر كل قوى الشر في الجزيرة عليهم ، فلجأوا الى حفر خندق حول المدينة لمنعوا العدو من اقتحامها عليهم ... وهم يعملون في حفر الخندق يهلل رسول الله ويكبر ويعلن ان ابواب الغيب قد فتحت له وان الله بشره بملك كسرى والرجل منا لا يأمن على نفسه ان يذهب للغائط » !

وصدقت رؤيا رسول الله وتتابع الفتح .. وامن المسلمون ... الذين تخطوا بالايمان مصاعب الواقع ومشاكله .

امير المؤمنين يرى بعين الايمان ، المستقبل الزاهر أمام الشعب المغربي ، المجتمع الجديد والبناء الجديد الذى يجب ان يقوم على المحبة والتآلف والتسامح على

« أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، أخلاق أجدادى وأخلاق والدى رحمة الله عليه ، بل واجبي ان أجمع الشمل وان اصالح الجميع ، وان اصافح الجميع ، على ان أقول لكم ، وان اومن وأن اعتقد وان افعل ما سأقوه به من قسم .. »

وانه لقسم لو تعلمون عظيم قسم امير المؤمنين حفيد العلويين سبط رسول الله :

« انني باسمي واسم اخوانكم الذين هم في المسيرة اواعد الجميع واعاهدهم على التناسي وعلى الصفح وعلى طى تلك الصفحات التى لم تكونوا مسؤولين عنها تماما ، بل كانت حيل المستعمر وأطماع الطامعين . »

تم يعلن ان المسيرة سميت عملية « الفتح » تيمنا بسورة الفتح « وهي السورة التي رسمت مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفوزه في النجاح ونصالح المسلمين **واتحادهم على ان يتناسوا الماضي لان ما ينتظرهم في المستقبل هو اقدس واهم من كل شيء . ومن كل اعتبار . » (4)**

وبوجه الملك ضربة قاصمة للدعاية الاستعمارية التي حاولت ان تمزق الصحراء بين القبلية،لم بين ما تسميه قيادات الشيوخ وقيادات الشباب ، وترمي هؤلاء بالرجعية ، وهؤلاء بالتطرف ... **وتخويف الجميع من الفتح المغربي :**

الشيوخ من تعاونهم مع السلطة الاسبانية وتشكيلهم الجهاز الذي طالما ادعت اسبانيا انه يريد الانفصال .. واذا فلا مكان للشيوخ في الدولة الموحدة .. أو ان قبيلة معينة ستكون لها السيادة .. يحكم موقف بعض ابنائها . او ان قبيلة أخرى سينالها غضب لان بعض شيوخها أو بعض شبابها كانوا حربا على الوحدة وعلى المغرب ، وعارضوا امير المؤمنين

ولكن حفيد رسول الله يتحلى بخلقه فيعلن :

«شعبي العزيز في الصحراء انني اعلم وانت تعلم كذلك ، أن الاجانب والاعادى يرمونك بنوع من الميز الشبل ، ومن العنصرية القبلية . وهكذا يريدون أن يلعبوا بدين صفوفك ، وانا لا اومن بهذا ولا اجعل فرقا بين أى واحد ينتمي الى قبيلة من قبائل الصحراء . بل جميع الرعايا سواء أمام الحق وامام القانون . !!

« وللشباب » مستقبل آخر .. مستقبل زاهر ان هم ارادوا ان يعملوا لصالح أقليمهم »

وامام شيوخ الصحراء حقول واسعة حتى يمكنهم بآرائهم وبمعرفتهم بطقوس وأحوال السكان ، ان ينيروا لنا الطريق وان يقدموا لنا النصيحة . »

« باسمي وباسم المسيرة الخضراء التي لا أريد ان يدنسها شيء من الالتواء لا في الكلام ولا في التفكير اقول لك عفا الله عما سلف ، واننا لنعلم ان كل من ذهب نحو الاسبان او ذهب نحو ما يسمى نفسه يجبهة التحرير انما ذهب مغرورا ذهب ضحية حيل وشبكاته . فارجعوا الى رشدكم – أرشدكم الله ووفقكم ... »

لكن الحسن الثاني ما كان ليكتفي بالوقوف عند تلك اللحظة العابرة في تاريخ أمة عريقة ، وتاريخ أبناء الصحراء الامجاد ، واعني المؤامرات الاستعمارية التي سببت التغرير وأوحيت العفو .. انها مجرد لحظة عابرة تمحوها التوبة وتطويها المغفرة .. ويبقى التاريخ المجيد الذى يذكر به الملك رعاياه . »

---

4) ما زال الاعلام المتواضع الذكاء والمعرفة يسميها مسيرة فتح !!

« كونوا أبناء ذلك الفاتح الاكبر يوسف بن تاشفين الذى بجمعه الشمل ، وبايمانه بالله ، تمكن من أن يزيد في عمر الاسلام وحضارة الاسلام في القارة الاوروبية ما يزيد على ستة قرون ، فانتم ابناء أولئك الغاربة ، وأنتم ابناء اولئك الابطال ، وما كان للابناء أن يكذبوا ما عمل الآباء والاجداد . »

صدقت .. وهل من خيانة أبشع من عقوق الابناء للاباء في دينهم ووطنيتهم ..

وهل من بشرى تطمئن بها روح الشهيد الا استبشاره بمن تحرك من بعده من أبناء وحفدة يحمون العقيدة التي آمن بها ، والارض التي مات عليها ، والراية التي استشهد في سبيلها .

وفيت يا أمير المؤمنين لدينك وسيرة جدك رسول الله ، ومن حقك وواجبك أن تطالب رعاياك بأن يصدقوا ما عمل آباؤهم ، ولقد صدقك من اراد الله له الهداية ، اما الذين أغواهم الشيطان ، واصروا على الخيانة فاولئك من قال فيهم عز من قائل : **« ومن يريد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا . أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم »** صدق الله العظيم

كان لخطاب عفا الله عما سلف أبلغ الاثر في الصحراء فعندما جاء خطرى ولد الجماني رئيس الجماعة الصحراوية ، لمبايعة الملك أشار الى هذا الخطاب وهو يطلب العفو والسماح ، ومؤكدا ما كان قد وقع من خطا فهو تحت اكراه المستعمر ، وان عفو أمير المؤمنين قد فتح باب التوبه ، وباب الوحدة الوطنية وأتاح الفرصة لكل وطني أن يعود الى رشده ، وصرح للصحفيين ان خطاب العفو ، سمعه الصحراويون ، وفرحوا به ، وان كان لا يمكنهم التعبير عن رأيهم بسبب السلطة الاسبانية ولكنه على حد تعبيره « دخل قلوبهم » .. واستبشروا به وسيستقبلون المسيرة بالعناق .

وقال الطلبة الصحراويون الجامعيون الذين جاءوا من مدريد وجزر كناريا ان الخطاب « كان له اثر طيب وحاسم في الصحراء ، وأن الذين ارتكبوا اخطاء كثير منهم قد وجد فيه الامل ، وسيتراجعون عن موقفهم ، والجميع في أحر الشوق لاستقبال الملك »

وتدفق على أغادير ومراكش والرباط جموع المبايعين من الصحراء من الشيوخ والشبان .. بل ووقع كما سمعنا انشقاق داخل صفوف البوليزاريو وهجرتهم جماعة من الذين كانوا قد ذهبوا تحت خوف العقوبة مما ارتكبوه من اخطاء بينما انضم للبوليزاريو من حسبوا انفسهم من الاربعة الذين اهدر رسول الله دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة .. فوجدنا بعض المتعاونين بلا حياء مع اسبانيا ، ومن لا يمكن لاى نظام مهما كانت ناشيته ان يتهمهم بذرة من القدمية او اليسارية فضلا عن الماركسية ، رأينا هؤلاء يذهبون الى البوليزاريو فرارا من العقوبة التي لا يخامر نفوسهم الشك في استحقاقهم لها .. ولكن لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون ..

والله لو جاءوا حفيد رسول الله تائبين طائعين .. لوجدوه كما وجد العصاة جده صلوات الله عليه ، رءوفا ورحيما (5) .

---

(5) كان الملك قد خاطب هذا الفريق في 9 يوليو 1974 قائلا :

« أتوجه الى رعايانا في الصحراء وأقول اياكم ثم اياكم أن يصيبكم الغرور وتركبون خطة تندمون عليها في المستقبل نحن نعرف حيل الاستعمار وحاربناه من قبل ، ويوما جميع السادة الذين يكونون الجماعة ـ جماعة الصحراء ـ وينتمون الى أسر محترمة نحترمها ، ونحترمهم ، سينتبهون ويجدون أسماءهم أسماء معروفة بالعروبة والاسلام وبالغيرة الا أنها ستكون على وثائق لا في مستوى وطنية الصحراويين ولا مستوى اسلامهم وعروبتهم » .

وفي رسالة اوردها عبد الوهاب بن منصور في كتابه حفريات صحراوية مغربية كتب الملك الحسن الاول الى أحد عماله في الصحراء ردا على مزاعم الاسبان أن المغرب قد تنازل عن السيادة في عهد والده قال الحسن الاول : أما تسليم سيدنا رحمه الله المسلمين مطلقا ، أحرى من هم من رعيته فلا أصل له ولم يكن وحاشا وكلا ومعاذ الله ، يصدر منه ذلك .. وأنتم عندنا بالمنزلة التي كان فيها أسلافكم عند أسلافنا قدسهم الله لان داركم دار حرمة ومحبة ، خلفا عن سلف ، فلا نفوتكم بحول الله ، وحتى من حاد منكم عن تلك الجادة ورجع نقبله ولا نسلمه » .

فليس التمسك بالصحراء هو وحده المتوارث في العائلة العلوية ، بل وأيضا العفو عن التائبين .

في ذكرى عيد العرش العلوي

للأستاذ أحمد عبد الرحيم عبد البر

عرش ورجال :

1 ـ قرأت في كتاب « المعجزة المغربية » للأستاذ احمد عسة ـ صفحة 196 ـ نصوصا تاريخية ـ طويت لها ـ لانها تدل على عمل الرجال ، ذوى الراي السديد ، والبصيرة النيرة ، والعمل الايجابي الذي يدلنا على ان مع العرش العلوي رجالا « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » :

ـ في سنة 1932 م بدا عمل « كتلة العمل الوطني » ، واخذوا يمارسون علنا ـ نشاط الاحزاب السياسية ـ التي كانت محرمة أيام الحماية ، وساروا في عملهم بأساليب نافعة ، وفي شكل دروس دينية في المساجد ، واشتروا جريدة « عمل الشعب » وتولى تنظيمها استاذ متخصص في العلوم السياسية هو السيد محمد الحسن الوزاني ـ بارك الله في عمره ـ وكان اهم ما قامت به « كتلة العمل الوطني » الدعوة الى الاحتفال العام بعيد العرش العلوي كل عام ، ليكون عيدا وطنيا للمغرب ، يحتفلون به في ذكرى ميلاد سيدي جلالة الملك محمد الخامس ، الذي يوافق يوم 18 نوفمبر ، وليتمكن الشعب المغربي من اظهار مدى تعلقه بمليكه ، واكباره له ، والتفافه من حوله ، واستجاب الشعب المغربي استجابة حماسية هائلة ـ فكان أول احتفال عام ـ بمظهر رائع في سنة 1933 م ، وتبارت مدن المغرب وبوادره في اعلان البهجة بعيد العرش وصاحبه .

وارسل محمد الحسن الوزاني برقيه باسم لجنة عمل الشعب الى جلالة الملك مهنئا بالعيد . ومعلنا التفافه وأصحابه حول العرش وصاحبه . كما أرسل علماء جامعة القرويين بفاس ومختلف طوائف الشعب برقيات مماثلة الى صاحب السعيد .

عيد العرش العلوي المجيد :

ـ ومن هنا اتجهت الى تتبع الخلافة العلوية في مدة اربعة عشر قرنا من التاريخ الاسلامي لاثبت حب المسلمين للاشراف العلويين وتطلعهم الى الحكم العادل على ايديهم ، لانهم احفاد النبوة .

العرش العلوي الاصيل :

2 ـ روى البخاري ومسلم والامام احمد ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان .

ـ **البخاري** ـ كتاب المناقب ـ ج 4 ص 218

ـ **مسلم** ـ كتاب الامارة ـ ج 12 ص 200

= **مسند الامام احمد** ج 2 ص 29 / 128/93

ـ وفي رواية مسلم ـ و لامام احمد : « ما بقي من الناس اثنان »

ـ قال النووي في شرح مسلم : فالخلافة مختصة بقريش ، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة ، ومن خالف هذا الاجماع فهو محجوج بأجماع الصحابة ، وبالاحاديث الصحيحة . فاشتراط كونه قرشيا هو مذهب العلماء كافة . . وقد احتج به أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، على الانصار يوم السقيفة فلم يتركه أحد . وقد عدها العلماء من مسائل الاجماع . والانصار عرفوا هذا الحق للمهاجرين من قريش . فسلموا لهم الامر بالحسنى ،

واعترفوا لهم بالفضل ، احتفاظا بوحدة الكلمة بين المسلمين .

ولم ينقل عن احد من السلف الصالح فيها قول مغاير ، او فعل مخالف ، ولا اعتداد بقول **المعتزلة والخوارج** وأهل **الاهواء والبدع** : انه يجوز كون القليلة من غير قريش . فهؤلاء خرجوا على اجماع الصحابة ، فلا ينبغي ان تترك اجماع السلف لصالح الى قول **أفراد** .

= (لايزال هذا الامر في قريش) : خبر صادق من النبي المعصوم . وقد اثبتت الايام انه **علم من أعلام النبوة** ، واخبار بالغيب في المستقبل ، حققه الله ، وشهد به تاريخنا السياسي .

— **وفي اللغة** : تقول : زال الشيء — بمعنى فارق طريقته ، فهو في معنى النفي . اذ هو ضد الثبات . فاذا دخل على هذا الفعل (ما) النافية . في الماضي ، او (لا) النافية ، في المضارع . كان نفيا لاثبي : ونفي النفي اثبات . كما ان سلب السلب **ايجاب** .

— اذا كون الخلافة في قريش امر ثابت ، مستمر على مدى الايام ولو قل عدد قريش الى اثنين . سيختار السعداء من الناس واحدا منهما للخلافة : لاصلاح الدين والدنيا معا . للعدل التام والحرية الكاملة ، والمساواة في الحقوق والواجبات امام القانون ، ولرسم خطط المستقبل في التنمية ، وفتح ابواب العمل الجاد واعداد الاجيال القادمة .

3 — لم يكن العلويون طالبي حكم ، وانما طلبتهم احوال الناس وظروف الامة . وسعى اليهم الشعب حين احتاجوا الى حاكم عادل قوي امين .

فالامام علي بن ابي طالب لزم الجماعة في عهد ابي بكر وعمر وعثمان . رغم ما يعتقده من انه احق الناس بخلافة الرسول (ص) .

ثم جاء دوره فاختاره المسلمون ببيعة شرعية عامة ، وسلك بالمسلمين سبيل العدالة ، ولم يقصر عن سلفه الاكرمين الراشدين .

وان كثرت في عهده الفتن بين المسلمين فانما كان ذلك حين خرج شعبان الخاملة من جحره ، وعادت العصبية القبلية ، فقد سئل الامام علي عن ذلك : ما بال عهدك وعهد عمر بن الخطاب يختلفان ؟ فقال للسائل : كان عمر خليفة على مثلي ، وانا خليفة على امثالك .

ولما عرضوا عليه ولاية ابنه الامام الحسن من بعده قال : لا آمركم ولا انهاكم . فهذا دليل واضح على انه كان يريد الثبات على مبدأ الاختيار الحر ببيعة شرعية . ولما جاء جماعة الى الامام احمد بن حنبل ، وذكروا خلافة الراشدين واطالوا الكلام في خلافة الامام علي بن ابي طالب قال لهم : يا هؤلاء ، ان الخلافة لم تزين عليا ، بل علي زين الخلافة .

= من كتاب تاريخ الامام احمد صفحة 184 — للاستاذ عبد الحليم الجندي .

وكنت طالبا بكلية اصول الدين — بالازهر — ولما وصلنا الى شرح هذا الحديث تساءل بعض الطلبة عن مدى تحقيق هذا الخبر واقعيا .

وعن معنى كلمة (**لا يزال**) . فاجاب الشيخ وقال : الخبر صحيح صادق . والتحقيق العملي موجود بالمغرب لسعيد . وعمر التاريخ طويل طويل لا يقاس به عمر الفرد من الناس . ووجود الخلافة في قريش امر واقعي — يظهر ويختفي ثم يظهر — وفي بلاد المغرب علويون اشراف ، من خلاصة قريش ، من سلالة السيد الامام الحسن بن مولانا الامام علي بن ابي طالب . في ملك عادل ، وجهاد مستمر لاصلاح الدين والدنيا ، ولاسعاد الشعب المغربي ، ولمساعدة المسلمين جميعا .

من مدة تزيد على ثلاثة قرون ، في استمرار على الحق ، والتفاف مع العدالة ، ظاهرين منصورين ، لا يضرهم من خالفهم ، ولا يغلبهم من ناوأهم ، اشراف اطهار ، سمحاء اسخياء ، جمعوا بين العزة والتواضع ، والسيادة والرحمة ، كما هيأ الله لهم شعبا شجاعا أبيا — كريما وفيا ، سامعا مطيعا ، ينصرون الحق ، ويلبون النداء ، ويعتزون بملوكهم ويفتخرون بتاريخهم المجيد ، هيأهم الله في الجانب الايمن من الامة الاسلامية ، فكانوا مركز الثقل ، كأنه الوسط ، وكانوا غياث المستغيثين ، ونصراء المظلومين ، وامان الخائفين .

4 — انه عرش اصيل : في مبدئه وفي استمراره ، في منشئه ومسيرته مع الزمن ، في قواعده وفي تنفيذ احكام الدين ، وفي حسن التدبير

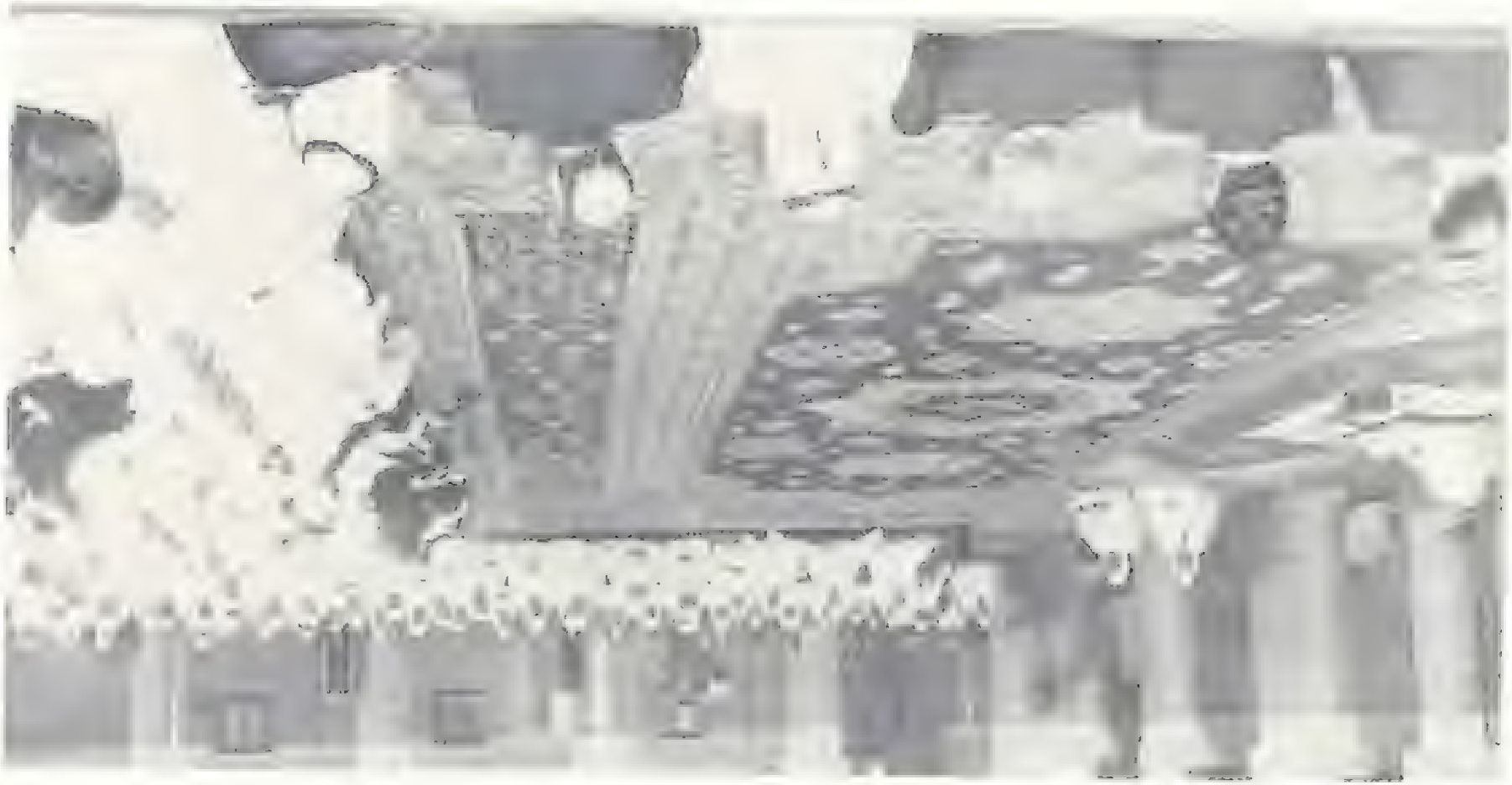

وناصح التفكير ، في سداد الراي وجميل الارشاد ، في حب متبادل .

وان خامس الخلفاء الراشدين هو الامام الحسن السبط بن الامام علي . وقد بايعته الامة ، والتف حوله المسلمون . واتحدوه بارواحهم ، الا شرذمة الماكرين اتباع معاوية بالشام . وكان الحق دائما في جانب آل البيت الاشراف . كما كانوا هم دائما في جانب الحق . ولكن مولانا الامام راى ان المسلمين سيقتتل بعضهم بعضا . وان الامر مضمونا له في النهاية . لانه على الحق . ولكنه مؤجل . واشفق على دماء المسلمين وابقى على وحدة الجماعة . وحقن دماء جنوده كما حقن دماء انصاره . وصالح معاوية على ان يكون الامر شورى بعد معاوية . يختار المسلمون من يرونه اهلا للخلافة . فكان الوفاء من جانب الامام الحسن . وكان الغدر من جانب معاوية عند البيعة لابد ان يغدر من بعده . والتقى هو اهل البيت الكرام . وتطلع على المسلمين في حرية الاختيار . وهم قد اختاروا الراشدين جميعا . وحرم ذلك على معاوية تماما . فحفها بالدهاء والمكر مروان بن الحكم الاموي طريد الرسول (ص) وتربع عليها اولاد الطلقاء حينا من الدهر .

وان كان الامويون والعباسيون من قريش الا ان النجوم تختلف ابتداء وسيرا معنى الخلافة الراشدة . واهملوا الشورى التي هي اساس الحكم الاسلامي الصحيح

ولايزال الناس يتطلعون الى الاشراف آل علي بن ابي طالب . واحفاد الرسول الاطهار . وباستمرار تهوى اليهم افئدة الناس .

وبذلك صدقت نبوءة الرسول — صلى الله عليه وسلم — واخباره بالغيب الذي اطلعه الله عليه بوحي من الله — كما في الحديث الصحيح : الذي رواه البخاري ، وابو داود والترمذي ، عن الامام الحسن بن علي ، عن ابي بكرة نفيع بن الحارث قال : رايت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على المنبر — والحسن بن علي الى جنبه . وهو يقبل على الناس مرة . وعليه اخرى ويقول : ان ابني هذا سيد . ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

— البخاري — كتاب الصلح — ج 3 ص 243

فكان ذلك علما من اعلام النبوة . وتحقيقا للاخبار الصادق . ورحمة للمسلمين . وجمعا للكلمة . حتى سمي عام 40 هجرية عام الجماعة .

5 — تركيا الامام الحسن السبط لله . فعوضه الله خيرا في ذريته الاطهار وظهرت الخلافة العادلة في احفاده الابرار — كما نشاهد ذلك في المغرب السعيد بحسن حظه . وسيشاهد من الله العلي القدير

روى الامام احمد بن حنبل — في مسنده — ج 5 ص 78 — 79 — عن ابي بكرة . وابي الدهماء اخبرهما رجل من اصحابه قال : اخذ بيدي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فجعل يعلمني مما علمه الله — تبارك وتعالى — وقال : انك لن تدع شيئا اتقاء الله — عز وجل — الا اعطاك الله خيرا منه .

له ذرية اهل [illegible] في الحجاز . وان اهل الرباط — فاس — حيث اقام [illegible] الذي مس في القصور . وفي جانب الاعداء الحاقدين ومعجزات لن ترتفع بسببه . وان قلعة [illegible] وارتفع على سطح الماء فان اللؤلؤ في قاع المحيط ، وسيأتي له يوم يبعث الغواص ويخرجه . والزمن جزء من العلاج . وانما الزبد فيذهب جفاء . واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، من سورة الرعد .

وسنرى العرش العلوي الذي امتاز بالعدل والرحمة يظهر مرجوع الرأس ، ثم يصبر اذا تحكم الباطل وتغلبت الاهواء ، ثم يظهر في المشرق ، وفي المغرب ، ثم ينتظر الظروف الموتية والاحوال العالمية ، ثم يظهر علانية ثابت الاركان عالي البنيان — في مركز الثقل — في البلد السعيد ، في المغرب الاقصى

6 — وبذلك صدقت نبوءة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وثبت علم من اعلام النبوة ، كما روى الامام مسلم — في صحيحه — عن سعد بن ابي وقاص — كتاب الايمان = ج 1 ص 65 — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق ، حتى تقوم الساعة .

— ولما كان شراح الحديث لم يدركوا تحقيق النبوءة في المغرب — في القرن الحادي عشر الهجري ، اختلفوا في تفسير كلمة الغرب .

حتى قال علي بن المديني : شيخ الامام البخاري : الغرب : الدلو الكبير — وهم العرب — لاختصاصهم بها — وقال آخرون : المراد به الغرب من الارض . وقال معاذ بن جبل : هم بالشام ، وقال القاضي عياض : الغرب الشدة والجلد . وغرب كل شيء حده . وقال في كتابه الشفا جـ 1 ص 655 — : وغير ابن المديني يذهب الى انهم اهل المغرب ؛ وقد ورد المغرب — كذا — في الحديث بمعناه .

— ومما يلفت النظر في الحديث انه جاء في روايات كثيرة بلفظ : لا تزال طائفة من امتي ، وبلفظ : لا تزال عصابة من امتي — بدون ذكر كلمة الغرب كما في البخاري — كتاب الاعتصام — وكتاب التوحيد

وكما في مسلم — كتاب الايمان — وكتاب الامارة — عن جابر بن عبد الله . وعن ثوبان — مولى الرسول (ص) . وعن المغيرة بن شعبة . وعن جابر بن سمرة . وعن عقبة بن عامر — فكلمة طائفة من امتي ؛ وكلمة عصابة من المسلمين تدل على انفراد جماعة مخصوصة بهذا الفضل . ولتتسابق الدول الاسلامية للفوز بهذا السباق الى الخير . ويكون منهم السابق . واللاحق ؛ والمشمر . والمجتهد . والمستعد . والغيور المنافس . وبذلك يتلاحق الركب . ويستمر النشاط في اجماع على العزة والسيادة وحماية الوطن الاسلامي ؛ ووحدة الهدف لنصرة الاسلام .

= وفي القرن الثاني من الهجرة : —

7 — أولا : موقف العلماء مع آل البيت الاطهار : —

نجد ابا بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز شيخ الامام مالك بن انس : يفضي بسره السياسي الى تلامذه — كما قال ابن جرير الطبري في كتابه : تاريخ الامم والملوك = جـ 9 ص 229 — عن الامام مالك بن انس قال : كنت اتى ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب وترخي الستر — ثم يذكر اول هذه الامة ، ثم يبكي حتى تخضل لحيته .

— وخرج ابن هرمز مع محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الامام علي ، ضد ابي جعفر المنصور العباسي بالمدينة . ولما قيل لابن هرمز : ما فيك شيء . قال : قد علمت . ولكن يراني جاهل فيقتدي بي . وبعد ما قتل الامام محمد النفس الزكية . اتي بابن هرمز الى عيسى بن موسى . قائد جيش المنصور . فقال له : يا شيخ . اما وزعك فقهك عن الخروج ؟ فقال : كانت فتنة شملت الناس فشملتنا ، فعفا عنه .

والامام مالك [illegible] بالمدينة — يحث الناس على الخروج مع محمد النفس الزكية . فقالوا له : ان في اعناقنا بيعة لابي جعفر المنصور . فقال لهم : انما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين . فاسرع الناس مع محمد النفس الزكية . ولزم مالك بيته .

سيدي محمد بن عبد الله بن الحسن وصفه الناس بالنفس الزكية . واحبه الناس جميعا حبا عظيما . لما فيه من الكمال وخصال الفضل . وكان يشبه النبي (ص) في الخلق والخلق . وكانت الدعوة باسمه اولا حتى بايعه المنصور مرتين بالخلافة : مرة بمكة . ومرة بالمدينة .

ولكن العباسيين استغلوا اسم الاشراف آل البيت [illegible] جعلوها لانفسهم . وحاربوا اولاد الامام علي بأكثر مما فعله الامويون من قبل .

وخرج اخوه ابراهيم بن عبد الله ؛ على ابي جعفر المنصور . بالبصرة . ومعه قراء البصرة وعلماؤها ؛ وايده في ذلك الامام ابو حنيفة بالكوفة . وشعبة بن الحجاج ، شيخ المحدثين .

فقال ابو حنيفة : ان الذي يقتل مع الامام ابراهيم بن عبد الله فكأنما قتل ببدر ، وقال شعبة بن الحجاج : والله لهي عندي بدر الصغرى

= من كتاب الامام مالك — للاستاذ امين الخولي صفحة 134 —

8 — ثانيا : موقف الخليفة المأمون العباسي مع الامام علي الرضا : الشريف العلوي :

تولى المأمون الخلافة سنة 198 هـ ، وفي سنة 201 هـ = 816 م . راى ان يجعل ولي عهده علويا ، هو الامام علي الرضا بن موسى الكاظم . بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن مولانا

لامام الحسين بن الامام علي . وقد ولد الامام علي الرضا سنة 150 هـ ، وكان على جانب عظيم من العلم والورع ، فصاهره المأمون : فتزوج محمد بن المأمون — ام الفضل ابنة الامام علي الرضا ، وضرب المأمون الدنانير والدراهم باسم الامام علي الرضا . وفي مدينة (مرو) جمع المأمون خواص اوليائه فأخبرهم انه نظر في ولد العباس ، وولد علي بن أبي طالب ، فلم يجد — في وقته — احداً افضل ولا احق بالامر من علي الرضا . فبايع له بولاية العهد من بعده . وعش اسمه على الدنانير والدراهم ، وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام ، وهو شعار العباسيين ، ووضع بدله الخضرة ، وهي شعار العلويين ، ليجعل الامر شورى بين المسلمين ، فلا يستأثر العباسيون بالامر وحدهم ، ثم قال : وانما فعلت ما فعلت : لان ابا بكر وعمر وعثمان لم يولوا احداً من بني هاشم شيئاً ، فلما صارت الخلافة الى علي بن ابي طالب ولى بني العباس : فكان عبد الله بن عباس واليا على البصرة ، وعبيد الله بن عباس واليا على اليمن ، ومعبد بن عباس واليا على مكة ، وقثم بن عباس واليا على البحرين ، وما ترك احداً منهم الا ولاه شيئاً ، فكانت هذه في اعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت .

وقد ثار اهل بغداد لما بلغهم ما بعثه المأمون من بيعته للامام علي الرضا . وثار العباسيون لانهم رأوا الامر يخرج من بيت العباس الى بيت علي بن ابي طالب ، فاجتمعوا على خلع المأمون وتوليه ابراهيم بن المهدي الخلافة . فوقع المأمون في حرج شديد ، ومكث بعيداً عن بغداد ، حتى مات الامام علي الرضا سنة 203 هـ = 818 م ، فجأة ، مسموماً . فدخل المأمون بغداد ، واختفى ابراهيم بن المهدي ، حتى عفا عنه المأمون . = من كتاب (المجددون) للاستاذ عبد المتعال الصعيدي — صفحة 64 — .

9 — ثالثا : وبعد المأمون العباسي : ستبقى مسألة الخلافة العلوية مشغلة التاريخ الاسلامي ولها ارهاصات في ضمير الامة ، وتهوي اليها افئدة المجتمع الاسلامي ، لتصير حقائق هنا وهناك ، فتقوم عليها دول كثيرة كالادارسة ، والفاطمية ، وتتشيع لها دول اخرى : كبني بويه بالعراق ، في القرن الرابع الهجري من سنة 320 هـ حتى استولوا على بغداد ، وارادوا ازالة الدولة العباسية ، واقامة خلافة علوية مقامها .

والحمدنيون في الموصل وحلب من سنة 317 هـ = 929 م .

وفي القرن الخامس الهجري كان خوارزم شاه شيعيا متطرفا ، من سنة 490 هـ = 1096 م

— اما الزيدية باليمن فهي علوية

واما الفاطمية : من سنة 296 هـ بالمغرب ، وسنة 358 هـ بمصر — فهم علويون فاستمرت من سنة 297 هـ الى 567 هـ — ع90 — الى 1171 م

ويرى ابن خلدون نسبة نسبهم الى مولانا الامام الحسين بن علي بن ابي طالب ، ولكن تعصب العباسيين شدهم دفعهم الى انكار هذه النسبة .

واما الادارسة : ففي سنة 169 هـ = 786 م فر ادريس بن عبد الله الكامل شقيق محمد النفس الزكية وابراهيم ، بعد مذبحة فخ — بين مكة والمدينة ، التي كانت في ايام الهادي العباسي ، فوصل الى المغرب ، ثم اسس لها من اغسطس سنة 788 م — اول ربيع الاول سنة 172 هـ — واسس الدولة الادريسية العلوية ، وساعده اهل المغرب احباب آل البيت الاطهار ، حتى جمع الكلمة ، ووحد الامة ، ونشر الاسلام على اساس الكتاب والسنة ، واتسعت الفتوحات شرقا وجنوبا .

10 — الدولة العلوية بالمغرب :

انتهت الدولة الفاطمية في اواخر القرن السادس الهجري ، كما عرفت . وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري بدأت تباشير الدور العلوي : في سنة 664 هـ = 1266 م تحرك الركب المؤيد بعناية الله .

وجاء مولاي الحسن بن قاسم من الحجاز الى المغرب ، بدعوة من الحجاج المغاربة ليتبركوا بحفد النبوة ، وسليل العترة الطاهرة ، ليعلمهم دينهم على اساس صحيح من الكتاب والسنة ، وتحرك الركب تحفه رعاية الله ، وتنتظره السعادة ، وقد انصت التاريخ ليسجل ما ستظهره الايام على يد هذا الشريف واحفاده . وقد هدأت ارواح الشهداء

من آل البيت في دورها لأن الله سيتصف الاشراف وبموضهم خيرا في ذريتهم واحفادهم ... وسيكون ما جاهدوا من أجله حقيقة ثابتة : عدل وانصاف ، رحمة واحسان ملك عادل ، وحكم بالحق ، بين ودنيا ، عزة وسيادة ، وخير شمل جميع المسلمين

استقر الشريف العلوي بالمغرب ، وبارك الله في الذرية ، وزادوا عددا وفضلا وصلاحا وورعا، وحسن رأي ، ونفاذ كلمة ، ونور بصيرة ، وتمسكا بالدين ، وفهما راقيا في حل المشكلات بالحسنى ، لمدة 381 سنة قمرية تساوي 374 سنه شمسيه ، من سنة 664 هـ ، الى سنة 1045 هـ اي من سنة 1266 م — الى سنة 1640 م ، لا يطلبون حكما ، ولا يتشهون رياسة ، بل يعملون في الزراعة والتجارة ، ويشاركون في الجهاد لتحرير الوطن ، حتى طلبتهم ظروف العدالة والحرية ، ووحدة الكلمة وحماية الشواطىء .

وعز عليهم أن يروا المغرب مقسما الى عصابات يحارب بعضها بعضا ، في الوقت الذي احتلت فيه الدول الاوربية شواطىء المغرب .

فبايع اهل سجلماسة مولاي محمد بن مولاي الشريف بن علي . في سنة 1050 هـ = 1640 م ، وبدأ في توحيد البلاد ، وحماية الحدود ، واستمر المجد المتواصل ، والجهاد لوحدة البلاد ، على ايدي الابطال الشجعان من آل البيت الكرام الاماجد ، وقابلتهم صعاب ، واعترضتهم عقبات . فتغلبوا على الصعاب ، وتخطوا العقبات ، بمهارة فائقة . . والعظائم كفؤها العظماء ، وصاروا من مصر الى مصر ، ومكن الله لهم في الارض ، بعد هذا الامتحان وكانت لهم العاقبة الحميدة ، والسيرة العطرة ، والتاريخ الناصع والعرش الثابت : لحسن التدبير وكمال التسيير والتنظيم .

تكن للعرش عبد سعيد ، وذكريات عاطرة ؛ يشكرون الله على نعمائه ويعترفون بالفضل لاهل الفضل ، ويعلنون الولاء والسمع والطاعة .

ويعبرون عن سرور قلوبهم بمظاهر الفرح والابتهاج : شكلا وموضوعا ، ظاهرا وباطنا ، سرا وعلانية .

وتزيد المقادير اسبابا للسرور : فيتم الله النعمة ، وتعود الارض المغتصبة الى الوطن الاب ، ويشهد العالم كله بحسن السياسة وكمال التدبير ، في العصر الزاهر ، في الايام السعيدة .. في العهد المبارك في عهد مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ، ادام الله نصره ، وزاده الله توفيقا لكل خير ، وأثر الله عيته بولي عهده سيدي محمد صاحب السمو الملكي ، الامير المحبوب ، وبارك الله في سيدي الامير مولاي الرشيد ، وحفظ الله الاسرة المالكة ، وصان الله شعب المغرب الاوفياء ، الاقوياء ، الابناء ، وأدام الله للمملكة المغربية العزة والسيادة والوحدة والسباق الى الخيرات ، آمين .

المغرب
في عهد المولى عبد العزيز رحمه الله

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

الظروف التي تقلد فيها المولى عبد العزيز حكم المغرب جعلته لا يمارس عمله المباشر نظرا لصغر سنه والذي تولى ذلك من الناحية العملية هو حاجبه (باحمد) فقد مارس الحكم باسم السلطان وعمل بشدة على تسيير امور البلاد ووضع القوانين الداخلية لها وحاول ما امكنه ان يحافظ على التوازن المالي ليلا يضطر المغرب الى القروض الاجنبية .

ولكن بعد موت هذا الحاجب اصبح المولى عبد العزيز مسؤولا بنفسه عن العرش وعن كل ما يحيط به من مشاكل ووجد نفسه يواجه المغرب بكل تطلعاته التقدمية وبكل الدسائس الاجنبية التي تهدف الى احتلال المغرب والى خلق الفتن الداخلية به لتفسد على السلطان حكمه وعلى البلاد استقرارها .

ان المغرب في هذه الحقبة كان يعيش تحت ضغط خارجي تتزعمه كل من فرنسا واسبانيا وكانت مصالح هاتين الدولتين تقتضي التفكير في خلق المشروعية لتدخلاتهما وفي تبرير ذلك وتفسيره ، لهذا نجد التاريخ يتحدث عن تلك المعاهدات السرية والعلنية التي كانت بين هاتين الدولتين وبين دول اوربية اخرى على هذه البلاد باسم الاصلاح وحماية الرعايا الاجانب . (2)

ومن بين هذه المعاهدات الاتفاقية التي وقعت بين فرنسا وانجلترا سنة 1904 وبموجبها تلتزم انجلترا بالسماح لفرنسا بالتدخل في الشؤون المغربية على ان تمنح جزءا من المغرب لاسبانيا وعلى ان تلتزم بالصمت ازاء اعمال انجلترا بمصر .

وربما تكون هذه الدسائس ادت الى خلق نوع من التعاون المباشر بين الدول الاجنبية المعنية بالامر وبين بعض الفتن الداخلية التي كان يتزعمها في شرق البلاد الجلالي الزرهوني المدعو بابي حمارة ، ذلك الثائر الذي ارهق الخزينة المغربية آنذاك واضعفها .

ومن المعلوم ان وضعا كهذا تحاك فيه الدسائس الدولية وتثار فيه الفتن الداخلية سيكون مدعاة الى احياء الروح الثورية في المواطن المغربي والى بعث الدعوات الاصلاحية التي كانت لها جذور في عهد مولاي الحسن الاول والتي امتدت الى عهد المولى عبد العزيز رحمه الله .

ان المغرب حينئذ كان يمتاز بروح وثابة الى المعالي هادفة الى الاصلاحات العامة متطلعة الى الاستمداد من عناصر التحرر راغبة في اثبات الذات وفي العمل على التخلص من انواع الطمع الاستعماري توجد فيه طائفة ترغب في الاغتراف من علوم الغرب وفي الاستفادة من انظمته كما توجد فيه هيآت تتخوف من الانقياد المطلق الى مظاهر التطور وتسعى في الاصلاحات التي لا تتنافى مع اصول الدين وتعاليم الاسلام .

---

1) ولد عام 1298 هـ وبويع بعد وفاة والده في 3 ذي الحجة عام 1311 هـ موافق 6 يونيه سنة 1894 م وتنازل عن الملك عام 1326 هـ موافق 1908 م .

2) لقد سبق لي الحديث عن جزء من ذلك في مقال نشرته بمجلة دعوة الحق تحت عنوان : التمهيدات السافرة لمعاهدة الحماية وأثرها على الوضع المغربي بالعدد الثامن من السنة الخامسة عشرة (مارس 1973 .

ومن الطبيعي أن ملك البلاد كان يحاول أن يوفق بين هذه الاتجاهات وأن يسعى الى العمل على انتقاء الاختيارات الصالحة الهادفة الى تقدم البلاد وازدهارها .

فالمولى عبد العزيز — اذن — رغم حداثة سنه وعنفوان شبابه — وجد نفسه أمام ثلاث واجهات :

الواجهة الاولى تتعلق بالدسائس الخارجية ،

الواجهة الثانية تتعلق بالفتن الداخلية .

الواجهة الثالثة تتعلق باختيار الطريقة الاصلاحية

ولا شك أن موقفه من هاته الواجهات سيكون صعبا جدا لانها مختلفة الابعاد متباينة الجوانب تحتاج الى اطر عسكرية وعلمية وفكرية وتحتاج الى وحدة وطنية والى قوة من حديد تساعده على تطبيق الاصلاحات التي سيختارها دون غيرها ورحم الله الشاعر الذي يقول :

فلو كان رمحا واحدا لا تعبه

ولكنه رمح وثان وثالث

اما الواجهة الاولى فقد ظهرت حينما اعلنت اسبانيا أنها تسمح لفرنسا بحق السهر على استتباب الامن بالمغرب وعلى انها تبيح لها الاسهام في اصلاحاته الادارية والاقتصادية والمالية فثارت ثائرة السلطان المولى عبد العزيز وثائرة شعبه ووجد مساندة من المانيا وادى الموقف الى المطالبة بعقد مؤتمر دولي تشارك فيه الدول التي وقعت ايام مولاي الحسن الاول على معاهدة مدريد وبالفعل اقيم هذا المؤتمر بالجزيرة الخضراء سنة 1906 وصادق فيه المؤتمرون على السيادة المغربية ولكنهم منحوا لفرنسا واسبانيا بعض الامتيازات المتعلقة بالامن كما اتفقوا على أن تكون اسهام فرنسا في البنك الدولي الذي سيقام في المغرب من طرف الدول الموقعة على المعاهدة ثلث رأس المال .

واذا كان المغاربة قد استبشروا خيرا بانتزاع القرار الدولي الذي يضمن السيادة المغربية فانهم قد غضبوا بسبب تلك الامتيازات التي خولت لبعض الدول الاوربية واحتدم غضبهم حينما رأوا أن فرنسا اصبحت بالفعل تحتل بعض المدن في المغرب ولا يجد المولى عبد العزيز قدرة على مواجهتها ولهذا نجحت المعارضة في انحائه عن العرش وفي اعلان البيعة لاخيه المولى عبد الحفيظ الذي تعهد هو بدوره على احباط مسعى الفرنسيين وعلى الجهاد من أجل المحافظة على استقلال البلاد وعلى التنكر لبعض المقررات التي وافق عليها المجتمعون في مؤتمر الجزيرة لانها تتنافى مع المصلحة الوطنية وعلى اشراك الشعب في المفاوضات التي تقام بينه وبين الدول الاخرى .

وكان الموقف الشعبي منسجما مع آمال مولاي عبد الحفيظ ومنبعثا من روح وطنية واعية (3) لكن الظروف القاسية التي توالت على المغرب آنذاك من قبل السلطات الفرنسية ومن قبل قواتها العسكرية قد حالت بين المغرب وتحقيق رغباته سواء في عهد المولى عبد العزيز أو في عهد اخيه المولى عبد الحفيظ .

أما الواجهة الثانية فقد استنزفت اموال الدولة ووجد المولى عبد العزيز نفسه مضطرا الى محاربة هؤلاء الذين يخلقون الفتن في بلاد المغرب ويثيرون المشاكل في مختلف أجزائه ولكنه من جراء النفقات المتوالية على تهدئة الفتن اضطر الى الاقتراض الاجنبي فأدى ذلك الى خلل في التوازن المالي كان سببا من أسباب الضغط الاوربي الذي استغلته فرنسا في تبرير تدخلاتها في الشؤون المغربية .

وحاول المولى عبد العزيز بكل قواه أن يقضي على هذه الفتن ولكنه لم يستطع نظرا لكثافتها وتعدد مواقعها ولانها تستمد في بعض أجزاء المغرب مساندتها من فرنسا التي اصبحت هي نفسها تسد الضربات الى بلادنا وتحاول ان تحتل بالفعل بعض الاراضي المغربية .

اعظم هذه الفتن كان يتزعمها في شرق البلاد الجلالي الزرهوني المدعو بأبي حمارة ، وقد ادعى انه اخ للمولى عبد العزيز وأنه أحق بالملك من أخيه وتسربت الدعاية الى كثير من اجزاء الوطن وظن بعض الناس ان قوله حق فآزروه وشجعت الدولة الفرنسية هذا التمرد نظرا لانه يحقق ما تهدف اليه من اضعاف الدولة المغربية املا في ان يضطر المغرب اليها والى أن يطلب مساعدتها في اقرار الامن والى أن يرضخ لتطلعاتها الاستعمارية .

3) اقرأ في موضوع الروح الوطنية في هذه الحقبة بحثا بعنوان : أصول حركة فتيان المغرب للاستاذ جاك قاين ترجمة سعيد النجار بنشرة جمعية تاريخ المغرب العدد الثاني 1969

وكانت فتنة أخرى بشمال المغرب تزعمها القائد الريسوني الذي استطاع اخيرا ان يصبح احد الموظفين التابعين للمولى عبد العزيز .

وفي الصحراء المغربية حاولت فرنسا ان تحتل بعض اجزائها وثار في وجهها الزعيم الشهير ماء العينين (4) ووجدت هذه الثورة مساندة من المولى عبد العزيز لانها تتجاوب مع مطامح الشعب ومع رغبات المغاربة آنذاك ولكنه رغم مواقفه الايجابية في محاولة احباط مساعي الفتن وفي مساندة دواعي الثورة الحقيقية لم يستطع البلوغ الى اهداف ايجابية في ايقاف الزحف الفرنسي او في ايقاف الثورات الداخلية لان المشكل كان اعظم من المواجهة واقوى من الامكانات .

ولم يكتف هؤلاء الذين كانوا يحاربون المولى عبد العزيز باثارة الفتن ونشر الفوضى ، بل استغلوا نوعا من الدعاية التي نقل من هيبته وتثير الراي العام ضده .

والغالب ان الدعاية وشيطانها صورت المولى عبد العزيز في هذه الصورة العبثية المخالي فيها وليس بدعا من القول ان تكون الدعاية ذات دور خطير في هدم كيان كثير من الناس في الحياة خصوصا اذا لم يواتهم الحظ في النجاح .

ان هؤلاء الذين رددوا هاته الاقوال نسوا ما للمولى عبد العزيز من مواقف اصلاحية هادفة الى رفع مستوى البلاد ونشر تعاليم الاسلام .

اليس هو الذي استنكر في بعض ظهائره انحراف الناس عن طريق الصواب وانغماسهم في الملذات .

اليس هو الذي اصدر امره بكف المشتغلين بالمناكر وزجر المنهمكين فيها والذي حض حملة العلم على اداء امانته والقيام بما فرضه الله عليهم من نشره واقامته وحمل المتعاطين له على طلبه قراءة وتعلما .

اليس هو الذي الزم الموظفين باحترام واجباتهم وبتقدير مسؤولياتهم ويكفينا ما يردده في بعض الوثائق من ذكره احاديث الرسول واستدلاله بها في نطاق المسؤولية فقد جاء في بعض الظهائر التي اصدرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ، ثم لا يغيرون ، الا يوشك ان يعمهم الله بالعقاب » .

وعلى كل حال فاننا لا نستبعد ان تكون المعارضة هي التي استطاعت ان تهمل هذه الجوانب من حسنات المولى عبد العزيز وتذيع الجوانب الاخرى في هول وصخب .

وهنا يمكننا ان ننتقل الى الواجهة الثالثة المتعلقة باختيار الطريق الاصلاحية التي آثرها واهمها ما يتصل بالاصلاح المالي وتنظيم الجبايات وتظهر في ظهير شريف نشره المولى عبد العزيز في 15 ربيع الثاني عام 1320 هـ يأمر فيه باتباع طريقة جديدة في ضبط الاموال وفي استلام الزكوات ويحاول ربط الطريقة المقترحة بأصول الدين ويبين كيفية تطبيقها بصورة عادلة .

ويشتمل هذا الظهير على ما يأتي :

اولا — الاعلان عن اصدار ضريبة سنوية تتعلق بكراع البهائم والانعام والمواشي وعلى مزارع الحرث وعلى الاشجار .

ثانيا — تعميم هذه الضريبة بين المواطنين لا يفرق في ادائها بين الضعيف والقوي ولا بين الموظفين وغيرهم .

ثالثا — اصدار اوامر باحصاء عام للذكور بأسمائهم وانسابهم وقبائلهم .

رابعا — تعيين امناء وعدول يكلفون بهذا الاحصاء .

خامسا — اشعار المواطنين بشن عقوبة ضد كل من يخفي شيئا من متاعه ولا يعترف به امام لجنة الاحصاء والتنبيد .

سادسا — سن مرتبات للقائمين بالوظائف واعفاء المواطنين من تحمل ذلك وجاء في هذا البند قوله : « واما العامل فلم يبق له سبيل على فرض

4) من المشاكل التي عذرعت فرنسا بها في احتلال بعض المدن المغربية استقبال المولى عبد العزيز لزعيم ثورة الجنوب ماء العينين . انظر كتاب المعجزة المغربية لاحد عتبة صفحة 149 صفحة 149 .

شيء عليكم ولو ملامة ظفر لاننا عينا له ما يقبضه راتبا من بيت المال عمره الله على ان لا يعود لمد اليد في متاع احد من القبيلة أو يتطاول لاخذ شيء بطمع أو حيلة وانما حسبه رد المال وتامين الطرق واجراء الاحكام وشد العضد على الصلاح والطاعة وحفظ النظام واجلاس كل طائش عند حده وحمل كل واحد على اتباع معاشه ورشده .

وبالقاء نظرة على هذا الظهير (5) الذي يعتبر وثيقة تاريخية يعتمد عليها في دراسة المخطط الاصلاحي المغربي الذي اعده المولى عبد العزيز نجد انه مخطط دقيق يستمد عناصره من ضرورة الاصلاح الوطني ويستفيد من التقدم الحضاري ويعنى بالمقومات السياسية السديدة التي تعتمد على عنصر الاحصاءات ويحدد مسؤولية الموظفه ويحمي المواطنين من تعسفاته ولكنه في الوقت ذاته يبين لهم واجباتهم التي هي الالتزام بما جاء في هذه الوثيقة والعمل على كسب العيش مع الرجوع الى الرشاد والابتعاد عن الغي والطيش والعصيان والفساد .

وكم كنت معجبا بهذه الوثيقة حينما رايت انها لم تكتف باصدار الاوامر المجردة الداخلة في القسر او القهر بل لاحظت ان المولى عبد العزيز حاول أن يربط بين مضمونها وبين الجانب الديني الدافع اليها ورأى أن الالتزام بهذه القوانين الاصلاحية لا يتنافى مع روح الكتاب والسنة ولا مع اجتهادات أصول المذهب المالكي المتبع في البلاد المغربية ودل بعمله هذا على مدى الوعي الذي كان يتصف به بعض الفقهاء في المغرب وعلى القدرة العقلية التي كانوا يواجهون بها قضايا العصر ويظهر ذلك في قوله بعد اعلان مشروعية الضريبة الجديدة :

« وذلك منا ارتكاب لما له اصل في الشرع من نوع السياسة العادلة التي تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيرا من المظالم وتكشف الضرر عن الرعية ويتوصل بها الى المقاصد الشرعية لان المفاسد اذا امكن رفعها بالاخف لا يعدل عنه الى الاعلى ولبناء مذهبنا المالكي على اتباع المصلحة العامة حتى قال الائمة رضى الله عنهم ينبغي أن يراعى فيها اختلاف الاحوال والاعصار وانها من القوانين السياسية التي شهدت لها قواعد الشرع بالاعتبار وانها جارية على مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار ويشهد لذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من مصالحة اهل سبا بتوظيفه عليهم سبعين حلسة من القطن سنوية وثبت عن معاذ رضى الله عنه نحو ذلك على اهل اليمن عوضا عن زكاة الحبوب لاقتضاء الحال والمصلحة لذلك على الوجه المطلوب مع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من ان في المال لحقا سوى الزكاة وقوله ان الله فرض على اغنياء المسلمين في اموالهم بقدر ما يسع فقراءهم » .

وفي هذا النص المأخوذ من الظهير المذكور دلالة على وعي المشروع المغربي وعلى مدى تجاوب الاصلاح في نص القانون المكتوب مع الروح العلمية السائدة في بلادنا ومع الروح الدينية المتفتحة المرنة البعيدة عن الجمود والتقليد .

فهذه القدرة التعليلية التي برر بها المولى عبد العزيز قراره هذا تدل على انه كان بجانبه جماعة من العلماء الواعين الذين يملكون درايه كبرى بالقانون وكفاية عظمى في الاطلاع الفقهي وفي المضمون الشرعي .

والاطناب في التعليل كان يقتضيه المقام لئلا يقال عن المشرع المغربي آنذاك بأنه كان يستجيب لنظريات اصلاحية مادية محضة لا ارتباط لها بأصول التشريع وليظهر للمواطنين جميعا ما لهم وما عليهم وفقا للشريعة الاسلامية وللاحكام الفقهية ولهذا ترى المولى عبد العزيز برر قراره بالامور التالية :

اولا — بكونه لا يتنافى مع اصول التشريع الاسلامي .

ثانيا — بكونه لا يتنافى مع اصول الفقه المالكي

ثالثا — بكونه منسجما مع اقوال النبي وافعاله .

رابعا — بكونه موافقا لعمل صحابي جليل كان وليا على اليمن وقام بنفس العمليه

---

5) يوجد هذا الظهير مطبوعا ضمن الكتيب الصغير الذي جمعه السيد عبد العزيز الفتاح سنة 1934 وسماه وصايا ذهبية من ملوك الدولة العلوية الى الامة المغربية . وقد سبق لي ان اشرت الى هذا الكتيب حينما تحدثت بمجلة الارشاد في العدد الخاص بعيد العرش المجيد وهو عدد مارس عام 1976 عن وصية قدمها المولى الحسن الاول رحمه الله الى رعيته .

خامسا ـ بأنه يتسجم مع الروح الدينية التي تجعل في مال الاغنياء ، حقا للفقراء والمحتاجين .

وهي تبريرات كلها معقولة المعنى تدل على مساد راي المساهمين في التشريع المغربي آنذاك وتفصح عن مدى التقدمية في افكارهم وهي بدورها تدل على أن المولى عبد العزيز كان يحاول ان يساهم في تقدم البلاد وأن ينتذ المغرب من التعضع الاقتصادي وأن يربط قوانينه بالاصول الدينية المتبعة ولكنه تحت ضغوط الدسائس الخارجية وتحت ضغوط الفتن الداخلية وأمام تيارات الدعاية العامة التي جعلته في عيون كثير من الناس غير صالح لم يستطع الاستمرار في الحكم ولم يقدر ان يواجه بعض الثورات التي كان يبدو عليها طابع الصدق والوطنية كثورة اخيه المولى عبد الحفيظ .

ومهما يكن من أمر فان المولى عبد العزيز لم يكن سلبي المواقف ولا بعيدا عن ادراك الحقائق بل واجه الطوارىء حسب قدراته واستطاع أن ينتزع اعترافا دوليا بسيادة المغرب كما استطاع ان يصدر بعض التوانين ذات الطابع الاصلاحي وحاول جهد امكانه ان يخفف من أعباء الفتن وأن يساعد بعض المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي ولكنه رغم ذلك لم يقدر على الاستمرار في المواجهة ولم يستطع رد الزحف الفرنسي الشيء الذي جعل المغاربة يبحثون عن منقذ جديد عساهم يجدون فيه مقاوما قويا يحمي العرش ويرسي اركان الديمقراطية ويبعد عن البلاد خطر الاحتلال الاجنبي .

« تعاقب على المغرب أسر عديدة آخرها هي أسرتي ، والمزية التي امتازت بها اسرتي أننا عشنا مواطنين طيلة اربعة قرون في فيلالة .. اربعة قرون ونحن مواطنون نؤدي الضرائب ونحارب الى حد أن جدنا مولاي علي الشريف ذهب محاربا في اسبانيا مع المرينيين ، وحينما عرفوا أصله الشريف طلب منه اهل اسبانيا أن يبايعوه ، فرفض ، وقال : أنا واحد من ابناء المغرب جئت لاقوم بواجب الجهاد ، اذن أنا مواطن سأرجع الى بلدي لاستانف فلاحتي واستانف اشغالي ، والشيء الذي جعل السيرة تنطلق عندما أعطينا الامر ووفقت عندما أعطينا الامر انني اتبعت دائما النصيحة التي خلفها لي والدي رحمه الله ، قال : ـ يا بني **اياك ثم اياك أن تكذب يوما ما على شعبك ، لان الشعب المغربي شعب ذكي فطن ، وهكذا سرنا على طريق الصدق والمصادقة** الشيء الذي ضمن وسيضمن النجاح لجميع انشطتنا ومبادراتنا » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

قل مغربي أنا تعلو بك الرتب

للأستاذ الشاعر: أبو بكر الحريني

هواك يا وطني في القلب يلتهب ... سر من الله في الاعماق منسكب
كأن جذوته من نوره قبس ... في النفس كالبحر في اشراقه العجب
احبابه واباهي الدهر مفتخرا ... لأنني بك اسمو حين انتسب
نفسي فداك اذا جار العدا وبغوا ... نفسي فداك اذا حلت بك الكرب
طوبى لمن عاش في جنات خلدك لا ... ينام فيها ، ولا يشقى وينتحب
ما شاء من نعم للقطف دانية ... الظل والحسن والريحان والرطب
سعداه يا وطني بالعيش في رغد ... وان من فيك يحيا ليس يغترب
قل مغربي ترى كل الورى احتفلوا ... قل مغربي انا تعلو بك الرتب
بنوك يا وطني عرب اذا انتسبوا ... اسد اذا غضبوا بحر اذا وهبوا
ساح على قمة التاريخ مؤتلب ... [illegible]
تاه الزمان بهم في كل ملحمة ... ويزدهي بهم الايام والحقب
العزم والحزم والايثار حلتهم ... والدين والعلم والاحسان والادب
والنصر من ركبهم يسعى اذا زحفوا ... والرعب في خصمهم يسري اذا غضبوا
لا ينزلون الى ساح الوغى شغفا ... لأنهم رسل للسلم قد ندبوا
لكن اذا استكرهوا ثارت حميتهم ... وسار جحفلهم كالموج يصطخب
وان اداروا رحى الحرب الضروس فلا ... نجاة للخصم مهما جنته الهرب
وان كرتهم في الحرب واحدة ... فيها وقودهم الاحياء لا الحطب
فنحن قوم عريق مجدنا وعر ... لغة حضارتنا ضاقت بها الكتب

وفي يوم 18 نونبر من كل عام كنت استعرض هذا الشريط الاسود بين عيني وأرى ان هذا اليوم دون سائر الايام يبعث في نفسي آمالا جديدة وطموحا قويا ، وفي هذا اليوم بالذات ، اشعر ان يوم الخلاص قد حان ، ولذلك كنت اعيش هذا اليوم بكل احساساتي ومشاعري ، وانطلق متنقلا بين ازقة فاس وهي قد زينت بالرايات والاضواء والزرابي والارائك ... والناس قد تفننوا في عرض صور ملك البلاد واسرة ملك البلاد فنونا شتى ...

صور ذات اشكال والوان تؤكد للرائي ان لهذا الشعب ملكا هو آمل الخلاص ، وسر الانقاذ ... وان لهذا الشعب عرشا هو رمز سيادته ووحدته وطموحه وآماله ...

أمر بشوارع فاس واتصفح الوجوه وارى الناس قد اخذتهم سنة الفرح واستبدت بهم الذكرى واحالتهم الى هيامى بالحرية والوطنية والاستقلال.. وترى الناس وهم حول الموائد ، أو حول صواني الشاي المزخرفة بالنقوش البديعة يراحيون ويبتسمون ... وكأن عزيزا لديهم أقبل من سفر او كأنهم في حفلة زفاف ينتظرون قدوم العروس ...

الناس منذ الصباح الباكر وهم في انتظار خطاب العرش ، مترقبين منحفزين وكلهم وعي وانتباه ... وتراهم يتطلعون الى ساعاتهم ويتأكدون منها وكأنهم يخشون ان يكون قد أصابها اعياء وابطأ عن الحركة ...

وعندما تصدح موسيقى النشيد الوطني اعلانا لبداية الخطاب الملكي ترى الناس وقد ركزوا أعينهم في المذياع واشرأبت أعناقهم نحوه وغشيتهم موجة من الصمت وتحولوا الى آذان صاغية وقلوب واعية..

ويسمع الخطاب الكريم في كل مكان ، وفي المغرب من اقصاه الى اقصاه يقيم حفلة عرس لعروس تسمى « الحرية » .

وفي المساء تنطلق السن الخطباء هنا وهناك ، وتقام الحفلات الخطابية في كل مكان ..

في هذا الجو اراني انتقل من حفل الى حفل حيث تقام الحفلات بالمدارس والدور والساحات والحدائق ...

وأتى أتمنى لو كانت لي اجنحة اطير بها حتى لا اضيع أية فرصة وحتى أنتشي بسماع اكبر عدد ممكن من الخطباء والمتكلمين بالمناسبة .

لقد كان برنامج الحفلات طويلا ويستمر الى الهزيع الاخير من الليل ...

في هذا الجو من الحماس الشعبي المشبع بالروح الوطنية والاخوة الاسلامية ... في هذا الجو كان يتبدد ذلك الباس الذي كان يرين على قلبي وينشرح فؤادي وامتلىء طموحا وتفاؤلا بالمستقبل.

وكانت لحظات سماع الخطاب الملكي تحدث في نفسي حماسا من نوع خاص وتفاؤلا من نوع جديد .. وكلما استمعت الى مجموعة من فقراته كلما ازداد يقيني بأن وقت الخلاص قد قرب ، كنت اشعر بصدق البهجة وعمق التعبير وغزارة الايمان ...

كل مقطع من الخطاب كان ينقش في فؤادي ايمانا عميقا بوجوب الوحدة والتماسك والتضحية من اجل الحرية .

كانت فقرات الخطاب الملكي بالنسبة الي بلسما لجراح قلبي ، وكانت قبل هذا وبعده درسا بليغا في الوطنية الحقة ، وكان ذلك الدرس يحيلني الى انسان آخر كله امل واستعداد وتحفز ...

واتساءل مع نفسي ما سر هذا العيد ؟ والاحظ انه يملأ القلوب والافئدة بشحنات من الايمان العميق بحب هذه البلاد .

واتأكد في النهاية انه يوم يرمز للامجاد الوطنية، ويرمز للتحرر وللاستهانة بالصعاب ...

انه يوم الآمال الجسام ... يوم الاستشعار : بالوحدة ، بالاخوة ، بالحب ، بالوطنية ، بالامجاد الحضارية والتاريخية ...

انه يوم يحرك كل هذه المشاعر ويغتق كل معنى سام وخلق أصيل في المواطن المغربي .

ان هذا اليوم كان بحق هو المدرسة الاولى التي تعلمت فيها أجيالنا معاني الوطنية الخالصة ، ومبادىء التضحية والاستماتة من اجل الصالح العام.

عيد العرش في عهد الكفاح الوطني :

يوم 18 نوفمبر 1948 في فاس

للأستاذ عبد القادر العافية

من حين لآخر تستبد بعض الذكريات بالتفكير وتفرض نفسها على الذاكرة ، وتتحرك صورها ورسومها وكأنها تريد نقل الانسان بكامل وعيه وتفكيره لان يعيش احداثا قد تكون مرت عليها عشرات السنين ...

وفي هذه الايام أراني تلح علي الذكرى بأن أعود الى اليوم الثامن عشر من شهر نومبر لسنوات 1948 و 1949 ؛ 1950 و 1951 ...

كنت خلال هذه السنوات طالبا بمدينة فاس ، وبالطبع كان الوضع اذاك في المنطقة (السلطانية) يختلف عن الوضع في المنطقة (الخليفية) ولست ادري كيف اعبر عن سروري وانا اعيش يوم 18 نومبر 1948 في مدينة فاس ، وانما الذي كنت احسه واجده هو انني انسان آخر يعيش احلاما سعيده ، وطموحا وطنيا يبعث من الاعماق ... كنت احلم باستقلال بلادي ، وبزوال ظلم الاستعمار عن قومي ، واحلم باليوم الذي تصبح فيه مسؤولية بلادي في يد اخوتي من ابناء وطني ... وكنت اطمح بتصوراتي أني اعيش في مغرب مستقل لا أتعرض فيه لاهانة شرطة الحدود المصطنعة وموظفي الجمرك داخل بلادي .

كنت اجتاز ثلاثة حدود : ما بين تطوان وطنجة، ثم ما بين طنجة واصيلا ، واخيرا ما بين القصر الكبير وعرباوة .

كانت هذه الحدود فاسية بالنسبة الي . كم مرة اهنت فيها ، وكم مرة نزع مني بعض الزاد الذي كنت ادخره لمقاومة فصل الشتاء في فاس .

كم مرة شاهدت مناظر اليمة يقل المعها يحز في نفسي الى ما شاء الله ...

في عربات القطار بين طنجة وفاس كان البوليس الفرنسي والاسباني المسلح يستعرض عضلاته على المواطنين والمواطنات المسافرين في القطار .

كم مرة شاهدت امراة او طفلا او شيخا يتلقون لكمات الايدي وركلات الارجل لا لشيء الا لانهم يحملون معهم امتارا من قماش ، او قطعا من صابون او بضعة أواق من الشاي !!

وفي احدى المرات شاهدت احد الجمركيين الفرنسيين يجر امراة بدوية وسط عربات القطار . وهي تستغيث ولا مغيث ! وعندما اوصلها جرا الى باب العربة قذف بها على الرصيف !! فصاحت المسكينة صيحة اليمة ، واجتمع الناس فاذا بها قد كسرت ساقها ، ومع ذلك لم يتبس احد بكلمة بل تحرك القطار وانصرف الناس ، وانتشر الذعر ، والناس ينظرون ولا يتكلمون ... !!

كنت اثناء تنقلاتي بين طنجة وفاس اتجرع مرارة الاستعمار واشاهد من ضروب غطرسة جنوده واعوانه ما يجعل الدم يغرق أجفاني لعدة أيام ...

موشح المسيرة

للأستاذ الشاعر المهدى الدليرو

صحراء ، يا متنفس الامه

قسما بمن امه

ملك ٠٠ يسوس بحنكة الماهر

وبحكمة تزن البواطن والظواهر

وتحايل الأزمات

حتى تنجلى

وبنافذ العزمات

فى اعجل

ظرف ٠٠ تقلد

بتشريف مخلد

اكليل الغار

منه يغار

وليس كمثله شىء مولد

صحراء ، يا متنفس الامه

* * *

او لم ينادى للتحاور فى سلام

والى انطلاق مسيرة ، تابى الصدام

والشعب لبى واستجاب

متعطشا ٠٠ متماسك البنيان

كان عيد العرش جامعة بكل أطوار طموحها ، فيها تجد سائر المستويات ما يغذي ايمانها ويقوي طموحها ...

هو مدرسة يتدرج فيها ابناء الوطن ، فيأخذ كل نصيبه من مبادىء الاخلاص والتضحية ...

في يوم عيد العرش كان يشعر كل مواطن بدفء اخوة المواطنة ، تلك الاخوة التي كانت تتكسر عندها آمال المستعمر ومخططاته ... وبرامجه وتصفياته ...

في كل عام من مثل هذا اليوم يرى الاستعمار انه يبتعد رويدا رويدا عن تحقيق اهدافه واطماعه ، ويرى أن كل مكائده التي دبرها خلال سنة او سنوات قد تلاشت خلال يوم واحد ، وتجن جنونه ، ويحاول الحيلولة بين الشعب ومنبع معيته ، فيسجن ويعذب ويقتل ويشرد ... لكن كل ذلك كان لا يزيد الشعب الا تعلقا بمدرسته الجامعة . ويظل يوم عيد العرش هو يوم عيد العرش .. يوم تعرض فيه المنجزات وتزف فيه البشائر ، وتبعث فيه الآمال وتجدد فيه العزائم ... ويظل هو يوم التحدي الاكبر ، ويوم الاصرار على مواصلة السير بمسيرة الشعب .

كانت اعياد العرش بالنسبة الي تتطور كما اتطور بدوري في مراحل دراستي ...

وبشاء الله أن تقترن بشائر اعياد الاستقلال بعيد العرش وبعودة صاحب العرش واشبال صاحب العرش وبرف بشرى الحصول على الحرية فيا لها من بشائر تتداخل. وتتعاوج لتزيح عن النفس ذلك الكابوس الاسود الذي كان يرين عليها .

ان ذكرى عيد العرش المغربي هي مراجعة سجل حافل بالامجاد الوطنية، والبطولات والتضحيات والتحديات ...

هي قراءة كتاب (ملك وشعب) رسمت حروفه بمعاني المجد والشهامة والنبل ... وتسجل كل جملة من جمله العزة والنخوة والكرامة ... وكل فقرة من فقراته هي ملحمة وطنية رائعة ، وكل صفحة من صفحاته صورة صادقة تتناسقت فيها الوان الاخلاص والبذل والتفاني والوفاء ...

وفي يوم عيد العرش تحطمت تلك الحدود المخيفة التي كانت مبعث الآلام والاحزان ... حطمت تلك الحواجز وامست اثرا بعد عين ، وهبت نسائم الحرية وحلت بهجة الاستقلال ، واختفت ـ الى غير رجعة ـ مظاهر غطرسة وجبروت الاجنبي وويلات احتلاله ...

وهكذا كلما اقبل عيد العرش الا واحت علي الذكرى وتاكدت بأن يوم الخلاص كان يزوغه يوم عيد العرش المغربي ، وما ذلك الا لان العرش المغربي هو الارضيه الصلبة التي بنيت عليها حضارة هذا البلد ومجده

متشبعا بسماحة الايمان ؟
والحاملون لمصحف القرآن
وهم الضعوف ، ولعبة الجيران
هل يدفعان بهم الى الخذلان ؟ :
واذا تغلبت الاناة على اندفاع ·· ذللت كل الصعاب

صحراء ، يا متنفس الامه

غيضاجم الساقية الحمراء ، او وادى الذهب
او كل ما سترت من الثروات او فضحت ·· ذهب
لا يعدل التفويت فى الارض
فالذود عن مهضوم انسان
وحدود اوطان
من اقدس الفرض

صحاره ، يا متنفس الامه

* * *

كثبان رملك سوف تقمر
حربة ·· سلما نماء
واحات نخلك سوف تذمر
خصبا ·· بساطا اخضرا · ماء
وبنوك ينعم عيشهم فى الغد
بالمولد الارغد

صحراء ، يا متنفس الامه

* * *

والآن ·· والتكبير يعلو
والقول اسفر عنه فعل
من بعد فرقه
عانى مرارتها بحرقه

وليس تشتيت شمل الناس عادتنا ... ولا المكائد والعدوان والشغب
وليس من عرفنا التضليل في سفه ... او نكث عهد لنا مهما طغى السبب
ولم تجر قط في يوم على احد ... ولم نسبت بدماء الغدر نختضب
وادى المخازن للاجداد معلمة ... وعشت حيث بنا لم تطوه الحجب
وعرشنا ثابت الاركان من قدم ... والعرش في امنى تزهو به الحقب
امامنا بيعة الاحرار ترفعه ... وليس بالمدفع الرشاش يقتضه
والشعب بالعرش لهاج وملتحم ... والعرش بالشعب اخذ ومعتصب
والقائد الحسن المغوار معتصم ... بالله والعروة الوثقى كما يجب
يمشي ونور الهدى تسامى خطوته ... والله يبصره لا المال والحطب
وعرشه الحب منسوج بامئدة ... وتاجه لعدل لا اليواقيت والذهب
يبني لامته الامجاد في ثقة ... فليس يلحقها شعب ولو سئب
خاض المعامع في عز الشباب فما ... بنه الطواغيت والاهوال والنوب
ولم يكن بطلا يدنو الى لقب ... وانما حاز في اوصافه اللقب
ويوم نادت عليه البيد واحسنا ... ه قال : لبيك فالاحرار قد ركبوا
مسيرة الفتح بالقرآن زاحفة ... اليك يا بيد الاعداء قد نكبوا
ورجت الارض والاعلام خافقة ... والله اكبر في اعدائها رهب
وقد علا الحق والمهتان مندحر ... وليس يفنى العدا زور ولا كذب
وعادت البيد والارحام قد وصلت ... وغيض اعداء جمع الشمل وانتجبوا
ورفرفت في العيون اليوم وحدتنا ... وأسمعت من في اذنه تعب
وجدد العهد في الصحراء ساكنها ... وهم احباؤنا والاخوة النجب
والاهل فيها اشقاء لنا والى ... انسابها طاهر الارحام منجذب
فالقلب منشرح والنفس راضية ... والعين ضاحكة لا شك ولا ريب
وفي حماتنا رجال ان همو نفذ ... المصير الجميل فلا خوف ولا رهب
قد اقسموا بيمين الله مغلظة ... لنبطشن بمن اغراهم السلب
فبلغوا اوصياء الزيف توصية ... ان العجين على الطغيان ينقلب
مولاي شعبك جند الله واثقة ... فامر فان جنود الله ترتقب
مولاي منالك الاخلاص تهنئة ... بالعيد والوحدة الكبرى وما تهب
وعيدنا اليوم اعياد معطرة ... بطيب ذكرك في الدنيا ولا عجب

عـــزم من الـــفـــولاذ اصلـــب

غاياتـــــه تثبيـــت مطلـــب :

« صحراءنا ردت الينا »

وعلـــى يـــديـــنـــا

بمشيـــئـــة الحـــق العظيـــم

ســـتـــظـــل الاقـــلـــيـــم

نـــفـــحـــات امـــــلامـــه

وعروبـــة ٠ ٠ كالسلاســـل الوضـــاء من ايامـــه

« ابعادنا بالطبع هي الترفيه اكثر ما يكون الترفيه ابعادنا هي وضع فلسفتنا الاشتراكية كما نراها وضع هذه الفلسفة موضع التطبيق تلك الفلسفة التي اخذناها من القرآن حيث قال الله سبحانه وتعالى « **وكذلك جعلناكم امة وسطا** » فلا نريد الاشتراكية بمعنى الفقر المدقع ولا نريد الرأسمالية بمعنى الهجرة الرأسمالية بل نريد مجتمعا مغربيا يعطي لكل واحد من المغاربة الفرصة لينمي خيراته ويزكي ممتلكاته دون محسوبية ودون أى تمييز بين هذا وذاك يكون المغربي مصيره بيده ويكون كما يريد أن يكون وعلى الدولة أن تعطي للجميع نفس الحظوظ ونفس الفرص » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

قصة قصيرة

الرؤوس المحلوقة

للأستاذ
محمد أحمد الشامي

وقف (المسيو مارتان) طويلا أمام المرآة في صباحه ذاك ، وكان همه أن يسوى شعره في مشطة أنيقة مرتبة ، عرف بها منذ زمن الشباب الباكر ، من حيث تمتد كل شعرة من أصلها حتى النهاية عند القفا . لقد كان هذا الشعر يراقا في الايام السالفة ، بما كان يضفي عليه من العطور والدهون ، كان لامعا بالنهار تحت اشعة الشمس ، ولامعا بالليل تحت المصابيح .. أما اليوم فقد وخط الشيب هذا الشعر ، وبذلك خفت اللمعان ، وحلت محله سمة خاصة تعطي لشخصيته مهابة واحتراما . جزء من الوقت استغرقه الاعتناء بالشارب ، وهو للعجب الذى بقى في حالة اسوداد تامة، فيما عدا وحدات برزت من بين الشعر الكث ، فازداد بها المظهر بهاء وجلالا .

ترك المرآة وانصرف الى قاعة النوم ، وفتح الخزانة على مصراعيها ، ووقف يلائم بين يومه هذا والحلة المناسبة له ، فالقوم من كبار رجالات الفلاحة ، ومن مشاهير المتمولين فيها ، فلا بد وان يكون اللباس مناسبا لهذا الجمع الحافل . وتذكر ان هؤلاء القوم ، على غير عادة المتمولين الآخرين ، يميلون الى ارتداء الخشن من البدلات والسراويل ، ويختارون الالوان الداكنة ، ولا أفضل عندهم من لبس ما هو مصنوع من الجلد ، قبعة كانت ام بذلة أم حذاء ذا عنق ، انهم يستشعرون القوة والحزم في هذا اللباس ، وهو – من جهة أخرى – يتلاءم وحياة التراب والأوحال والمرتفعات التي يظلون متخبطين فيها ، وهم عادة ما ينسون حلق لحاهم وقص شواربهم وترجيل شعورهم في أوقات متقاربة ، فتجد سحناتهم مغبرة ، تكسوهم طبقة من الغبار رقيقة ، كما يبقى دخان السجاير المتصاعد اثارا ضاربة الى اللون الاصفر ، ثابتة ، لا تقبل الزوال ، على الشوارب والحواجب . وآثارا الصق فيما بين السبابتين اليمنى واليسرى والوسطيين ...

مسيو مارتان يعرف كل هذا ، لذلك اختار بذلة بنية وقميصا رماديا ، ورباطا بنيا ذا خطوط رمادية ، من نفس لون البذلة ، واختار للجيب الايسر منديلا رماديا ، مشابها جدا للون القميص ، وفرز الاحذية ثم اختار من بينها حذاء بنيا مثقبا ، فالطقس غير بارد ، وقد يطول مكث الرجلين في الحذاء .

وبمجرد انتهائه ، وكأنه على موعد مضبوط ، جاءته خادمته الفرنسية (حليمة) بطعام افطاره وكان يشتمل على بيضة واحدة ، وقليل من العسل ، وقطعة من الجبن وقدح من القهوة ... فالخادمة تتلقى تعليماتها من السيدة (نادين) زوجة مارتان قبل نومها ، حول وجبة الافطار ، ومن ماذا ينبغي ان تتركب ، فمن عادتها باستمرار الا تستيقظ باكرا ، ما دامت مشغولة بالسهر ، تقضي فترة طويلة قبل النوم ، في صنع الصدريات والجوارب والقفازات الصوفية صيفا ، وصنع المخرمات والطرزات القطنية شتاء ، وتغتنم ليالي الشتاء الحلوة ،

فتجلس أمام المدفأة المشتعلة ، تتأمل أشكال ألسنة النار المختلفة ، وألوانها البرمقالية والحمراء والزرقاء ، فتكاد تذوب اعجابا بهذه المناظر الساحرة ، اما اذا كان الفصل ربيعا او صيفا فان الجلسة تكون في حديقة الدارة أمام النافورة المحاطة بمغارس أزهار مختارة ، من حيث تستسلم لدعابات الصمت الطويل ، ودغدغات الهواجس والاحلام الداخلية ، حتى انها أحيانا تكلم فلا تجيب ، وتدعى فلا تلبي الدعوة .

تناول طعام افطاره وحده ، ثم توجه مرة أخرى الى المرآة ، وأعاد النظر الى نفسه ، وزاد قليلا في تأنيق عنداسه ، مثبتا القبعة الشميذة على رأسه ، مائلا بها قليلا الى جهة اليسار ، ومعدلا قليلا من الحواشي ، وانتهى به الامر الى تناول المظلة من زاوية في البيت ، ثم غادر الدار .

الشارع من حوله ومر به سيارات ، يسمع لمحركاتها ضجيج ، كما تتعالى زماراتها ، بسبب او بغير سبب ، فالمقصود عند بعض السائقين أن يلفتوا الانظار الى جدة عرباتهم ، وجاذبية ألوانها والى جلساتهم المريحة الفخمة الوجيهة وراء المقود .

اثناء السير شعر السيو (مارتان) ببعض الاسف لتحمله مشقة المظلة ، فاليوم صباحه من أصباح أبريل الساطعة الدافئة ، حبذا لو تخلص من العبء ، ولكنه وجدها متكأ على كل حال لا بأس به. المتكا ؟ ان السيو مارتان في غير ما حاجة الى متكا ، فهو وان تجاوز الستين يشعر بحيويته متجددة وبفكره متفتحا وبوجدانه حارا سعيدا ... حتا ، لقد كان شبه مخدر اثر احالته على التقاعد من حيث قضى فترة شهر تقريبا، في شبه حيرة ويأس ، يستشعر شعور المحكوم عليه بالاعدام ، لولا أن هذا ينتظر اجله بحسرة ولوعة ، بينما هو ينتظر نفس المصير ، على المدى الطويل أو القصير بدون حسرة ولا لوعة ، انما النفس يخالطها شيء من التعلق بالحياة ، والرجاء فيها والتشبث بها ... ومنذ فاجاته زوجته (نادين) مفاجاة مذهلة ، مفاجاة لا يمكن أن تكون الا من امراة مثلها لبقة مخلصة ، لقد أمدته بمليون من الفرنكات ، كان محفوظا في حسابها الخاص باحد الابناك، لقد هزته وانقذته اتزانه، ووزعت في دمه دفقة من الحرارة والحيوية والأمل المجدد. الحقيقة ، انها كانت في منتهى العبقرية والبراعة والذكاء ، وفي منتهى الحنان الزوجي وبره ، ومودته الصافية ، الصادقة ... لكم اشبعها يومذاك تقبيلا وعناقا . انها بهذه الهبة السخية استبدلت بالرجل المنهار الحيران رجلا مطمئنا عازما حازما واثق الخطو ... هو بدوره كان مدخرا لبعض المال ، فعادة التعبير متاصلة فيه ، مثل بني قومه الاوربيين ، ولذلك اقترح عليها أن يشترى برصيده ضيعة صغيرة ، وبرصيدها دارة متوسطة بدل هذه الشقة التي يقطنونها منذ زمن بعيد

وقامت بينهما محاورة في اى مكان تكون هذه الضيعة وتلك الدارة ، واختارا بعد مذاكرة طويلة ، وتقبا لتجولاتهما الكثيرة ، وخبرتهما الواسعة أن تكون الضيعة ببلاد المغرب ، في منطقة الغرب بالذات ، وأن تكون الدارة بمدينة الرباط ، فمنطقة الغرب منطقة خصبة خيرة ، يقول الخبراء انها من أجود بقاع الدنيا المعدودة ، بما يتوفر لها من تربة جيدة ، وطقس معتدل ، ومن مياه بالنسبة لما هو موجود منها على ضفاف النهر الدائم الجريان . ثم ان المساعدات التعميرية متيسرة ، اذ الأوربيون الذين سبقوا الى ارض المغرب يعملون على تشييد اقدامهم ، واقدام كل وارد من بني قومهم ، أو ممن هم معجبون بخطة الاستعمار ، وبمدون الخطط لانتزاع كل ارض جميلة يملكها شخص مغربي لا حول له ولا قوة ، انهم واثقون من فكرة (ان الارض لمن يستحقها) ، وهم أكثر استحقاقا من غيرهم لهذه الاراضي ، أما الذين لا يعرفون قيمة التربة ، ولا أسلوب استخراج الماء ، ولا طرائق الحرث الجيدة ، ولا فنون التسميد والغرس العصرية أولى بهم أن يغادروا الارض، وأن يتركوها من هم أجدر بها .

فعلا ، قاموا بمبادرات ، بل ببعض التسرعات ، واشتروا اراضي وانتزعوا أخرى ، وارتكبوا ما عن لهم من التصرفات من أجل هذه الاغراض ... ان الارض ليست ارضا مرنسية ، والسكان ليسوا مواطنين فرنسيين ، ليس هناك برلمان يزعج البال ويكدر الخاطر ، يتدخل اعضاؤه فيما لا يعنيهم ، وليست هناك جرائد تنسط صفحاتها بسطا كل صباح وكل مساء ، كل اسبوع وكل شهر لتملأ صفحاتها بالاخبار الصحيح منها والكاذب ، المناسب منها وغير المناسب ... وليست هناك مجالس قروية ولا مجالس حضرية تدس انوفها في كل شاذة وفاذة ، ويتولى أعضاؤها المنتخبون كل

الأمور ، وقد يقبعون للدنيا ويقعدونها بسبب أي حادث ... هناك فقط القائد والخليفة ، وهو طوع يد الضابط الفرنسي ، المواطن اليقظ ، العارف بالنفسيات الخبير بالاحوال والتقاليد والاعراف .

لقد سرت (مدام مارتان) بالمقترح ، والى حد كبير ، وقامت من فورها تعد نفسها للرحيل . ان الحياة ستبدأ من جديد ؛ ففي بلاد الشمس (المغرب) تتحسن الصحة ، وتتنور البشرة ، وتستقيم القامة . فالخير – هناك – عميم ، اذ الاشياء الصالحة متوفرة ورخيصة الثمن ، واليد العاملة متراكمة ، بل وتتسابق الى الخدمة متنافسة ، متهاودة في الثمن ، وبذلك يمكنك ان تنتقي منها ما تشاء حسب اختيارك الدقيق . لقد عودهم الاوروبيون الموجودون بينهم على ان يتسابقوا الى خدمتهم ، وان يتفانوا فيها ، يمتلؤوا اعجابا بذكاء الاوربي وحذاقته وتسلسله وبجبروته وسلطته .

. هكذا قالوا لها ، وهي متشوقة الى جو تكون فيه سيدة مطاعة ، نافذة الكلمة مرهوبة الجانب ، تقدم لها الخدمات في كل وقت وفي كل الاحوال !

واذا كان هذا كله خطر في بالها ، فان شيئا منه لم يخطر ببال زوجها ، فهو موظف متقاعد عن الخدمة بوزارة الفلاحة في فرنسا ، يعرف ما له وما عليه ، لا يتساهل في واجبات الوظيفة ، بل يخشاها خشيته لشيء خطير ، وهو لا يتساهل في حقوقه ، لا مع رؤسائه ولا مرؤوسيه ، انه مطيع وصارم ، في نفس الوقت ، عادل ومتشدد بلا هوادة ، وقد ترك له هذا التصرف ذكرا حميدا في ادارته التي تركها بعد خدمة ثلاثين سنة . لهذا لم يخطر بباله اشياء من النوع الذي خطر في ذهن زوجته ... لا ، خطر في ذهنه فعلا محيطه الأوربي الذي سيتركه ، والاشياء الجميلة التي تعود عليها : كاس القهوة بين الحين في باحة مقهى (لاكومبدي) ، وغذاء الاحد صحبة زوجته او احد خلصائه بمطعم (الديك الصداح) بالضاحية ، ثم تلك المهرجانات الحافلة التي تقام بين فترة واخرى ، فيشبع فيها كل انسان ذواقة مثله انسا وضحكا ومخاصرات وتسليات ... ولكن لا باس ، يمكن للانسان أن يتردد على أرض (ام الاوطان) بعد أيام الجني والحصاد ، وخلال ايام همود الطبيعة ، وكلما دعت الضرورة الى ذلك ، أو اشتد الحنين ، فما هي الا رحلة يومين بالباخرة .. غابت هذه الخواطر ، ومضى في سيره وانتبه الى تناغم خطواته المضبوطة مع نقرات راس المطلة الحديدي فوق الارض .

وعند مقر (الغرفة الفلاحية) وجد العديد من السيارات مصطفة ، اصطفافا ، وكلها مكسوة بطبقة من الغبار اعتراها خلال الطريق ، وهي تطويها من جميع الأنحاء نحو مدينة الرباط العاصمة ، وعند المدخل الرئيسي وجد القوم مجتمعين ، يدور بينهم حديث صاخب ، احمرت معه الوجوه ... وانتفخت الأوداج تطاير البصاق ، وتكاثر نفث الدخان من السجاير والسيكارات والغلايين ... وبما ان المسيو مارتان لم يكن مجهولا من بعض هؤلاء القوم فقد استقبلوه بشيء من البشاشة ، ثم انقلبوا يتهامسون بالتعريف باسمه ، وبوظيفته السابقة كموظف من موظفي وزارة الفلاحة الفرنسية المحنكين الواسعي الخبرة . وكان بعض هؤلاء تشاءموا من وجوده ، كموظف من فرنسا ، لم يغادرها الا منذ شهور قليلة ، لذلك خاطبه احد المعروفين بوقاحتهم وتعابيرهم الفجة ، التي تخرج من فمه كأنها قعقعة عربة عتيقة ، وقال :

– نرحب بالمسيو مارتان بيننا ، على أن يتأقلم مع أرض المغرب الفرنسي . ليذكر دائما أنه ليس في أرض فرنسا ، وانما هو في احدى مستعمراتها . احذره ، بل نحذره جميعا ، من الخلط والالتباس ومن النسيان ، ومن وضع الأمور في غير محلها .

أراد المسيو مارتان أن يرد على هذا الحفاء بحفاء مثله ، ولكنه صان لسانه ، واحتفظ بأقواله لمناسبة اخرى .. واكتفى بأن قال :

– (برافو مون فيس) مرحى يا ولدي .

ومضى الوقوح يثرثر :

– انا معك في موضوع الديموقراطية عند ما تطأ قدماي ارض فرنسا ، ولكني هنا امقت هذا الاسم ، واكره من يجيله في خاطره ، فاحرى أن يدعو الى تطبيقه على أي وجه من الوجوه . ان هذه الارض مستعمرة رومانية سابقة ، ونحن هنا لممارسة سيادة اجدادنا السابقة ، ولا من يزحزحنا عن خطتنا . كان شانه كبيرا أو كان صغيرا ، الرأي الأخير لنا ، ولنا وحدنا ، ... اياك يا مارتان أن تعيش مع الاوهام والاحلام والمبادئ .

– شكرا لكم على هذه البيانات المهمة ، هل من مهلة يا سيد شارل ؟

ـ لا تمهل في الامر ، اما أن تكون معنا ، والا جعلناك في صف هذا المسمى (بونصو) المقيم العام .

اهتز المسيو مارتان من هذا النبز في ممثل فرنسا بالمغرب . فهو ككل فرنسي قح يحترم الرؤساء ، المباشر منهم والأعلى ... لذلك رد هذه المرة :

ـ لنجعل حديثنا في نطاقه المحدود يا سيد شارل ، فمهما بعدنا عن الديار فلا ينبغي أن ننسى المبادئ والأصول ... هذه المبادئ والاصول هي أنفس من كل الاراضي والمياه والمغروسات ومطامع الدنيا كلها .

ـ لم تنس بعد دروسك بالمدرسة ، علمنا لك فرنسا هناك ، أما هنا فمغرب فرنسا ، هل اشرح لك الفرق !

ـ لا مواخذة . انني قليل المجاملة ، في الحق خاصة !

ـ اه.... هـ . م

ـ هيا ، فمسيو (مورلو) يدعو لافتتاح الجلسة ، تعال يا مسيو مارتان واستمع الى الرجال الشجعان ، كيف يبحثون الامور ، وكيف يقدمون الافكار النافعة وكيف يعدون المشاريع للتنفيذ .. هيا ..

ـ لم تجد غيري في هذا الصباح يا شارل

ـ كيف اتركك وانت جاري ، ضيعتك بجوار ضيعتي ... من اليوم ، أنا منافسك وخصمك ـ ان شئت ـ ومساعدك ومعضدك ومستشارك الخاص اذا رغبت .

لم يكن الواقفون امام باب القاعة المخصصة للتجمع الا قلة ، اما الكثرة فكانت بالداخل ، فيها عديد من الحاضرين والحاضرات ، فلاحون وزوجاتهم ، وفلاحات مع أزواجهن ، ومتعاشرون ومتعاشرات الذين لا تربطهم روابط ملزمة ، وانما روابط الصداقة والمؤانسة وتبادل المنفعة ... صدمه ـ اول ما صدمه ـ منظر النساء المسترجلات اللواتي يرتدين الالبسة غامقة الألوان . الخشنة الملمس . من حملتها سراويل لاصقة بالاجسام ، من نوع السراويل التي يرتديها الفرسان وهم على صهوات جيادهم ، وادهشه ان البعض منهن ارتدى قمصانا وأربطة عنق وبذلات ، وهن مقبلات على ارتشاف السجاير بشراهة .. ن هذا المنظر اثار في نفسه التقزز والاشمئزاز .

ن الفرنسي بطبعه لا يستقبح منظر اية امرأة ، فهو يبحث عن مبرر لتقدير مزية من المزايا ، ولو كانت بسيطة ، يبحث عنها في الصوت الجميل ذي الرنة الفريدة ، أو بريق العينين الذكيتين اللماحتين ، أو لون الشعر وتسريحته ، أو في استواء القامة وطراوتها ، أو في السلوك اللبق و للفظ المهذب والاشارة الحاذقة ... غير أن هؤلاء المسترجلات فقدن كل ميزة من مميزات الانوثة اللطيفة ... انهن اشبه ما يكن بالبغلات !

وقف المسيو (مورلو) في المنصة فساد الصمت للحين ، فلكان الضربة التي ضرب بها الطاولة التي امامه كانت ضربة على راس كل واحد منهم !

قال

« تعرفون الدواعي التي دفعتنا الى عقد اجتماعنا ، أود ان اذكر بها من لا تعرفونها . انها محاولات الاقامة العامة للجمهورية الفرنسية بالمغرب للتضييق بنا ، وذلك بفتح الحوار وباب المذاكرة مع الأهالي ، والانصات الى ثرثراتهم التي يدعون انها شكايات ... ثم فرض نصوص وقوانين ليس معهودا أن يعمل بها في المستعمرات . انى من هذه المنصة أوجه الكلام الى سعادة المسيو (بونصو) المقيم العام لفرنسا بالمغرب ، لاقول له بكامل اليقين والثقة

ن الاراضي التي بين أيدينا هي ملك لنا ، اشتريناها بالمال الذي كسبناه بعرق جبيننا ، والقواد وعدول الشرع شاهدون بذلك في مختلف القبائل ، هذا فيما عدا البقاع التي يقتضي الامن وسلامة أراضينا حيازتها . فانا عندئذ نحوزها وحوزا . ومهما كانت الموانع ، رضي الضباط الممثلون للسلطة أو لم يرضوا .

يجب أن يعلم ـ ممن لا يعلمون ـ أن كثيرا من الاراضي كانت بورا ، يملأها الشوك والحسك والأحجار ، وبفضل خبرتنا وحزمنا وعزمنا حولناها الى حنان ، سخية العطا ... فلا يمكن ، ولن يمكن أن نفتح حوارا حول هذه الأراضي بأي وجه من الوجوه .

المياه ، مياه الأنهار والآبار والعيون من حقنا أن نستغلها ، ولنا ألا نسمح لغيرنا باستغلالها دون

موافقتنا ، فيما عدا طائفة من الأهالي الأصدقاء المعقولين، وكل قطرة تمر بجانب او وسط أراضينا يجب ان نستغلها ، وما قضية مياه (أبي فكران) بغائبة عنكم ، فلتسقط كل الأقوال والتخويفات حول موضوع الأرض والمياه ...

اني افتح المناقشة ... عفوا ، قبل أن افتح المناقشة أطلب منكم أن تعينوا كاتبا للجلسة .

هنا صاح المسيو شارل :

ـ من بيننا احد المحنكين الاداريين ، الذين قدموا منذ قريب من الأرض العزيزة فرنسا ، انه حديد على جمعنا ، ولكنه مساند لحركتنا تماما ، ومستعد لتفديتها بالروح والمال ... هيا يا مارتان !

ارتبك المسيو مارتان ، وحار في اتخاذ الموقف المناسب ، خصوصا وأن الفضولي شارل ورطه . ولما وجد الأنظار كلها متعلقة به ، وضع يده في جيبه يبحث بها عن قلمه الغزار ... وقصد فورا المقعد المخصص لمقرر الجلسة .

سجل ستة متدخلين أسماءهم للتحدث أمام الجمع ، وطرح طلب بأن يبقى سجل المتدخلين مفتوحا ، على أن يختم النقاش مسيو (مورلو) . .

تقدمت كهلة ، أقرب ما تكون الى سن الشيخوخة، مصطنعة شيئا من الجد ، وعند وقوفها وراء المنبر أطلقت ضحكة منفردة ، خصوصا وانها كشفت عن أسنان لها كبيرة صفراء غير منضدة ، ولم يكن لها شعور بأي نقص من جهة أسنانها البشعة ، وانما شعور بالرضى والفخر بشعرها الذهبي الحريري اللامع ، الذي تخصص له عناية مستمرة ، وتعمد في كل موقف ومجلس الى مداعبة خصلاته ، بتركها تتدلى الى الامام بين الحين والحين ، ثم تعود فترجعها الى مكانها بغاية الرفق والاعتناء ... وقفت هنيهة ، وقد غاب عنها ما تريد أن تقوله ، ومع ذلك لا بد لها أن تقول شيئا :

ـ سادتي ـ أهيء ـ سيداتي ... ان الفيلات داخل الضيعات التي نمتلكها ، ليست هي الفيلات في المدن ، فهذه أنيقة نظيفة جوها لطيف ، بينما الأخرى تدخلها الاوساخ والحشرات والروائح ـ معذرة ـ بمجرد أن يفتح باب أو نافذة ، ولذلك تروننا متعبات جدا جدا ، لو تأملتم أيدينا ـ ولا شك أنكم تأملتموها ـ لوجدتموها عامرة بالشقوق واللطخات ، يا حسرتا على أنامل واكف ايام الشباب والفتوة ، بأرض الوطن السعيدة الرخية... انه يمكنني ان أتكلم في هذا المشكل نصف يوم ، ولكنني اكتفي بما أشرت اليه ... كل ما أطلب هو أن تبقى قبضتنا على (الفاطمات) محكمة ، وسيطرتنا عليهن تامة ، فنحن نساء الضيعات لا نقبل اى تدخل كيفما كان .. أؤكد لكم أن الرجال المستخدمين لديكم أسهل قيادة من هؤلاء المستخدمات ، وعلى كل حال فنحن نعاملهن بما يستحققن ، فما عليكم انتم الرجال الا ان تكونوا في مستوى المسؤولية ... (تصفيق حاد ، مع زمجرات الاستحسان) .

أعجبة الكهلة هذا الذي نالته من التقدير ، وارادت أن تزيد من الكلام الحلو الذي قالته ، ولكن رئيس الجلسة (مورلو) غمزها اشعارا بالاكتفاء . فاكتفت ، وسارت الى مقعدها تخالجها احساسات جميلة ، من تقديرات الزملاء والزميلات ، ومن غمزة الرئيس . والتفتت بمجرد جلوسها فوجدت القوم تشاغلوا عنها ، وتطلعوا بأعينهم الى الخطيب الجديد (موريس) وما أدراك ما (موريس) .

سار موريس ضخما ، عالي الاكتاف متدلي البطن، ينضح وجهه بالسلامة والعافية ، وان كانت الملامح قد انتفخت بفعل السمنة والخمرة ، فتداخلت في بعضها ، واختفت مميزاتها ، وأصبح الوجه كله عبارة عن مكورات ومستديرات وفتحات ... قال موريس :

ـ انظروا الى قبضتي هاتين ، ضخمتين بلا شك، اني أكسر بهما جوزة وأفتت شجرة ، واقطع أذن أخمد . (ضحك وصخب ثم تصفيق حاد) .

... صدقوني أنني اقتلع أذن اى (أخمد) أظهر العصيان ، أو حاول يتقدم بطلب حق . في ضيعتي ثلاثة (أخمدين) قلعت لهم آذانهم ، ثم سمحت للطبيب بأجراء عمليات جراحية لهم ... ان على السيدات الا ينزعجن ، فيدى أحيانا ألين من حرير مدينة ليل ... صدقنني أن جسدي الضخم ـ سحقا لمناخ المغرب الذي يجيئه الانسان مريضا حتى مسلولا فينقلب الى رجل يتضخم بتوالي الايام ، كالثور تماما ـ ان هذا الجسم الذى أمتلكه استطيع أجلس به على أجسام بعض الناس عندهم هنا في الرباط ، فأخنقهم ولا يعودون الى ازعاجي بالمقترحات

والنظريات ... وأيضا أريد أن أتوفر على مدفع أحمله على كتفي واذهب الى فاس وسلا — هذه القرية — والى الرباط بالذات واخرج بعض القذائف ، ان هناك بعض العتبان يزعجوننا . أما أنا فلا أحمل لهم هما ، بامكاني أن أطلق النار وحدي فأمحق الجميع ، اذ كان لا بد من مؤنس ومن مساعد ، فاني أدعو للسهرة التي سنقضي ، امتناس بسحر وجمال شعرها (ضحك وزمجرة استحسان ثم تصفيق حاد) .

السيدة هاتجز اتجهت اليها الانظار لتلحظ تأثير التغزل العاري الذي قيل فيها ، وهذا ما أدى بها الى الارتباك ، ثم الى شعور بالدلال بعد حين ، وعندئذ اطلقت زعقة منكرة ، سادت بعدها الوجوم ، فسكون المطبق ، وتعلقت الانظار بالقادم الجديد ...

كانت خطوات القادم مضبوطة قوية ، تدل على شخصية صلبة (توانيو) . كم كان عنيدا بقامته الممشوقة ووجهه الصارم ونظراته الحادة .

عندما اقبل المسيو مارتان على أوراقه التي كانت ما تزال مارقة أمامه وقال

— يطيب لي الآن سماعكم بما تستحق الكتابة .

جهر المسيو توانيو

— أريد أن اعبر عن افكاري بوضوح وايجاز وحدد :

أولا ، اعارض تأسيس المدارس الفلاحية القروية ، التي تخصص في برامجها حصصا لتعليم الفلاحة العصرية .

ثانيا ، اعارض بقوة في دخول ابناء الاهالي الى مدارس الفلاحية الثانوية ، وفي التحاق أبناء الأعيان بمدارس العليا الفلاحية في فرنسا ، ان في ذلك خطرا على مستعمرتنا الاستعمارية وخططنا للمستقبل بهذه البلاد التي أخرجناها من العدم ...

ثالثا ، أرجو أن ترسل وفود لزيارة الجزائر ، لدراسة اساليب العمل عند مواطنينا هيذه البقعة من ارض فرنسا . كما ارجو ان ترسل وفود لزيارة جنوب افريقيا — مثلنا الأعلى — فالخطة هناك محكمة وكل افريقي هو في خدمة الابيض ، فالافريقي لا يمكنه أن يعمل حرا ، لا بد له من رجل ابيض يسوقه اذ لو ترك فانه ينام حيث هو واقف .

رابعا ، أبلغكم — عن طريق مصدر مطلع — أن جنرالا حازما سيحل بالاقامة العامة ، ولهذا دعوا هذا المخرف الاشيب المسمى (بونصو) يقضي ما تبقى من الايام مستدفئا باشعة الشمس بقصر ماموريته الاخير بالربزيضانص (ميلا لوريش ،)

خامسا ، عليكم أن تكونوا لجنة حازمة قوية لمقاومة جيوبه الصريح ، لا محاف ولا تردد ، وعلينا أن نحصل على اعتماده من الغرف الصناعية التجارية لنكون الحظوة مجتمعة والجبهة موحدة

اننا اذا لم ننظم صفوفنا من الآن فسيتعاظم الخطر من حولنا ، وكما يقول مثلهم (النار العظيمة من الوقيدة الصغيرة)

سادسا ، أدعو الى التعبير عن احتجاجكم باتخاذ موقف خارق للعادة لابد للانتظار

قال شارل

ماذا تشرح علينا يا سيد توانيو ؟!

— اقترحت ارجو أن تعمل بالحد لا بالجد ، وان تعد عزا

— ما هو ؟

— هو أن تستدعي جماعة من الحلاقين ،

— جماعة من الحلاقين ؟

— نعم جماعة من الحلاقين تحلق لنا الرؤوس ، ثم نخرج الى الشوارع بهذه الكيفية المثيرة ، وستكون جموع المستوطنين الفرنسيين معنا ، وهنا يقدر (بونصو) مقدار الضرر الذي يريد أن ينزله بنا .

— اقتراح وجيه يا سيد توانيو ، وانا اول المحلقين. مع رفع القبعة .

بكيفية عفوية ، مرر مسيو مارتان راحته على شعر رأسه الناعم الرجل على احسن حال ، كما داعب شعيرات ذقنه المشذبة ، وشعر في داخله بامتعاض لا مزيد عليه .

قالت السيدة مندبس

– نحن النساء لا يمكن أن ننفذ هذا المقترح ... ابحثوا لنا عن وسيلة نعبر بها عن احتجاجنا .

قال موريس الوقوح :

– امسحن الكحل على أعينكن ، والأحمر عن شفائفكن واطلقن الشدات عن صدوركن ... ان السيد بونصو سيموت حسرة عند ما لا يجد صدورا منتصبة أمامه !

قالت مدام مندبس

– اخسأ يا سيد موريس ... أنت تؤذي أسماعنا .

– عفوا سيدتي . لم اقصد اذاية أية حسناء من بينكن ... آه سأذهب حالا الى الحلاق البرتغالي ليحلق لي رأسي حلقا تاما سأكون عدوه

اكتفى السيد توابو بمقترحاته المحددة بست نقط . ومضى الى مكانه . وهنا خالج ضمير السيد مارتان عزة عنيفة . فالنقط الست كلها متطرفة ، ولا تدل على تقدير لحقوق الغير .

على كل حال سجل الأفكار الرئيسية . ثم علق بصوره بالشخص الوالي ، وكان شخصا هرما ينجلي العجز في مشيته ، ولما بدأ يتكلم كان صوته خفيضا . وهنا صاح أحدهم ، لا شك انه شارل .

– ارفعوا أصواتكم ، او عودوا الى مكانكم ، ليس المحل محلا للمرضى والعاجزين .

فأعاد من الأول .

– ان ما سأقوله لكم نابع من قلبي الانساني ومن ضميري الفرنسي ... انني من أجل فرنسا حملت السلاح خمسا وعشرين سنة ، ذقت مرارة الأسر والجوع والعشاق الفكة ... وآسف أنني لم أمتهن الفلاحة الا بعد ما فنيت صحتي ، لكن أولادي كانوا خير عون لي .

كان شارل ما زال لم يغادر القاعة فعلق بصوت مسموع وهو عند الباب :

– هل تتحدث عن أولادك من زوجتك (المروكية) لقد سحرتك هذه المرأة حتى صرت طوع يمينها ، أيها الشيخ (جوان) زد زد ... أنا رائح .

لم يعلق الشيخ جوان على اقوال شارل السفيه ، وانما تابع :

ان الاهالي المغاربة فلاحون بطبعهم ، كسابون بطبعهم، يحبون الارض ويفرحون بانتاجها ،ولا تنقصهم الا الخبرة التقنية الجديدة ... وكما نستفيد من تقنيات أمريكا وكندا واستراليا فانه من حسن المعاملة ان تعلم ... .. (مقاطعة ، وصخب وضجيج وضرب بالأيدي على الطاولة) .

قال أحدهم ، وهو ذو صوت أجش :

– سيد جوان انزل ، واجعل موتك يتم على فراشك الوثير ، لا على طريقة أخرى .

– ان لا اعبأ بالتهديد ، مندسي معي، فاي جبان يحاول له ان يؤذيني عليه أن يتقدم (سكوت مطبق ، وشيء من الرعب ، وصرخه مكبوتة اطلقتها بعض النساء ...)

واغتنم السيد جوان السكوت فمضى يقول

– سيغيب وجهي ، ويغيب وجه أمثالي ، ولكنكم ان لم تحسنوا المعاملة فتغادروا هذه الارض حتما طال الزمن أم قصر - تغادرون قصوركم وضيعاتكم وكل مكتسباتكم ، لن تحملوا معكم الا المتاع ، أما الارض فستبقى هنا لأهلها .

يقول البعض نحن ورثة الرومان ، مع أن الورثة الحقيقيين هم الايطاليون ، فعليهم أن يعودوا ويستولوا على فرنسا واسبانيا وأقطار أخرى ومن جملتها المغرب... أي منطق ؟ ! ان الارض مغربية ، واهلها واعون وذوو غيرة ، لهم دينهم وأنا لست داخلا فيه ، ولهم لغتهم وأنا أجهلها ، ولهم حضارتهم وأنا لست مشغوفا بها ، ولهم تقاليدهم وأنا احترمها ولا أتقيد بها ... قال شارل ، السفيه المعروف كلاما عن زوجتي المغربية ... مخذوها كلمة صريحة ، انني معتز بهذه الزوجة ، بتصرفاتها ، بحسن تدبيرها وطبخها ونظافتها ، طبعها هو الصفاء والاخلاص والتفاني بأجلى معنى ، هي في سن الكهولة ، ولها رونق الشباب وبهاؤه ... انها سعيدة ، وتستطيع منح السعادة ... بقيت مسألة حلق الرؤوس ، وهي أضحوكة ستحفظها الاجيال للذين

اقترحوها ، ربما يأتي زمن يكتب فيه المسرحيون والقصصيون ، ويرسم الرسامون مناظر هذه المهزلة ، وهكذا يضحك الناس من سخافة عقول بعض الفرنسيين، ابناء العقل والحكمة . لن اشارك في هذه السخرة ، واتمنى ألا أرى مثل هذه الوجوه مرة اخرى ...

خرج الشيخ جوان وحده ، غير متبع ولا مصايق، وسار الى سيارته وحرك دواليب المحرك ومضى .

سكت الرئيس المسيو ((ورلو) فترة بعد خروج هذا الرجل ، وتنبه الى ضرورة مواصلة الاعمال ونادى على المتكلم الخامس .

والواقع ان هذا المتكلم الخامس أتعب الجالسين بطول حديثه ، وغموض عباراته ، وبكثرة تطلعه الى ورقته ..

والخلاصة التي خرج بها المسيو مارتان المقرر ، هي هذه .

« ان الفلاحين الفرنسيين نشطون ، وهو منهم ، ومتمسكون مثله بأراضيهم ، وأنه يفرض سلطته على العمال ، كما تفرض زوجته على (الفاطمات) ولا تترك لهن فرصة لرد النفس الا عند غروب الشمس ، أما الاولاد فانهم يركبون اقفية اولاد العمال ، ويجعلون منهم شبه حمير او بغال أو نحو ذلك !

وكأن الخطيب شعر بفتور الجو من حوله ، فرفع صوته ونادى :

ـ أؤيدكم في مسألة حلق الرؤوس ، وساكون أول المحلقين ...

قام سادس الخطباء وقال :

ـ (اكتفي بما قال زملائي من قبلي من أمثال : السيد مورلو ، والسيدة ماندس ، والسيد شارل ، والسيد نرابو ، والسيد جوان (همهمة وضجيج) .

ـ عفوا ، انني لا اوافق على أقوال السيد جوان المحترف ... اوافق تماما على حلق الرؤوس ، كما اوافق على السيرة الى مقر مأمورية المفيم العام المسيو بونصو ، للاحتجاج على تصرفاته نحو المعمرين العاطلين الحازمين ، ونطالب الحكومة الفرنسية أن تعجل بارسال الجنرال ، المقيم الفرنسي الجديد (تصفيقات حادة) ، قال الرئيس :

ـ هل من متكلم آخر ؟ لا أحد ؟ طيب. المقترح الرئيسي (أن نحلق رؤوسنا ، ونتوجه الى الاقامة العامة) (تصفيقات حادة ، وهتافات التأييد)

خرج الرجال يتسابقون الى صالونات الحلاقين ، بينما يقبعت النساء متضايقات من هذه العزلة التي فرضت عليهن ، والتي جعلتهن عاجزات عن أي تصرف.

في نفس الوقت انشغل المسيو مارتان بجمع أوراقه ومراجعة ما كتب ، وفي داخليته عزم على ألا يحلق شعره مهما يكن من أمر . وما تنبه الا وشارل واقف عند رأسه ، محلوق الرأس بشكل يثير الضحك وصاح :

ـ ألم تذهب بعد يا سيد مارتان لحلق رأسك ؟

ـ لا لم أذهب بعد ، ما رأيك ـ ونحن وحدنا ـ في ان نعقد صفقة بيع وشراء . ؟

ـ بيع وشراء ماذا ؟

ـ ضيعتي ... .

هل تقبل مليون ومائتين من الفرنكات ...

ـ اريد مليونا وثلاثمائة ...

ـ موافق

وحرر السيد شارل شيكا لدى (كريدى ليونى) بالمبلغ المتفق عليه ، وقبل ان يسلمه الشيك قصدا الى مكتب الموثق ، ومن هناك الى البنك حيث تسلم المسيو مارتان المبلغ نقدا .. وعندئذ كان وقت المسيرة المحدد قد فات ...

الإلتزام بالأصالة والتشبث بالكرامة

للأستاذ أبو عبد الله عبد القادر الموشيني

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين :

« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما » (*) نسي آدم عليه السلام وحواء ، والنسيان آفة الانسان ومشكلته العصية قديما وحديثا ، نسيا التحذير الالهي وأكلا من الشجرة المحرمة باغراء من الشيطان واستجابة لدعوته التي صورت لهما الاكل من الشجرة خلودا وملكا لا يبلى . (ودعوة الشيطان اليوم هي كل دعوة تهدف الى فصل ارتباط الانسان بالسماء، وتوهمه أن الحياة الارضية خالدة ، ولا شيء غيرها). فاهبطا الى الارض التي هيأها الخالق سبحانه لتكون لهما ولابنائهما مستقرا ومتاعا الى حين . وتناسل الابناء وتفرقوا في الارض وتشعبوا شعوبا وقبائل وأمما ومجتمعات . وطال الامد ، وقست القلوب ، ونسي الناس ماضيهم السماوي وكفروا بربهم ، ونسوا أصلهم المشترك فبغا بعضهم على بعض وبغى . والانسان عند ربه كريم رغم زيغه وبغيه وضلاله وانحرافه . فكان لابد من تذكيره وهدايته وارشاده ، تحقيقا لقوله تعالى : « .. اهبطوا منها جميعا ، فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولائك أصحاب النار هم فيها خالدون » (1) وهكذا توالى الانبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه (2) . وكل واحد منهم يحمل لقومه رسالة ذات شقين : عقدة (3) تذكر الانسان بربه ، وتعيد ربط صلته به، وتنظم علاقته معه ، وشريعة (4) تنظم علاقاته باخيه وبالمادة والكون واضيفت الى رسالة المتوسطين وما بعدهم مهمة التذكير بما أصاب الامم التي كذبت رسلها (5) . وبلغت الانسانية رشدها ، ووضعت اللبنة الاخيرة في بناء الرسالات ، وجاء محمد صلى الله عليه وسلم خاتما لها (6) ، وبشيرا ونذيرا وسراجا للانسانية كافة (7) وما كانت رسالته عليه السلام لتخالف رسالات سابقيه صلوات الله عليهم وسلامه . وهم الذين كانوا منه نوابا (8) وبه مبشرين (9) . والذي يرجع

---

* طه 115 .

1) البقرة 38 ـ 39

2) وان من أمة الا خلا فيها نذير (فاطر 24)

3) العقيدة مطلقة من قيود الزمان والمكان ، لا تتغير من رسول لآخر :
أ ـ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (النحل 36)
ب ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (الشورى 13)

4) الشريعة مقيدة بحدود الزمان والمكان ، ومتغيرة من رسول لآخر : « ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (المائدة 48) الا شريعة محمد عليه السلام . فهي للناس كافة ولا شريعة بعدها تنسخها

5) ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (القصص 43)
ب ـ « انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر (القمر 31 ـ 32)

6) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (الاحزاب 40)

7) أ ـ « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون (سبأ 28)
ب ـ « قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا .. الاعراف 158)

8) واذ أخذ الله ميثاق النبيين .. الخ (آل عمران 81)

9) واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (الصف 6) .

الى القرآن الكريم يلاحظ الحاحا متزايدا على التذكير ، فلا تكاد تخلو سورة من لفظ التذكر او مشتقاته . وأرى من المفيد ايراد البعض على سبيل المثال — والتذكير أيضا — : « فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى » (10) « فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » (11) « ولقد يسرنا هذا القرآن للذكر فهل من مدكر » (12) « ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا » (13) ووصف الله القرآن فقال عنه سبحانه : « ان هو الا ذكر للعالمين » (14) « وانه لذكر لك ولقومك » (15) « المص ، كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » (16).

وهكذا كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكيرا . تذكير الناس بأصلهم السماوى (17) فيرفعوا رؤوسهم الى اعلى ، وتذكيرهم بخالقهم ليعبدوه ويطيعوه ، وتذكيرهم بأصلهم المشترك ليتحابوا ويحسنوا المعاملة ، وتذكيرهم بما أصاب المكذبين بالرسالات ليرعووا وينقوا العذاب الدنيوى والاخروى

والتحق محمد عليه السلام بربه بعدما مهد الطريق(18) الذى رسمه القرآن الكريم للبشرية قاطبة. وطال الامد وقست القلوب (19) ، وانحرف الركب وزاغ . فكان لابد من مذكر يذكر الناس بالمنهاج الذى خطه الخالق لعباده ، ويرشدهم الى سبيل القرآن الكريم والسنة النبوية وصراطها السوى المستقيم. وهكذا توالى المجددون والمصلحون الذين وعد عليه السلام ببعث أحدهم على رأس مائة سنة . منهم من ظهر واشتهر ومنهم من ادى مهمته دون ان يذكره أحد . من الامام الغزالى الى محمد بن تيمية الى محمد بن عبد الوهاب الى محمد بن على السنوسى ، غفر الله لهم أجمعين .

ومن المولى ادريس الى عبد الله بن ياسين الى المهدى بن تومرت الى محمد بن عبد الله الى الحسن الاول ، قدس الله ارواحهم اجمعين . ثم طال الامد بعد جلالة الحسن الاول طيب الله ثراه ، ونسينا مرة اخرى وانحرف الركب المغربى وزاغ ، واطعنا اوامر الشيطان (واوامره تتجسد الان فى هذه الدعوات الهادمة ، والايديولوجيات الهدامة التى تحاول أن تخرج الشعوب الاسلامية من جنة الايمان الى نار الالحاد ، وان تهبط بها من سماء الاصالة الى ارض التقليد الاعمى والتبعية والميوعة الفكرية والاجتماعية) . فكان لابد من مذكر يذكرنا بالمنهاج الربانى وبما يفترضه من طاهرة الروح والاستقامة فى السلوك ، وحسن المعاملة . مذكر يعيد ربطنا بالمبادىء الاصلية والقيم الروحية التى جعلت من المغرب منارة اشعاع عالمى فى القرون الوسطى . وكان المذكر المنتظر هو جلالة الحسن الثانى ايده الله ونصر دعوته وبلغه مقصده . (يرجع الى المقال الذى كتبه الداعية الاسلامى فضيلة الاستاذ سيدى عبد الله كنون ، والذى ربط فيه بين دعوة جلالة الحسن الاول والحسن الثانى (20) وقد أشار جلالته الى كون الدعوة الى البعث الاسلامى تذكرا ، فقال فى رسالة ملكية خص بها مجلة « دعوة الحق » :

« عندما استقر عزمنا على أن تكون هذه السنة سنة بعث اسلامى ، وخاطبنا شعبنا الوفى بما اختلج فى صدرنا وجال بفكرنا ، فان نيتنا اتجهت فى الواقع الى تأدية امانة امام الله سبحانه ، وامام التاريخ الذى خلد الكثير مما فعله اجدادنا المنعمون فى هذا المضمار .. لقد قمنا بتذكير شعبنا والذكرى تنفع المؤمنين بأن المعاملة بالحسنى وطهارة الروح وراحة الضمير هى المحصنات الضرورية ضد الزيغ والانحراف وانفصام حبل التشبث بالمبادىء الاصيلة والقيم الروحية المرعية فى هذه البلاد » (21) .

---

(10) الاعلى 9 — 10 .
(11) الغاشية 21 — 22
(12) القمر 31 — 32
(13) الاسراء 41
(14) التكوير 27
(15) الزخرف 44
(16) الاعراف 1 — 2
(17) الاكثار من ذكر قصة آدم عليه السلام ، ولذلك غرضان :
أ — الاشعار بكرامة الانسان الذى سجدت له الملائكة .
ب — التحذير من مغبة الغواية وامامة أوامر الشيطان التى أخرجت آدم من الجنة .
(18) تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنة رسوله .
(19) يربط القرآن الكريم بين التذكر ولين القلوب وخشوعها ، وبين النسيان وقسوتها ، « الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم (الحديد 16)
(20) دعوة الحق عدد مارس 73 ص 10 .
(21) نفس المصدر

الكرامة والاصالة

الاصالة نوعان : انسانية وقومية . الاولى اصالة الانسان (ايا كان الانسان ومتى وكيف ، الانسان السماوى والارضى ، الاحمر او الابيض او الاسود ، انسان العصر الحجرى او الذرى الحالى او الشمسى الذى لاشك انه آت) والثانية اصالة امة او مجتمع او قوم .

اصاله الانسان وحقيقته وجوهره صلة متينة وارتباط وثيق واصرة قوية تربطه بخالقه ومصدره ومسويه بشرا سويا . « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (22) تلك هى صلة الله بالانسان روح الهية ينفخها فى مادة ميتة جامدة فاذا هى تتحرك وتتكلم ، وتفكر وتفهم . وتلك الصلة هى اصالته واصله الاصيل ، ومن اجلها كرمه البارى عز وجل ، كرمه عند ما امر الملائكة بالسجود له ، وكرمه ثانيا عند ما كلفه بمهمة الخلافة فى الارض ، وكرمه ثالثا عند ما اصطفى واختار من بين افراده نخبة كلفها بهداية الناس الى اقوم الطرق لتحقيق الخلافة ، وارشادهم الى اسلم السبل لتحقيق السعادة والرقى المتوازن السوى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (23) (وكرم المسلمين خاصة « كنتم خير امة اخرجت للناس » عندما وضع بين ايديهم دستورا الهيا خالدا ، حفظه من الضياع والتزييف والتشويه الذى اصاب الكتب الاخرى ، وجعله حجة على الزيف والفساد والتحريف . « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

والتكريم درجات ، فعلى اى اساس تنطبق صفة الكريم او الاكرم ؟ على اساس الجنس ، والحالة اننا جميعا يجمعنا جنس الانسان ؟ ام على اساس اللون ، وما تعددت الوان ابناء آدم الا تحت تأثير المناخ والبيئة الجغرافية ؟ « ... ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (24) الاكرم هو الاتقى وبعبارة اخرى هو الذى لم تنقطع صلته بربه ، بل هى قوية متينة تذكره فى كل وقت وحين بأصله الروحى وماضيه السماوى فيشعر بقيمته وكرامته وقربه من خالقه ومراقبته له ، فيتقى ويستقيم ويعلو ويسمو ، فيكرمه الخالق سبحانه تبعا لاستقامته وتقواه ، الكرامة اذن مرتبطة بالاصالة . والاكرم عند الله هو الاصيل المتين الصلة به ، ولا صلة ولا آصرة الا روحه ، ولا حبل ولا سبب غير القرآن الكريم الذى هو ايضا روح (24) .

تلك هى كرامة الاصالة الانسانية ، وهناك كرامة الاصالة القومية : الانسانية ليست امة واحدة ، بل هى امم مختلفة (ودعك من دعوى الانسانية المزيفة التى تبشر بها وتروج لها الجمعيات الماسونية الهدامة بهدف تدمير الاديان والجنسيات والقوميات ليخلو عرش الخلافة للصهيونية ودينها المحرف) فالاختلاف من سنن الله ، « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم »(26) هكذا يقرر الخالق سبحانه ان الاختلاف مقصود وهدف من الخلق (27) ولاشك ان ذلك لحكمة الهية وهو الذى لا يفعل شيئا عبثا . فلابد اذن من الاختلاف ، ولابد ان يكون لكل مجتمع شخصية معينة تشتق جذورها من اصالة عريقة تميزه عن باقى المجتمعات .

وتقليد امة لغيرها — فكريا او عمليا — تقليدا اعمى الغاء لحكمة الاختلاف (28) ، والغاء للاصالة ، وبالتالى الغاء للكرامة القومية . وقد اشار صاحب الجلالة الحسن الثانى الى ارتباط التكريم بالاصالة والتقوى فقال فى الرسالة السابق ذكرها :

« لقد كرم الله المسلم — كرمه بأن وضع بين يديه دستور القرآن الخالد ، ليقدم ، وباستمرار كحجة على الزيف والفساد والتحريف .

— كرمه بربط قيمته بتقواه ، بصرف النظر عن لونه وسلالته .

---

22) سورة ص 71 — 72 .
23) الاسراء 70 .
24) الحجرات 13 .
25) وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . . . (الشورى 52)
26) هود 118 — 119 .
27) يرى بعض المفسرين أن الاختلاف المذكور هنا اختلاف فى المعتقدات الدينية . وهذا لا يمنع من أن يكون اختلافا فى النظر الى الحياة ، وفى الانظمة الاقتصادية والاجتماعية (وقد رأينا فى الاية 13 من سورة الشورى أن الاختلاف فى الدين منهى عنه .
28) والمعللون للحكمة الالهية عنا يسخهم « قردة » مقلدة ، واقنابا تابعة ، وكلابا تحت موائد الاغنياء تابعة .

— كرمه اذ أبعده عن التقليد الاعمى ، التقليد الذى يسىء الى الاصالة ويسمح بالتبعية ويصرف عن طلب الحقيقة » (29)

تلك فكرة وسنرى كيف تصبح واقعا معاشا عند الحديث عن احياء التعليم الاصيل وجامعة القرويين ، واقامة الاشتراكية المغربية على أساس نظام الجماعة المغربية .

التقليـــد والاصالـــة

يرى علماء النفس ان التقليد غريزة بشرية تظهر فى مرحلة معينة ، وفى حالة الضعف خاصة . فالاطفال يقلدون والديهم واهليهم فى كيفية السير والاكل والكلام، وفى الاداب والعادات الاجتماعية ، ثم فى المعـــارف والعلوم والخبرات والتجارب . غير ان التقليد يقـــف عند حد تتلوه مرحلة الانتاج والابتكار ، والا تجمـــد المجتمع وانتكس وارتكس . ومن يقف يرجع الـــى الوراء . اذ الركب الحضارى لا ينتظر احدا .

وكما يقلد الصغار الكبار تقلد الامم الضعيفة من اقوى منها . الامم ليست على درجة واحدة فى الرقى الحضارى والعلمى . ولكى تتطور الامم المتخلفة وتساير عصرها ، لابد ان تقلد من هو اكثر منها تقدما وارقى حضارة . ولولا التقليد الاممى لما تجددت المعـــارف الانسانية ولما انتقل مشعل الحضارة من قارة الـــى اخرى . فلقد قامت الحضارة الحديثة على اســـاس العلوم الاسلامية ، كما قامت الحضارة الاسلامية على اساس المزج بين الثقافة الاسلامية وعلوم ومعارف اليونان والفرس والهنود والرومان .

غير انه لابد من مراعاة شيئين :

أ — يجب أن يقف التقليد عند مرحلة معينـــة ، تتلوها مرحلة الاستقلال والابداع الذاتى الاصيل .

(فقد انتهت مرحلة النقل والترجمة فى العصـــر العباسى الاول ثم جاءت مرحلة الابداع الاسلامى) (30)

ب — لابد من اعمال الفكر والروية فيما يقلد وينقل ويقتبس ، ثم المقارنة بينه وبين عناصر الاصالـــة القومية ، وطرح ما يناقضها أو يسىء اليها . وهذا هو التقليد الواعى ، والاعمى نقيضه ، ومن المفيد هنا ان استشهد بحديث نبوى رغم انه قيل فى حادثة صغيرة : « لا يكن احدكم امعة يقول انا مع الناس ان احسنوا احسنت وان اساؤوا اسات ، ولكن وطنوا انفسكم على ان احسن الناس أن تحسنوا معهم ، وان اساؤوا ان تتجنبوا اساءتهم » فالتقليد الاعمى اساءة وميوعـــة وانحلال ، وعند ما ننظر الى حضارة الغربيين من خلال هذا الحديث النبوى ، فاننا نرى فيها احسانا يجب ان نعمل مثله فنحسن كما احسنوا ، واساءة — للاصالة الانسانية والقومية — يجب ان نتركها فنتجنب اساءتهم

تتركب الحضارة الحديثة — الغربية بشقيهـــا والصينية واليابانية — من شيئين لا ثالث لهما :

أ — علوم مادية نظرية وتطبيقية مجردة ومطلقة من عوامل البيئة الجغرافية كالرياضيات والكيميـــاء والفيزياء والطب ، وهذه لا خوف منها ولا خطر اطلاقا فى نقلها والتقليد فيها ، اذ لا علاقة لها بالاصالـــة القومية . فالمعادلة الرياضية الواحدة تحل فى موسكو وباريس وواشنطون ، والخارج لا يتغير من بلد لاخر . وليست به رائحة روسية او مذاقا فرنسيا أو نكهة امريكية . والمادة الكيماوية الواحدة تحلل فى مخابـــر طوكيو وبكين وبون ، والناتج نفس العناصر لا تزيـــد فيها او تنقص نظرة الحياة اليابانية او المعتقـــدات الصينية او الفلسفة الالمانية .

فهذه العلوم المادية لا صلة لها بالاصالة القومية احسانا واساءة ، او بالعقيدة الدينية نفيا واثباتا . ونحن اولى من يســـارع الى نقلهـــا وتعليمها وتطويرهـــا لا لان المعاصرة تفرض علينا ذلك فقط ، ولكـــن لان ديننا يحض على تعلم العلوم النافعة ، ويدعو الـــى الاستفادة منها لتحقيق الخلافة فى الارض على وجـــه ارقى وافضل .

ب — علوم انسانية : فلسفات ، اداب ، مذاهـــب اقتصادية واجتماعية . وهذه مقيدة بحدود البيئـــة الجغرافية وفيها تبرز عبقرية الشعوب واصالتهـــا ، ونظرتها الى نفسها والكون . فنظرة المغربى الى نفسه والحياة ليست هى نظرة الامريكى . ونظرة هذا تخالف

---

(29) دعوة الحق عدد مارس 73

(30) « ا » حضارة الغرب لبوسانت لوبون .
الباب الخامس من ص 433 الى 494 .
« ب » شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الالمانية زيغريد هونكه .
الكتاب الخامس من ص 353 الى ص 399

نظرة الروسى ، وما يراه الهندى يخالف ما يـــراه الانجليزى ، وهنا لابد من الحذر عند التقليد والنقـل والاقتباس ، فما يصلح لشعب ليس بالضرورة صالحا لكل الشعوب ، بل قد يكون للاخرين مضرا ، ولنا فى اجدادنا قدوة واسوة حسنة ، فلقد نظروا الى علـوم السابقين واخضعوها لمقياس العقيدة الدينيه والبيئة الاسلاميه ، فأخذوا العلوم المادية البحتة وجانبوا من الفلسفة الالهية التى لا تعارض النظرة الاسلاميـة فى الجوهر ، وتركوا الاداب والاساطير الدينية والفلسفة الاجتماعية ، لانها مناقضة للبيئة العربية والمعتقدات الدينية .

لقد أساء الادب اليونانى القديم الى العلاقة بين الله والانسان ، عندما عدد الالهة وانزلها من عليائها وادخلها فى صراع ضد بعضها وضد الانسان ، وكأنها فـرد من أفراده تغار وتحسد وتحقد وتكره وتنتقم ، واساءت الفلسفة الحديثه الى الانسان عندما قطعت كل صلة له بالسماء وجعلته ، جرد حيوان يعيـش ويتناسل ثم يموت ولاشىء بعد ذلك ، اساءت اليـه الفلسفة الاجتماعية القديمة عندما قسمت المجتمع الى طبقتين ، طبقة السادة وطبقة العبيد ، واساءت اليه المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الحديثة عندما قسمت المجتمع تقسيمين : اغلبية غنية واكثرية فقيرة . ولا فرق هنا بين اليساريين او المحافظين ، اذ الثروة والمال ــ او العجل كما قال الدكتور المهدى بن عبود فى احدى محاضراته ــ تستحوذ فى الغـرب علـى الافـراد والشركات ، وفى الشرق مجموعة حاكمة تتألف مـن رئيس الحزب ومندوبيه وممثليه ، هناك يعلق العجل من أجل أرباب الشركات الاحتكارية وهنا يذبح فى معبد الدولة . وما على الشعب فى كلا النظامين الا ان يكد ويكدح . فى الغرب انانية واثرة واحتكار ، وفى الشرق احقاد وكراهية وبغض . أين الاخوة الانسانية فى كلتى النظرتين ؟ واين ذلك من فلسفة الاسلام ونظرته الى الانسان وتوزيع الثروات (31) ؟ وهل من الحكمـة وسداد الراى ان نتلد فى هذا المجال ؟ عند ما نفعل ذلك فاننا نسيء الى اصالتنا الانسانية والقومية معـا ، نسيء الى أصالتنا الانسانية لان الفلسفة الغربيـة بشقيها فلسفة مادية صرفة تربط الانسان بالواقـع المادى وتصرفه وجهه عن السماء ، ولا تؤمـن بـ « ... ونفخت فيه من روحى » .

وتنفى كل فكرة عن الله والروح . ونسيء الى اصالتنا القومية لان نظرتنا الى الانسان والمجتمـع والعلاقات الاجتماعية ، والاخوة الانسانية والمحبة والتعاون الانسانى تخالف نظرة اليساريين واليمينيين معا . أخلص من هذا الاستطراد الى القول ان العلوم المادية مرغوب فى نقلها والتقليد فيها ، أما الانسانية فلا ، لانه لنا فيها رصيد ضخم ، ولاننا نسيء الى هذا الرصيد الاصيل .

(والغريب ان الغرب يغرقنا بآدابه الماتعـة وفلسفاته المادية الملحدة ، فى الوقت الذى يضن فيه علينا بعلمه وصناعته ! فهل يحدث هذا صدفة ؟ أم ان هناك خطة محكمة لتمييع الشعوب الاسلامية وابقائها متخلفة وتابعة ؟)

وقد تطرق صاحب الجلالة الحسن الثانى سدد الله خطاه ــ فى تطلق دعوته المباركة الى البعـث الاسلامى ــ الى موضوع النقل والتفتح على الحضارة المعاصرة ، وبين جلالته ما يجب تعلمه واخذه ، وهى العلوم المادية واللغات ، لانها وسيلة الى نقلها . ومثل لذلك بما فعله اجدادنا الاقدمون ، فقال اعزه الله فى كلمة توجيهية أمام اللجنة المكلفة بتطوير التعليـم الاصيل : « فاللغة العربية لم تصبح لغة عالمية الا بعد ان تعلم العلماء العرب اللغات الاجنبية التى بها ترجموا الى العربية كتب الفلاسفة والمهندسين والحيسوبيين والاطباء الروم منهم والفرس واليونان وما اشبه ذلك .

فاذن نرى ان اللغة العربية لم تكتف بأن تعيش منطوية على قرائها بل لم تتمكن من أن تغزو كأداة للغزو حتى قبلت ان تعامل وتساير حضارات ولغات اخرى ونحن اذ نريد أن نرجع الى الاصل وخلق علماء ، علماء بكل معنى الكلمة ، نريد ان نجعل من علمائنا علمـاء مشاركين سواء فى ميدان اللغة العربية او الشريعـة او الآداب ، ولكن مشاركين كذلك فى السمعة العالمية التى يحوضها العالم بجانبكم وحتى لا يبقوا جانبيـين عنا » (32) .

وبين أعزه الله ما لا يجب نقله كالاشتراكيـة الاجنبية ــ وقد تقدم ان فى نقل الانظمة الاقتصادية والاجتماعية اساءة لاصالتنا الانسانية والقومية ــ فقال نصره الله فى خطاب عيد الشباب سنة 73 .

(31) يرجع الى العدالة الاجتماعية فى الاسلام لسيد قطب .
(32) دعوة الحق مارس 73 .

« فاذن شعبي العزيز انطلاقا هذه ، الانطلاقة الاجتماعية والاقتصادية التي ترمي الى خلق اشتراكية مغربية ، لا اشتراكية تاتي في حقائب ، ولا اشتراكية تاتي في صحف ، ولا اشتراكية نقرأها في كتب فرنسية بكليات في الخارج ولكن اشتراكية مغربية محضة تطابق اصولنا واصالتنا » (33) .

فالعلوم المادية — كما تقدم — مجردة من عوامل البيئة الجغرافية والاجتماعية لا تتغير اذا انتقلت من قطر الى اخر ، بخلاف العلوم الانسانية والانظمة الاقتصادية والمذاهب الاجتماعية، فانها خاضعة لعوامل البيئة ، كالنباتات والاشجار ، تتغير وتقل قيمتها أو تنعدم اذا انتقلت الى بيئة مغايرة ، فالنخيل يعطي تمرا في طانطان وفي طنجة تصبح مجرد زينة تمتع العين ولا تشبع البطن ، وهذا ينطبق على الاشتراكية الشرقية — الاصفر منها والاحمر — اذا انتقلت الى تربة كالمغرب الذي ابتكر ابناؤه نظام الجماعة التي لم يتفتق عنها ذهن ماركس ولا ماو ، ولا مالهما من اذناب وتابعين ومقلدين .

الجامعة والجماعة والمقيم العام

« اذا كنت تجهل عناصر قوتك ، فانظر اين يوجه عدوك سهامه » ذات يوم قال المقيم العام المارشال اليوطي : « لا اخشى على الوجود الفرنسي بالمغرب الا من هؤلاء الرجال الذين يدخلون الى هذه البناية التي يسمونها جامعة القرويين ويخرجون منها وقبابهم مبدولة على رؤوسهم » لقد كان المارشال الذكي صادقا فيما قال ، صادقا في تصوره لمركز القوة ، صادقا في تخوفه وتنبئه .

ان الاستعمار اينما كان وحيثما حل لا يعتبر احتلاله للارض الا مرحلة وتنطرة لاحتلال القلوب والنفوس ، وان احتلال الحاضر لا يمكنه ان يمتد الى احتلال المستقبل البعيد الا « باحتلال » الماضي . واحتلال الماضي كماضي يعني قطع كل صلة للامة المغلوبة بماضيها وتاريخها وامجادها وعناصر قوتها واصالتها ، لتصبح كشجرة بلا جذور يسهل استئصالها وغرسها في تربة فكرية ومناخ ثقافي جديد .

والوسائل لتحقيق ذلك متنوعة ، منها تشويه الماضي وتزييفه وتلطيخه ، ومنها وضع حاجز نفسي بينه وبين ابنائه حتى لا يلتفتوا اليه ابدا ، وان فعلوا فلن يروا الا سوادا ، ومنها خلق حاضر مزيف يبدو مشرقا لامعا وجذابا للعقول والقلوب والابصار ، وكل هذه الاحلام الاستعمارية لن تصبح حقيقة وواقعا معاشا اذا كان هناك مركز يشع بثه الماضي بثقافته وحضارته وامجاده ، وكانت جامعة القرويين هي ذلك المركز والمنارة ، كما كانت ايضا ذلك السور المنتصب في الجانب الثاني من القنطرة — المحتلة — والصامد حائلا ومدافعا وذائدا عن حياض المغرب وكرامته واصالته ، ومن هنا انبثق خوف المقيم العام على الوجود الفرنسي بالمغرب ، واتجهت نيته الى هدم هذه المنارة وتحطيم ذلك السور الحاجز .

ولكن الجامعة العتيدة كانت اقوى مما تصور المارشال الذكي . والاستعمار لا يمتلك في جعبته سهما واحدا ، فبعد ان فشل الهجوم المباشر اتجه الى اسلوب آخر يسمى اسلوب الحصر والعزل وكشف الفعالية ، وهكذا احيطت الاسوار — الفكرية — حول جامعة القرويين ، واهملت وتركت لشانها . فتجمدت مناهجها وتخلفت عن مسايرة العصر . كما فعلت انجلترا بجامعة الازهر (34) — والمقصود من عملية الحصر والعزل هاتان :

ا — ان يكون تخلف الجامعة شاهدا وحجة ودليلا على تخلف الماضي وانحطاطه .

ب — ترك الجامعة تموت « عرقا عرقا » الى ان تتلاشى نهائيا دون ضجة واثارة انتباه .

وقد نجح خلفاء المقيم العام في تحقيق الهدف الاول نجاحا تاما ، وكاد يتحقق الهدف الثاني لولا ان تدارك الله سبحانه الجامعة العريقة بلطفه — وطالما رددت جنباتها يا لطيف يا لطيف — فيها لها باعثا محييا ومجددا ، هو امير المؤمنين الحسن الثاني خلد الله في المجددين والمصلحين ذكره .

لقد انطلقت حركة البعث الاسلامي المباركة في عدة خطوط متوازية . خط روحي يقوى صلة المغاربة بربهم ، وخط فكري يعيد ربطنا بثقافتنا العريقة الاصلية، واتخاذها منطلقا للتفتح على الثقافة المعاصرة، واساسا للانطلاقة الاقتصادية والاجتماعية . وفي هذه النقطة خاطب صاحب الجلالة نصره الله اللجنة المكلفة باحياء التعليم الاصيل وجامعة القرويين وتطويرهما :

دعوة الحق اكتوبر 73 .

34) الطول المذكورة . ج 1 ص 28 .

« اننا حين كنا نخطط تخطيطاتنا الاقتصادية والاجتماعية ، والتعليمية لم نكن بغافلين عما يرجع من نصيب وافر في هذا التخطيط للتعليم الاصيل ، ولا اقول الاصلي واريد ان اسميه بالتعليم الاصيل ذلك ان الاصلي يمكنه الا يبقى أصيلا ، ولكن الاصيل يمكنه أن يتمتع بجميع الصفات ، الماضي منها والحاضر ، اعتبارا منا ان مخططنا الاقتصادي والاجتماعي لا يمكنه ان يعطي نتائج ولا يمكن أن يدر علينا بالخير اذا كانت تلك المخططات في مجتمع يتنكر للبيئة المغربية وللاصالة المغربية » (35)

وبين جلالته الوسيلة لتحقيق هذا الهدف فقال :
« لذا ارتأينا أن نضع لجنة تراسها وزير الدولة الحاج احمد أبا حنيني ، وكانت تشتمل على وزارة التعليم ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وبعض الموظفين السامين ، ومن لهم خبرة بمشاكل التعليم ومشاكل الثقافة واعطينا الى هذه اللجنة تعليماتنا المدققة حتى يمكنها ان تبرز الى الوجود برنامجا منسقا منطقيا يفتح امام كل من اتبعه منافذ شتى ، لا يمكن أن تكون منافذ للترفيه ولا منافذ هدايا ، ولكن المنافذ التي نحسن في أمس الحاجة اليها وذلك بان قررنا ان يكون التعليم الاصيل هو التعليم الاساسي لكل مغربي» (36)

وجامعة القرويين ، والفكر المغربي والحضارة المغربية جدول من النبع الاسلامي ، لذلك قرر جلالته ربط عملية البعث والاحياء بالفكر الاسلامي ، فقال اعزه الله في الرسالة الملكية التي خص بها « دعوة الحق » :

« وحانت المناسبات منذ خاطبنا شعبنا العزيز لوضع صيغ عملية تقضي بسعينا الى بلوغ القصد والوصول الى الهدف . فابرزنا تصميمنا على وجوب التفكير في اطار الفكر الاسلامي وبلغة الفكر الاسلامي حتى تستنير لجيلنا الحاضر ولاجيالنا المقبلة طريق التوحيد وسبيل الحق والهداية » (37)

اما الخط الثالث من عملية البعث الحسني فيهدف الى ربط المغاربة بالارض والانتاج ، على اساس سليم من رصيد الماضي ، وتحت ضوئه واشعاعه ، وذلك باقامة الاشتراكية المغربية الاسلامية على اساس مغربي اصيل ، يتجاوب مع مشاعرنا ، ويجسم نظرتنا وتصورنا لطبيعة العلاقة بين الانسان والارض وخيراتها

فاذا كانت العلوم المادية مشاعة ومجردة ، ولا رائحة لها ولا لون ولا نكهة ولا خوف من استيرادها ، فان الوضع يختلف عندما يتعلق الامر بعملية يمتزج فيها الفكر بالمشاعر والعواطف المرتبطة بالكرامة والاصالة ، فالتقليد هنا تعطيل للابداع القومي والغاء للحكمة الالهية من اختلاف الشعوب (38) في سبيل معيشتها ، وهي بالتالي اساءة للكرامة والاصالة القومية .

فاشتراكيتنا لا يمكن ان تكون اشتراكية مستوردة (وقد رأينا نتائج الحلول المستوردة على نطاق العالم الاسلامي (39)) ولا يمكن أن تكون مغربية صميمة أصيلة . فما هو الاساس المغربي الاصيل ؟ في خطاب عيد الشباب سنة 73 شرح صاحب الجلالة اعزه الله الخطوط العريضة للانطلاقة الاقتصادية والاجتماعية الحديثة في نطاق الاشتراكية المغربية الاسلامية ، وبعد ان تحدث جلالته عن تجربة اشراك العمال في ارباح بعض المعامل ، انتقل اعزه الله الى الحديث عن الارض فقال : « بقيت الصفحة الثانية : أخطر من الاولى بالنسبة لانعكاساتها ، وبالنسبة لما يمكن ان يترتب عنها ، اما عن نجاحها وعدم نجاحها ، فلك اننا نريد أن نعيد تجربة جديدة في استثمار الاراضي المسترجعة التي استرجعناها اخيرا بظهير شريف مؤرخ في 2 مارس .

نحن حاولنا أن نعرف الخلية التي سنبني عليها عملنا ، وتبادرت الى ذهننا خلية الجماعة ، ومما يؤسف له شعبي العزيز وشبابي المتوثب ان الجماعة المغربية لم يدرسها احد من المغاربة ، ولم يكتب من المغاربة — والحالة هذه — والله .. اقول والله لو وجد كينين في روسيا سنة 1917 لو وجد قاعدة كقاعدة الجماعة لاتخذها لبناء الاشتراكية السوفياتية » (40)

لماذا هذه الاشارة من جلالته الى الاشتراكية السوفياتية ؟ الاشتراكية الشيوعية — كما تقدم —

(35) دعوة الحق مارس 73 ص 7 .
(36) نفس المرجع ص 8 .
(37) نفس المرجع .
(38) يرجع الى الهامشين 27 و 28 .
(39) يرجع الى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا ، ج 1 فصل فشل الحل الاشتراكي ص 141 .

اشتراكية صرفة ، تهتم بجانب واحد من جوانب الانسان — أرجو الا يمل القارىء الكريم اذا كررت الكلام عن هذه النقطة ، فان ذلك من باب وذكر .. — وهو جانبه الجسدي المادي . فالانسان — في نظرهم ليس له من هم الا أن يشبع حاجاته الضرورية من غذاء وملبس ومسكن وما يتصل بذلك . فلا شيء غير الارض ولا شيء غير الجسد . وكأن الانسان لا تحتوي اعماقه قبسا من روح الهية تربطه بالسماء ، وتسمو به عن الحيوان الاعجم وترفع رأسه الى اعلى ، الانسان والحيوان في الشيوعية سواء ، كل شيء مباح في حدود انظمة الدولة وقوانينها التي لا يهمها الا زيادة الانتاج ، وتسخير العامل والفلاح ، وتحويل دمائهما الى بترول لادارة دواليب الآلة الضخمة التي يسمونها الدولة ، (ليتذكر القارىء الكريم اشارات صاحب الجلالة أيده الله الى فكرة اللا مركزية وأوامره السامية بتطبيقها في مختلف الميادين) الدولة عندهم هي كل شيء ، وما الفرد الى مسمار صغير حقير يتآكل فيعوض بغيره . الدولة هي الخالق الجبار الموزع للاقوات والارزاق ، وقوانينها هي كل ما كان وكل ما يكون ، اما القوانين الالهية والخلقية فخرافة يجب التخلص منها ونبذها ، ليستطيع الانسان ان يحقق حيوانيته دون رقيب أو تانيب ضمير . (وبالتالي تحقق انتكاسه وارتكاسه وسقوطه في أسر شهوات نفسه وقيودها واغلالها) ذلك هو تصور الاشتراكية الشيوعية للانسان ، فما هي نظرة الجماعة المغربية اليه ؟ وفي اي طريق تقوده ؟

الجماعة المغربية لا تعتبر اشباع الحاجات المادية الا جانبا صغيرا من جوانب الانسان ؟ فهو في نظرها انسان ذو ابعاد عديدة ، فهناك أولا البعد الانساني ، وهنا تدعو الى تعاون الافراد . وتحابهم وتكافلهم ، والعمل لما فيه مصلحة الجماعة استجابة لقوله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الاثم والعدوان » وتطبيق للجزء الثاني المتعلق بالنهي الالهي ، فانها لا تقف من الاثم والمنكر والبغي موقفا سلبيا ، لانها تعرف ان العقاب الاخروي اذا كان فرديا ، فان الدنوي جماعي (41) . ولذلك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم هناك البعد الوطني ، اذ كانت تسلح أفرادها وتعدهم للدفاع عن الوطن اذا ما حاول عدو احتلاله واستباحة محارمه ، وفي ذلك بعد ديني أيضا اذا كانت تعتبر الدفاع عن الوطن جهادا في سبيل الله ، وقد أشار صاحب الجلالة الحسن الثاني أيده الله وسدد خطاه الى مميزات الجماعة المغربية فقال :

« ذلك ان الجماعة فيها التعاونيات والجماعة فيها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجماعة كانت فيها توزيع — التويزة — وتوزيع الماء الجماعة كان واجبها حفر الابار ، الجماعة كان من حقوقها كذلك النظر في مسائل الحرب او السلم بين القبائل ، كان كل شيء يمشي في الجماعة بالرأي والاستشارة والشورى لا بالضغط ولا بالقهر .. » (42) وفي معرض حديث جلالته عن أسباب ضعف نظام الجماعة ، ذكر من بينها تصدي الاستعمار لها ، وعمله على التقليل من قدرتها بسبب مقاومتها المسلحة للاستعمار الفرنسي (43) .

ونتج عن فعالية الجماعة شيء هام جدا وهو حل المشاكل محليا وتطبيق جانب من فكرة اللامركزية . وبذلك يبقى للدولة الوقت الكافي والضروري لمواجهة المشاكل ذات الصبغة الوطنية وصرف جهدها في سبيل المصلحة العليا، ومواجهة الاخطار الخارجية ومؤامراته الاعداء الطامعين المتربصين ، وهنا قال جلالته :

« .. وكانوا بهذه الكيفية يجعلون — المخزن — في بعد عن عدة مشاكل يحلونها بأنفسهم ، .. فكانت حقيقة اللامركزية التي جعلت اجدادنا يمكنهم أن يجابهوا العدو والاخطار التي كانت قادمة من الخارج مطمئنين على ان المشاكل اليومية الضرورية ستتولى الجماعة حلها » (44) .

تلك هي الخطوط التي رسمتها الجماعة المغربية للانسان ، وهي كما رأينا متعددة تربطه بربه عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر — وكانت الجلسات تعقد عادة في المساجد وبعد أداء الصلاة مباشرة — وتربطه بأخيه الانسان عن طريق الدعوة الى التعاون الجماعي ، وتربطه بالارض عن طريق مساعدة الفلاحين ، وتسليحهم للدفاع عنها وحمايتها .

(41) « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » (الانفال 25)
(42) نفس المصدر ص 9 .
(43) نفس المصدر ص 9 .
(44) نفس المصدر .

فأين هذا من الاشتراكية المادية ذات البعد الواحد ؟ وأين اصالتنا من اصالتهم وعبقرية اجدادنا من عبقريتهم ؟

نبوءة تتحقق

عندما اشرفت جنبات القصر الملكي بطلعة الامير مولاى الحسن كان والده المغفور لمحمد الخامس قدس الله روحه بفرنسا ، ولما بلغه الخبر السار كتب الى الحاجب السيد محمد الحسن ابن يعيش رسالة ملكية جاء فيها : « .. واجعلوا الشريف سمى جده احسن راجين من الله الكريم الوهاب ان يجعله على اثره صالح الدنيا والدين » (45) .

وعندما شب الامير اعزه الله خاطبه المرسى الصالح المصلح بقوله : « .. يا بني قد اخترت لك من الاسماء الحسن لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد ، وليكن لك في جدك الحسن الاول خير اسوة واعظم قدوة » (46) .

وفعلا صدقت نبوءته قدس الله روحه وصدق الحديث الشريف « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » فلقد كان الحسن الثاني ايده الله صالح دين ودنيا ومصلحا ، ورابط حاضر البلاد بماضيها القريب والبعيد . القريب بأحياء نظام الجماعة والبعيد بربط الانطلاقة المغربية الحديثة بالحضارة الاسلامية والتراث الاسلامي .

الدعوة روح ومرآة

الدعوات الانسانية العظيمة المطلقة من قيود الزمان والمكان ، تمتلك طاقة روحية و شعاعية هائلة لا تخبو جذوتها ولا تصدأ جلوتها على مر العصور والاحقاب ، بل ان التقدم لا يزيدها الا قوة ولمعانا واشراقا كلما صادفت من يفهم مراميها ومغازيها ، وينفعل بها ويتأثر ، وينصرف وفق منهجها واتجاهها ، اى كلما انتقلت من مجال الفكر والتخطيط والنظر ، الى واقع التطبيق والممارسة والعمل .

ودعوة امير المؤمنين الحسن الثاني خلد الله ذكره من اجل الدعوات واسماها ، اذ هي كما رأينا دعوة الى الله والى الانسان ، دعوة الى اعادة الصلة بين الانسان وربه ، وتذكيره باصله الروحي واصالته. دعوة تذكر المغاربة خاصة بماضيهم الاسلامي المجيد وحضارتهم الراقية التي أضاءت افريقيا والاندلس قرونا عديدة .

فهي كروح تنفخ في شعب أستسلم لنوم ثقيل وآن له ان يستيقظ ويعي ما يجري حوله ، ويحدد موقفه وموقعه من الركب الحضاري الانساني .

وهي أيضا كمرآة تعكس وجه المغرب الاصيل قبل أن يزيفه الاستعمار ويشوهه ، ويهبطه الى حالة من التقليد الاعمى والتبعية التي ناهاها الكرامة القومية ؛ كما تعكس وجه الانسان الحقيقي قبل ان ينتكس ويرتكس ويهبط وينحط الى مرتبة تنافي الكرامة الانسانية .

انها دعوة الى الكرامة والاصالة الانسانية والقومية في آن .

فاللهم احتط ملكنا المحبوب بما حفظت به الذكر الحكيم — وقد اعطيتنا البرهان على حفظه مرتين — حتى تحقق له وعلى يديه ، ما يعد به ويدعو اليه ، من اعادة بعث الفكرة الاسلامية والتخلق بآدابها واخلاقها السامية . واحفظ الشعب المغربي المسلم المعتز باسلامه ، وقه اخطار الحرب الفكرية والنفسية التي تحاول ان تسلخه عن دينه وماضيه وامجاده واصالته ، وتجعله ذنبا وبيدقا تابعا ، واجعل ذكره بين الشعوب اطيب ذكر واحمده ، واجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

---

(45) مجلة الاعلام يوليوز 73 ص 11 .
(46) نفس المصدر ص 33 .

نفحات من عيد العرش

للأستاذ عبد الفتاح إمام

ان من أجل نعم الله على عباده — ملوكهم ، فبهم يقمع الله الشر ، وبهم تستأصل الفتنة ، ويقل العدوان ، وبهم يأمن الخائف ، وينتصف المظلوم ، ويطمئن الناس على أموالهم وأنفسهم ، وبهم تعمر البلاد ، وتسعد العباد ...

لولا الملوك لطهرت شيم النفوس وطبائعها من الظلم والصلع ، والعدوان والجشع ، ولظلم القوى الضعيف ، واتهب الناس بعضهم بعضا ، ولولاهم لما كف باغ عن بغيه ، وعاد عن عداوته ، فكانت الفوضى ، وكان الفساد ...

وحب الملوك العادلون ، الذين يعدلون فى رعيته ، يحيون الميت ، ويؤمنون الخائف ، وقد قيل : عدل السلطان انفع للرعية من خصب الزمان ...

ومن سعادة الأمة فى هذه الظروف العصيبة ، التى تعصف فيها بالأمم عواصف الشر والبلاء ، ان مليكها : وحامل تاجها : ورب عرشها : هو صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى — أعزه الله ، وأدام توفيقه : وزاده حكمة وبصيرة ...

لقد اجمعت الأمة على حبه وتقديره ، منذ تبوأ العرش ، وتعلقت به القلوب تعلقا لم ينله أحد من الولاة : وكان مصدر هذا الاجماع — الهاما فطريا : من عادته ان ينزل على الجماعات فيهديها الى الصواب ، فلما خبرته الأمة تأكد هذا الحب : وزاد ذلك التقدير ، ودلت التجربة على صدق الالهام ، وعلى أنه ربان ماهر ، ودليل صادق ، وقائد حكيم ... وكما منحت الأمة الملك حبها وإخلاصها وولاءها ، منحها حبه ، وبره ، وعطفه ، ورعايته ، وسهره على مصالحها ، فلا شىء عنده أعز من بلاده ...

بهذا الحب المتبادل بين الملك والشعب ، يكون الخير والصلاح : لأن الملك اذا أحب الرعية حكمها لمصلحتها ، وجنبها مواضع الهلكة ، وارتاد لها الخصب والنماء ...

واذا أحبته الرعية — أطاعت أمره ، وسارعت الى رضاه ، وتعاونوا على جلب المنافع ، ودفع المضار ، وقد جمع الله تعالى لجلالة الملك هذه الخصال الثلاث ، فهو ملك عدل ، ومحب ومحبوب ، يحب رعيته ، وتحبه رعيته ...

وجلالة الملك أعزه الله — شديد الحرص على كرامة الأمة وعزها ، ومجدها واستقلالها ، أعز أمانيه ان تسير البلاد على نظام اجتماعى ، يستند الى دينها وتقاليدها ، وأن تكون عناية الحكومة موجهة الى اصلاح الجمهور ، ترفع عنه الجهالة ، وتيسر له عيشا سعيدا هنيئا ، وتشعره بعدل الدولة فى حكمها ، وشفقتها على الرعية ،

حتى يعيش الضعيف آمنا على نفسه ، وعلى حقه ، ويشعر بيسر الطريق فى الوصول الى حقه ، ويجد كل واحد من عمله ما يكافئه ، وهذه الرغبات الحقة — هى التى يجب ان تكون مقصد الحكومات ، وقاده الامة وساستها . . .

لذلك فان جلالة الملك اعزه الله — يبذل جهده لاصلاح هذا الشعب ، جسميا ، وخلقيا ، وتهذيبيا ، ليكون منه رجال صالحون للحياة الكاملة ، فكما يسأل عن المدرسة ، والمعلم ، والتلميذ ، يسأل عن المزرعة والفلاحين ، وعن المصنع وعماله ، وكما يسأل عن الجيش وجنوده ، يسأل عن المحكمة وقضاتها ، وكما يهتم بكبار رجال الدولة ، واولى الامر فيها ، يبحث عن مساعديهم ، فهو فى تفكير دائم فى كل شأن من شئونها ، اهم شىء يريد أن يحققه هو ان تكون البلاد عزيزة الجانب ، قوية بالنبغاء من ابنائها ، يرى جلالته ان النوابغ عنوان البلاد ، ومجد البلاد هو الامل الوحيد لجلالته ..

ويحق للامة المغربية أن تتخذ يوم عرشه عيدا من أجل اعيادها ، فلقد نالت فى عهده ، وعلى يديه اعز امانيها ، وانست من نفسه ، وسمو نفسيته ، ورجاحة عقله ، وجمال خلاله ، اكمل ما يرجى من ملك تتخذه امة مثلا اعلى لها فى سيرتها ، ووطنيتها ، فلا عرو ان جعلت من يوم جلوسه عيدا عاما لها ، تظهر فيه من آيات الولاء لذاته المحبوبة ، وعرشه المفدى ، اجل واعظم ما تستطيع امة اظهاره فى اى عيد من أعيادها الوطنية ، والاعياد معالم للامم ، ومنارات لأيامها ، وعلامات على طريقها . . .

نعم ، تحتفل الامة بعيد العرش الذى جلب على البلاد بمقدمه الخير العميم ، وعم بمطلعه اليمن والبركات ، وامتدت عوارفه فشملت الحواضر والبوادى ، واصبحت كلها تستظل بظله الوارف ، وتنعم بعطفه السابغ ، وتستضىء بنوره الهادى ...

وهذه الاحتفالات وفاء لولى النعم مولانا امير المؤمنين ، أدام الله له العز والتمكين ، كما انها تعبير عن شعور تفيض به العواطف ، واحساس يتبعث من قلوب الشعب ، تقديرا لمن يستحق التقدير ، واعترافا من الشعب بالجميل الذى اسداه صاحب هذا العيد ، والذى من اجله اقيمت هذه الافراح ، جلالة الملك المحبوب ، أيد الله ملكه ، واعلى فى الخافقين ذكره .

ماذا اقول وكل وصف دونه

ابى الحضيض من السماك الأعزل

ان التاريخ سيكتب بمداد العجب والفخر ، عن تلك الهمم العاليات ، وتلك المجد الذى بناه للمغرب خاصة ، وللامة الاسلامية عامة . ..

ولا زال للعلياء والمجد بانيا

يبلغه الوعاب ما يرجو ويطلب

لقد عنى — اطال الله عمره السعيد — بالتراث الاسلامى ، والمحافظة على التقاليد الدينية الموروثة ، ووجه عنايته اعزه الله الى القرآن الكريم ، فأمر بانشاء الكتاتيب القرآنية ، لان القرآن هو حجة الله الخالده ، وهو الاساس المكين ، وحبل الله المتين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وكذلك رأى حفظه الله المحافظة على السنة النبوية الشريفة ، وهى الاساس الثانى للتشريع الاسلامى ، والمعين الذى فاضت منه احكام الشريعة مفصلة ، بعد أن جاء بها القرآن الكريم مجملة ، وقد قال الله تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » ، فالسنة شرحت لنا ما اشكل من القواعد الدينية وفروعها ، لهذا رأى جلالته بنظره الثاقب ، وبصيرته المستنيرة — أن تنشأ دار تدرس فيها الاحاديث النبوية ، فانشئت بأمر جلالته : دار الحديث الحسنية . . وكانت احدى ايادية البيضاء على الشريعة الاسلامية فى هذا العصر الذى شغل الناس فيه بالمادة ، وشئون الحياة . . .

لعمر العلا هذا هو المجد الخالد ، والهمة التى لا يدركها فى سموها وعلائها الا أولو العزائم والهمم ، الذين وفقهم الله ، وقليل ما هم ، وهكذا تبنى الامم امجادها ، وتحيى مفاخرها ، ليصلوا مجد الحاضر الباسم ، بشرف الغابر المشرق ...

ومن خطواته الموفقة ، واعماله المجيدة ، استرجاع الصحراء المغربية ، بطرق سلمية ،

تلك الصحراء التي كانت امنية الشعب ، فقد انضم الفرع الى اصله ، واجتمع الشمل ، وانتظم العقد ، وجاء نصر الله والفتح ، وقرت العيون ، وفرح المحزون ، وتلك معجزة الدهر ، وثمرة من ثمرات الفكر ، اسفرت عن الفتح والنصر ، وعلى قدر اهل العزم تأتي العزائم ، وعلى قدر الهمة تكون مقادير الاثار ، فايدي السعد قد ذللت الطرق بل طوتها ، وقدمت وعود الآمال ، بل انجزتها ...

واذا اراد الله اسعاد امة هيأ لها ملكا عالما حازما ، عالي الهمة ، راجح العقل ، سديد الراي ، فالعلم قوام الامم وحياتها ، وسر نجاحها ورقيها ، ومن اكبر النعم على الشعب المغربي ، أن قدر الله تعالى في سابق علمه — ان يكون جلالة الملك الحسن الثاني — هو مليكها ، وقائد نهضتها — لقد جمع الله له من المزايا والصفات ما لم يتوفر لغيره من ذوي الجاه والسلطان ، فهو اهل لان يتبوأ عرش الخلافة الاسلامية ، لما آتاه الله من العلم والحكمة ، والتبحر في كل فن ، فقد جمع الى علوم الدين والشريعة ، الثقافة العصرية ، والعلوم والفنون الكونية ، واللغات الاجنبية ، حتى أصبحنا نباهي بعلومه ، ونفاخر بثقافته ، في عصر هرمت فيه الدولة الاسلامية ، وفترت الدعوة ، وكسدت السلعة ، وقديما قالوا :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ولكنه حفظه الله — بما اوتي من العلم ، والفطنة ، وبعد النظر ، وكمال الدراية ، نهض بالشئون الاسلامية ، نهضة مباركة ، فأقال عثرتها ، وانتشلها من وهدتها ، حتى عادت به شابة ، والايام مساعدة ، والسعود قائمة ، والنحوس نائمة ..

هنأه الله بما أولاه ، وبارك له فيما اعطاه ، وحقق له ما يتمناه ، وجعل الدهر عبده ، وهو مولاه ، وأعلى الله تعالى شأنه ، ورفع فوق الفرقدين مكانه ، وأيده بروح من عنده ، حتى يحقق للدولة المغربية ، وللامة الاسلامية ، ما تصبو اليه من عز وعلاء ، ويمن ونصر على الاعداء ...

ونسأل الله الكريم ان يمتعنا بحياة هذا الملك العظيم ، وان يبارك له في ملكه ، ويزيد في نعمته ، ويشكره عن رعيته ، وان يقر عينه بولي عهده الامير المحبوب ، سيدي محمد ، وشقيقه الامير السعيد — مولاي رشيد ، وان يحفظ الاسرة الملكية الشريفة من كل مكروه ، وان يجعل عصره عصر ازدهار واسعاد ، كما نسأله سبحانه ان يمطر شآبيب رحمته ورضوانه على مولانا امير المؤمنين محمد الخامس طيب الله ثراه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه .

جلالة الملك الحسن الثاني
وزمام السياسة الدولية

للأستاذ فاروق حمادة.

ـ ١ ـ

حبا الله سبحانه وتعالى للغرب طبيعة غناء ، ومناخا خلابا ، ومناظر ساحرة ، وموقعا جغرافيا له مكانته الاستراتيجية سواء من الناحية التجارية ، او من الناحية الحربية ، هذه المكانة العظيمة لا تفتقد مهما تقدمت وسائل التنقل وآلات الحروب ، اجل ان هذه المكانة كلما تطورت وسائل الحضارة وسرعة الاتصال تزداد اهمية ، وتتعاظم قيمة .

كما ان اللهسبحانه وتعالى منح المغرب قائدا ملهما جمع بين النسب العريق ، والذكاء الفائر والوعي العميق وقوة الشخصية التي تواجه احداث العصر المضطربة ، والتي استعصى حلها على القادة والمفكرين ، فيبتسم لها ، قبل ان تصل حدوده ، فما ان تصلها حتى تتلاشى على صخور الشواطىء المغربية وترتد مع الامواج الكئيبة الحسرى .

ودخل الاسلام هذه الارض فاصبحت بفضله مدرسة يفد اليها قصاد الحكمة ورواد المعرفة من العالم الاسلامي ومن العالم الاوروبي ، وبدات موجات العالم تتداح نحو اوربا وغيرها ، واحدة تلو الاخرى ، وانه لمن العقوق والتنكر للفضل ان لا ينظر العالم الاوربي الى المغرب على الخصوص نظرة التلمذ الى استاذه في التقدير والتبجيل والاجلال. وقد سجل التاريخ صفحات التي ستبقى مسطورا على مائدة الحقيقة حين عاشت اوربا على احتلافها أرضا مزيوت مشاعلها استنارت، وشعوبا بفضل بنات أفكارها ارتقت وسمت ، وجعلها وصمة عار في جبين المهاجم مدى الدهر ، وطبق عليه المثل القائل :

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي
فلما قال قافية هجاني

ففي مطلع هذا القرن بسط المستعمر سلطانه على البلاد الاسلامية ، شرقها وغربها على السواء،وقسمها مزعا مزعا حتى يسهل عليه سرطها واحدة تلو أخرى وحاول جاهدا تمزيق روابط أوصالها الوثيقة .

لكن عوامل الحياة في الأمة الاسلامية رغم ركودها وسكونها كانت وما تزال قوية صالحة تستطيع لخلاص من طغيان هذا المستعمر الباغي ، هذه الروح تتمثل في شعور الأمة الاسلامية بالعزة ، التي يفرضها عليها دينها وقرآنها ، فهبت الثورات على المستعمر في كل صقع اسلامي ضده محتوهم اما النصر على الاعداء أو الشهادة في سبيل الله ، وأدرك المستعمر هذا فخطط للقضاء على هذا العامل الذي الب عليه الشعوب الخاضعة لسلطانه .

وعندما كان يعيش المستعمر ايامه الأخيرة عمل بنشاط أكبر على ترك افكاره ، وآثاره التي تبقى على الامة الاسلاميه موردا ثرا لحاجات صناعته، وسوقا قائمه لتصريف بضاعته . كما انه من اول يوم حط فيه رجله ، عمل لانشاء الأجيال على مفاهيمه وتربيتها على تبعيته، فما ان خرج حتى افسد عقول كثيرين ، وشوه الحافز الذي كان يدفع الشعوب الى مناصفته وعدائه الا وهو الاسلام .

وهبت علينا من حينة اخرى سحب كثيفة رآها بعض منا ، فقالوا : هذا عارض ممطرنا !. وانتظروا غيث هذا العارض ورحمته، وخرجوا بزينتهم للقائه وحشروا اليه الناس ضحى . لكنه : « هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء .. وبدت عوامل التفرقه في انحاء الامة الاسلامية بلون جديد، ويا لها من فرقة ، حرت الحروب والدمار على كثير من أطراف امتنا وكم فجعت من أصقاع بخيرة مفكريها ، وزهور رياضها من الشباب انناهض وعدنا من حدد نتلمس دربنا بين عدو لدود عشنا قوته ووبلاته ، وعدو حدث بطلق بخور السياسة، وطلسمات المشعوذين، فنغطي مخططاته بدخان منه رائحة ، ولكنه قاتل على اي حال ، واستحال أمره سراب . ولكن أعظم أثر كان له زرعه التمرد والانفجار في نفوس الشباب وعقلياتهم ، والتمرد على كل شيء حتى على آبائهم وامهاتهم . وما ان جاءت الاربعينات والخمسينات من هذا القرن حتى بدا في الأفق السياسي خطان متمايزان بالنسبة لعالمنا الاسلامي عموما والعربي خصوصا ، خط متطرف في انطلاقته يثور على كل قديم ولو كان التراث والقيم ومجد الآباء والجدود ، وخط أكثر رزانة وهدوءا ، يعتز بالماضي ويحاول العيش في الواقع فاتهم بالرجعية ، والجمود والتحجر .

ودولاب الحياة يسير بسرعة لا ترحم ولا تتوقف وشعوب الأرض تعيش تحت تأثير دعوتين متعارضتين، وكل دعوة تدعو شعوب الارض الى حقها والى ايديولوجيتها ، وكل منها تحاول اكتساب العالم الاسلامي والعربي على الخصوص لشيئين رئيسيين ، لثرواته التي يحتاجها وتظهر قيمتها كل يوم أولا ، ولمكانه الطبيعي وموقعه الجغرافي من العالم ، والذي يتحكم في مسيرة اتصال القارات جميعها ثانيا .

واحتدم الصراع بين القوتين على هذا العالم في الخمسينات والستينات ، ولكن الشعوب الاسلامية وان لم تكن قادرة على مقاومة اية قوة منهما ، كانت تدرك بعض وعيها ان لم نقل كله . وتدرك ان انجرافها الى اي معسكر من المعسكرين ضياع لشخصيتها ، وفقدان لهويتها . في هذه الاثناء انطلقت دعوة ذلك أوانها ووقتها في الحقيقة الا وهي دعوة الشعوب الاسلامية – ان صح التعبير – الى التضامن فوقف في وجهها عدد من القادة الذين جرفوا بلادهم في الخط الاشتراكي وشوهوا الفكرة ، وسخروا جميع وسائل الاعلام لمسخها ، وتنفير الناس منها . ولفظت الفكرة أنفاسها الاخيرة أو كادت.

يحق لنا هنا ان نتساءل ما قيمة الامة الاسلامية على العموم والعربية على الخصوص في ميزان القوى العالمية ، وما هو دورها في مسرح السياسية الدولية ؟

أقول : حتى هذه الفترة كانت لا دور لها الا كانسان عاجز تذهب خيراته وتقتطع أطرافه ، ويقال الكلمة بعد الأخرى ، ويعلو صراخه ولا راحم ولا مغيث .

وهنا يبرز دور جلالة الملك الحسن الثاني في تغيير اتجاه خط هذه السياسة المظلوم المشؤوم ، والمغرب في تاريخه كله – تقريبا – عاش امبراطورية موازية للامبراطورية الاسلامية في الشرق يواجه أوربا من جهته وكانت الحرب بينه وبينها سجال ، ولما نال استقلاله اعتمد على السياسة الخارجية التي تقوم على الصراحة والود لكل من لا يعادينا ، والاستفادة من كل من يريد افادتنا .

وفي عام تسعة وستين وتسعمائة وألف ، وكانت قيمة العالم العربي قد بدت في انظار العالم هزيلة وذلك بعد ما يسمونه بحرب الخامس من حزيران، قامت اسرائيل بعملها الجريء ، فأحرقت جانبا من المسجد الاقصى وارتج العالم الاسلامي من اقصاه في الفلبين شرقا الى اقصاه في شواطيء الاطلسي غربا وماج وماج ووزن نفسه وعرف حقيقته في ميزان القوى العالمية .

وهنا بدأ التحول الخطير في حياة الأمة الاسلامية، وانحرفت خطوط السياسة العالمية عن زواياها المرسومة لها . واعلن الملك الحسن الثاني تدشين عهد جديد في السياسة الدولية ورفع الحجر الاساسي الذي فاجأت

من منطلقه غالبية الاحداث من بعده . ودعا لمؤتمر القمة الاسلامي الاول الذي عقد في الرباط بين 22 و 25 سبتمبر 1969 ولبى النداء ست وعشرون دولة اسلامية وكان منها دول ينص دستورها على أنها علمانية مثل تركيا ، وهو بداية تحول جديد في حياة الدول الاسلامية والتقى هؤلاء القادة في رباط الفتح ، وأعلن الملك الحسن افتتاح المؤتمر وان هؤلاء القادة المجتمعين لم يأتوا ليتدارسوا شؤون وحدة وعلى أي أساس تقوم ؟ بل ان وحدتهم قائمة . ورابطتهم أوثق رابطة انها رابطة العقيدة الاسلامية ، وشعروا جميعا بجو الاخوة ، وأدركوا مقدار عظمتهم ومكانتهم في العالم ، وتناقلت الدنيا أصداء المؤتمر . والآثار الايجابية التي خلفها ، وخصوصا ما يتصل بالقضية الفلسطينية . وكان عهد جديد أسفر فيه كثير من القادة والزعماء عن شخصيتهم الاسلامية بعد أن تنكروا لها ، وبرزت على مسرح الاحداث كتلة جديدة كتلة الشعوب الاسلامية ، وكان هذا هو المسمار الاول الثابت في نعش السياسة الاستعمارية العابثة بمقدرات الامم .

وفي عام 1970 كان مؤتمر القارة السمراء في رباط الفتح ، وكان عدد القادة الذي حضره قياسيا فلم يتخلف أحد تقريبا وذلك لعلاقات المغرب الطيبة مع جميع الدول ، ومده يد المساعدة لها وحكمة الملك الحسن الثاني السياسية .

ونقلت الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الافريقي في الخافقين ، وأسفر هذا المؤتمر عن نتائج طيبة ما شهدها مؤتمر قبله سواء على العلاقة العربية الافريقية ، أو التصالح والتعاون الافريقي ، ومن أينع الثمار التي قطفها العرب خصوصا من ثمرات هذا المؤتمر قطع العلاقات الدبلوماسية في 1973 مع اسرائيل من أكثر الدول الافريقية ، ثم اعتماد افريقيا السمراء على العالم العربي بدلا من أوربا وأمريكا وروسيا و ...

وترعرع بنيان السياسة الذي أشيد على أشلاء ودماء الابرياء فما أن دعى داعي النفير في العاشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف 6 أكتوبر 1973 حتى انهار صرح هذه السياسة ووقف العالم الاسلامي برمته ، والافريقي بكامله صنا واحدا فكتب الله له نصرا مؤزرا ،جعل هذه الكتلة السياسية تتكلم من موقف القوة والعزة قوة في المال والثروة تتحكم في مصير العالم وان شاءت خنقته رويدا رويدا ، وعزة الاسلام التي رفع الله سبحانه وتعالى بها المستضعفين وأعلى شأنهم . وظهرت هذه الكتلة على حقيقتها .

وبدأت الدول العظمى تخطب ودها تارة ، وظهر ما يدعى بالحوار العربي الاوربي . وتراوغها بأساليبها السياسية التي تمرست بها تارة أخرى ، وبارك العالم الاسلامي فجر هذه السياسة الدولية الجديدة على مائدة الاسلام في(لاهور) حيث انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني الذي كان لفئة أخرى على أساس من مؤتمر الرباط الاسلامي . وكان له دوره الفعال الذي جعل شاه ايران ـ مثلا ـ يعلن منذ فترة ليست بالبعيدة (ان اسرائيل اذا دخلت حربا جديدة مع العرب فلتعلم انها ستخوضها مع العالم الاسلامي كله)

وأصبحت الكتلة الجديدة توجه السياسة العامة وتملي شروطها ، وتتحكم في أمرها ، رغم الوسائل الكثيرة التي تبنت لها لتعود متناحرة فيما بينها من جديد ، ولتفرط عقد المحبة والوئام الذي نظمته مع أخواتها الدول الافريقية ، ودول عدم الانحياز

وما المؤتمرات المتتابعة المختلفة المقاصد والاهداف كمؤتمرات دول عدم الانحياز والطاقة والمواد الاولية وغيرها الا تأكيدا لهذين الاساسين اللذين أرسيا في بناء السياسة الدولية بعد عام 1970، على يد جلالة الملك الحسن الثاني لانها أخذت صبغة جديدة وحيوية جديدة لم تكن معهودة من قبل . ولقد كتب أحد المستشرقين الذين يعنون بشؤون العالم الاسلامي كلمة في آخر مقال له وذلك في مارس 1968 ((1) : (اذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الاسلام ، فان من الممكن لهذا الدين أن يظهر كاحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى) .

وكان توقعه مصيبا ، وقد تحقق بعض ذلك والحمد لله بفضل قيادة جلالة الملك الحسن الثاني ـ رعاه الله ـ الذي آتاه الله سبحانه الحكمة والهمه السداد ، فكان تأثيره على السياسة خطيرا جدا وجهها وجهة جديدة ،فأربك بتؤدته وثباته وبعد نظرته ، ودقيق

---

(1) مجلة التايمز اللندنية .

معرفته بالتخطيط السياسي ، العملاقين العالميين ووضعهما امام كثير من العقبات التي تحفظ أمتنا من خطرهما وطوى صفحة قائمة في تاريخ العلاقات الدولية والسياسة العالمية وفتح صفحة جديدة لم تكن بحسبان عمالقة السياسة .

أما الحديث عن مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط وآثاره فذلك له شأن آخر ، ولكني أقول : ان النتائج الباهرة التي حققها لم تكن سطحية الجذور ، قريبة الغور ، وليدة يوم وليلة ، بل انها تضرب أوتادها في أعماق التاريخ الاسلامي ، وتسير بجانب السياسة الخارجية للملك الحسن الثاني وفقه الله الذي يقول الكلمة المناسبة في وقتها المناسب ، فتجد التأييد والرضى من الجميع ، وما هو الا من نتائج مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، ومؤتمر القمة الافريقي ، حفظ الله أمير المؤمنين لهذه الامة الاسلامية ، وللشعوب المستضعفة يقودها نحو السيادة ولتأخذ مكانها الصحيح في انسانية الانسان ، وليعيد الكرة للاسلام وسلطانه ومكانه (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

– 2 –

ولقد ظهر في آفاق السياسة الدولية اتجاهات متعددة تتفق تارة وتختلف تارة أخرى ، ويبرز من خلال هذه الاتجاهات خطان واضحان :

1 – تعاظم الدعوة الى الوفاق ، والسعي في سبيل الوئام لحل المشاكل والاحداث ، خصوصا مخلفات عهود السيطرة الاستعمارية ، والنزعة الحربية ، وتصفية ركام العلاقات الدولية المتوترة التي خلفتها الحربان العالميتين (ومن الضعيف والقوي على حد سواء) .

حتى أن هذه الدعوة نزلت الى ميدان المساومات السياسية في دول المعسكر الرأسمالي كما استخدمت طلاء براقا لنشر الافكار الماركسية في بلدان العالم الثالث وغيره من قبل المعسكر الشيوعي ، وهذا أوضح دليل على أن اهتمام الشعوب في شتى بقاع الارض بالسلام ومؤيداته ووسائله في تزايد وتصاعد ، وكأني أشعر أن اليوم الذي يخلد فيه ذكرى أوائل الهاربين الامريكان من حرب الفيتنام وغيرها أو الرافضين الذهاب الى ساحة المعركة ، وكذلك الضباط الروس الفارون خارج الستار الحديدي يحملون معهم عميق أسرار الصناعة العسكرية المدمرة لكشفها للعالم، أشعر أن فجر ذاك اليوم قريب ، وعندها سيحملون أكاليل الغار ويدخل هؤلاء وأولئك سجل الابطال السلام في تاريخ البشرية الحديث، لأنهم بحق أول من تمرد على نزعة البطش والطغيان وأن عملهم هذا حفر أخدودا في الفكر الاجتماعي والرأي العام الدولي لان أمل الانسان السوي أن يعيش باطمئنان وسلام .

ولقد تكررت في السنوات الاخيرة اللقاءات بين الدول العظمى في هلسنكي وغيرها على مائدة الوفاق ونزع السلاح وجرت المفاوضات العديدة التي ما تزال مستمرة وما تسفر بعد عن شيء عملي

ولا يخفى على متتبع للاحداث أن تخفيض القوات في وسط أوربا مثلا كان موضع بحث طويل ومناقشات شائكة ، ولئن توصل الخصوم الى ذلك فهل حققت أو أزيلت ! أو هل بالامكان أن تخفض في المستقبل القريب !

كما أن هناك اصطفافا في أطراف الارض ما زالت تعاني قسوة المستعمر الذي يدعي أنه وصي السلام الحديث ، والمؤتمن على السعادة البشرية فهي معه في جلاد وقتال وركبت متن الخطر ، وعرضت أرواح أبنائها وشبابها للتقتيل والتنكيل – وأهم أن نختار ما نشاء – لكن رفع الحيف ، واسترداد الحقوق لم يتعين بطريق واحدة هي سفك الدماء وازهاق الارواح ، بل هي طريق مذمومة من قديم الدهر ، لا يلجأ اليها الا حين لا ينفع العقل ، ولا يجدي التفكير ، ونسأل الآن : أما آن للانسانية الرشيدة !! التي استنارت – كما تقول – بالعلم واهتدت بالمعرفة ، وتسلحت بالمناهج الحديثة أن تستفيد من ذلك كله فيتنازل الظالم عن ظلمه ، ويسعى المظلوم الى حقه بالثبات والحكمة ؟ ! ويدرج الجانبان في بحبوحة السلام والطمأنينة وفي ظلال الاخوة والتعاون ؟ ! وتطوى بذلك صفحات دامية قاتمة لا تزال أطرافها منشورة ؟ ، كل عاقل يجيب بنعم !

واننا نقول بكل انصاف محفوف بالفخر والاعتزاز: أن البلد الاول في العالم الذي طالب بحقه جادا ، وسلك سبيل السلام والوئام هو « المغرب » ، وما نهج

هذه السبيل عن عجز وضعف ، بل عن ايمان بالحق والكرامة الانسانية وتعلق بالمثل العليا الاسلامية — وذلك حين ابرز ما يجول بخاطر الشعوب ويستأثر باهتماماتها مثالا واقعيا كان الكثير يحسبه وهما وخيالا ، فاصبح صبح المسيرة الخضراء من مجاجه ورماده ، محققه ما يعجز عن تحقيقه دوى المدافع وفرقعة القنابل وقصف الطائرات ، وهدير المدرعات .

ونفذت فكرة السلام ، بتصميم وعزيمة ، واصبحت مساعدة ملموسة ، فتهافت الناس عليها من كل حدب وصوب ، وعدت نبراسا هاديا وقبسا منيرا ، وخفقت لها القلوب ، وانتشت بشذاها الارواح وذابت بدانيها ، وبشعاعها وسناها الغرعائيات الجوفاء ، وانكشفت عوار الافكار الرعناء التي تعرف الهدم ولا تهتدي للبناء ، وتحسن التخريب ولا تعرف الوفاء !!

وليس عسا ان تحظى المسيرة باهتمام كافة طبقات الناس على اختلاف أجناسهم واصقاعهم ومللهم واديانهم ، لانها تصادف في قلوب الجميع مشاعر أصيلة وغرائز عميقة .

ولقد كانت أعظم خطوة قلبت مفاهيم الحرب في العصر الحديث ، ولنا ان نقول كاى شاهد على احداث العصر : «وانتصر الاسلام في السادس من نوفمبر 1975» وتلتها خطوة لا تقل عنها بل تستتبعها وتلازمها وتؤكدها ، الا وهي تحويل آلات الحرب والدمار من ميادين القتال الى ساحات الاعمار والازدهار، فالانسانية تنظر حزنا غير قليل من اقوالها للحرب وأدوائه — انظر ميزانيات جميع الدول — ، ومن اخطر ما توصل اليه الانسان ، وأغلاه ثمنا ، وأكبره كلفة السلاح النووي الرعيب ، وسعى الدول جميعها غنمها وتقيرها ... الى حزنه والحصول عليه . فاقدم المغرب على اعقل خطة في تاريخ الغزو والانتاج الحربي حينما اعلن جلالة الملك عن عزم المغرب على تملك هذه القوة النووية ، ولكن ... لتكون في ميادين الانماء والبناء وهدم خطته المعروفة الى المنتظم الدولي الذي تلقاها باعجاب واذعان فاصل لهم بذلك في خضم البحر الهائج العاتي طريقا يسيرا يسلكونه براحة وأمان . ولنا كبير الامل أن يتنادى عقلاء البشرية لولوجه معبد فجاتهم لان كلمة الخالق ،

وشهادة التاريخ تؤكدان الحكمة الباقية « على الباغي تدور الدوائر » .

2 — واما الخط الاخر فيتجلى واضحا جليا ببروز الكتلة الدولية الثالثة التي تتكون من العالم الاسلامي ، والقارة الافريقية ، أو ما يسمونه شعوب العالم الثالث ، فلقد اصبحت هذه الكتلة حقيقة موجودة — مع التذكير بان كثيرا من الحقائق قد لا يعمل به احيانا — فلرأيها الاثر الكبير في الاحداث الدولية سياسية كانت أم اقتصادية واصبحت تضغط بقوة على الكتلتين الكبيرتين فضلا عن احداهما ، وبرفضهما للكثير من مطالبها خصوصا عندما تكون كلمة دول هذه الكتلة متحدة متفقة ، لذلك نرى كلتا الكتلتين تعملان باتفاق احيانا وبانفراد احيانا لتفريق الكلمة ، ونشر الضباب على طريق رؤية المستقبل وبرز التناحر والتدابر . وكم من مرة خرجت بعض الدول الكبرى عن رزانة الثعلب المدهش ، وتخطت اطار اللياقة الدبلوماسية فنبحته وقوف بعض دول الكتلة الثالثة في وجهها مطالبة بحقها!!

وان هذه الكتلة التي تسفر عن وجهها يوما بعد يوم كانت تحمل أعظم نفس من رباط الفتح من عبء المؤتمرات التي اشرت اليها سابقا ، ولولا اغراق البعض وعدوهم الى مستوى المساومات والمزايدات لكان من الممكن ان يتقلب سير التاريخ راسا على عقب .

كما ان المؤتمرات التي دعا اليها جلالة الملك او عقدت في المغرب كانت تنطلق من مبادئ انسانية عامة لا من اعتبارات شخصية فردية ، وشتان شتان بين المنطلقين، وانها لتستغني آدرها عديدة، وزاعا استغلاله مديدة ، وان ما حصلته هذه الكتلة من مكاسب وما ستحصله في المستقبل مدين في غالبه الى حكمة جلالة الملك وسديد فكره .

ولاى متتبع ان ينظر اتجاه السياسة الدولية في المستجدات وما قبلها وبعدها ليتبين له كيف أصبحت وجهتها الآن ويتوقع المستقبل على ضوء ذلك ؟!!

وادعو الله عز وجل أن يوفق جلالة الملك الحسن الثاني لمتابعة خطواته الناجحة الآخذة بيد الامة الاسلامية من كبوتها ، وان يلم به شعثها ويرفع عمادها ، ويعيد لها امجادها انه سميع مجيب .

الأرض في دمنا

للشاعر : محمد البوعناني

شيء من الخلد لا يغتاله الزمن ... ولا تشيب سماه ، انه الوطن
اما انا مغربيا طاب معدنه ... فلن يبرد لحتى المنتقى ... كفن ،
ولن يطول نوم يوما على قبلي ... ولن ينام على قيثارتي ، ذقن
صحراؤنا تتحدى : ليس يقتلني ... موت ولو دفنوا في القبر ما دفنوا
انا سليل الذين امتد شاطئهم ... وصاح طارقهم ان تحرق السفن
ملأت كأسي — ولو حللت مشربها ... انا بها في ظلال العرش مغتبن !
صحراؤنا — وأمانيها منبقة ... على الجباه حباها السر والعلن
وجيشنا في غيابات العيون سما ... مستيقظا لا يداري ليله الوسن
ستبرز الرملة الشقراء بسمتها ... حتى يفرض عليها المن والعتن
ومجبس الشمس مختال ، بمعصمه ... تضوي السنابل والأدواح والفنن

* * *

عهد ابن يوسف قبلناه في حسن ... به نبارك ما نهوى ونحتضن
ما زلت يابن رسول الله تجمعنا ... بتوصيات وعتها الروح والبطن
يا منقذ الشعب بالمنفى وملهمه ... والارض في فتن ما بعدها فتن
وسدت في حبنا شوك البعاد وما ... ثناك عنه سرير اعرج خشن
ولا مساومة حبلى مذهبة ... ولا سلاح وتهديد ... ولا ثمن

اذ جاءك الحق — والرؤيا يعطرها ... صوت فصيح من العلياء متزن :
أثبت محمد ، هذا العرش منتصر ... بعزتي ، وسيعلي شأنه الحسن !

* * *

الامهات يقدن الصف متحمساً ... قد جف فى صدرهن الحب واللبن
تزغرد الدمعة الحمراء تكتب فى ... باب السجون رسالات لمن سجنوا
حتى اتت شمسنا العذراء يسبقها ... عرس الطبيعة والرايات والغصن
ان الشعوب التى ذابت مصائرها ... فى الحق ، كيف تراعي طعن من طعنوا ؟
وفى يد الحسن الثانى مفاتحنا — ... والعقل والحب ، والارواح والبدن
اليك ما هو اغلى من تطوعها ... وانت سيدها المقدام ... المرن !
يقفوك الاعلون والمستبشرون بهم ... لم يحزنوا خائف مسعاهم ولم يهنوا
وقد فرضت على الدنيا مسيرتنا ... وانت من بايعوا فى الله واتمنوا
فاخضوضر المهد والمسطور فى قلم ... وازهر الدرب والميدان والسكن
والارض فى دمنا تنمو بواكرها ... ترابها يعروق القلب مرتهن
سدودها ... كقياشين مرصعة ... باسم الجدود تعالت حولها المدن
لنا عصارة ما تجني اصابعنا ... وما تصيد ، وما تبني ، وما تزن
نحن المغاربة الشجعان ليس لهم ... ثار ، وليس بهم عار ، ولا شجن ...
سوى براءة اعياد وعاطفة ... تشوى ، وأغنية يشدو بها الزمن
ونظرة من ولي العهد مورقة ... يصونها الله ، والآيات والسنن
فالحقل مبتسم ، والشمل ملتئم ... والشغل منتظم ، والمرتجى حسن

فهرس العدد 2 من السنة 18

الصفحة		
7	تحيـــة واكبـــار	لمعالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـــة
13	الافتتاحيـــة : عـــرش التحـــدي	عبـد القـادر الادريســي
17	احتفالنا بعيد العرش لتاكيد وجودنـا الدولـي ونحتفل به لتاكيد وجودنا الاسلامي	للاستـاذ عبد الله كنـون
20	عهد الحسن الثاني مكسب عظيم للامة والوطـن	للاستاذ محمد المكي الناصري
22	نصـر من اللـه وفتـح مبيـن	للاستاذ الرحالي الفـاروق
23	خواطر عن الدعـوة الاسلاميـة ومناهجهـا	للاستاذ محمد العربي الخطابي
33	الوثائق المغربية في عهد جلالة الملك الحسن الثاني	للاستاذ عبد الوهاب بنمنصور
39	مسيـرة روعتهـا من روعتـك	للاستاذ عبد المجيد بنجلـون
41	ما هي الدواعي التي تدعو جلالة الملك الحسـن الثاني الى نصر السنة المحمدية	للدكتور محمد تقي الديـن الهلالـي
45	الـوراقـة المغربيـة	للاستـاذ محمد المنونـي
57	الاميـر أبـو عبـد اللـه محمـد العالـم	للاستـاذ سعيـد اعـراب
68	نضـال المغـرب الدبلوماسـي	للدكتور ابراهيم حركـات
76	خصائص ظاهرة الاستمرار في المجتمع المغربي	للدكتـور ادريس الكتانـي
81	من ملامـح ادب عيـد العـرش	للدكتور عبـاس الجـراري
88	التاج المغربـي في عمـق الملاحـم العربيـة	للاستاذ محمد العربي الزكاري
92	نظـام البيعـة في المغـرب	للاستاذ حسـن السائـح
95	آفـاق المغـرب الجديـد	للاستاذ زين العابدين الكتاني
103	عـرش وشعـب	للاستاذ محمد الكبير العلوي
107	وثيقة تاريخية عن زيارة جلالة الحسن الثانـي الى تـونس سنـة 1949	للاستـاذ مفـدي زكريـاء
111	اهتمـام العرش العلـوي بشـؤون القضـاء	للاستاذ محمد التـاودي بن سـودة

الصفحة

117	الاستعدادات الاولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933	للاستاذ الحاج احمد معتيق
123	شمس المنابر	للاستاذ وجيه فهمي صلاح
125	الانعكاسات التاريخية لاسترجاع الصحراء	للاستاذ المهدي البرجالي
132	اضواء على ديوان الحسنيات	للاستاذ عبد الحق المريني
135	ابن الونان والادب	للاستاذ عبد الله الجراري
139	الدولة العلوية وعنايتها بالحديث الشريف	للاستاذ يوسف الكتاني
143	قصة بالمناسبة : الشريفة	للاستاذ احمد زياد
147	التعليم اساس الحضارة	للاستاذ محمد حمزة
159	ملحمة العرش	للاستاذ محمد بن محمد العلمي
168	كيف استلهم جلالة الملك المسيرة من كتاب حياة محمد	للاستاذ محمد جلال كشك
179	في ذكرى عيد العرش	للاستاذ احمد عبد الرحيم عبد البر
186	المغرب في عهد المولى عبد العزيز رحمه الله	للاستاذ محمد عبد العزيز الدباغ
191	قل مغربي انا نعلو بك الرتب	للاستاذ ابو بكر المريني
196	موشح المسيرة	للاستاذ المهدي الدليرو
199	الرؤوس المحلوقة	للاستاذ محمد بن احمد اشماعو
208	الالتزام بالاصالة والتشبث بالكرامة	للاستاذ عبد القادر البوشيخي
217	نفحات من عيد العرش	للاستاذ عبد الفتاح امام
220	يد جلالة الملك وزمام السياسة الدولية	للاستاذ فاروق حمادة
226	الارض في دمنا	للاستاذ محمد البوعناني